سلسلة النصوص الفلسفية 1

ج . ف . ليبنتز
أبحاث جديدة في الفهم الإنساني

"نظرية المعرفة "

تقديم وترجمة وتعليق
دكتور أحمد فؤاد كامل
كلية الآداب – جامعة محمد بن عبد الله
فاس - المغرب

دار الثقافة للنشر والتوزيع
2 شارع سيف الدين المهلاني
تلفون 904696

1983



ج. ف. لَيْبِنْتز

أبحاث جديدة فى الفهم الإنسانى

« نظـــرية المعـــرفة »

مقـــــدمة :

ليبنتز فيلسوف وعالم ولاهوتى وفقيه وسياسى نجح فى كل هذه الميادين وحقق ما يكفى لتخليد ذكره ، وجعل منه رائدا من رواد الفكر الأوروبى الحديث فى القرن الســابع عشر لا يقل أهمية عن ديكارت واسبينوزا ومالبرانش وجون لوك وهوبز وغيرهم ممن حاولوا رفع لواء التجديد والابتكار فى مجال الفلسفة أو العلم أو الدين .

وقد جرت العادة واعتمادا على القراءة السطحية لفلسفة ليبنتز على عدم ادراك ما يميز فلسفته عن غيرها من فلسفات القرن السابع عشر ، فرأى البعض ان فلسفته مجرد تعديل بسيط لفكر ديكارت ، وحجتهم فى ذلك ان الفروض التى تناولها ليبنتز هى نفس الفروض التقليدية : مشكلة الله ، التمييز بين الروح والجسد ، نظرية المعرفة ... الخ ، كما جاء أسلوبه مشابها لأسلوب الفلاسفة التقليدين .

ولكن القراءة الأكثر تعمقا ستظهر أن الأمر لا يعدو أن يكون نوعا من التخفى ، فقد عرف ليبنتز كيف يعادل بين أنماط التعبير ، وكيف يوفق بين المعانى وبالتالى كيف يحقق نوعا من التعادل الكلى ، من خلال المبدأ الفلسفى القائم على تحقيق التناسق الأزلى بين الجواهر بوجه عام وبين الروح والجســد بوجه خاص وبين العدد اللانهائى من مكونات العالم ووحدته فى نفس الوقت .

هذه القراءة المتعمقة لفكر ليبنتز قدمت لنا عدة تفسيرات ، كلها صحيح ولكن كلها جزئية : تفسير ما بعد طبيعى ، أو ديناميكى ، أو رياضى أو منطقى ، والواقع ان فلسفته تجاوزت كل هــذه التفسيرات الجزئية لتصل الى الوحدة التى أرادها فى فلسفته بوجه عام والوحدات العنصرية (المونادا) بوجه خاص ، والتى حققت القضاء على الصعوبات التى ترتبت

على التقابلات التقليدية بين كل من : الواحد والكثير ، المكان والمادة ، الروح والجسد ، الآلية والغائية ، الله والمخلوقات .

وقد عرضت نماذج لهذه القراءات وما ترتب عليها من نتائج وانتهيت الى ان هذه التفسيرات رغم صحتها اهتمت بجانب واحد وأهملت الجوانب الأخرى والأجدر بنا ان ننظر الى فلسفته نظرة شمولية تتفق مع ما نادى به هو نفسه فى أبحاثه : من الارتباط ، التناسق الأزلى ؛ وتجعل من ما بعد الطبيعة التعبير الصورى ومن المنطق أداة ومن الرياضة أساسا أو طبقة تحتيه لرؤية شاملة ومتعددة لهذا العالم الذى هو أحسن عالم ممكن أراده الله .

وتأكيدا لهذا الموقف أو لهذه القراءة رأيت التعرض لموقف ليبنتز من معاصريه : ديكارت ، اسبينوزا ، جون لوك ، وابرزت روح ليبنتز المتميزة وأصالته القائمة على دعامتين أساسيتين هما : الحرص على تحقيق التعادل الكلى من خلال فن الارتباط والرغبة فى التعميم والتناسق، وبالتالى تأكيد ان فلسفته ليست مجرد تعديل لفكر ديكارت كما زعم الديكارتيون ، وانما هى فلسفة متميزة تدور حول الانسان ومن أجله وتهتم بالعلم الحديث وتدعو الى التفاؤل فى مجال الدين والأخلاق .

وبعبارة أخرى أوضحت أن فلسفة ليبنتز اعتمدت على وجهة نظر تعددية تختلف أساسا عن وجهة النظر الواحدية التى عرضها اسبينوزا من خلال مفهوم الطبيعة الطابعة والمطبوعة لله ، كما اختلفت عن وجهة النظر الثنائية الديكارتيه بل وتختلف عن وجهة النظر التجريبية التى تزعمها جون لوك والتى كانت باعثا له على تأليف كتابه « أبحاث جديدة فى الفهم الانسانى » ليرد على نظريات جون لوك الخاصة بنظرية المعرفة وما اتصل بها من قضايا فلسفية هامة : هل المعرفة فطرية أم مكتسبة ؟ ما صلة اللغة بالأفكار ؟ ما هى نظرية المعرفة الصحيحة ؟ ولماذا اختلفت عن نظرية لوك ؟

ونظرا لأهمية هــذا الكتاب وما تناوله من مناقشات رأيت ان أبدأ بترجمة الباب الأخير منه ــ الخاص بنظرية المعرفة ــ على أساس أنه يلخص ما جاء فى الأبواب الثلاثة الســابقة له من الكتاب ، وأن أقدم له بعرض تحليلى لفصوله المختلفة من جهة ولنظرية ليبنتز فى المعرفة من جهة أخرى ، وهى نظرية تتفق مع وجهة نظره الشمولية والتى ترجع خطأ كل من ديكارت ولوك الى تجاهل كل منهما عاملا من العاملين الهامين فى المعرفة وهما الضرورى والعرضى ، يمكن قبول نظرية ديكارت اذا كانت المعرفة كلها ضرورية ويمكن قبول نظرية لوك اذا كانت المعرفة كلها عرضية، والحقيقة ــ فى نظر ليبنتز ــ أن المعرفة الانســانية تحتوى عليهما معا ، والنظرية الصحيحة هى التى تضمهما معا وهى تلك التى انتهى اليها •

وكان من الضرورى استكمالا لتوضيح نظريته فى المعرفة أن أتعرض للمنهج التحليلى الذى استخدمه ليبنتز وحاول من خلاله تأكيد فلسفته واثبات مبادئه سواء منها ما يتصل بالمجال الطبيعى أى العلمى أو ما بعد الطبيعى أو اللاهوتى • وان أختتم دراستى لفلسفة ليبنتز بذكر ما تعرض له من نقد معاصريه أو المعاصرين لنا بقصد تأكيد أصالته وتميزه وجدارته بالاهتمام والدراسة المتعمقة لكل جانب من جوانب فكره المتعددة •



اولا

فلســفة ليبنتز

التيارات الفكرية السابقة والمعاصرة للقرن السابع عشر

(أ) التيارات الفكرية السابقة (العصر الوسيط والنهضة) :

عرف العصر الحديث مجموعة من المفكرين تجاوزوا بتأملاتهم العميقة كل ما عرفه الانسان من قبل وجعلوا من الفلسفة بحثا فى الطبيعة وفى الانسان بقصد ابراز مكانته ومدى سيطرته على الطبيعة وما فيها من أسرار وتابعوا الآراء المتصلة بالمشكلات التى ظهرت منذ العصر القديم حيث تمكنت الفلسفة من الانتقال من الأسطورة الى اللغة العقلية ، ومن تحديد المواقف النمطية التى يمكن للمرء أن يتخذها حين يتخيل العالم أو الوجود أو الانسان •

أو خلال العصر الوسيط حيث حاولت الفلسفة التوفيق بين العقل والايمان أو بين الفلسفة والدين • فالواقع أن العصر الوسيط لم يكن — كما أعتقد البعض — عصرا مظلما راكدا توقف فيه الفكر الانسانى تماما بعد أن كان متقدما فى أيام اليونان والرومان ، ولكنه فى الحقيقة يمثل خطا للتطور نحو تحرر العقل والتفكير المستقل غير المحدود بمضمون ثابت يفرض عليه من الخارج • ومن ثم فهو دورة من دورات تطور الحضارة الأوروبية التى تسعى الى تحقيق ممكناتها ، ورغم أنه كان دينيا فى صميمه ، وكانت الفلسفة فيه خاضعة للاهوت ، وكان يعوزه العلم الحديث والمناهج القائمة على الاستنباط والاستقراء والتجربة ، الا أننا لا يمكن أن ننسى ما شارك به من جهد فى تقدم العقل البشرى فى عدة وجوه وخاصة المنهج الذى اتبعه فلاسفة هذا العصر فى النظر العقلى والاستدلال الذى بالرغم مما فيه من جفاف وآلية ، استطاع أن يكسب الفكر نفاذا ودقة وقدرة على التمييز والتقسيم والتفريع وغيرها من الصفات التى يندر وجودها فى ذهنية العصر الحديث •

أما عصر النهضة وهو عصر التفاعل الفكرى والاعتقادى والتمرد على سلطة الكنيسة ، وتحرر العقل من سيطرتها ، فقد أمتاز بحركات الاصلاح الدينى التى أبرزت وجود الفرد وألقت عليـــه كل التبعات الدينية التى لا تحملها عنه الكنيسة ولا رجال الدين • وقد تحددت الملامح الرئيسية للفكر فى عصر النهضة من خلال المشكلات التى سادت هـــذه الفترة وأهمهـــا :

١ ــ مشكلة شرعية السلطة السياسية والموقف الحقيقى للانسان من اللـــه •

٢ ــ الصورة الجديدة للعالم ودور الانسان المتفوق •

٣ ــ التقابل بين الفكر السائد فى كل من « بادوا » و « فلورنسا » : مركزا الثقافة والعلم فى ايطاليا فى هذه الفترة •

لقد دافع لوثر فى شبابه عن الايمان باعتباره الطريق الوحيد للسلام ووجه اللوم الى رجال الدين الفاسدين والحريصين على الثروة والسلطة ، كما نقد التسلسل الكنسى معلنا نهاية حكم اللاهوتين ، الا أنه عندما تنكر أخيرا لأولئك الذين منحهم البابا سلطة تحقيق الاصلاح بواسطة جمعية المخلصين ، وعندما تحمس لحزب الأمراء خلال ثورة الفلاحين والشعب ضد السلطة عام ١٥٢٥ وأصبح مصلحا للكبار ومنظما لكنيسة عاجزة عن نشر الايمان المسيحى الحقيقى وساعد على ظهور حركة تجديد أخرى تدافع عن حق الشعب فى الحرية ضد السيطرة الأيديولوجية للكنيسة وضد تحكم السلطة فى الأفكار[1] •

وقد وجدت هذه الحركة فى «توماس منتزر» Thomas Muntzer المعبر عن النظرية التى انتشرت ابتداء من سنة ١٥٥٠ وهى نظريـــة تربوية وتفسير أنجيلى يعقل التاريخ واللاهوت السياسى القائم على

---

(١) Chatelat : Histoire de la Philosophie ; T. 3 p. 31 - 39

السلطة الشعبية • رفض « مونتزر » فهم الانجيل حرفيا وقدم نظرية ترفض كل لاهوت أو علم مقدس لا توضحه الخبرة المزدوجة للزهد الصوفى والصراع السياسى لعلو شعب الله • هـذا العلو يتطلب منهجا جديدا لتفسير الانجيل وعقيدة تربوية وفعلا سياسيا •

يعتمد المنهج على الصوفية الألمـانية ويجعل من الالهام الضامن للفهم الحقيقى • أرادة الله ليست محصورة لا فى سلطة الكنيسة ولا فى حروف الانجيل وأنما يعيش فى قلب الانسان وتظهرها المعاناة • وبعبارة أخرى يخلص هـذا المنهج المسيحى من سيطرة النص ويعطى للعقل المقياس الواضح ويرفعه فوق الفهم الحسى الذى يظل مرتبطا بالحدود الثابتة للرغبة ويعطيه القوة ليحقق ما يبدوا أنه مستحيل وأن كان قابلا للتحقيق فعلا فى مملكة الله على الأرض •

أما العقيدة التربوية فترمى الى جعل الانجيل مفهوما للشعب وتجعل الشعب يساهم بنشاط فى ازدهار العقيدة التى يجب أن ينظمها فى لغة ألمـانية • ان سـيادة اللاتينية دليل على فساد وانحطاط أخلاق رجل الدين الأنانى والكسول والجشع الذى لا يريد أن يعلم الشعب • أنه لا يخون وظيفته فحسب ، بل هو لص يسرق بغير حق قانونى النص المقدس ، رجل الدين الحقيقى هو الذى يحاكى المسيح ويعلم الشعب ولا يجب أن يظل سلبيا أمام فظاعة المستبدين ، أنه ذلك الذى يعلن بوضوح كلمته ويفسرها ويرتلها بالألمـانية ليتمكن الناس من أن يلموا بالصورة المسـيحية •

وهى دعوة تجديدية تؤكد حق الجماعة المسيحية ــ فى صورتها التى جاءت بالانجيل والتى رآها الحواريون والمبشرون الأوائل ــ والتى تقوم على أساس المساواة الكاملة والمحبة والاخوة ، واذا كانت الجماعات الأخرى الفاسدة تقوم على أساس من التفرقة الاجتماعية والسياسية والسعى الى تحقيق الرغبات والشهوات المـادية ، وتعترف بالتدرج فى المستويات وتستخدم العنف والكذب والخيانة ، فان هـذه الدعوة

قد جعلت وظيفتها الأساسية انقاذ البشر من الخطيئة ••• فالدور الحقيقى للكنيســـة هو دور المربى والسياسى الذى يسهر على الأخلاق وروح المدينـــة وتحرير البشر من الشهوة(٢) •

أما عن دور الانسان المتفوق والصورة الجديدة للعالم ، فقد عرف النصف الثانى من القرن السادس عشر تعديلا فى صورة العالم بناء على ما تحقق من تقدم تقنى واكتشافات علمية ، وما تزود به الانســـان من أســـلحة نظرية تساعده فى فهم الكون وفرض الفروض وتحليل الأفكار • بدأ التجديد فى ايطاليا ببعث القديم وتخطى الفترة المدرسية المنهكة بالتحاليل المبالغ فيها وترتب على ذلك أن ترك (الانسانيون) الفلسفة الطبيعية ليكتشفوا من خلال دراستهم لأفلاطون وأفلوطين ، ومن خلال البحث عن أصل الانســـان وعن الدوافع النفسية وحب الحياة والحساسية التى تفوق الدقة العقلية التصورية وأن تعرض لقضية أساسية هى : ما جدوى التفكير فى الطبيعة اذا لم نعرف ما هو الانســـان ؟

ظاهرة أخرى وضحت فى هـــذه الفترة هى طريقة تناول النصوص وشرحها كل عالم أو باحث يختار بعض المقتطفات التى يحسن اختيارها ويشكل تصوره الشخصى ويشيد فلسفته الخاصة ويتخلص من جمود النص وحذلقة التفسير الحرفى •

وباختصار تحول الفكر الى فكر علمانى خاصـــة بعد ظهور دعوة « نيقولا دى كويز » Nicolas de Cues فى كتـــابه « الدنيوى » أو « العلمانى » التى تؤكد ان العقل قسمة متساوية بين البشر وتظهر القيم الانسانية والفضائل الدنيوية لقدماء الرومان ، وتحارب الهروب الى الكهوف وتؤكد أن الانسان يحقق سلامه فى المدينة(٣) •

---

(٢) نفس المرجع ص ٤٠ — ٦٦

(٣) نفس المرجع السابق ص ٤٣ — ٤٨ ، ٥٣ — ٥٤

ظاهرة ثالثة هى انتصار الانسان على محاكم التفتيش التى تفرض قانونها بالقوة وقدرته على تطبيق الفضائل الخاصـة بالعالم العلوى فى عالمه هـذا •

أما التقابل بين الفكر السائد فى مدينتى بادوا وفلورنسا فهو فى حقيقته تقابل بين الفكر الأفلاطونى والفكر الأرسطى : يتمسك الفكر الفلورنسى بأرسطو فى حين يرى الفكر السـائد فى بادوا وجود مجالين للبحث : أحدهما يستخدم المناهج العقلية والآخر يعتمد على الايمان ولا يستجيب لمحكمة العقل ولا يخشى سلطة الكنيسة ولا معارضتها ، ويهتم بالأبحاث العلمية وخاصـة الطب ، ويعتبر هـذا الفكر المبشر للفكر الفرنسى والتحرر بفضل تياره الرومانى والتحررى ، وهو أكثر اقناعا من الناحية الاجتماعية والدينية من الفكر الفلورنسى •

وباختصار يرتكز الصراع بين الفكر الفلورنسى وفكر بادوا على نقطة أساسية هى : أما أن تكون المعرفة شـمولية كما تريد فلورنسا أو تكون واقعية جزئية لكل فرع من فروع المعرفة مجاله الخاص كما تريد بادوا وانتهى النزاع بينهما بظهور تيارين أحدهما توفيقى متأثر بالدوافع الفيثاغورية الأفلاطونية والآخر علمى خالص يعتمـد على الأبحاث التجريبية وكلاهما يؤمن بحقيقة أسـاسية هى ضرورة غزو مجالات جديدة •

(ب) التيارات الفكرية فى القرن السابع عشر :

تميز الفكر الفلسفى الحديث ابتداء من القرن السابع عشر بالميل الى الانشاء وازدهار النهضة العلمية وظهور المذاهب المختلفة عند كل ديكارت ومالبرانش وأسبنوزا وليبنتز وبيكون ولوك وهوبز وغيرهم • وقد حاول فلاسفة هـذا القرن رفع لواء التجديد والابتكار سواء فى مجال الفلسفة أو العلم أو الدين •

ففى الفلسفة مثلا هاجم البعض ما بعد الطبيعة والمنطق الأرسطين بل وهاجم انتشار الفلسفات اليونانية ذات النظرة الكلية المطلقة باعتبارها فلسفة فارغة لا نفع فيها فيما يتعلق بتحقيق سيطرة الانسان على الطبيعة أو تحقيق تقدمه وارتقائه فى الحياة ، ومن ثم طالبوا أن تقتصر مهمة الفلسفة على توضيح المعانى وخدمة البحث العلمى فى حين ظهر اتجاه آخر يعود بالفلسفة الى القديم ويحاول اثراء الفكر الفلسفى بالنظرات الشاملة الكلية والعودة الى المنطق الأرسطى بعد تزويده بالرموز الرياضية وتطويره[٤] ٠

وفى العلم ظهرت صراعات من نوع جديد تستهدف رفض أى بحث نظرى وافساح المجال أمام الاختراعات والاكتشافات التى تساعد الانسان على السيطرة على الطبيعة ، وبدأت العلوم تستقل من الفلسفة متخذة لنفسها مناهج وأساليب تختلف فى قليل أو كثير عن مناهج الفلسفة وبدأت المناهج التجريبية والمعتمدة على الاستقراء ، ومع ذلك لم يستطع العلم القضاء على الفلسفة أو التقليل من شأنها بل بقيت الفلسفة تعطى العلم من روحها وطورت نفسها وأنتجت فروعا جديدة لفلسفة العلوم وفلسفة المناهج ٠

وفى الدين انتشرت موجة الالحاد التى تحاول تفسير كل شىء آليا بعيداً عن التصورات الدينية بل وعن وجود الله ؛ وفى مقابل ذلك نشط التيار المؤمن يحاول أن يثبت وجود الله ويبين أن التفسير الآلى وحده عاجز ٠

وباختصار تميزت الفلسفة الحديثة بوجود تيارين سارا جنبا الى جنب تيار يرفض كل فكر سابق وتيار تطورى يقبل الفكر السابق ويسعى الى تعديله وتطويره ليتلائم مع ما توصل اليه العقل الانسانى من

---

(٤) Emile Boutroux, Etudes d'historie de la philosophie allemande. p 168 , 176, 184.

اكتشافات واختراعات . كما تميزت بوجود عدة اتجاهات أساسية : اتجاه مثالى يؤمن بالنظرة الشاملة التى تخضع لمبدأ الكل ويمثله أسبينوزا صاحب مذهب وحدة الوجود الروحية . واتجاه ثنائى يحلل الأفكار الى أبسطها وينظر فى كل فكرة على حدة ليصل الى الوضوح ويمثله ديكارت والديكارتيين .

واتجاه عقلى تعددى يدعو الى التناسق الأزلى بين مكونات العالم ويمثله ليبنتز ، وأتجاه تجريبى يعتمد على الاحساس فى ادراك العالم الخارجى ويمثله جون لوك أو يعتمد على التفسير المادى ويمثله هوبز .

ليبنتز : أعماله وفلسفته

لكى نحدد موقف ليبنتز من الفكر السائد فى عصره أو ذلك السابق له ولكى نوضح الدور الحقيقى والأساسى الذى قام به فى هذا الصراع الفكرى بين القديم والجديد من جهة أو بين الفكر الفلسفى وكل من الفكر العلمى أو الدينى من جهة أخرى ، ومدى مساهمته فى مشكلة المعرفة التى كانت سائدة فى عصره والتى تعرض لها ديكارت باتجاهه العقلانى وجون لوك باتجاهه التجريبى من جهة ثالثة ومن أجل كل هذا سنعرض بايجاز لفكر ليبنتز الفلسفى وخاصة كما حاول عرضه فى كتابه « أبحاث جديدة فى الفهم الانسانى » وبصفة خاصة الفصل الرابع الذى تناول نظرية المعرفة وحدد موقفه من جون لوك بصفة خاصة . وأوضح ما قدمه ليبنتز للفكر الانسانى من اضافات وتجديدات .

لقد امتاز ليبنتزبنشاطه واهتمامه بكل ما يسود عصره من مشاكل فقد كان فيلسوفا وعالما ولاهوتيا وفقيها وسياسيا . وقد نجح فى كل هذه الميادين وحقق ما يكفى لتخليد ذكراه .

كانت الفكرة السائدة عند معظم مؤرخى الفلسفة الذين تناولوا

فكره بالدراسة والنقد حتى أواخر القرن التاسع عشر هى أن فلسفته يغلب عليها الطابع الرياضى : فنظروا اليه على أنه عالم رياضى أكثر منه فيلسوفا •

أما فى القرن العشرين فقد تغيرت هـذه الفكرة بفضل ما نشره « لويس كوتوراه » من مخطوطات لم يسبق نشرها وبفضل ما أوضحه « برتراند رسل » من آراء فى كتابه « عرض نقدى لفلسفة ليبنتز » فأصبح الرأى السائد فى النصف الأول من القرن العشرين أن ليبنتز فيلسوف أكثر منه عالما رياضيا ثم اختلف مؤرخوا ليبنتز بعد ذلك :

فريق يعتقد أنه فيلسوف ما بعد طبيعى يقوم مذهبه على أسس ما بعد طبيعية خالصة كفكرة الجوهر أو الوحدة العنصرية البسيطة (المونادة) فى حين يعتقد البعض الآخر أن فلسفة ليبنتز يغلب عليها الطابع المنطقى الذى يصوغ مذهبه فى قضايا موضوعها يتضمن محمولاته •

هـذا وقد اعتمد الفريقان على مؤلفات ليبنتز خاصة :

١ ـ خطابات الى فوشيه Lattres à Foucher :

التى نشرت ضمن مجموعة من كتابات ليبنتز الفلسفية فى الفترة من ١٦٧٦ الى ١٦٩٥ يعرض فيها وجهة نظره فى اثبات الحقائق الموجودة خارج النفس وتحديد موقفه من ديكارت ورأيه فى الامتداد وقوانين الحركة وعلاقة الروح بالجسد ، الجوهر ، المادة ، الله •

٢ ـ خطابات الى فونتنيل Lattres à Fontenelle :

فى السنوات ١٦٨٤ ، ١٧٠٢ ، ١٧٠٣ ، ١٧٠٥ يعرض فيها أبحاثه العلمية الخاصة بالفلك والهندسة والحركة واللامتناهى •

٣ ـ مقال فى ما بعد الطبيعة discours de Metaphysique 1686 :

يتضمن آراءه المنطقية وما بعد الطبيعية والطبيعية والأخلاقية ، كما يتضمن بعض المشكلات السائدة فى عصره ، خاصة ما يتصل منها بالحقائق الضرورية أو بالعالم الخارجى ، ومبادئه الفلسفية . واللامتشابهات (مبدأ التفرد) والتناسق الأزلى ، وقوانين الحركة ، مبدأ تساوى السبب والأثر الناتج عنه .

٤ ـ خطابات الى أرنولد Correspondance avec Ornauld :

تناول موضوعات ما بعد طبيعية ولاهوتية ترتبت عن قوله أن الجوهر موضوع يتضمن محمولاته ، وما يتبعها من تفسير لحرية الله وارادته ودافع عن وجهة نظره القائمة على هذه النظرية المنطقية .

٥ ـ مذهب جديد فى الطبيعة وارتباط الجواهر ووحدة الروح والجسد سنة ١٦٩٥

New system of the rature and communication of substances, as well as of the union exi sting between soul and body.

يعرض فيه نظريته فى الاتساق الأزلى بين الجواهر بوجه عام وبين الروح والجسد بوجه خاص ، وقد اعتاد ابتداء من بحثه هذا أن يطلق على نفسه اسم « مؤلف مذهب التناسق الأزلى » ، كما عرف الجوهر تعريفا جديدا أطلق عليه اسم « الوحدة الحقيقية » أو « النقطة ما بعد الطبيعة » .

٦ ـ الأصل النهائى للأشياء

The Ulti mate Origination of things 1617

بحث يثبت وجود وحدة أولية حقيقية هى مصدر ما فى هذا العالم من حقائق وموجودات ، ويفسر ما بين الموجودات من ترابط ، أى يفسر علاقة العلم الطبيعى بما بعد الطبيعة ، وينتهى الى تقرير أن

كل شيء فى العالم يتخذ مكانه وفق قوانين خالده وتبعا لمبدأى عدم التناقض والعلة الكافية .

٧ ـ أبحاث جديدة فى الفهم الانسانى
Nouveaux Essais sur L' entendement humain

من أهم كتب ليبنتز يعرض فيهـا مناقشته لنظرية جون لوك فى المعرفة وفكرة الروح وأصل المعرفة وصلتها بالأفكار الفطرية .

٨ ـ الالهيــات :
Essais de theodiceé , sur la bonté de Dieu, la Liberté I,homme et l,origine de mal.

تناول مشكلة الشر وعلاقته بحرية وخيرية وقدرة الله ، كما تناول فكرة الحرية الالهية والحرية الفردية تناولا يتمشى مع نظرية التناسق الأزلى وتظهر أن الله خلق أحسن عالم ممكن وأن وجود الشر لن ينقص من قدرة الله أو حريته أو خيريته .

٩ ـ مذهب الوحدات العنصرية Monadology - 1914 :

تلخيص وتجميع لآراء ليبنتز الفلسفية والمنطقية وما تتضمنه من مبادىء ونظريات .

١٠ ـ مبادىءالطبيعة والعناية مؤسسة على العقل
Principles of nature and grace founded on Reason.

تتضمن مع مذهب الوحدات العنصرية فى أنها تلخيص وتجميع لمبادىء آراء ليبنتز النهائية فى الفلسفة والمنطق(٥) .

هـذا وقد اعتمدت احدى القراءات المعاصرة على هـذه الأعمال والمراسلات لتظهر اهتمامه بالفكرة المنطقية التى تجعل موضوع القضية

---

(٥) B. Russell : critical exposition of the philosppphy of Leibniz p: 4, 9.

يتضمن محمولاته أو صفاته وتوضح كيف حاول تطبيقها فى المجالات المختلفة سواء فى الرياضيات أو علم الطبيعة أو ما بعد الطبيعة أو اللاهوت •

فقد أعلن ليبنتز هذه الفكرة لأول مرة فى خطاب الى فوشيه سنة ١٦٤٦ وحاول تطبيقها على فكرة الجوهر باعتباره كائنا كاملا يحتوى كل ما يخصه أى باعتباره موضوعا يتضمن محمولاته ، كما تضمنت هذه الرسالة رأيه فى الروح كجوهر يملك المعرفة الحقيقية •

ثم عاد فتعرض لنفس الفكرة بتفصيل فى خطابه الى أرنولد مايو سنة ١٦٨٦ ومقاله ما بعد الطبيعة ومذهبه الجديد سنة ١٦٩٥ ومبادىء الطبيعة والعناية حيث طبق هذه الفكرة على الله باعتباره موضوعا يتضمن محمولاته وانتهى من تحليل هذه المحمولات الى اثبات وجود الله وتحديد صفاته وصلته بالمخلوقات كما ساعدت هذه الفكرة بتطبيقاتها فى المجالات المختلفة على اكتشاف عدة مبادىء ونظريات جديدة وصبغت فلسفة ليبنتز بالصبغة التحليلية التى دفعت معاصرينا الى الاهتمام بدراسته واظهار ما فى فلسفته من عمق وتعيد النظر فى تحديد علاقته بمعاصريه وخاصة ديكارت واسبينوزا •

أما أهم النتائج التى توصلت اليها هذه القراءة المعاصرة فنوجزها فيما يلى :

١ ــ لكل قضية موضوع ومحمول •

٢ ــ الجوهر موضوع يحتوى على محمولات تعبر عن صفات توجد فى أزمنة مختلفة •

٣ ــ القضايا الصادقة التى تثبت الوجود فى زمن معين تكون عرضية وتركيبية وتعتمد على علل نهائية •

٤ ــ الانا جوهر •

٥ ـ من الممكن معرفة العالم الخارجي وما فيه من موجودات غير النفس وحالاتها •

٦ ـ هنـاك نوعان من القضايا : قضايا ضرورية نقيضها مستحيل وأساسها المنطقى مبـدأ عدم التناقض وقضايا عرضية نقيضها ممكن وأساسها المنطقى مبـدأ العلة الكافية •

وقد أستندت على ما جاء فى خطابه الى أرنولد حيث يقول : « اذا ما حاولنا فحص الفكرة التى لدينا عن كل قضية صادقة ، فاننا نجد أن فكرة الموضوع تتضمن كل ما يدخل فيها من محمولات سواء كان ضروريا أو عرضيا ، ماضيا أو حاضرا أو مستقبلا » •

ويقول فى خطاب آخر « كل قضية صادقة سواء كانت ضرورية أو عرضية كلية أو جزئية ، يحتوى موضوعها على محمولها »(٦) •

أما القراءة الثانية المعاصرة أيضا فقد انتهت الى أن الهدف الحقيقى الذى سعى اليه ليبنتز هو تفسير ما يعرض للذهن الانسانى من مشكلات تتصل بالعالم الخارجى وما فيه من وحدات حقيقية وظواهر محكمة البناء الى أن ينظر الى العالم نظرة تحيل ما فيه من اختلاف الى وحـدة • ويمكن تلخيص النتائج التى توصلت اليها هـذه القراءة فيما يلى :

١ ـ كل الموجودات فى هـذا العالم من نوع واحد ، وهى أشبه بالعقول من أى شىء آخر قد تثيره التجربة •

٢ ـ هـذه الموجودات يختلف بعضها عن بعض فى الدرجة ، فهى تتدرج من الجماد الى النبات الى الحيوان الى العقول •

٣ ـ لا يمكن أن تؤثر بعضها البعض أو أن يعرف بعضها البعض •

٤ ـ العقول وحدها هى التى لديها القدرة على المعرفة والقدرة على تحقيق أغراضها •

---

(٦) Mary Morris; philosophical writions p. 71, 73.

٥ ــ يمكن صياغة قوانين الطبيعة التى تربط أجزاء العالم •

٦ ــ كل وحدة عنصرية تحتوى فى ذاتها ما سيحدث لها فى المستقبل وتتمتع العقول بالحرية •

٧ ــ المـادة والمكان والزمان ظواهر محكمة البناء ، أى أنها غير حقيقية ولكنها ليست وهمية •

٨ــ الله موجود وهو الموجود اللامتناهى وهو العقل الأول وخالق كل ما عداه(٧) •

والآن ما هى هـذه الوحدة العنصرية التى أصبحت أساس التفسير ما بعد الطبيعى ؟

وما هى المبادىء التى توصل اليها ليبنتز من تحليله وتحديده لهذه الوحـدة العنصرية ؟

الوحـدات العنصرية : (المونادة)

لا يوجد فى العالم سوى الوحدات العنصرية والظواهر المحكمة البناء ، الوحدة العنصرية وحدة بسيطة غير منقسمة ، ويوجد منها عدد لا نهائى ، وتعبر عن العالم فهى وجهة نظر أو مرآة أو اله صغير ، لديها واقع يدفعها باستمرار الى الانتقال من الادراكات التى لديها الى ادراكات أخرى ، ومن حالة يكون فيها ادراكها لنفسها وللأشياء غامضا الى حالة يصبح فيها ادراكها أكثر تميزا ووضوحا • وهى محاولة للاقتراب من الكمال الالهى وهـذا يتطلب تناسقا بينها وبين غيرها ، كما يتطلب تسلسلا يبدأ من الوحدات العنصرية التى لاتملك الا اكتفاءها الذاتى بحركاتها يسميها « أنتلخيا » ويليها فى الرقى الوحدات العنصرية الواعية ويسميها « أرواحا » ثم وحدات عنصرية واعية وعاقلة ويسميها « أرواحا عاقلة » ، كل واحدة من هـذه الوحدات لها ميولها الخاصـة التى تعبر

(٧) Ruth Lydia saw ; Leibniz p. 28, 29, 42.

عنها ، وهى تتفاوت فى هـذا التعبير أيضا : الانتلخيا تعبر عن ميولها عن طريق الدفع ، وتتسم الأرواح الواعية بما لديها من غريزة ورغبة لا يحكمها الا الشـعور فى حين تعتمد الأرواح العاقلة فى تعبيرها عن ميولها على كل من الرغبة الواعية وغير الواعية ، ومن ثم ليس هناك اختلاف جوهرى بين الفئات المختلفة للوحدات العنصرية ، كل ما بينها من اختلاف يرجع الى درجة وضوح وتميز أفكارها أو ادراكاتها •

هـذه الوحدات العنصرية البسيطة يمكن أن تتجمع مع بعضها وتكون وحدات مركبة ، ولكى نميز بين الوحدات العنصرية المركبة يجب أن نبحث عن الوحدة العنصرية السائدة التى تتصف بصفات خاصة هى التى تميزها عن غيرها وهى شـأنها شأن الوحدات العنصرية البسيطة لديها تصوراتها وميولها الخاصـة ومن ثم فهى أيضا مرآة للعـالم بطريقتها الخاصـة ، وهى رغم أنها لا نوافذ لها الا انها تحتوى فى داخلها على علة تغيراتها ، كما أن لديها فى ذاتها القوة على الانتشار تلقائيا • لن نتمكن من تحقيق ميولها أو من الانتشار التلقائى الا اذا كان من طبيعتها أن تتعاون مع غيرها حتى لا يحدث اضطراب أو تصادم بين الوحدات العنصرية •

أما أهم المبادىء التى ترتبت على ذلك فهى : (أ) مبدأ الاتصال •
(ب) مبدأ اللامتشابهات (التفرد) • (جـ) مبدأ التناسق الأزلى •

(أ) مبـدأ الاتصـال :

اعتمد ليبنتز على هـذا المبدأ فى تفسـير التغير المستمر للوحدات العنصرية • هنـاك ثلاثة أنواع من الاتصال :

١ ــ اتصال زمانى ــ مكانى •

٢ ــ اتصال الحالات •

٣ ــ اتصال الوحدات •

يتضمن الاتصال الزمانى المكانى استمرار المكان والزمان من جهة والأشياء الموجودة فيهما من جهة أخرى ، كما يتضمن الحركة وكل أنواع التغير فهو انتقال تدريجى من حالة الى حالة فى صورة متعاقبة متصلة(٨) •

اتصال الحالات يوضح أنه اذا حدث أى تغير فى حالة أية مجموعة من المجموعات لابد وأن يؤثر هـذا التغير فى الحالات المترتبة عليها •

اتصال الوحدات أو الصور يعبر عنه بقوله أن الطبيعة لا تعرف القفزات ، وهو الصورة العامة لكل صور الاتصال وكان يسميه ليبنتز أحيانا مبدأ الانتقال ويقصد به أن التغير يتم تدريجيا وينتج عن سبب طبيعى داخلى ويتعارض مع التغير المفاجىء الذى يرجع عادة الى سبب خارجى• وقد حاول تطبيق هـذا المبدأ فى الرياضيات والطبيعة والميكانيكا وعلم النفس وما بعـد الطبيعة كل الجواهر خالدة وفى تغير مستمر فهى لا تستطيع أن تبـدأ الا بالخلق ولا تنتهى الا بمعجـزة لا يقـدر عليهـا الا الله •

امتازت فلسفة ليبنتز بفضل هـذا المبدأ بأنها محاولة مستمرة لاظهار أننا ننتقل من فكرة الى أخرى ومن كائن الى آخر فثمة سلسلة واحدة تشمل كل الكائنات الطبيعية كالفقرات الكثيرة التى ترتبط ببعضها ارتباطا وثيقا بحيث يستحيل للحس أو للخيال ان يحدد بدقة النقطة التى يبدأ منها أو ينتهى(٩) •

(ب) مبـدأ اللامتشابهات : (التفرد)

هـذا التدرج اللانهائى يسـتدعى ألا تكون الوحدات العنصرية متشابهة تمام التشابه ، ليست الأنواع وحدها هى التى تختلف عن بعضها بل الأفراد كذلك ، بل وأجزاء الفرد مهما كانت صغيرة • « اذا تشابه

(٨) Robert Latta; Monadolohy and other philosophical writings of leibniz. p 50 109, 111.

(٩) نفس المرجع صفحة ٣٨ — ٤١

فردان تماما وتساويا لن يمكن التمييز بينهما والحقيقة أن كل جسم يختلف اختلافا حقيقيا عن سواه »[١٠] •

هذا المبدأ يوضح أن مبدأ العلة الكافية لم يستعمل الاستعمال الكافى فى ما بعد الطبيعة وان استخدام اللامتشابهات يؤكد أن الله لا ينتج جزئين من المادة متشابهين ومتساويين تماما ، لأن هذا يعنى ان الله والطبيعة يعملان بدون علة تبرر لماذا اختلفت معاملتهما لأحد الأجزاء عن معاملتهما للجزء الآخر • وعلى هذا فان الله لا يخلق جزئين من المادة متساويين ومتشابهين[١١] •

أما تطبيق مبدأى الاتصال واللامتشابهات على الوحدة العنصرية باعتبارها موضوعا يتضمن محمولاته فقد جعل من الوحدة العنصرية جوهرا بسيطا يتصف بصفات معينة أهمها أنها ذات تصورات وميول داخلية تخصها وتجعلها فى تغير مستمر وتحقق التناسق الأزلى بينهما . كما يجعل منها موضوعات لا حصر لها تتدرج فى تسلسل متناسق لا يتشابه فيه وحدتان على الاطلاق •

وبعبارة أخرى يفسر مبدأ الاتصال الحالات المختلفة التى تتعرض لها الوحدة العنصرية الواحدة فى تغيراتها المستمرة ويجعل من هذه الحالات محمولات يمكن أن نستدلها من تحليل الفكرة التى لدينا عن هذه الوحدة العنصرية •

أما مبدأ اللامتشابهات فقد جعل الوحدات العنصرية المختلفة موضوعات مستقلة ومغايرة لبعضها البعض ويؤكد عدم التشابه بين هذه الوحدات وبالتالى يؤكد أن تحليل الوحدات العنصرية يفسر ما فى الكون من نظام وتناسق ويؤكد قدرة الله الكاملة على خلق أحسن عالم ممكن •

---

(١٠) Leibniz : Nouveaux essais p. 182

(١١) Mary lewis; philosophical writings p. 213 .

(جـ) مبـــدأ التناسق الأزلى :

بهذا المبدأ يؤكد ليبنتز أن الله حينما خلق العالم بصورته الحالية انما خلق أحسن عالم ممكن ، وقد اختار هـــذا العالم بالذات من بين عـــدد لا حصر له من العوالم الممكنة ليكون دليلا على عظمته وقدرته وعلمه ، ومن الطبيعى أن يكون الله قد زود هـــذا العالم منـــذ الأزل بكل ما يلزمه من نظام واتساق يحفظ استمراره ويرقب ما بين أجزائه المختلفة من علاقات وارتباط ويكفل تحقيق كل ما يتضمنه من علاقات . وعلى ذلك فمن دلائل عظمة الله أن يشمل هـــذا العالم ظواهر محكمة البناء ووحدات عنصرية حقيقية وبسيطة . وخير دليل على هـــذا التناسق الأزلى ما نجده فى علاقة الروح بالجسد رغم أن كلا منهما يعمل وفق قوانينه الخاصـــة . وقدم ليبنتز مثال صانع الساعات المـــاهر الذى يجعلها تبدأ معا ثم يترك العملية الميكانيكية تعمل وحدها بعد ذلك . هـــذا هو موقف الله أيضا فقد وضع ابتداء من لحظة الخلق فى كل وحـــدة عنصرية وفى كل حالة كامنة ما ستحتاج اليه وركبها بطريقة تجعل كل وحـــدة منها تبسط طبيعتها على ســـلوك الآخرين . هـــذا التناسق لا ينقص من قدرة الله بل على العكس هو خير دليل بعدى يمكن أن نقدمه لاثبات وجود الله(١٢) .

والآن كيف أثبت وجود الله ؟ وما علاقته بالمخلوقات ؟

لم يقتصر ليبنتز فى تطبيقه فكرة الموضوع الذى يتضمن محمولاته على ما بعد الطبيعة كما أوضحنا من قبل وانما أمتد الى المجال الدينى والأخلاقى واعتبر فكرة الله موضوعا تحليلها يظهر ما تتضـــمنه من محمولات تثبت وجود الله وتحـــدد صفاته وعلاقاته بالمخلوقات .

(١٢) Ondré Cresson; leibniz p. 43 - 44.

(أ) اثبات وجـود الله :

اعتمد ليبنتز على أربعـة أدلة :

١ ــ دليل يعتمد على ما تمدنا به التجربة من حقائق عرضية ويمكن تلخيصه فى أن الكون حادث ويتألف من عـدد لا نهائى من الحقائق ، تحليل كل حقيقة منها يؤدى الى ضرورة وجود علة كافية لوجودها هكذا وليس خلاف ذلك . هـذه العلة الأخيرة يجب أن تكون خارج هـذه الحقيقة ، أى فى جوهر واجب الوجود بذاته وهو ما نسميه الله .

٢ ــ دليل يعتمد على الحقائق الضرورية وعلى أنها تنبع كلها من عقل لديه القدرة على اختيارها دون سواها ، ونقلها من الوجود بالقوة أو الامكان الى الوجود بالفعل ، فمن المستحيل أن يكون تحقق وجود الوحدات العنصرية بفعل قوة عمياء جاهلة لأن خالقها يتضمن اختيـارا من بين الممكنات ويستحيل أن يتم الاختيـار بين هـذه الممكنات اذا لم يكن هنـاك معرفة تقرر هـذا الاختيار (١٣) .

٣ ــ دليل يعتمد على مبدأ التناسق الأزلى والنظام السائد فى الكون ، هذا كله يتطلب وجود خالق كامل قادر على تحقيق هذا التناسق .

٤ ــ دليل يعتبر تعديلا لدليل « أنسلم » كما عرضه ديكارت وخلاصته أن الله واجب بموجب ماهيته ، فاذا كان الله ممكنا كان موجودا . الله ممكن والممكن يقتضى الميل الى الوجود بفضل ما فيه من كمال . ولمـا كان الله غير متناه فلن يعترض ميله الى الوجود شىء مغاير له ويصبح الممكن موجودا لمجرد كونه ممكنا (١٤) .

---

(١٣) Russell; critical exposition. p 172, 175, 178.

(١٤) Mary Morris, philos. writings of Leibniz p. 11 , 12 , 26, 196 , 197.

(ب) صفات الله :

فكرة الله كموضوع يتضمن محمولاته أثبتت أيضا صفات الله فهو جوهر كامل ووحدة عنصرية كاملة وسامية تتصف بالقدرة والعلم والارادة والخير والعدل وغيرها من الصفات • ومن البديهى أن تكون صفات الله لا نهائية وكاملة تماما فى حين تكون فى الوحدات العنصرية المخلوقة محدودة بقدر مالها من كمال • وقد قارن ليبنتز بين الله الموصوف بهذه الصفات المطلقة وبين المهندس والصانع الماهر وأوضح ما بينهما من تفاوت كبير ، اذ أن الله لا يحتاج فى خلق هذا العالم الى أى مادة من الخارج ما دام يخلق كل ما يلزمه ، بينما يبحث الصانع عن مادته خارج نفسه ، كما أن مخلوقات الله أكثر دواما وأعظم دقة •

(ج) علاقة الله بمخلوقاته :

يميز ليبنتز بين علاقة الله بالعقول من جهة وعلاقته بغيرها من الوحدات العنصرية الاقل رقيا من جهة أخرى : علاقته بالعقول علاقة أمير برعاياه وعلاقته بالوحدات العنصرية غير العاقلة مرايا أو صور لعالم المخلوقات ، أما العقول فصورة الله ، خالق العالم وهى بذلك قادرة على معرفة نظام العالم ومحاكاة ما فيه من نماذج هندسية ويصبح كل عقل منها اله صغيرا ويقول « لو تأملنا جيدا تصرفات هذه العناية الالهية فى حكمها على الاشياء فأننا نستطيع القول أن ذلك الذى يتصرف هذا التصرف الكامل لن يكون أقل كمالا من العالم الرياضى الممتاز الذى لديه أحسن تركيب المشكلة أو المهندس الماهر الذى ينظم بناءه بحيث يصبح خاليا مما يشوه جماله أو يقلل كماله ، أو الصانع الدقيق الذى ينتج عمله بأقصر الطرق وأقل التكاليف ؛ الله هو الموضوع الوحيد المباشر خارج أنفسنا واننا نرى كل شيء بواسطته »[١٥] •

---

(١٥) نفس المرجع السابق ص ١٨

خلاصة القول اذن أن ليبنتز فى اهتمامه بالمشكلات الدينية سعى الى اثبات وجود الله وتقرير صفاته الرئيسية : القدرة ، العلم ، الارادة ، الخير ، وانتهى بتشييد مدينة الله التى تحتوى الوحدات العنصرية العاقلة تحت رعاية الاله العادل الكامل متبعا فى ذلك نفس المبدأ الرئيسى الذى حرص على تطبيقه فى كل المجالات .

ومن الطبيعى أن تتفق آراء ليبنتز فى هذه المجالات سواء منها الفلسفية أو العلمية أو اللاهوتية مع الاتجاهات الفكرية المعاصرة له فى جوانب معينة وتختلف عنها بل وتعارضها فى جوانب أخرى وهذا ما سنحدده من خلال حديثنا عن موقف ليبنتز من معاصريه وخاصة ديكارت ولوك واسبينوزا .

موقف ليبنتز من معاصريه

(أ) موقفه من ديكارت :

يتضح لنا اذن من خلال العرض الموجز لفلسفة ليبنتز وخاصة آراءه فى ما بعد الطبيعة واللاهوت ، أنه اتخذ موقفا واضحا من فلسفة ديكارت من جهة ومن فلسفة الديكارتيين من جهة أخرى ، سواء فى مجال العلوم الطبيعية أو ما بعد الطبيعة أو اللاهوت ، أى فى المجالات الثلاثة الرئيسية المتصلة بالعلم والفلسفة والدين . ونحاول الآن تحديد هذا الموقف بتفصيل أكثر لتظهر الى أى مدى استطاع أن يتجاوز فكر عصره وما هى هذه التجاوزات والاضافات ؟

من أجل هذا يلزمنا أولا مقارنه ما انتهى اليه ديكارت من حقائق ومبادىء بما كان سائدا فى المدارس الفلسفية المشائية والمدرسية المعاصرة له ، وخاصة بالنسبة لفكرة « الصورة الجوهرية » التى تقرر ان لكل جنس من الجواهر نوعا من المعطى الخاص سيكون حقيقته ويميزه عن غيره .

فقد عرفت الفلسفة المدرسية عدة تصنيفات للصور الجوهرية نذكر منها تصنيفين اساسيين أولهما يقسمها الى ثلاث فئات : (أ) الله وهو الموجود الدى لا يحتاج لوجوده الى عله أعلى ولا يوجد فى موضوع أسفل منه • (ب) الصور التى تستمد وجودها من غيرها و لاتكون هى نفسها موجودة فى مادة وهى الصور الخالية من كل تعيين جسمى •

(جـ) الصور المعتمدة فى أجزائها والتى تستمد وجودها من علة أعلى وتوجد فى موضوع ، وهى الأعراض ، أولهما الصور الجوهرية التى تحدد المـادة •

وثانيهما يقسم الصور الجوهرية الى ستة فئات هى : (أ) المادة الأولى أو العناصر • (ب) المركبات الدنيا كالاحجار • (جـ) المركبات الاعلى كالعقاقير مثلا • (د) الكائنات الحية أو النباتات • (هـ) الكائنـات الحساسة أو الحيوانات • (و) الصور الجوهرية العاقلة التى تشبه الآخرين باعتبارها صورة لجسد ولكنها لا تستمد من الجسد عمليتهـا الخاصة وهى الفكر(١٦) •

سادت نظرية الصور الجوهرية فى القرن السابع عشر وأدت الى نوع من اللامعقولية دفعت العديد من مفكرى هذه الفترة الى نقدها لمـا أدت اليه من أخطاء جسيمة أبعدتها عن روح البحث العلمى الذى يطلب الأسباب الحقيقية للظواهر ، لأنها ترجع فى تعليلها هذه الظواهر وارتباطها ببعضها البعض الى صفات غامضة أو فضائل تميز هذه الاجسام فالماء مثلا يرتفع فى الانبوبة الفارغة بناء على صفه خفيه من طبيعتها أن تدفعه الى أعلى •

وكان طبيعيا اذن أن ينهض ديكارت وجاسندى ومالبرانش وغيرهم لنقد هذه النظرية وقد أنتهى ديكارت الى وجود جوهرين فقط جوهر

---

(١٦) مقدمة بياجيه الترجمة الفرنسية لكتاب الابحاث الجديدة « الفهم الانسـانى » •

الفكر وجوهر الامتداد • كل شيء فى الاجسام يرجع الى الامتداد بكل تعديلاته من شكل أو حركة ، وكل شيء فى العقول يرجع الى الفكر بكل أنماطه من لذة والم ، حكم أو تفكير أو ارادة • وبالتالى أخضع الطبيعة كلها الى آلية لا يوجد خارجها سوى الروح • فقد حرص ديكارت اذن على ان يخلص علم الطبيعة من الاخطاء التى نشرتها نظرية الصور الجوهرية وحاول تأسيس علم طبيعة جديد يفسر الظواهر الطبيعية على أساس فكرة الامتداد وما يترتب عليه من شكل وحجم وموقع وحركه • واستبعد تماما الصفات الخفية أو الفضائل التى كانت تقول بها نظرية الصور الجوهرية ، وسرعان ما انتشرت نظرية ديكارت الآلية فى جميع المجالات وطرحت سؤالا هاما يدخل فى مجال ما بعد الطبيعة وهو : هل تكون مبادىء الآلية نفسها آلية ؟ وبعبارة أخرى هل الآلية هى الكلمة الاخيرة فى الطبيعة ؟ وهل تكتفى بنفسها ويمكن الاعتماد عليها وحدها ؟ فكرة القوة مثلا التى تفسر عدة ظواهر فى مجال علمى الطبيعة والكيمياء ، هل هى آلية ؟ أنها فى نظر ما بعد الطبيعة نشاط حقيقى يفوق الآلية وبالتالى تصبح النظرية الآلية فى ما بعد الطبيعة بالصورة التى عرضها ديكارت فى حاجة الى ما يكملها من خلال نظرية ديناميكية تحقق الاتفاق بين العلم وما بعد الطبيعة وهذا ما حاوله ليبنتز أن يحققه من خلال نظريته الديناميكية ومن خلال نقده لنظرية ديكارت •

لقد أوضحنا فى حديثنا عن فلسفة ليبنتز أن نظريته فى الوحدات العنصرية تعتمد أساسا على فكرة الجوهر بعد أن عرضها عرضا جديدا يجعل منه موضوعا يتضمن محمولاته ، وقد حاول أن يجمع بين موقف كل من ديكارت من جهة وديمقريطس من جهة أخرى ، وأن يتحاشى ما فى نظرية كل منهما من أمور لا تتفق مع نظريته الخاصة • ومن أهم النتائج التى ترتبت على احتفاظه بفكرة الصورة الجوهرية فى صورتها الجديدة تأكيده أن طبيعة الجسم لا تتكون من الامتداد وحده بل يجب التعرف على صلته بالروح ، وهذا ما يقصده بالصورة الجوهرية •

ومن الطبيعى أن يثار النزاع بينه وبين الديكارتيين الرافضين للصور الجوهرية ومن ثم حرص ليبنتز على أن يوضح مايقصده بالصورة الجوهرية وأن يدافع عن نظريته وانتهى الى أن من الأفضل أن يطلق عليها اسما جديدا يميزها عن المفهوم القديم للجوهر ويتحاشى ما تعرض له من نقد ، فسماها أولا بالنقطة ما بعد الطبيعة ثم أطلق عليها أخيرا لفظه « الوحدة العنصرية » (موناد) •

لم يقتصر الخلاف بين ليبنتز من جهة وديكارت والديكارتين من جهة أخرى حول فكرة الصورة الجوهرية وضرورة الاحتفاظ بها فى صورتها الجديدة كما أراد ليبنتز أو ضرورة التخلص منها والاكتفاء بجوهرى الفكر والامتداد فحسب كما أراد ديكارت وأنما أمتد الخلاف ليدور حول فكرتى الامتداد والمادة وما يترتب عليها من نتائج •

فقد ترتب على تصور ليبنتز العالم الخارجى المكون من وحدات عنصرية وظواهر محكمة البناء ، أى من مادة وحركة ومكان وزمان ، أن أختلفت وجهة نظره عن كل من التيار الديكارتى السائد من جهة والتيار المادى الذرى من جهة أخرى ، فالمادة لم تعد جوهرا كما أعتقد ديكارت ، ولم تعد ذرة فردية كما أعتقد الذريون ، وانما هى تجمع من الجواهر البسيطة ، أى ظاهرة محكمة البناء ، هذه الظاهرة الدقيقة والقابلة للقسمة الى ما لا نهاية والايجابية ، الخالية من الروح ومن الحياة فى حاجة الى الوحدة الحقيقة غير القابلة للقسمة لتشكل الاجسام المادية والمتميزة الموجودة فى هذا العالم •

وبعبارة أخرى رفض ليبنتز الامتداد الديكارتى واعتبار المقاومة ماهية للمادة الأولى وأصبح الامتداد مجرد صفة لهذا الشىء الممتد وبالتالى لابد من تعديل أساسى لتصور الحركة والمكان والزمان • فالمادة التى ماهيتها المقاومة فى حاجة لقوة تفسر حركتها ما دامت الحركة تفترض وجود قوة تدفعها دائما للانتقال من حركة بالقوة الى حركة

فعلية • ويقرر ليبنتز أن هذا الميل الداخلى أو القوة هو الوحيد الثابت ويمكن قياسه بقياس ما يترتب عليه من نتائج ، وأصبح من الضرورى أن نعبر عن الحركة فى الصيغة m v 2 بعد أن كان يعبر عنها ديكارت بالصيغة m v أى أنه بعد أن كان ديكارت يعتبر كمية الحركة نتيجة لقوة تعمل فى زمن يحدد ، أعلن ليبنتز أن القوة الحية تعمل خلال مسافة ثابتة • فقــد زمن محدد ، أعلن ليبنتز أن القوة الحية تعمل خلال مسافة ثابتة • فقد أهمل ديكارت المسافة التى تقطعها القوة • وبالتالى عدل ليبنتز مفهوم المكان والزمان ورفض اعتبارهما حقيقتين مطلقتين واعتبرهما نوعا من التتابع : المكان يدل على تتابع الأشياء والزمان يدل على تزامنها •

وباختصار تصور ليبنتز للمادة كموضوع يمكن تحليله لاظهــار ما يتضمنه من محمولات أدى الى القول بفكــرة القوة والمقاومة والى تعديل مفهوم كل من الحركة والمكان والزمان ، وجعل منها ظاهرة محكمة البناء تخضع لمبدأ العلة الكافية الذى يفسر لمــاذا هى كذلك وليست خلاف ذلك شأنها شأن غيرها من الحقائق العرضية ولا تخضع لمبدأ عدم التناقض الخاص بالحقائق الضرورية التى نقيضها مستحيل •

وجدير بالملاحظة أن فكرة الجوهر عند ليبنتز ارتبطت بمشكلات لاهوتية تتصل بالحضور الحقيقى وتحول القربان ولا يمكن حلها فى ضوء الفرض الديكارتى : لانه اذا كان الجسم يتكون أساسا فى الامتداد، فمن التناقض أن يستطيع نفس الجسم أن يتواجد فى عدة اماكن فى نفس الوقت • وقد كتب ليبنتز الى أرنولد يقول : « أن ماهية الجسم لا تتكون فى الامتداد ، والجوهر الجسمى اذا أخذ فى ذاته ، فلن يكون امتدادا ، ولا يخضع لشروط الامتداد ، ويتضح ذلك اذا أكتشف المــرء مما يتكون الجوهر بالمعنى الدقيق » •

لقد أكد ليبنتز اذن أن وراء الآلية الجسمية مبادىء غير آلية ، وأن الأصح أن تخضع فكرة الجسم لفكرة الجواهر النشطه غير القابلة للقسمة الى الوحدات العنصرية •

هذا ويمكن أن نوجز المبررات التى دفعت ليبنتز الى رفض فكرة الامتداد فيما يلى :

١ ـــ الامتداد وتعديلاته المختلفة يشكل ما يسمى بالتحـــديدات الخارجية التى لا تساعد الشخص الذى يريد استنتاج الموجود نفسه ، ماذا يهم بالنسبة لحالة الجسم الداخلية أن يكون دائريا أو مربعا ؟

٢ ـــ كل فلسفة آلية تنتهى حتما الى انكار التغير وتقول بالكل الثابت ، وأن ما يوجد من تغير ليس سوى تعديل للموقع أو زحزحه فى المكان أو حركه • ويتساءل ليبنتز : اليست الحركة نفسها تغيرا ؟ ألا يلزمها أن تحصل على سبب فى الكائن الذى يتحرك أو الذى يحرك ؟ الشكل والحركة والموقع وكل التعديلات الخارجية للجسم لابد وأن تصدر من مبدأ داخلى يشبه ذلك الذى يسميه أرسطو أنتلخيا •

٣ ـــ فكرة الجوهر تتطلب ضرورة فكرة الوحدة • المركب لن يكون أبدا جوهرا • وهذا يعنى أن المـــادة لا تكون جوهرا ، أنها ظاهرة ويوضح ليبنتز فكرته بالمثال الآتى :

لو فرضنا وجود حجرين يفصل بينهما مسافة كبيرة فلن نفرض أنهما يشكلان نفس الجوهر ولو أفترضنا أنهما التحما ببعضهما فلن يغير الوضع الجديد المتجاور من طبيعة الاشياء وسيظلا حجرين وليسا حجرا واحدا • بل على فرض أنهما قد ارتبطا أكثر بحيث يستحيل فصلهما فان يمنع ذلك من أن يميز الذهن أحدهما من الآخر وأنهما سيظلان أثنان • وهكذا أما أن نقبل انه ليس للمادة أية حقيقة جوهرية أو أن نقبل أنها تخضع لعناصر بسيطة غير ممتدة نسميها وحدات عنصرية •

٤ ـــ يؤكد ليبنتز أن ماهية الجوهر هى القوة أو النشاط ويمكن اثبات ذلك قبليا : أليس من الواضح أن الموجود لا يوجد حقيقة الا بقدر ما يفعل ؟ الموجود السلبى الخالص عدم ويتضمن تناقضا • لأنه على فرض أنه سيقبل كل شىء من الخارج وأنه لا يملك أى شىء بذاته فلن

يكون له أى تحديد أو أى وصف ويصبح عدما • أذن الوجود البسيط يفترض قوة معينة ونشاطا معينا • الوحدات العنصرية لا نوافذ لها ولا تقبل أى شىء من الخارج ولا تكون سلبية : كل ما يحدث فيها هو انتشار تلقائى لماهيتها الخاصة •

وإذا اتصلت احدى الوحدات العنصرية بأخرى فأن احداهما تصبح فاعلة والأخرى منفعلة ويتحقق بين الجميع انسجام أزلى يتيح لكل وحدة عنصرية أن تمثل أو تغير الكون بأكمله ولن يكون ذلك أيضا الا انتشارا تلقائيا لنشاطها الخاص •

نقطة أخرى يختلف فيها ليبنتز عن ديكارت وتتصل بصلة الروح والجسد فالعلاقة بينهما لم تعد علاقة جوهرين منفصلين كما كانت عند ديكارت وأنما هى علاقة تواصل • ورؤية ليبنتز لهذه العلاقة بين الروح والجسد تعبر عن نظرة ترى أن الجسم نوع من الصورة تعبر ديناميكيا أو طبيعيا عن الروح والجسم بطاقة للروح أو أطلس يعرض مظاهر الروح الجغرافية والبشرية والطبيعية • واذا كانت الروح فكرة فأن الجسم يصبح الكتاب الذى يعرض الفكرة • ولم يعد الجسم والروح الى نصفين متكاملين متفقين وأنما أصبحت العلاقة بينهما علاقة توازى وتواصل وهما متوازيان توازى المعنى والعلامة أو الدال والمدلول[١٧] •

خلاصة القول اذن أنه اذا كانت فلسفة ديكارت قد دعت الى استخدام نور العقل الطبيعى فى مجال العلم والمعرفة ، واذا كان ديكارت قد وضع أول قاعدة فى دستور العقل الانسانى وهى العقل السليم أعدل الاشياء قسمة بين الناس ، ومن خلال ديكارت اكتشف الفكر الغربى ذاته واتجه الى العلم فان ليبنتز قد استطاع أن يحتفظ بما فى فلسفة ديكارت من أفكار جديدة ولكنه لم يتردد فى نقد نظرياته وبيان ما فيها من

F. chatelat ; Histoire de la philosophie T. Leib niz. 3. (١٧)

أخطاء ، وهو فى موقفه هذا لم يرفض الفلسفة الديكارتية وانما نظر اليها على انها وجهة نظر معينة تنظر الى المشكلات الفلسفية من زاوية معينة تختلف فى كثير من الأمور عن وجهة نظر ليبنتز والتى حرص على أن يعرضها ويوضحها ويدافع عنها ضد اعتراضات الديكارتيين وفى هذا تأكيد لروح ليبنتز المتميزة وأصالته القائمة على الدعامتين الاساسيتين التى سبق ان أوضحناهما (أ) الحرص على تحقيق التعادل الكلى من خلال من الارتباط الذى دعا اليه والاهتمام بالصياغة الرمزية من جهة (ب) والرغبة فى التعميم التى حاول تطبيقها فى مجال العلم والفلسفة والدين من جهة أرخى والتى جعلت لمذهبه طابعا خاصا ومتميزا ويقوم على مبدأ الانسجام الازلى وما ترتب عليه من نتائج• ولم يعد مجرد تعديل بسيط لفكر ديكارت •

موقف ليبنتز من أسبينوزا

بعد أن أنتهينا من تحديد الجوانب الأساسية التى اختلف فيها لبتنز عن ديكارت والديكارتيين ننتقل الى تحديد الجوانب الاساسية الى اختلف فيها عن أسبينوزا • وسنحاول قبل التعرض لهذه النقطة التمهيد بعرض موجز لفلسفة أسبينوزا ومدى تقاربها أو تباعدها عن فلسفة ديكارت •

باروخ أسبينوزا فيلسوف هولندى يهودى ، ولد فى أمستردام سنة ١٦٣٢ وتوفى فى لاهاى سنة ١٦٧٧ • تعرف على فلسفة ديكارت وأعتبره البعض من الديكارتيين وأعتبره لبتنز منشقا على أستاذه وحاول أن ينقد فلسفته • من أهم أعماله التى نشرت فى حياته :

١ ــ مبادىء الفلسفة لديكارت سنة ١٦٦٣

René Descartes principia philosophiae

٢ ــ رسالة لاهوتية سياسية سنة ١٦٧٠ •

Tractatus Theologico - politicus

أما أعمله التى نشرت بعد وفاته فهى :

١ ــ بحث فى اصلاح الذهن
traite de la reforme de L'entendement

٢ ــ بحث قصير عن الله le·Court traité de Dieu

٣ ــ الاخــلاق L'Ethique

٤ ــ رسالة سياسية Tractus Politicus

حاول أسبينوزا أن يوفق بين النزعة العقلية الخالصة والنزعــة الروحية الصافية وأعتمد على المنهج الهندسى الاســتدلالى فى ابحاثه الفلسفية وفى نعريفه لجوهر الله وصفاته وأحواله فى حين تتمثل نزعته الصوفية فى الأخلاق التى أرادها أن تقوم على محبة الانسان لله حبــا يصل الى درجة القداسة من جهة وعلى الحرية من جهة أخرى وجدير بالملاحظة أن أسبينوزا قد رفض فى الظاهر الانتماء الى الجماعة اليهودية وحاول أن يتقرب الى بعض الفرق المسيحية ولهذا لم يكتف بحثه عن الحرية بالمستوى الاخلاقى وحده وانما أمتد أيضا الى المستوى الدينى ليصل الى سعادة الانسان وخلاصة فى هــذه الحياه وفى الحيــاة الأخرى ، وذاك عن طريق حب الله واتصال النفس بقدرة الله اللانهائية • ولكن أسبينوزا لم يقتنع بطريق العقيدة والايمان كما فعلت الديانتين اليهودية والمسيحية وانما آثر طريق المعرفة العقلية وحاول أن يثبت أن النفس الانسانية بطبيعتها حالة من حالات الجوهر الالهى الواحــد ويستند فى ذلك الى بعض الاكتشافات العلمية الحديثة •

وبوجه عام تعتبر فلسفة اسبينوزا انعكاسا للاتجاهات العلميــة والفلسفية والدينية الى جانب تأثرها بالاتجاهــات الدينيــة السريــة (كابال Kabbale) والفلسفة الطبيعية القائلة بوحدة الوجود للعصر الوسيط بل هناك من يعتقد تأثره بابن رشد عن طريق الفلاسفة اليهود أمثال موسى بن ميمون • وترجع أهمية أسبينوزا الى أنه صاغ هــذه المؤثرات ونسجها نسيجا جديدا تميزت به فلسفته •

أسس فلسفته

تقوم فلسفته على قضيتين أساسيتين أولاهما تقرر أنه لا يمكن أن يوجد ولا يمكن أن نتصور غير جوهر واحد هو الله وثانيهما تقرر أن الله هو العلة الباطنة واللازمة لكل شيء •

(القضيتين ١٤ ، ١٨ من الأخلاق)

لقد تمسك أسبينوزا منذ كتاباته الأولى بفكرة الجوهر الواحد وبوحدة الوجود وهى أفكار ذات جذور لاهوتية وما بعد طبيعية وصوفية ، كما أنها ذات اتجاه طبيعي يسعى الى تأليه الطبيعة ومن ثم فهو فى مواجهة الثنائية الديكارتية التى تقول بالفكر والامتداد اتجه الى تخليص الطبيعة من كل آثار غير طبيعية أو فوق طبيعية وأن حرص كل منهما على دعم وجهة نظره ببراهين عقلية قوية • وفى حين تصور ديكارت العالم كعالم نهائى قابل للقسمة الى أجزاء عديدة ، تصوره اسبينوزا كعالم واحد لا نهائى • ومن خلال هذه الاسس يمكن أن نتبين جوانب التقارب أو التباعد بينها وبين فلسفة ديكارت ولنبدأ بفكرة الجوهر :

الجوهر عند أسبينوزا هو الموجود فى ذاته والذى نتصوره لذاته بمعنى أن تصوره لا يعتمد على أى تصور آخر • والله هو الموجـــود اللانهائى على الاطلاق وهو جوهر له صفاته لا نهائية ، كل صفة منهـــا تعبر عن ماهيته اللانهائية والازلية فى حين يرى ديكارت أن الجوهر ليس فى حاجة لموجود آخر غير ذاته ، والله وحده هو الذى يستغنى بوجوده عن كل وجود آخر • أما سائر الموجودات الأخرى فأنها مجرد مخلوقات تحتاج الى قدرة الخالق لبقائها(١٨) •

وهكذا يبدو الاختلاف الاساسى بين مفهوم الجوهر لدى كل منهما • فقد أعتقد ديكارت وجود عدة جواهر متناهية فى حين لم يسلم أسبينوزا

---

(١٨) نازلى ص ٦٠ — ٦١ الفلسفة الحديثة •

الا بوجود جوهر واحد لا متناهى ، كما أن ما يسميه ديكارت جوهرا كالفكر والامتداد يسميه أسبينوزا صفات أو أحوال ، وذلك لأن من المستحيل فى نظره أن يوجد جوهران ، فالجوهر بمحض تعريفه يجب أن يكون لا متناهي وقد حاول أسبينوزا اثبات أن الامتداد غير قابل للقسمة شأن الجوهر الروحى تماما والخيال وحده هو الذى يتخيل الامتداد متناهيا وقابلا للقسمة • كما قرر أسبينوزا عدم أمكان رد الامتداد الى الفكر أو رد الفكر الى الامتداد الا فى طبيعة الجوهر الواحد • معتمدا على قول القديس توما الاكوينى بالطبيعة الطابعة natura naturae والطبيعة المطبوعة natura naturata واعتبار الله الطبيعة الطابعة •

وبعبارة أخرى فهم كلمة طبيعة بمفهومين مختلفين (طابعة ومطبوعة) واعتبرها مصدر الوحدة التى منها تنبع الكثرة •

٢ ـ فكرة الخلق :

لم يؤمن أسبينوزا بالخلق بمفهومه اللاهوتى وأنما آمن بعملية صدور الأحوال من الصفات والصفات من الجوهر الواحد • وبعبارة أخرى يتجلى الجوهر من خلال الصفات وتتجلى الصفات من خلال الأحوال : والضرورة هى التى تحكم هذا الصدور وهذا التجلى • أنه بهذا يشبه أفلوطين والأفلاطونيين الجدد •

هذه الضرورة العقلية تتطلب علة فعالة واحدة تصدر بها جميع الموجودات عن الجوهر الواحد • واذا كانت الماهيات (ماهية الانسان مثلا أو ماهية المثلث) تصدر كأحوال للفكر الالهى فان جميع الموجودات التى تشغل حيزا فى المكان هى أحوال للامتداد •

٣ ـ فكرة الله :

ان تصور الله فى صورة جوهر يتصف بالفكر والامتداد يعتبر معادلة فلسفية ما بعد طبيعية للتصور المسيحى للتجسيد اذ ليس هناك

ما يمنع ـ من ناحية ما بعد الطبيعة ـ من الاعتقاد بأن الله يتجسد فى العالم . وقد اعتبر أسبينوزا التجسيد بمجرد رمز لحقيقة أكبر وأشمل هى أن الله مجسد فى العالم وأن الامتداد صفة له وبعبارة أوضح فهم أسبينوزا الامتداد بالمعنى التشـبيهى الذى يطابق بين الله والعالم .

٤ ـ الحـرية الالهيـة :

. الحرية الالهية مطلقة والقدرة الالهية لا نهائية لا تخضع الا للطبيعة الالهية ذاتها .ويقول : « أن الحرية ليست حرية الاختيار ولكنها تكمن فى الضرورة الحرة » الله يعرف ذاته بذاته وهـذه المعرفة هى الحرية وينتج عنها بالضرورة عدد لا نهائى من الأفكار أو من الأحوال وبذلك تصبح الحرية الالهية دليلا على أن العالم فى الله ، لا الله فى العالم . الله هو العلة الفاعلة والعالم أثر لها ، ويستحيل أن تكون العلة بنفس قدرة المعلول (١٩) .

٥ ـ علاقة النفس بالجسـد :

حاول أسبينوزا أن يوضح فى الجزء الثانى من كتاب الأخلاق أن النفوس أحوال الفكر الالهى والأجسـام أحوال للامتداد ، وهنـاك توازى بين أحوال الفكر واحوال الامتداد . هـذا التوازى يفسر صله النفس بالجسـد . واذا كان ديكارت قد اعتقد أمكان تعريف النفس بدون الجسـد فان أسبينوزا يرى أن النفس لا تستقل عن الجسـد لأنها فكرته . واذا كان تصور ديكارت لصلة النفس بالجسد خاطئا لأنه لا يفسر كيف تكون النفس مصدرا لحركة الجسـد ، فان أسبينوزا ـ مع أنه يرى أنه لا توجد علاقة علية بين النفس والجسـد ، أو بين الارادة والحركة ، وان من الممكن أن نؤكد أن النفس لها جانب مستقل عن الجسـد هو الذى يتصل بالله ويتحد معه ـ يرى أن هنـاك تأثيرا متعادلا بينهما ، أى أن هنـاك تأثيرا بين أحوال الفكر وأحوال الامتداد

---

(١٩) نظلى اسماعيل « الفلســفة الحديثة » .

ومن ثم هنـــاك توافق جزئى بين أحوالهما فى اطار التوافق الكلى يبرره وحدة الجوهر والطبيعة اللانهائية ، ولتصبح ثنائية النفس والجسـد قائمة على أســاس الاختلاف بين صفتين الهيتين وليس على أســاس اختلاف بين جوهر وآخر كما اعتقد ديكارت ، كما يصبح من الممكن القول أن النفس تكون فى وحدة مع الجسد وأن هــذه الوحدة لها وجهان : الفكر والامتداد •

أما الحيـــاة التى حاول ديكارت تفسيرها آليا بأن يخضعها لقوانين الحركة فان أسبينوزا يفسرها تفسيرا عقليا بالمظاهر الموازية للفكر : هنـــاك درجات من الحيـــاة تختلف باختلاف تركيب الأجســـام : منها البسيط ومنها المركب ، ومن خلال الفكرة يخضع الجسم للغائية الباطنة التى تبدأ من الله وتنتهى الى الأحوال ، فى حين تخضع العلية الخارجية التى تسبب الحركة الآلية للقوانين العلمية •

٦ ــ المعرفة طبيعتها ودرجاتها :

اهتم أسبينوزا بمسألة المعرفة باعتبارها الطريق السلطانى الذى يقود الانســـان الى معرفة الله والاتحاد معه • وقد اهتم فى كتـــابه « اصلاح الذهن » بمعرفة الطبيعة فى حين اهتم فى كتاب الأخلاق بالصلة بين نوعين من المعرفة : المعرفة التى تفسر الطبيعة والمعرفة التى تخلص الانســـان واعتبر المعرفة نوعا من الانفعال الذى ينتج من أثر الأشـــياء فى النفس وبدون هـــذا الأثر لا يتم ادراك النفس للأشـــياء ولا تصل ماهيتها ، وفى كتابه « البحث القصير » يذكر ثلاث درجات للمعرفة يمكن أن نجعلها أربع اذا قســـمنا الدرجة الأولى الى درجتين فرعيتين :

(أ) المعرفة الظنية التى تأتى من الآراء التى نسمعها •
(ب) المعرفة التى نكتسبها من التجارب الخاصـــة •
(جـ) الاعتقاد القائم على الاستدلالات العقلية •
(د) المعرفة الواضحة المتميزة •

الغاية من المعرفة تحقيق سـعادة الانسان وخلاصه فى هـذه الحيـاة الدنيا والمعرفة فى صورتها الكاملة هى معرفة الله سـبحانه وهى التى تكشف لنا عن حقيقة أمرنا ووجودنا وعن الحب الذى يصل الانسان بالله • فالعلم اذن ليس لذات العلم وانما لخلوص الانسان •

يتفق أسبينوزا مع ديكارت فى ضرورة التمييز بين المعرفة الواضحة القائمة على الذهن والمعرفة التى تأتى عن طريق الخيال والحواس وأن اختلف عنه فى أنه لم يفترض ذلك الشيطان المـاكر • كما يختلف عنه فى انه رغم اعترافه بدور الاستنباط يرى أنه يجب أن يسـتند الى الأشـياء الواقعية • ويرفض كل اسـتدلال عقلى يعتمد على المعانى المجردة والكلية : الاستنباط فى نظره يبدأ من ماهية جزئية تقابلها فكرة واضحة متميزة وقد نسـتدل من المعلول على العلة ، أو من علة على علة أخرى ، أو منكائن على كائن آخر ويؤكد فى كتاب الأخلاق أن المعرفة الحقيقية تثبت وجود الكائن اللانهائى بوصفه علة ومبدأ لجميع الأشياء • ومن فكرة هـذا الكائن نستطيع أن نستنبط جميع الأفكار التى تمثل النظـام الكامل للطبيعة • أما دور التجربة فى هـذه الحقيقة فهو الأشياء التى تبحث عن حقيقتها والذهن وحده هو القادر على معرفة هذه الحقيقة •

موقف ليبنتز من فلسـفة أسبينوزا :

يمكن أن نتناول موقف ليبنتز من أسبينوزا من جانبين أولهما المراحل التى مرت بهـا علاقة ليبنتز بأسبينوزا والتى انتهت بالرفض الصريح لفلسفته وثانيهما الاهتمامات التى شغلت ذهن اسبينوزا والموضوعات التى أثارها باعتباره عالمـا من جهة وفيلسوفا ولاهوتيا من جهة أخرى •

بالنسبة لعلاقة ليبنتز بأسبينوزا نجد أنها مرت بعدة مراحل :

(أ) الفتـرة من ١٦٦٩ الى ١٦٧٥ وهـى فتـرة اقامة ليبنتز فى فرنكفورت •

(ب) رحلة ليبنتز الى لندن وهولندا ولقاءه بأسبينوزا سنة ١٦٧٦ في طريق العودة الى هانوفر •

(جـ) سنة ١٦٧٧ بعد العودة الى هانوفر • وهى بدورها تنقسم الى فترتين :

١ ــ فترة الاطلاع على خطابات أسبينوزا الى شبولر schuller وأولدنبرج ومحاولة شرح أو تفسير ما جاء فيها من آراء والتقريب بينها وبين فلسفته القائمة على مبدأ الانسجام الأزلى •

٢ ــ فترة الاطلاع على أعمال أسبينوزا الفلسفية التى نشرت بعد وفاته والتى أعلن فيها ليبنتز عن موقفه النهائى والصريح من فلسفة أسبينوزا كما جاءت فى كتابه « الأخلاق » بوجه خاص وفى باقى أعماله الفلسفية بوجه عام •

أما أول مرة يذكر فيها ليبنتز اسم أسبينوزا فكان فى خطاب الى أستاذه جاكوب توماسيوس فى ٢٠ ابريل سنة ١٦٦٩ ولم يكن يعرف عن أسبينوزا سوى أنه مؤلف كتاب (مبادىء الفلسفة لديكارت) وقد جاء ذكره ضمن مجموعة من مفسرى الفلسفة الديكارتية ، وبعدها بدأ مراسلة بعض معارفه ممن لهم صلة بأسبينوزا أو بأعماله ليحصل على المعلومات التى توضح نشاطه العلمى والسياسى والدينى(٥) •

وفى سنة ١٦٧١ تسلم رسالة من العالم اللغوى graevius « جرايفوس » يخبره فيها أن أسبينوزا هو مؤلف « الرسالة اللاهوتية السياسية » التى نشرت سنة ١٦٧٠ بدون ذكر مؤلفها والتى أثارت ضجة فى أوساط اللاهوتين سواء فى هولندا أو فرنسا أو المانيا وبالتالىساير ليبنتز الاتجاه السائد وهاجم بدوره ما جاء فى هذه الرسالة من آراء تتصل بالكتب المقدسة ومملكة الله الخالدة وكتب الى أستاذه توماسيوس مهنئا له لموقفه من هذا الكتاب قائلا : « لقد أطلعت على

---

(٢٠) georges Freedmann; leibniz et spinoza p. 86.

دحضك الذى كتب فى ليبزج متناولا ذلك الكتاب الذى تعرض بجرأة غير محتملة لحرية التفلسف : ويبدو أن مؤلف الكتاب يتبع ، ليس فقط سياسة ، بل أيضا نظرية هوبز الدينية التى عرضها فى كتابه (الوحش) .

لأن هــذا النقد الذى يمارسه هــذا الجسور ضد الكتاب المقدس قد بذر بذوره هوبز فى فصل كامل من كتابه .

وهكذا ارتبط اسم أسبينوزا باسم هوبز فى ذهن ليبنتز وبعد أن كان ينظر اليه باعتباره ديكارتيا أصبح يهاجمه باعتباره من أتباع هوبز المــاديين والملحديين .

نفس الموقف نجده فى رده على خطاب جرايفوس حيث يكرر اتهامه باتباع ما جاء فى كتاب هوبز .

وفى يناير ســنة ١٦٧٢ كتب ليبنتز الى أرنولد خطابا يعرض فيه أعماله وأفكاره ويتناول الرســالة اللاهوتية والسياسية ويذكر أسبينوزا ضــمن الرافضين الخضوع للســلطة والراغبين فى التفلسف وقبول ما يدركونه بوضوح وتميز ، أنهم يكرهون كل تسلط يفرض على الأذهان ويرون أن القدماء والمدرسيين اعتمــدوا على البلاغة ليجعلوا أسرار الايمان أكثر قبولا لدى الجماهير ، أما المحدثون فمسئولون عن هــذه الفلسفة الباطلة غير المفهومة التى تحتمى فى جزء كبير منها وراء سر القربان والدفاع عنه . هــذا ما عرضه وهلل له كل من اتباع بيكون وهوبز ومؤلف هــذا الكتاب الفظيع الذى نشر حديثا عن حرية التفلسف : ولا تندهش اذ نجدهم يقبلون بحماس كبير فلسفة ديكارت لا لأنها تبدو لهم صــحيحة وانما لأنها تبــدو فى نظرهم غير متفقة مع الكنيســة الكاثوليكية الرومانية [٢١] .

اعتبر ليبنتز اذن « الرســالة اللاهوتية السياسية » خطرا على

---

(٢١) نفس المرجع السابق ص ٩٨ ، ١٠٥ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٤ .

العقيدة المسيحية ولابد من تصدى العلمـاء المتخصصين فى اللغـات الشرقية لدحضه وحماية المسيحيين مما جاء فيه من سـموم تهدد الدين ؛ ولكننا نلاحظ أن ليبنتز رغم موقفه هـذا العدائى من فكر أسبينوزا وما أثاره من خطر يهدد الدين المسيحى قد حرص على أن يفصل بين الرجل وكتابه • واذا كان الكتاب جدير بالدحض والرفض فان صاحبه يتميز بصفات جديرة بالاحترام والتقدير ، فهو عالم بصريات وصانع نظارات مشهور وطبيب • لهذا لم يتردد ليبنتز فى أن يكتب الى أسبينوزا فى أكتوبر سـنة ١٦٧١ وبعبارة أوضح احترم ليبنتز وقدر أسبينوزا العالم والطبيب • وحرص على الاتصال به والاطلاع على أعماله ولكنه عارض وهاجم أسبينوزا السياسى واللاهوتى والملحد الذى زعزع الثقة فى العقيدة باسم حرية التفلسف واذا كان أسبينوزا قد أراد أن يدعو البشر لطاعة المبادىء الأخلاقية الأساسية اذ هى وحدها الكفيلة بتحقيق الخلاص • أن ليبنتز فى معارضته لاسبينوزا يدافع عن الدين المسيحى ويؤكد أن هـذه المبادىء الأخلاقية أو الاجتماعية لن تكون كافية بدون المسيحية ، واذا كانت نقطة الارتكاز الأساسية عند أسبينوزا هى العقل فانها عند ليبنتز المسيحية التى ستوحد المبادىء الاجتماعية والأخلاقية والسـياسية •

وعندما وصل ليبنتز الى باريس فى مارس سـنة ١٦٧٢ بدأ الاهتمام بالرياضيات وباكتشافه حسـاب اللامتناهيات وحرص على الاتصـال بكل من له اهتمام بهذا المجال ومن الطبيعى أن يكون أسبينوزا أحـد الشخصيات التى سعى الى الاتصال بها خاصـة وأنه قد اشيع فى هـذه الفترة أن له بحثـا عن اللـه والنفس والانفعالات اسـتخدم فيـه المنهج الاسـتدلالى •

وبالاجمال يمكن القول أن معرفة ليبنتز بفلسفة اسبينوزا خـلال هذه الفترة لم تكن كافية ولم تساعده على التعرف الحقيقى لفـكره خاصة وأن مصادره لا تتعدى ما أثير حول الرسالة اللاهوتية السياسية ،

ومن ثم لم تسمح له بأن يتأمل فلسفة أسبينوزا بذهن متحرر ؛ مع أنه حرص على أن يميز بين اهتمامين أساسين من اهتمامات أسبينوزا أولهما الاهتمام العلمى الخاص بالبصريات والطب وصناعة النظارات — وهو موضع تقدير وأعجاب فى نظر ليبنتز — وثانيهما الاهتمام بالدعوة الى حرية التفلسف وتخليصها من سلطة اللاهوتين وما أثارته من قضايا فلسفية ولاهوتية حاول أن يدحضها وأن يعارضها دفاعا عن المسيحية •

المرحلة الثانية التى تتمثل فى رحلة ليبنتز سنة ١٦٧٦ الى لندن حيث قضى فيها أسبوعا تقابل فيه مع كل من نيوتن وبويل ثم سفره الى هولندا حيث قضى شهران وتمكن من لقاء أسبينوزا ونجده يسجل ما دار خلال هذه الزيارة من نقاش حول موضوعات تتصل بالعلم وبالفلسفة من جهة وما أثارته الرسالة اللاهوتية السياسية من قضايا ومشكلات من جهة أخرى فى خطاب الى الأب جالوبوز I' Abbé Galloys جاء فيه : « لم يتبين أسبينوزا عيوب قواعد الحركة التى ذكرها ديكارت وأندهش عندما شرعت فى اظهار أنها تتعارض مع مساواة السبب والمسبب » أما عن المناقشة التى دارت بينهما حول الدليل الأنطولوجى على وجود الله فيقول : « لقد أظهرت لأسبينوزا عندما كنت فى لاهاى هذا الدليل الذى يرى أنه متين ونظرا لأنه كان قد عارضه فى البداية شرعت فى الكتابة وقرأت له هذه الورقة » •

ونظرا لقصر المدة التى قضاها فى هولندا لم يتمكن من الاطلاع الكافى على فلسفة أسبينوزا ولكنه تمكن من الحصول على نصوص رسائل أسبينوزا الى كل من شولر Schuller واولدنبرج التى ساعدت على توضيح الرؤية نسبيا ولكنها أيضا لم تكن كافية ليكون فكرة كاملة عن فلسفته وقد دفعته هذه الرسائل المتبادلة بين أسبينوزا واولدنبرج الى محاولة تفسير آراءه الخاصة بفكرة الله وصلته بالخلق تفسيرا يتمشى مع نظريته فى الانسجام الأزلى وتتفق مع عقيدته المسيحية التى يدافع عنها بحماس • وقد وجد نفسه مضطرا الى المعارضة الصريحة

لبعض الأمور التى تتصل بالعقيدة بوجه عام وبمشكلة تجسد المسيح بوجه خاص ورفض ما ذهب اليه أسبينوزا من وحدة الله والطبيعة من جهة ووحدة الروح بالجسد من جهة أخرى • كما رفض تفسير أسبينوزا للمعجزة الذى يقول بصددها فى خطاب الى « أولدنبرج » : المعجزات والجهل أمران متساويان ، لأن أولئك الذين يلتزمون باثبات وجود الله وتدعيم الدين بناء على المعجزات يريدون اثبات الغامض بما هو أكثر غموضا » •

أما ليبنتز فيدافع عن المعجزات ويعتبرها دعامة أساسية للدين المسيحى ويرى أن المعجزة تظهر سياقا فريدا للأسباب التى قد رتبت من قبل • أنها لا تفوق طبيعة الأشياء بوجه عام وانما هو تفوق طبيعة الأجسام الحسية •

وجدير بالملاحظة أن تفسيرات ليبنتز وتعليقاته على رسائل أسبينوزا الى « أولدنبرج » قد انتهت باظهار التقابل الواضح بين اتجاهين مختلفين وتحديد موقف ليبنتز الأساسى الذى يمثل فى القول بمذهب تفاؤلى فى الأخلاق والدين ، وغائية فى الكون تعتمد على مبدأ الانسجام الأزلى كما يتمثل فى أن تأييده لبعض الآراء التى قال بها أسبينوزا ومعارضته لآراء أخرى انما كان تمشيا مع مذهبه وفلسفته الخاصة التى كان قد انتهى من تشكيلها وصياغتها قبل أن يتم لقاءه مع أسبينوزا •

أما المرحلة الأخيرة من علاقة ليبنتز بأسبينوزا والتى تتمثل فى اطلاعه على أعماله التى نشرت بعد وفاته فقد كانت أكثر تعمقا وأكثر صراحة ؛ واذا كانت القراءة الأولى لكتاب الأخلاق دفعت ليبنتز الى الكتابة الى جوستل Justel فى ٤ فبراير سنة ١٦٧٨ قائلا : « أخيرا انشرت أعمال المرحوم أبنوزا وأهمها كتاب الأخلاق الذى يتألف من خمس أبحاث ••• لقد وجدت فيه عددا من الأفكار الجميلة والتى —

كما يعرف أصدقائى وأصدقائه ــ تتفق مع أفكارى » فان القراءة الناضجة للكتاب قد صدمت ليبنتز بما فيه من تناقضات واستدلالات خاطئة وكتب الى «جوستل» محددا الأمور التى لا تعجبه من فلسفة أسبينوزا وخاصة،

١ ــ فكرة الجوهر الوحيد •

٢ ــ وأنه هو الله •

٣ ــ والقول بأن المخلوقات أحوال وآثار لله •

٤ ــ وان الله لا يعمل وفق غاية •

٥ ــ كل شىء خاضع لضرورة حتمية •••• الخ •

لقد بدأت الهوة تتسع بينهما اذن وأصبح من الضرورى أن يقوم بدحض ما جاء فى كتاب الأخلاق ، فالأمر هنا لا يحتاج الى علماء متخصصين أو اللغات الشرقية كما كان الشأن فى الرسالة اللاهوتية والسياسية وقد نقد القضايا العشرين الأولى من الجزء الأول مهتما بما فيها من تعريفات وبديهيات واستدلالات : يصحح البعض ويوضح ما فيها من غموض (التعريفات) ٢ ، ٣ ، ٤ والقضايا : ٥ ، ٨) أو يبين عدم جدواها (البديهيات ٢ ، ٧) أو يثبتها (التعريفان ٧ ، ٨) ويضيف اليها الملاحظات والاستدلالات المساعدة (القضايا : ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧) •

وباختصار تناول الكتاب من الناحية المنطقية الصورية دون أن يهمل ما فيه من أفكار حاول أسبينوزا أظهارها وأثباتها من خلال هذه الاستدلالات الصورية التى استخدمها • ومن ثم تناول فكرة الجوهر مثلا وأوضح مدى تعارضها مع نظريته التى تقول بالجواهر الروحية المتعددة والتى خلقها الله مستقلة بعضها عن بعض ولكنها غير مستقلة عن خالقها ومنظمها وفق أنسجام آزلى • ويعارض مفهوم أسبينوزا عن الممكن مؤكدا طرق الاختيار من بين الممكنات واختيار أحسن عالم ممكن يحقق الانسجام الأزلى الكلى ••

وفى الجزء الثـــانى من نقده للكتاب الذى ركز على القضـــايا : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٣ حرص على نقد الطريقة التى استخدمها أسبينوزا لاثبات هـــذه القضايا كما حرص على مناقشة مشكلتى الضرورة الكلية والعرضى ، موضحا ضعف استدلالات أسبينوزا

هـــذه اذن صورة أسبينوزا فى نظر ليبنتز وهى صورة مزدوجة فى جانب منها نرى ذلك اليهودى ، عدو الدين والأخلاق ونظام الدولة والرجل المتمرد على الايمان والقانون ، والذى تجرأ على كل الحرمات الدينية والاجتماعية . وبالتالى نسب اليه ليبنتز ـــ كما فعل معاصريه ـــ كل النقائص التى تنسب الى الملحد أو المتحرر فكريا •

وفى الجانب الآخر نرى ذلك العالم والطبيب الجدير بالثناء والتقدير التى تجعل منه صاحب دعوة الى الحرية الفكرية من جهة وصاحب فلسفة صـــوفية من جهـــة أخرى وهى الصـــورة التى ظلت غير معروفة بل ومجهولة تمـــاما •

لقد لعن ليبنتز ومعاصريه اسبينوزا دون أن يفهموه بل ودون أن يقرأوه • وقد اســـتخدم ليبنتز نفس الأســـلحة التى استخدمها معاصروه وحكم على أسبينوزا بالالحاد ولكنه رغم كل هـــذا لم ينس ما امتاز به اسبينوزا العالم من عبقرية وبصيرة وسعى الى اللقاء والتعرف على فكره وفلسفته وقد استطاع ليبنتز فعلا أن يفصل بين الرجل وما ترك من أعمال تحتاج الى دحض أو رفض وليس هذا بعجيب بالنسبة لليبنتز الذى حرص دائمـــا على احترام وجهات نظر الآخرين والذى كان لا يميل الى احتقار أى رأى أيا كان والذى كان يتردد باستمرار أننا وحدات عنصرية مستقلة كل واحدة منها مرآة للعالم وأننا نعيش دائمـــا فى انسجام أزلى أراده الله خالق هذا الكون ومنظمه •

واذا كانت مشاعر ليبنتز ومواقفه من آراء أسبينوزا قد تمشت مع المناخ الفكرى السائد وما سيطر عليـــه من ردود فعل ذهنية وأخلاقية

فاندفع يهاجمه دفاعا عن المسيحية وغائية العالم وما يســوده من انسجام أزلى • فان اطلاعه على أعماله قد جعله ينظر اليه فى بداية الأمر على أنه ديكارتيا ثم عاد فنظر اليه على أنه من أتباع هوبز وخاصــة بعد أن اطلع على الرســالة اللاهوتية السياسية وانتهى أخيرا الى اعتباره نمطا فريدا جديرا بالاهتمام لا لأنه انفصل عن ديكارت وانما لأنه استطاع أن يعلن صراحة ما أراد أن يقوله ديكارت فى سرية ، وليبنتز فى موقفه الأخير أراد أن يضرب عصفورين بحجر واحد ، فهو أراد أن يزعزع الثقة فى منافسة (ديكارت وأسبينوزا) بأن ربط بينهما وجعــل من اسبينوزا امتدادا للديكارتية قائلا : « ان ديكارت يفكر بصوت خافت فى كل ما يقوله أسبينوزا بصوت مرتفع ، لم يعد الأمر اذن أمر توضيح ما يفصل أسبينوزا عن ديكارت ، وانما على العكس أن نذكر ما يوحد بينهما »(٧) •

وهو ثانيا يدعم مركزه وســمعته ضــد كل التيارات التقلـيدية الكاثوليكية منها والبروتستنطية التى تترصد له • ولم يعد فعلا ابتداء من ســنة ١٦٧٩ يشير الى أسبينوزا الا بالقدر الذى يســاعده فى نقد ديكارت من جهة أو تدعيم مذهبه من جهة أخرى • خاصــة فى كتابه عن الألوهية « التيوديس » theodicée الذى دافع فيه عن الحتمية الأخلاقية ضد الضرورة العمياء الأسبينوزية •

خلاصة القول اذن أن تحديد موقف ليبنتز من أسبينوزا قد أوضح جوانب فلسفة كل منهما وأظهر ما بينهما من اختلاف أساسى يمكن أن نوجزه فى الأمور الآتية :

١ ــ أعلن أسبينوزا أنه لا يدعى أنه اكتشف أحسن فلسفة وانما يعرف أن لديه معرفة بالحقيقى ــ خطاب أسبينوزا الى بورج Burgh بينما يعلن ليبنتز منــذ محاولاته الأولى ويكرر ذلك فى كثير من المناسبات أنه يسعى الى تأسيس فلسفة تكون الأحسن •

---

(٧) نفس المرجع ص ٢٧٦ ، ٢٨١

وبعبارة أخرى حرص أسبينوزا على أن يكون موضوعيا وبعيدا عن أى فكر ذاتى ويقدم الحقيقى على الأحسن ، فى حين ظل ليبنتز ذاتيا هدفه الأساسى أن يزود البشرية بمذهب يخدم الخير العام ويطابق بين الأحسن والحقيقى[8] .

٢ ــ تقوم فلسفة ليبنتز على حتمية اخلاقية بناء على اختيار أحسن عالم ممكن وتسلسل العلة والمعلول : بينما تعتمد فلسفة أسبينوزا على حتمية عقلية تفصل بين الفعل والجزاء وتفتح الطريق أمام العقل الأخلاقى الحر .

٣ ــ حرص أسبينوزا منذ الرسالة اللاهوتية السياسية أن يحمى الفلسفة وحرية الفكر من سيطرة اللاهوت وأن يميز بين مجال العقل الأخلاقى الذى يخص الحكماء وسلوك الجمهور وضرورة طاعتهم للقانون الأخلاقى ــ « على الجمهور أن يطيع وأن يعتقد أما الحكماء فمن واجبهم وحدهم أن يفهموا » .

٤ ــ يفكر أسبينوزا فحسب فى حين يفكر ليبنتز من أجل الانسان ، ويدور مذهب ليبنتز حول الانسان ومن أجله ، فى حين يدور مذهب أسبينوزا حول اللانهائى ويسعى الى أبعاد التفكير الانسانى من الانسان ويجعل الانسان جزءا من كل لا نهائى .

٥ ــ مذهب أسبينوزا أقل انتشارا ويصعب تقبل الجمهور له لأنه لا يمده الا بالقليل مما يحتاج اليه لراحته وسلوانه ولأنه يعتمد على حدس ذهنى للكل ويغلب عليه التصوف الروحى ، فى حين انتشر مذهب ليبنتز لما فيه من بريق واهتمام بالعلم الحديث ودعوة تفاؤلية فى مجالى الدين والأخلاق .

وبالاجمال يمكن القول اذن أن القرن السابع عشر شاهد حوارا لم

(٨) نفس المرجع ص ٣٠٧

صراعا فكريا خصيب بين ثلاثة من رواد الفكر العقلانى الحديث وقد حاولت من خلال تحديد موقف أسبينوزا من ديكارت وموقف ليبنتز من كل من ديكارت وأسبينوزا أن أوضح أهم الموضوعات التى كانت مثار نقاش واختلاف بينهم وخاصة بالنسبة لمفهوم :

١ ــ الجوهر •

٢ ــ الله وصفاته •

٣ ــ المعرفة طبيعتها ودرجاتها •

٤ ــ النفس وصلتها بالجسد •

٥ ــ صلة الفلسفة باللاهوت •

وهى موضوعات نظر اليها كل واحد منهم من وجهة نظر خاصة وان كانت كلها عقلانية وجهة نظر واحديه يعرضها أسبينوزا من خلال مفهوم الطبيعة الطابعة والمطبوعة الله الجوهر الوحيد وما ترتب عليها من نتائج فلسفية وأخلاقية ودينية • ووجهه نظر ثنائية يقول بها ديكارت ويعتبر الفكر والامتداد جوهرين وما ترتب على هذه الثنائية من نتائج فلسفية تميزت بها الديكارتية بوجه عام • وأخيرا وجهة نظر ليبنتز التعددية التى تعترف بعدد لا نهائى من الوحدات العنصرية يسودها الانسجام الأزلى وتحقق للانسان خلاصه وللمسيحية الاستقرار والانتشار •

وعلينا الآن أن ننتقل من التيار العقلانى بجوانبه الثلاثة التى تحدثنا عنها الى التيار التجريبى الذى يتزعمه جون لوك فى انجلترا لنرى موقف ليبنتز من الفكر الانجليزى التجريبى بوجه عام • ومن فلسفة جون لوك بوجه خاص ومن نظريته فى المعرفة بوجه أخص خاصة وأن ليبنتز خصص كتابا بأكمله للرد على نظرية جون لوك وهو « أبحاث جديدة فى الفهم الانسانى » وحرصنا على ترجمة الفصل الرابع منه الخاص بنظرية المعرفة •

موقف ليبنتز من فلسفة جون لوك :

يعتبر جون لوك أول من اهتم بالبحث عن أصول المعرفة فى الذهن الانسانى وأول من نقد بشجاعة الأفكار الفطرية التى قال بها ديكارت على أساس من التحليل النفسى الدقيق وأعلن أنه لا مبادىء فطرية فى العقل • وقد بحث فى طبيعة ومصدر الأفكار مبينا أن مصدرها التجربة متمشيا فى ذلك مع الاتجاه الانجليزى التقليدى ومتفقا مع الاسميين الذين رأوا فى التصورات وفى المعانى المجردة مجرد بناء عقلى داخلى : أن الأفكار كما يفهمها الجميع ولكى يفهمها الجميع يجب أن يكون مصدرها التجربة والاحساس ، واذا كانت اللغة بألفاظها مجرد اشارات الى المعانى فلابد وأن نتفق جميعا على دلالة هـذه المعانى •

ويعتبر كتاب لوك « مبحث فى الفهم الانسانى » سنة ١٦٩٠ عملا فلسفيا خالدا يقول فى مقدمته أنه عكف على تأليفه أثر مناقشة بينه وبين بعض الأصدقاء حول مشكلات تتصل بالدين والأخلاق ، ورأى أن من الخير لنا أن نشرع فى تحديد طبيعة تصوراتنا وفى تحليل أصول مفاهيمنا قبل أن يناقش بعضنا البعض الآخر فى مشكلات تتصل بصميم حياتنا ويشمل الكتاب أربعة أبواب : الباب الأول ينقد نظرية الأفكار والمبادىء الفطرية • الباب الثانى يعرض الأصول التى تنبع منها أفكارنا ويحلل التجربة الحسية ليرد الأفكار المركبة الى أبسط عناصرها • الباب الثالث يبحث صلة الفكر باللغة وتأثير الألفاظ فى التفكير وينقد الفلسفة المدرسية فى ضوء علاقة اللغة بالفكر ويوضح أنها فى نهاية الأمر فلسفة ألفاظ وليست فلسفة معانى • الباب الرابع يحدد الاطار العام للمعرفة ويعرض نظريته فى المعرفة •

تهدف الفلسفة عند لوك الكشف بطريقة منهجية عن أصول المعرفة وتبديد الأباطيل التى تعترض الطريق الى المعرفة السـليمة ويركز نقده على نزعتين هامتين أولاهما الميل الى الاعتقاد بأن المعرفة تعتمد على مبادىء فطرية سابقة على التجربة والثانية اعتبار القياس المنهج الصحيح للمعرفة ويلاحظ أن اصرار المفكرين مع رد كل حجة الى القياس

قد أساء الى العلم • ولن يتقدم العلم الا اذا استخدم الاستقراء واعتمد على الملاحظة والتجربة •

المعرفة عند لوك نوعان : معرفة يقينية ومعرفة احتمالية ، والمعرفة الاحتمالية تشغل الجانب الأكبر من معرفتنا ، والمعرفة اليقينية من الضيق بحيث لا نستطيع الاعتماد عليها وحدها فى حياتنا ويطرح سؤالين :

كيف نميز بين الاحتمال واليقين ؟

كيف نقيس درجة الاحتمال فى قضية من القضايا ؟

يعتمد اليقين على اتفاق أو اختلاف فكرتين بتدخل دليل أو أكثر بينهما رابطة ثابتة واضحة ، أما الاحتمال فيعتمد على مظهر الاتفاق والاختلاف بتدخل أدلة لا تكون الرابطة بينهما مطردة ثابتة ولكنها كافية ليمضى الذهن الى الحكم على القضية بالصدق أو البطلان • وبعبارة أخرى يعتمد اليقين على حدس يدرك الرابطة الضرورية أما الاحتمال فيفترض الرابطة ليس لأنها ضرورية وانما لأن ثمة سبب خارجى يعزز الرابطة •

وبالنسبة لقياس درجة الاحتمال يقترح لوك معيارين أولهما الاتفاق بين ما توحى به القضية وسائر ما فى التجربة ، وثانيهما البينة التى تعزز القضية وتشمل ستة نقط :

١ ــ عدد الشهود المؤيدين •
٢ ــ سلامة هؤلاء الشهود •
٣ ــ مهارتهم •
٤ ــ خطة المؤلف اذا صيغت البينة فى كتاب •
٥ ــ إتساق الأجزاء والملابسات فى العلاقة •
٦ ــ الشهادات المعارضة •

أعلى درجات الاحتمال تكون حين يتفق الاعتقاد مع شهادة جميع

الناس فى جميع العصور أما المعرفة اليقينية فتعتمد على الربط بين الأفكار من خلال العلاقات الأربعة الآتيــة :

١ ـــ الهويـــة •

٢ ـــ الاضـــافة •

٣ ـــ الارتباط الضرورى •

٤ ـــ الوجود الحقيقى •

يقصد لوك بالهوية أن تكون الفكرة على ما هى عليـــه ، والفكرة الواحدة ليست هى الفكرة الأخرى • ويقصد بالاضافة ربط الأفكار بعلاقات مجردة عديدة ، ويقصد بالارتباط الضرورى ذلك الذى يتمثل فى الظواهر الطبيعية ، التى تستهدف اكتشاف القوانين ، أى الارتباط العلى بين الأشـــياء ، ويقصد بالوجود الحقيقى ما تظهره كل قضـــية تؤكد وجود جوهر أو تنفى وجوده مستقلا عن أدراكنا • هـــذه المعرفة اليقينية تعتمد على أساسين هما الحدس والبرهان : بالحدس ندرك العلاقة ادراكا فوريا كما تدرك العين الضوء ، وهى قوة قائمة فى الذهن تجعلنا نعرف الحقيقة بيقين مطلق ، أما البرهان فيزودنا أيضا بيقين مطلق ولكنه يختلف عن الحدس فى أنه يشمل عنصر الذاكرة وبالتالى فهو عملية مركبة فيهـــا جهد ومشقة وانتباه • الذاكرة تكفل للذهن القدرة على استرجاع الخطوات التى تمكنه من الوصـــول الى النتيجة المطلوبة • وقد تخطىء الذاكرة ولهذا لا يجب أن نعتمد على البرهان اعتمادنا على الحدس[٩] •

الحدس عند لوك يختلف عنه عند ديكارت ، أن موضوعه عند لوك ليس موضوعا عقليا خالصا ـــ كما عند ديكارت ـــ وانما هو علاقة بين بعض معطيات الاحساس والادراك المنعكس ، أى بين أفكار مركبـــة

(٩) د • فتحى الشنيطى : جون لوك ص ١١٨ ، ١٢٦

مستمدة أصلا من هـذه المعطيات وباختصار معرفتنا محدودة بالتجربة وحينما لا يكون لدينا أفكار لن يكون لدينا معرفة •

الى جانب الاهتمام بالمعرفة ومحاولة تحديد مصدرها وطبيعتها وحدودها اهتم لوك بفكرة الخطأ سواء ذلك الناتج عن سوء استخدام اللغـة أو غيره من أنواع الخطأ التى يذكر منها :

١ ـ أخذ ما هو غير محتمل على أنه محتمل ، اذ ما دام هناك درجات للاحتمال فقد نتعجل باعتبار قضية ما فى درجة من الاحتمال أعلى مما هى عليه فى الواقع • ويرجع هذا الى القصور فى التفكير وعـدم التروى أو الحماس أو الاندفاع أو الكسل أو الغباء •

٢ ـ قد يميل المرء بالحكم المسبق والعاطفة الى ترجيح كفة دليل لأنه يأتى على هواه ويترك دليلا آخر أصح •

٣ ـ قصور الذاكرة والبرهان لاعتماده على الذاكرة لا يملك القياس التام للقيم الذى يملكه الحدس وأن كنا نستطيع أن نستخدم المنهج الرياضى الذى يحررنا من الاعتماد على الذاكرة •

٤ ـ خلط الماهية الاسمية بالماهية العقلية فقد نظن أن موضوع تفكيرنا شىء من أشياء العالم المادى بينما لا يعدو أن يكون مجرد فكرة •

٥ ـ قد تضللنا الحواس فى كثير من الأحيان فنقع فى الخطأ اذا افترضنا أن الواقع هو ما يظهر لنا •

أما الأخطاء التى تترتب على استخدام اللغة أو التى نقع فيها نتيجة الاهمال فيمكن اجمالها فيما يلى :

١ ـ قد نستخدم كلمات لا تكون لدينا أفكار مطابقة لها فتكون مجرد ترديد أصـوات •

٢ ـ قد نستخدم الكلمات فى غير ثبات ونعبر بكلمة واحدة عن مجموعة من الأفكار البسيطة •

٣ ـ قد نؤثر الغموض لنخلع على كلماتنا روعة وفخامة ونخفى ما فى خواطرنا من خلط ولبس •

٤ ـ قد نجعل الكلمات تقوم مقام الأشياء التى لا نستطيع الدلالة عليها وقد نأخذ الكلمات على أنها الأشياء ، أى قد نفترض أنه حيثما توجد كلمة فلابد وأن يوجد شىء مطابق لها •

٥ ـ قد نستخدم كلمات واضحة المعنى فى نظرنا وقد تكون غير واضحة للآخرين •

٦ ـ الاكثار من الاستعارة والكناية والتشبيه •

ويقترح لوك لتفادى هذه العيوب الوسائل الآتية :

١ ـ الاحتياط : عندما نستخدم كلمة لابد أن نكون على بينة من الفكرة التى تدل عليها •

٢ ـ معرفة الفكرة بوضوح وتميز واذا كانت تدل على فكرة مركبة يجب أن تكون الفكرة متحددة بحيث نعرف الأفكار البسيطة التى نجمت عنها •

٣ ـ ينبغى استخدام الكلمات فى اتساق مع الاستعمال المألوف واذا انحرفنا عن الاستعمال المألوف ينبغى أن نوضح بأية طريقة نفعل ذلك •

٤ ـ يجب بقدر الامكان استخدام الكلمة ذاتها فى نفس المعنى باطراد ولكننا لسوء الحظ نضطر فى كثير من الأحيان الى استخدام نفس الكلمة فى معانى مختلفة عن بعضها اختلافا طفيفا •

جدير بالملاحظة أن التعريف عند لوك تعريف للكلمات : أن نعرف هو أن تظهر معنى كلمة بكلمات آخرى ليست مترادفة ، أن نعرف هو أن نعلن المعنى ، أن اظهار معنى كلمة أو أعلان مغزاها لا يعدو أن يكون مجرد تقرير الفكرة التى تعنيها الكلمة • وفى هـذا الصدد يقول لوك :

« لمـــا كان معنى الكلمات لا يعدو لأفكار التى تمثلها هـــذه الكلمات عند من يستخدمها ، فان معنى أى لفظ يظهر ، وكلمة تعرف ، حين تمثل الفكرة التى ترمز اليها هـــذه الكلمة فى ذهن المتكلم لشخص آخر وبذلك يتأكد مغزاها . تلك هى الفائدة الوحيدة والغاية من التعريفات »[١٠] .

بهذا يصبح التعريف عند لوك غير مترادف مع الماهية الحقيقية ويصبح التعريف بالجنس والفصـــل لونا واحدا من ألوان التعريف ، وليس هو اللون الوحيد .

هـــذه المواقف التى حددها لوك من خلال تحديده للمعرفة هى التى دفعت ليبنتز الى الاهتمام أولا بدارسة هـــذه النظرية ثم تأليف كتابه « أبحاث جديدة فى الفهم الانسانى » ليرد فيه بتفصيل على هـــذه المواقف وليحدد موقفه الخاص . وبهذا حقق خطوة أساسية فى تطوير الفكر الألمـــانى الحديث ونقل اليه فلسفة التنوير الانجليزية التى كان لوك رائدها ويعلن ليبنتز فى بحثه عن الحكمة « لا شىء يمكن أن يدخل الغبطة الى نفوسنا الا بتنوير الذهن وخضوع الارادة له . وأن نبحث عن هذا النور فى معرفة الأشياء التى تسمو بالذهن الى أعلى » واذا كان لوك وهيوم وغيرهما من فلاسفة الانجليز قد هاجموا ما بعد الطبيعة باعتبارها فكرا خالصا ؛ فان ليبنتز قد دافع عن ما بعد الطبيعة . واذا كان لوك قد أراد أن تكون الفلسفة دراســـة تجريبية للذهن الانسانى فان ليبنتز أراد اصلاح ما بعد الطبيعة التقليدية أو نقدها وبنائها على أسس العلم الحديث ومن أجل هـــذا ألف كتابه الأبحاث الجديدة فى الفهم الانسانى . « سنة ١٧٠٣ ليلقى الضوء على الكثير من المسائل الفلسفية التى أثارها لوك وخاصـــة السؤال الهام : هل النفس صفحة بيضاء وكل ما سطر بها مصدره الحواس والتجربة أم أن فيها أفكارا ومبادىء فطرية ؟

---

(١٠) بياجيه الترجمـــة الفرنســـية .

اعتقد ليبنتز أن الحواس لا تعطينا الحقيقة العـامة التى نتصف بالضرورة الكلية وانما تعطينا أمثلة من الحقائق الجزئية والفردية أننا نكتشف فى ذاتنا الحقائق الضرورية كلما توفرت لنا مناسبة لذلك بواسطة معطيات الحواس وبالتالى يكون نجاح التجارب تأكيدا للعقل وبعبارة أوضح لم ينكر ليبنتز قيمة الحواس لأنها هى التى تقدم للعقل المناسبة التى تظهر فيها الحقيقة •

وفى سـنة ١٦٩٦ كتب ليبنتز ملاحظات أرسلها الى لوك ليطلع عليها ويرفقها ضمن الترجمة الفرنسـية لكتابه الذى كان يعد للنشر فى ذلك الحين فى أمستردام ، وقد وجدت بعد ذلك ضمن أوراق لوك ونشرت ضمن رسائله بعد وفاته فى لندن سنة ١٧٠٨ ونجدها فى المقتطفات التى نشرها Maiseaux فى أمستردام سـنة ١٧٤٠ ج ٢ وفى مقـدمة المقتطفات نجد خطابا من لوك الى Maulineux يعبر فيه عن تألمه مما جاء فى هذه الملاحظات من نقد وقد سجل ليبنتز هـذه الملاحظات بعنوان Reflexion sur l'entendement humain

ونوجزها فيما يلى :

يستهل نقده للكتاب بتأكيد أنه وجد فيه من العمق غير العادى مـا جعله غـير نـادم على الوقت الـذى خصصـه لقـراءاته ، خاصـة وان موضوعه يتصل بأسس معارفنا وهو من الموضوعات التى كانت تشغل ذهنه والتى كان له فيها عدة تأملات ثم ينتقل الى مناقشة الأبواب الأربعة التى يشملها الكتاب :

فى الباب الأول الخاص برفض المبادىء والأفكار الفطرية يرى ليبنتز أن لوك لديه العديد من المبررات التى تدعوه الى رفضها ومن أهم هـذه المبررات :

١ ــ أن الفلاسفة العاديين قد صاغوا المبادىء حسب هواهم •

٢ ــ أن الديكارتيين ، رغم أنهم أكثر دقة ، قد أساءوا استخدام

كامتى أفكار ومبادىء بحجة ان الذين يتأملون الأفكار سيجدون فيها نفس الشىء الذى وجدوه وأن من يمارس طريقتهم فى التفكير سيصل الى نفس الأحكام التى وصلوا اليها ويقترح ليبنتز أن يفعل الفلاسفة ما فعله أقليدس وأن يكتفوا بعدد قليل من البديهيات يعتمدون عليها فى استدلالاتهم وأن يتركوا للآخرين مهمة اثبات هذه البديهيات ، أى أن يصلوا الى بعض الوقائع المثبتة ويشير الى ما سبق أن ذكره من ايضاحات تتصل بالأفكار فى بحث صغير عنوانه « تأملات فى المعرفة والحقيقة والأفكار » ويتمنى أن يكون لوك قد اطلع عليها ، ويضيف أنه يقصد بالأفكار الحقيقية التى نتأكد من امكان تنفيذها ويميز بينها وبين الأفكار المشكوك فيها أو المستحيلة باعتبارها أفكارا وهمية من جهة وبينها وبين الأفكار المحتملة التى يمكن اثباتها أما قبليا بالاستدلال واعتمادا على أفكار أبسط منها ، أو بعديا عن طريق التجربة من جهة ثانية وبينها وبين الأفكار الأولية التى لا يمكن اثبات امكانها وليست فى الواقع سوى صفات الله من جهة ثالثة .

وبالنسبة للسؤال هل الأفكار والحقائق فطرية ؟ لا يجد ليبنتز أى ضرورة لتقرير فطريتها ، فهى سواء جاءت كلها من الخارج أو من داخل أنفسنا فاننا سنفكر بدقة اذا التزمنا بما سبق أن ذكره وبشرط أن نتقدم بنظام وبدون حكم مسبق . ويؤكد أن أفكارنا ، بما فى ذلك تلك التى من الأشياء الحسية ، تأتى من أعماقنا ويمكن أن نحكم عليها فى ضوء ما قرره عن طبيعة واتصال الجواهر وما يسميه بوحدة الروح بالجسد ، ويرفض القول بالصفحة البيضاء مؤيدا ما قاله أفلاطون عن التذكر ويضيف أننا لا نتذكر فقط أفكارنا الماضية وانما لدينا استشعار لكل أفكارنا ولكل أحساساتنا .

وعن الباب الثانى وخاصة ما يتصل بالأفكار يعلن ليبنتز أنه غير مقتنع بالمبررات التى ذكرها لوك ليثبت أن الروح قد توجد أحيانا دون أن تفكر فى شىء ، ويرى أن الروح بل والجسم لا يكونا أبدا بدون فعل ،

وأن الروح لا تكون أبدا بدون تصور ما : لدينا مثلا أثناء النوم شعور غامض ومعتم للمكان الذى نكون فيه ولأشياء أخرى وقد اختلف معه أيضا بالنسبة لمشكلة الخلاء : اعتقد لوك وغيره بالخلاء واعتقد ليبنتز نفسه فى فترة من فترات حياته الفكرية بالخلاء ثم عاد وتخلى ورفض الدليل الذى ذكره لوك المأخوذ من الحركة والذى يفترض أن الجسم فى أساسه صلب وأنه مركب من عدد معين من الأجزاء الصلبة ، ففى هذه الحالة لن يكون للحركة أى محل بدون خلاء ولكن الواقع أن أجزاء المادة قابلة للقسمة ولينة .

تعرض ليبنتز أيضا لفكرة اللانهائى ويتفق مع لوك فى أنه لا يمكن القول بدقة أنه لا يوجد مكان ولا زمان ولا عدد لا نهائى ، وانما الحق هو أنه أيا كان المكان أو الزمان أو العدد كبيرا فهناك دائما ما هو أكبر منه الى ما لا نهاية . وعلى هذا لن يوجد اللانهائى الحقيقى فى المركب أبدا ، ولكن هذا لا يمنع من أن يوجد اللانهائى المطلق ، الذى لا أجزاء له والذى يؤثرفى الأشياء المركبة لأنها تنتج من تحديدات المطلق وبعبارة أخرى اللانهائى الموجب ليس شيئا آخر سوى المطلق .

وهو أيضا لا يعترض على تعريف لوك للافكار الكافية adequate ولكنه يقصد بها شيئا آخر ، فهى فى نظره تتطلب درجة معينة لابد من توافرها لتصبح الأفكار كافية ويريد بهذه الدرجة ألا تكون الفكرة فى حاجة الى تفسير ، ولما كانت الأفكار الخاصة بالصفات الحسية كالضوء أو اللون أو الحرارة لا تصل الى هذه الدرجة فلا يمكن أن يعتبرها من الأفكار الكافية لأننا لا نعرف حقيقتها الا بالتجربة .

عن الباب الثالث الخاص بالكلمات أو الحدود يتفق مع لوك أيضا فى أن من الكلمات ما لا يمكن تعريفها وأن تعريف الصفات الحسية ليس تعريفا اسميا ومن ثم لن تمكننا من الحصول على تعريف حقيقى . ويشير الى تمييزه بين هذين النوعين من التعريفات : فالتعريف الاسمى

يفسر الاسم بعلامات الشيء فى حين يجعلنا التعريف الحقيقى نعرف قبليا امكانية المحدد ويؤيد ما ذكره لوك بالنسبة لامكان البرهنة على الحقائق الأخلاقية •

وفى الباب الرابع الخاص بمعرفة الحقيقة يجد ليبنتز الكثير من الأفكار الجيدة ولكنه يلاحظ أن لوك لم يعرض البديهيات العرض الذى تستحقه ويرجع ذلك الى أننا باستثناء الرياضيات لا نجد فى المجالات الأخرى ما هو هام وقوى • وقد حاول ليبنتز معالجة هـذا النقص ، فهو لا ينقص من قدر القضايا الذاتية ويعترف بفائدتها فى التحليل •

ويتفق مع لوك فى اننا نعرف وجودنا بالحدس ، ونعرف وجود الله بالاستدلال وأن المـادة خالية من الادراك ولا يمكن أن تكون قادرة على التفكير كما أنه لا ينتقص من قدر دليل أنسلم على اثبات وجود الله بل يحاول اكماله ويتفق معه أيضا فى أن التجربة وحدها لا تكفى رغم أهميتها فى علم الطبيعة الا أنه يرى أن الذهن النافذ قادر على أن يستدل نتائج من التجارب العادية قد تفوق وتزيد على ما يمكن أن يستدله أى شخص آخر من التجارب الأكثر اختيارا • ويختلف مع لوك لاعتقاده أن صورية المنطق غير مفيدة ويحاول اثبات أن العيب ليس فى الأقية وخاصـة الأقية المتعددة وانما العيب فى أننـا لم نحسن اسـتخدامها •

وأخيرا يرفض دعوة بعض معاصريه الى احتقار كل ما جاءت به الفلسفة المدرسية ويرى أن الأفضل أن نميز بين الطيب والخبيث وأن نأخذ الطيب ونترك الخبيث •

هـذا ولم يكتف ليبنتز بذكر هـذه الملاحظات وانما اهتم بتأليف كتاب كامل جعل عنوانه « أبحاث جديدة فى الفهم الانسانى » يرد فيه بتفصيل على ما ذكره بايجاز فى هـذه الملاحظات •

وهذا ما سنعرضه فى الباب القادم الخاص بالغرض التحليلى لنظرية المعرفة •

(ب) نظـرية المعرفة عنـد ليبنتز :

تميزت فلسفة ليبنتز بالطابع التحليلى الذى يسعى الى تحليل كل فكرة من الأفكار ليصل الى ما تتضمنه من علاقات وتصورات وليستخلص ما يمكن فيهـا من مبادىء وقوانين • واذا كان تحليله لفكرة الجوهر والوحدة العنصرية قد أدى به الى اعتبار العالم الخارجى عالما يتكون من وحدات حقيقية وظواهر محكمة البناء ، أى من روح ومادة ، فان تحليله لفكرة الروح ــ والروح الانسـانية بصفة خاصـة ــ سينتهى الى تحديد نظريته فى المعرفة •

لقد رأينا فى حديثنا عن الوحدات العنصرية أنه قد قرر أن هـذه الوحدات لا يختلف بعضها عن بعض الا من حيث أنها تعبير عن العالم من وجهة نظرها الخاصـة والا من حيث درجة وضوح ما لديها من ادراكات ، بعض الادراكات واضح ومتميز وبعضها غامض وبعضها الآخر متناهى الصغر بحيث لا نشعر به رغم وجوده فعلا • كما رأينا كيف رتب ليبنتز هـذه الوحدات العنصرية حسب وضـوحها ترتيبا يتسلسل من الانتلخيا الى النبات فالحيوان فالانسان • يتميز الانسان بالمقدرة على الوعى الذاتى والتفكير بحيث يصل الى الأفكار والاستدلالات وما يتبعها من اكتشافات علمية ومعارف وتقدم •

هـذه الاستدلالات اذا اعتمدت على أفكار كافية ومتميزة وواضحة تؤدى الى معرفة الحقائق الضرورية ، واذا اعتمدت على أفكار يشوبها الغموض أو عدم الكفاية فانها تكفى لمعرفة العالم الخارجى بما فيـه من حقائق عرضة(١١) •

يقرر ليبنتز أن المعرفة فطرية ومكتسبة معا ويرفض أن يوجد تعارض بين هذين النوعين من المعرفة وبالتـالى يتخذ موقفا مخالفا للنظريتين السائدتين فى عصره : النظرية الديكارتية التى ترى أن المعرفة فطرية •

(١١) Ruth Lydia Saw, Leibniz 201.

ونظرية لوك التى تعتبرها مكتسبة : حقائق الاعداد مثلا فطرية ولكن هـذا لا يمنع من تعلمها وكذلك الحال بالنسبة للعلوم الأكثر تعقيدا ؛ بالرغم من أن معرفتنا لها مكتسبة وتجريبية الا أن معرفتنا الفطرية لهذه العلوم كامنة فى نفوسنا شأنها فى ذلك شأن الخطوط الموجودة فى المرمر ، فان وجودها يسبق معرفتنا أنها موجودة •

وبعبارة أخرى انتهى ليبنتز الى القول بأن المعرفة فطرية ومكتسبة ، فطرية بمعنى أن الذهن لديه القدرة على معرفتها وأن هذه المعارف تنبثق من داخل الوحدة العنصرية ومكتسبة بمعنى أنها تتأثر بما تثيره أدراكاتها للعالم الخارجى وما تمدها به تجاربها من مادة خام تتيح الفرصة لنقـل ما لديها من أفكار موجودة بالقوة الى الوجود بالفعل • تتقبل الوحدة العنصرية باستمرار الانطباعات الخارجية ثم تحليلها بفضل ما لديها من قوة نشطة الى معارف وأفكار ، ولكن هذه الأفكار لا تكون واضحة ومتميزة منذ البداية ، بل تبدو لأول وهله مختلطة وغامضة ولن تكتسب الوضـوح والتميز الا عندما تصبح موضوع تفكير الوحدة العنصرية ووعيها •

لهذا رفض ليبنتز الرأى القائل بالتناقض بين المعرفة الفطرية والمعرفة المكتسبة ، ويقرر وجود أفكار كامنة فى نفوسنا لا يحققها ولا ينقلها من الوجود بالقوة الى الوجود بالفعل الا ما تثيره الاشيـاء الحسية وما يصاحبها من معرفة مكتسبة • وقد اعتمد ليبنتز فى الربط بين الفطرية والاكتساب على اعتبار الوحدة العنصرية كائنا كاملا يحتوى فى ذاته كل معارفه ويتصل بالعالم الخارجى وما فيه من وحدات عنصرية أخرى تثير ما يمكن فى ذاته من ادراكات ومعارف • وهنا يطرح السؤال : كيف حدد ليبنتز موقفه من نظريتى ديكارت ولوك ؟

رفض ليبنتز تقرير ديكارت حدا فاصلا بين التفكير الواضح والمتميز من جهة وما عداه من جهة أخرى اذ أن ذلك يدعو الى انكار الأفكار الغامضة وعـدم الاعتراف بحقيقتها • كما رفض الاكتفاء بمبدأ عـدم

التناقض وحده لأنه لا يتفق مع الحقائق العرضية ؛ ورأى أن الوضوح فى الأفكار وتميزها لن يكون له قيمة ما لم يكن لدينا ما يؤيد هـذا الوضوح والتميز وبالتـالى لا يريد أن يجعل تقـرير وجودنا كمقدمة للحقائق الأخرى •

وكذلك الأمر بالنسبة لنظرية لوك التى تعتبر العقل لوحة خاليـة تنطبع عليهـا ما تثيره الحواس عند اتصالها بالعالم الخارجى فقد اعترف ليبنتز بنوعى المعرفة : الفطرية والمكتسبة ولم يقتصر على هـذا المفهوم الضيق وسعى الى تصور المعرفة تصورا عاما يشـمل الحقائق التجريبية والحقائق الضرورية ، فالمعرفة لا يمكن أن تكون حدسية كلها لأننا لا نستطيع مقارنة الأشـياء مباشرة باستمرار ولن تكون استدلالية دائمـا لأننا لا نستطيع الوصول دائما الى الأفكار المتوسطة وكذلك لن تكون حسية دائمـا لأن معرفتنا الحسية تنحصر فى معرفة الأشياء التى تؤثر فى اللحظة الراهنة على حواسنا • الواقع أن معرفتنا تجمع بين الحدس والاستدلال والحس •

وباختصار ارجع ليبنتز خطأ كل من ديكارت ولوك الى تجاهل كل منهما عاملا من العاملين الهامين فى المعرفة ؛ وهما الضرورى والعرضى • يمكن قبول رأى ديكارت اذا كانت المعرفة كلها ضرورية ويمكن قبول رأى لوك إذا كانت المعرفة كلها عرضية • ولكن الحقيقة ان المعرفة الانسانية تحتوى عليهما معا • والنظرية الصحيحة هى التى تضمهما معا وهى التى انتهى اليها خلال تحليله لفكرة الوحدة العنصرية وتحديد صلة المعرفة بالحقيقة من جهة وبالأفكار من جهة أخرى •

فما هى هـذه الصلة ؟

رأى ليبنتز أن وجود العالم الخارجى يؤكد وجود حقيقتين لا شك فيهما ، الأولى أننا نفكر والثانية أن أفكارنا مختلفة اختلافا كبيرا • عن الأولى ينتج أننا موجودون وعن الثانية ينتج وجود شىء آخر خلاف أنفسنا ؛ هو علة ما فى أفكارنا من اختلاف •

يقرر ليبنتز وجود نوعين من الحقائق : حقائق عرضية تتناول ما فى العالم الخارجى من موجودات مادية وتعتمد على الخبرات الحسية والتجريبية ولا تحتاج الى دليل قبلى ، بل يكتفى لتفسيرها دليل بعدى يبرهن على علتها الكافية ، ويوضح ما بينها من ارتباطات محكمة ويميز بين الارتباطات الحقيقية والارتباطات الوهمية . وحقائق ضرورية تعتمد على الدليل القبلى الذى ينبع من أنفسنا ويوضح عدم تضمنها على تناقض ويوصل الى ما تتضمنه من علاقات وارتباطات يقينية يقينا مطلقا .

ولكى تشمل المعرفة هذين النوعين من الحقائق لابد وأن يتسع معناها وتكون اما معرفة متميزة أو غامضة ، حملية أو شرطية أو حدسية ، كافية أو غير كافية . ولا تقتصر على ما أراده لوك من كونها البحث عن التوافق أو عدم التوافق . ان المعرفة بمعناها الواسع قادرة على تناول كل ما تتضمنه من أفكار وهنا يطرح السؤال :

كيف يدرك العقل الأفكار ؟

يقول ليبنتز من خلال عرضه لنظريته فى الأفكار : « فى مستطاع الروح أن يتمثل أى صورة أو أى شىء عندما تتاح له فرصة التفكير فيه . وأعتقد أن هذا يدل على أن الفكرة المتمثلة موجودة فى الروح سواء كنا نفكر فيها أو لانفكر ، الروح تشتمل على فكرة الله وسائر الماهيات والموجودات ، هذا يتفق مع مبادئى ، اذ من الطبيعى ألا يكتسب العقل شيئا من الخارج ، وأعتقد أن من الخطأ القول أن الروح يتقبل الرسائل كما لو كانت له نوافذ وأبواب » .

ويتساءل ليبنتز فى كتابه « الأبحاث الجديدة فى الفهم الانسانى » : هل الروح لوحة خالية من كل أثر أم أنه مشتمل أصلا على مبادىء كثير من النظريات والأفكار التى تثيرها الموضوعات الخارجية ؟

وأجاب ليبنتز بوجود الأفكار الفطرية التى يقسمها الى أفكار بسيطة وأفكار مركبة ، أفكار تأتى من حاسة واحدة وأفكار تأتى من أكثر من حاسة ، أفكار تنبع من الذهن مباشرة وأفكار

يشترك فى اظهارها الحس والفكر معا • ويبين مدى أهمية الادراك فى معرفة هذه الأفكار والتمييز بين الأفكار البسيطة والمركبة ، الصحيحة والخاطئة ، الحقيقية والوهمية وينتهى ليبنتز الى تقرير تداعى هذه الأفكار وارتباطها ببعضها ارتباطا يتيح معرفتها وبالتالى يؤكد خطأ لوك فى انكاره وجود الأفكار الفطرية وعدم الاعتراف الا بالأفكار التى يؤيدها الواقع الخارجى •

ومن الطبيعى أن يحاول ليبنتز تحديد ما يقصده بالأفكار الفطرية التى لا تعتمد على الحواس ويقارن بين الفكرة التى تقرر أن السكر ليس مرا ، وهى فى نظره فكرة غير فطرية ، والفكرة التى تقرر أن المربع ليس دائرة ، وهى فكرة فطرية ، وذلك لأن معرفة الحلاوة والمرارة تأتى عن طريق الحواس فى حين تعتمد معرفتنا للمربع والدائرة على الذهن •

أما كيف يميز ليبنتز بين الأفكار الحسية وغيرها فيظهر مما قاله فى مقالته « ما بعد الطبيعة » : « كما أن من الممكن الاعتراف بتأثير الجواهر بعضها فى بعض فان من الممكن القول أننا نكتسب المعرفة من الخارج عن طريق الحواس لأن بعض الأشياء الخارجية تحتوى على بعض الأسباب الجزئية التى تحدد موقف أرواحنا من بعض الأفكار • هذه الأفكار الحسية ستكون أفكارا قابلة للتأثير ولكنها ستكون أفكارا مختلطة لا تعبر الا عن العالم الخارجى » ويقصد ليبنتز بالأفكار الحسية تلك التى تعتبر عن الامتداد المكان وغيرها من العلاقات الخارجية فى حين أنه لم يعتبر فكرة المكان نفسها فكرة حسية ويقول : « أن الأفكار التى تأتى من أكثر من حاسة واحدة مثل تلك الخاصة بالمكان والشكل والحركة والسكون ، أفكار تعتمد على الحس العام ، أى على العقل نفسه ، لأنها أفكار تخص الفهم الخالص ولكنها تتصل بالعالم الخارجى ولابد من الاعتماد على الحواس لمعرفتها » •

معنى هذا أن ليبنتز يعتبر الصفات التى تبدو خارجية أفكارا حسية ويعتبر كل ما يدخل فى هذا الوجود الخارجى نفسه غير حسى ،

وبالتالى يعتبر كل الصفات المتعلقة بالوجود الخارجى صـفات مختلطة ولا تصلح أن تكون حالات للوحدات الروحية ، أما الأفكار المشتقة من الفكر والتى ستكون واضحة فهى تلك التى يمكن أن تصف حالات الذهن ومن ثم لابد وأن تكون شـيئا فعليا وليس ظاهرة من الظواهر •

وهذا يعنى أيضا أن الأفكار الحسية تتصف بالغموض وعدم القدرة على تمثل الأشـياء الخارجية تمثلا واضحا ، ولكن هـذا لن يحول دون اعتبارها فطرية هى الأخرى ، الاختلاف بينهما وبين الأفكار العقليـة اختلاف فى درجة الوضوح فحسب ، وسبب هـذا الغموض هـو أنها تتصل بالظواهر فى حين تتصل الأفكار العقليـة بحالات العقل وتصف شـيئا فعليا حقيقيا • الأفكار الحسية تمدنا بالحقائق العرضية والأفكار العقلية تمدنا بالحقائق الضرورية •

الادراكات المتناهية فى الصغر :

يعارض ليبنتز قول لوك أنه لا يمـكن أن يحدث شىء دون أن يشـعر به العقل وتمسكه بانكار الاحساسات التى لا نشـعر بها وتساءل مبينا خطأ لوك قائلا : « كيف نفسر محتويات الذاكرة وما تتضمنه أفعالنا العادية وميولنا ؟ يستحيل تفسيرها اذا أنكرنا وجود هـذه الاحساسات التى لا نشعر بها وضرب مثالا الفروق التى نجدها فى المرمر ، فهى موجودة فعلا حتى قبل أن نعرف أنها موجودة ، وكذلك الحال بالنسبة لنا ، اذ لابد من وجود بعض الأفكار منـذ البداية حتى وان كنا لا نعرف أنهـا موجودة ،ويذكر دليلا ثالث يؤيد وجود هـذه الادراكات التى لا نشعر بها ويقول أنه من المستحيل أن نفكر باستمرار فى كل أفكارنا ، والا فان الذهن سيفكر فى كل فكرة الى ما لا نهاية دون أن يستطيع الانتقال من فكرة الى أخرى • مثلا عندما ندرك وجدانا معينا فان الذهن سيفكر فى هـذا الوجدان ثم يفكر فى أنه يفكر فى هـذا الوجدان وهكذا الى ما لا نهاية •

يميز ليبنتز بين الادراكات المتناهية فى الصغر والادراكات الغامضة: الادراك الغامض لا نشعر بكل أجزائه ويعطينا معرفة غامضة ، ويجعلنا غير قادرين على ذكر كل العلاقات المطلوبة للتمييز بين الشىء الذى نريد معرفته وغيره من الأشـــياء • أما الادراك المتناهى فى الصغر فادراك على درجة من الدقة والصغر بحيث يصعب على الذهن ادراكه مباشرة وتمييزه عن غيره وعـــدم ادراك الذهن له لا ينفى وجوده ، بل هو موجود فعـــلا فى الذهن وأن كنا لا ندركه الا اذا تجمع مع غيره من الادراكات فالادراكات المتناهية هى الصغر فى حاجة الى أن تصل الى حجم معين حتى يتمكن العقل من ادراكها •

تقرير وجود الادراكات المتناهية فى الصغر ساعد ليبنتز فى اثبات نظرية الأفكار وأن العقل ليس لوحة خالية كما ساعد فى اثبات ذاتية اللامتشابهات التى تقرر اختلاف الوحدات العنصرية بفضل ما فيها من اختلاف فى درجة وضوح ادراكاتها ، وبالتالى تعتبر تطبيقا لمبدأ الاتصال فى المجال العقلى : كما أن الطبيعة لا تعرف الانتقال المفاجىء ، بل هى تنتقل من حالة الى أخرى انتقالا تدريجيا يمر بكل الحالات المتوسطة ، كذلك الأمر بالنسبة لادراكاتنا واحساساتنا ، فالعقل لا ينتقل من ادراك الى آخر الا بعد أن يمر بما يتوسطهما من ادراكات • وأخيرا ساعدت فى التوفيق بين نظريتى لوك وديكارت وجعلته يعترف بالمعرفتين معـــا معتمدا فى ذلك على منهجه التحليلى للقضايا والأفكار • فما هو اذن هذا المنهج التحليلى الذى استخدمه ؟

منهج ليبنتز :

اهتم ليبنتز بالمنهج الرياضى منـــذ أن كان طالبا فى جامعة «ليبزج» حيث تتلمذ على أســـتاذه يعقوب توماسيوس jacob Thomasius
وقدم بحثه عن « مبدأ التفرد » Principe de l'individualite
ثم انتقل الى جامعة « يينا » Yena ودرس التاريخ والرياضة على يد أستاذه « ايرهارد فيجل » Ehrard Weigel وحاول فى هذه الفترة

تطبيق المنهج الرياضى على كل الدراسات ونشر بحثه « فن الارتباط » L'art de combinatoire سنة ١٦٦٦ وكان هذا البحث بمثابة الأساس الأول لما تعرض له من دراسات فى العلم الكلى ثم بدأ فى تأليف لغة عالمية يتفاهم بها الجميع على أن تؤخذ عناصرها من جميع اللغات •

أما اهتماماته بالمنهج الفلسفى فلم تظهر الا عندما نشر رسالته عن « اساوب نيزوليو الفلسفى » de Stylo Philosophico Nisolii وفيزوليو هذا كان من كتاب عصر النهضة فى ايطاليا فى القرن السادس عشر دافع عن المحدثين ضد المدرسيين ، وحاول ليبنتز فى رسالته أن يوضح خصائص الأسلوب الفلسفى الثلاثة وهى : « الوضوح والصحة واللياقة » وقد نقد ليبنتز نيزوليو لأنه لم يميز بين الفلاسفة القدماء والمدرسين ولأنه لم يعترف بعظمة توماس الكوينى ومكانته الفكرية •

وفى سنة ١٦٨٤ كتب مخطوطه
Meditationes de Cognitione Veritate et idéis.

ومخطوطه :

de scientia unversali seu Calcule philosophico

حيث يعرض أسسه المنطقية ويظهر اهتمامه بتحليل القضايا واخضاعها لصورة الموضوع والمحمول ويقول فى خطاب الى أرنولد سنة ١٦٨٦ « اذا ما حاولنا فحص الفكرة التى لدينا عن كل قضية صادقة فاننا نجد أن فكرة الموضوع تتضمن كل ما يدخل فيها من محمولات سواء كان ضروريا أو عرضيا ، ماضيا أو حاضرا أو مستقبلا[١٢] •

وفى هذا الصدد أكد « رسل » ان فلسفة ليبنتز الحقيقية التى تعتمد على المنطق اتخذت أساسا لها مبدأى التناقض والعلة الكافية ،

(١٢) Mary Morris ; philosophical witings p. 71, 73.

وصاغت نظريته فى قضية أساسية تقرر ان موضوع القضيه الصادقة يتضـــمن محمولاتها ومن ثم يمكن اثبات كل الحقائق قبليا عن طريق التحليل وتصبح الحقائق كلها تحليلية(١٣) •

هــذا التحليل للموضـــوع لنصل الى ما يرتبط به من محمولات سيكون كاملا فى القضايا الضرورية المعتمدة على مبدأ عـــدم التناقض أما فى القضـــايا العرضـــية فيكفى الوصـــول الى علة كافيـــة تبرر وجودها هكذا •

وقد حاول ليبنتز تطبيق منهجه التحليلى هـــذا على نظريته فى الجوهر وفى الوحدات العنصرية (المونادا) وفى مجالات الأخلاق والدين • ولم يعد تحليل الموضوع يهدف الى الوصول الى الوضوح والتميز كما أراد ديكارت وانما أصـــبح يهدف الى الوصـــول الى ما يرتبط به من محمولات •

ففى مجال الطبيعة مثلا انتهى اقتناعه بنظريته المنطقية فى القضية التحليلية الى تطبيقها على مشكلات العالم الخارجى والى تصور جديد للمادة ترتب عليـــه تعديل جوهرى فى نظرية الحركة الديكارتية وذلك بأن أدخل عنصرا جديدا هو القوة ، وترتب عليـــه تدعيم علم الديناميكا وتزويده بالمبادىء المنطقية الدقيقة التى تفسر ما يتناوله من ظواهر تفسيرا علميا وصحيحا(١٤) •

وباختصار اعتمد ليبنتز على مبدئه المنطقى فى تفسير المـــادة والقوة والحركة والمكان والزمان تفسيرا تحليليا يجعل من المـــادة موضوعا ويجعل من القوة والمقاومة والحركة والوضع وغيرها من الصفات محمولا لهذا الموضوع • وأخيرا يجعل المـــادة ظاهرة محكمة البناء وليست جوهرا ،

(١٣) B. Russell ; p 4.

(١٤) Emile Ban Biema l'espace et le temps chez libniz et Kant, p 161, 174, 188, 191.

وبالتـــالى فهى تخضع لمبدأ العلة الكافية الذى يفسر لمـــاذا هى كذلك وليست خلاف ذلك •

وفى مجال ما بعد الطبيعة واللاهوت يستخدم هـــذا المنهج التحليلى فى اثبات وجود الله ويرى من الضرورى أن تتقدم فى ما بعد الطبيعة بنفس الدقة التى استخدمها أقليدس فى الهندسة • ويعلن أن من الواجب أن تلعب ما بعد الطبيعة بالنسبة للعلوم الأخرى نفس الدور الذى تلعبه الهندسة بالنسبة للعلوم الرياضية • فالفلسفة الحقيقية يجب أن تخدم الدين بان ترفعنا الى الله وتجعلنا نعرفه ونعجب به ، ولكن لا سبيل لتقديم ما بعد الطبيعة الا باتباع القواعد الخاصـــة بالمنهج الرياضى ، فهى التى توصلنا الى براهين دقيقة عن وجود الله[١٥] •

ويبرر ليبنتز دعوته الى تطبيق المنهج الرياضى على اللاهوت بقوله : « أن خالق الأشـــياء يتصرف كمنهدس ماهر • أو بقوله « أن الله يعمن كل شيء تبعا لقوانين الرياضة ، أو كما يقول فيثاغورس أن الله خلق كل شيء تبعا للأوزان والقياس والعدد » •

ولمـــا كان التحليل التام لا يساعدنا فى اثبات وجود الله لأنه مستحيل بالنسبة لنا ، فان التحليل الجزئى يمكن أن يكون أساس البرهنة على وجود الله وبالتالى حاول اثبات وجود الله بطريقتين احداهما قبلية والأخرى بعدية • الاتجاه البعدى يعتمد على فكرة القوة التى اعتبرها العلة القريبة لمـــا فى العالم الخارجى من موجودات ، ثم يحاول تحليل فكرة العالم الجسمانى ويظهر عدم كفايته وضرورة استنتاج محرك أول • أما الاتجاه القبلى فقد اعتمد عليـــه ديكارت وأسبينوزا وغيرهما باستدلال الموجود من فكرة الله نفسها • وقد رأى ليبنتز عـــدم كفاية هـــذه الأدلة القبلية وضرورة اكمالها باظهار ان مجرد أمكانها يكفى لاثبات وجود

---

(١٥) Joseph Iwancki; Leibniz et les demonstrations mathematiques de l'existence de Dieu p 102.

الله • ويعلن فى كتابه « أبحاث جديدة فى الفهم الانسانى » : « أنه يمكن اثبات فكرة الله وأمكانها ووجودها بأكثر من طريقة ، حتى التناســق الأزلى نفسه يمدنا بوسيلة جــديدة لا شك فيها • كل الوسائل التى استخدمت من قبل فى اثبات وجود الله مقبولة وجيدة ويمكن استخدامها اذا أكملناها • وأنى لا أوافق مطلقا على استبعاد الأدلة المســتخدمة من نظـــام الأشياء »[١٦] •

وفى ســنة ١٦٨٦ دعا ليبنتز فى بحثه « مشروع لفن الاختراع » الى البحث عن اليقين والدقة فى براهيننا واستدلالاتنا • لقد اطلع على محاولات السابقين له فى هــذا المجال وخاصــة ريموندليل وفرنسيس بيكون واتضح له أن هــذه المحاولات ينقصها التحليل الكامل وأخــذ على عاتقه أن يقيم منهجا جديدا عرضه فى الخصائص الكلية Caracteristique Universelle وفى فن الارتباط وفى بحثه « اللغة العالمية » Langue Universelle حيث يقول : « أن الخصائص التى تعبر عن كل أفكارنا ستكون لغة جديدة يمكن كتابتها ونطقها ، هــذه اللغة من الصعب تأليفها ولكنها ســهلة التعلم • سيقبلها الجميع بسرعة وســهولة ولن يخطىء من يستخدمها اذ ستجنبه أخطاء الحســاب والقواعد والتركيب ••• وكل ما أسعى اليه الآن هو أن يتحقق هــذا المشروع اذا ما أطال الله فى عمرى خاصة وانى لا أدين لأحــد فى اختراعه ، اذ جاءتنى فكرته الأولى وأنا فى الثامنة عشر من عمرى كما بينت من قبل فى فن الارتباط » •

وفى الخصائص الكلية « يقرر أن دراستنا لموضوع ما لابد وان نخطو خطوتين : فى الخطوة الأولى نبحث عما فى هــذا الموضوع من تصورات بسيطة ، وفى الخطوة الثانية نبحث عما بين هــذه التصورات البسيطة من علاقات ، ثم علينا بعد ذلك أن نحاول التعبير عن هــذه التصورات البسيطة بعلامات أو خصائص رياضية • ولكى نحقق الخطوة

---

(١٦) Leibniz ; Noveaux Essais ; p 386, 387.

الأولى لابد وان يكون لدينا قائمة كاملة من التعريفات لأنها هى التى ستكون وسيلتنا فى الوصــول الى التصورات البسيطة ، وهى التى تساعدنا فى تشــييد أبجدية حقيقية للأفكار ، وبالتالى من الضرورى تأليف قاموس منطقى يمكن تسميته « دائرة معارف » تصبح الوســيلة الوحيدة الممكنة لتيسير الاختراع وتقدم العلم وتوفر علينا البحث من جديد عما هو موجود فعلا •

وفى الخطوة الثانية أى عند الانتقال من التعريفات الى التصورات الأولية أو البســيطة علينا أن نعتمد على الاســتنباط أو الاستقراء : الاســتنباط يساعد فى استخراج فكرة ما من فكرة أخرى ، أو استنتاج نتيجة من مقدمات وتحديد ما بينهما من علاقات • أما فى الحالات التى لا يساعدنا الاســتنباط فى الوصــول الى ما بين الفكرتين أو الواقعتين من علاقة فاننا نلجأ الى الاستقراء ، وخاصة فى الوقائع التى تتصل بما فى العالم الخارجى من حقائق عرضية •

وأخيرا علينا أن نترجم هــذه العلاقات التى تقوم بين التصورات التى حصلنا عليها الى حدود رياضية ، والا فلن نخرج من اللغــة العادية غير المضــبوطة وغير الكاملة ، ولن نتخلص مما يشــوبها من غموض واختلاط •

وجدير بالملاحظــة أن ليبنتز تناول فى بحثــه « فن الارتباط » العلامات signes التى يمكن أن نعبر بها عما بين التصورات والأفكار من علاقات تعبيرا واضحا ومتميزا ، وقد لجأ أولا الى الاعداد ويضرب لنا مثالا فيقول : « نضع لكل من الحدود البسيطة عددا معينا ثم نرمز للحدود المركبة بحاصل ضرب هــذه الحدود البسيطة ، فلو رمزنا لكلمة حيــوان بالعدد «٢» ولكلمة عاقل بالعدد «٣» فان التعبير عن كلمة « انسان » هو ٢×٣ = ٦ • وقد سيطرت هــذه الفكرة على ذهن ليبنتز حتى ســنة ١٦٧٩ حيث عدل الرموز ولجأ الى رموز أخرى ذات طابع جبرى نشرها فى بحثه Specimen do Calcul universel. •

وحاول تطبيقها فى بحثه « اللغة العالمية » بعد أن اتضح له أن هـذه الرموز التى قد تصلح للتعبير عن العلاقات القائمة بين التصورات البسيطة لا تصلح للتعبير عن علاقات المكان والزمان ، والفعل والانفعال ، وغيرها من العلاقات التى تخص أفكارنا وبالتالى وجد من الضرورى البحث عن لغـة عقلية Iangue rationnelle ذات قواعد خاصـة ساعدنا فى التعبير عن أفكارنا تعبيرا واضحا وضوح العمليات الرياضة .

خلاصة القول اذن ان محاولة ليبنتز ربط المنطق بالرياضة بقصد الحصول على منطق رياضى تحليلى يساعد على استدلال ما يتضمنه الموضوع من محمولات ويظهر أهمية مبدأ عدم التناقض باعتباره المبدأ الذى يعطينا التعريف الحقيقى الذى لا يتضمن تناقضا ويقرر صدق القضية أو كذبها . كما يظهر أهمية مبدأ العلة الكافية عندما لاحظ أن تحليلنا لتصور ما أو لفكرة ما قد لا يؤدى الى ما نعتمد عليـه من أفكار أولية بسيطة وخاصة التصورات التى تتصل بالعالم الخارجى والتى يلزمها دليل تجريبى يحقق صدقها أو كذبها(١٧) .

وقد لاحظ ليبنتز أنه فى حاجة الى منهج يكمل هـذا المنهج التحليلى حتى يستطيع الوصـول الى الاختراعات والاكتشافات . هـذا المنهج الجديد يسميه « فن التركيب » ويشمل كل التركيبات الممكنة لأى فكرة بسيطة بحيث لو أمكن تكوين قائمة من الأفكار البسيطة أمكن أن نحصل على قائمة تتضمن كل ما يمكن أن يوجد فى العالم من أشياء لنفرض مثلا أننا رمزنا لخمسة أفكار بسيطة بالرموز ا ، ب ، جـ ، د ، هـ ، فمن الممكن أن نحصل على المركبات الآتية : أ ب ، أ ب جـ ، أ ب جـ د ، أ ب جـ د هـ

أو أ جـ ، أ ب د ، أ ب د هـ

أو أ د ، أ هـ .... وهكذا .

---

(١٧) Clodius Piat, Leibniz p. 71 - 102.

ويمكن أن نجمل أهم الأفكار الرئيسية التى توصل اليها من خلال منهجه التركيبى فيما يلى :

١ ـ من الممكن ارجاع جميع التصورات الى تصورات بسيطة بعملية تشبه تلك التى نصل بها الى المعاملات الأولى للأعداد •

٢ ـ يمكن تركيب كل التصورات المركبة اذا ما رتبنا البسائط •

٣ ـ لا يوجد الا عدد قليل من الأفكار البسيطة ولكن يتولد عنها الكثرة بفضل التركيب •

٤ ـ يجب أن نرمز للأفكار البسيطة برموز بسيطة وللأفكار المركبة برموز مركبة ، الرمز المركب تعريف للتصور المركب •

٥ ـ يتكون التفكير من كشف الغطاء عن كل العلاقات الموجودة بين البسائط(١٨) •

من الطبيعى أن يتعرض ليبنتز لمحاولات الديكارتيين ولاحظ :

١ ـ محاولتهم تقسيم الموضوع الى عدد من القضايا الصغيرة يدفع الذهن الى التشتت ، ولهذا يفضل ليبنتز أن نميز بين القضايا الهامة والقضايا الأقل أهمية أو التافهة •

٢ ـ لاحظ أن من يستعمل القضايا فى استدلالاته لا يعرف متى يجب أن ينتهى ، لأن القضايا تذهب الى ما لا نهاية •

٣ ـ لاحظ ليبنتز أننا نفترض بديهيات من الممكن البرهنة عليها وبالتالى لا تكون فى عداد البديهيات •

٤ ـ اخضع ديكارت ارتباط الأشياء والأفكار لمبدأ واحد ، وعلى ذلك فان الحكم عليها لابد وأن يعتمد على ما فيها من وضوح ذاتى أو خلوها من التناقض • وقد أدى ذلك بديكارت والديكارتيين وأسبينوزا الى جعل المنطق لا يهتم الا بالقضايا الذاتية التى يؤدى نفيها الى تناقض وأهملت غيرها من القضايا • وبعبارة أخرى اختصت بنوع معين

---

(١٨) R. L. Saw; p 212, 213.

من الحقيقة مع انه يوجد أنواع أخرى من الحقيقة يلزمها مبدأ آخر ويقول فى بحثه « الوحدات العنصرية » (المونادولوجى) : « براهيننا مؤسسة على مبدأين عظيمين : مبدأ عدم التناقض الذى بفضله تحكم ببطلان كل ما هو متناقض وصدق كل ما يعارض أو يناقض ما هو باطل . ومبدأ العلة الكافية الذى به لا نعد أى واقعة قائمة فى الواقع أو موجودة فى الوجود الفعلى ، لا نعد أى قضية صادقة ما لم يكن لها علة كافية تبين لماذا كانت الواقعة أو القضية على ما هى عليه ولم تكن على نحو آخر ، على الرغم من أن هذه العلل فى معظم الحالات تظل خافية علينا » (الفقرات ٣١ ، ٣٢) .

ويقول فى كتابه « مبادىء الطبيعة والعناية » سنة ١٧١٤ :

« لقد تكلمنا حتى الآن كعلماء طبيعة ويجب أن نرتفع الى ما بعد الطبيعة مستعملين المبدأ العظيم الذى لم يستعمل بعد الاستعمال اللائق به والذى يقرر أنه لا يوجد شىء بدون علة »[١٩] .

ويقول فى خطاب الى كلارك سنة ١٧١٥ : « لكى نتقدم من الرياضة الى الفيزياء لابد من مبدأ آخر هو مبدأ العلة الكافية وقد استخدمه أرشميدس عندما أراد التقدم من الرياضة الى الفيزياء فى كتابه (فى التعادل) On Equilibrum وان كان قد اكتفى باستخدامه فى حالة جزئية ، وذلك عندما أظهر أنه اذا وجد ميزان يتساوى ما فى كفتيه فاننا لو وضعنا فى هاتين الكفتين وزنين متساويين فانه سيبقى فى حالة سكون وذلك لعدم وجود علة تبرر أن يهبط أحد الجانبين أكثر من الآخر . أما الآن فان هذا المبدأ وحده أى العلة الكافية لوجود الأشياء وهكذا دون أن تكون خلاف ذلك ــ يمكنه اثبات كل ما يتعلق باللاهوت وما بعد الطبيعة والفيزياء»[٢٠] .

(١٩) R. Latta . p 58, 90.

(٢٠) M. Morris p 35.

وهكذا حرص ليبنتز على عدم الاكتفاء بمبدأ عـدم التناقض كما فعل ديكارت كما حرص على أن يحاول تطبيقه فى جميع المجالات مؤكدا ان فحص فكرة أية قضية صادقة لابد وأن ينتهى الى أن فكرة الموضوع تتضمن كل ما يدخل فيها من محمولات سواء كان ضروريا أو عرضيا ، ماضيا أو حاضرا أو مستقبلا •

لقد اتخذ ليبنتز موقفا وسطا بين ديكارت وأرسطو ، فهو يتفق مع ديكارت فى الاهتمام بالمنهج الرياضى وامكان تطبيقه فى كل مجالات المعرفة وان اختلف معه فى عدم الاكتفاء بتحليل الحقائق الضرورية • ويتفق مع أرسطو فى اعتبار القضية ذات الموضوع والمحمول الوحدة الأولية التى تقوم عليهـا كل معرفة ، كما يتفق معه فى ضرورة الاهتمام بالقياس ويعلن أن القياس المدرسى مع أنه ممل وطويل بحيث يؤدى الى الاضطراب والخطأ وجمود الذهن ، الا أنه يعتقد — ان اختراع القياس من أحسن حسنات الذهن البشرى وأهمها ، اذ هو نوع من الرياضية الكلية التى لم تعرف بعد المعرفة الكافية التى تبين أهميته ، خاصـة وان استعماله الصحيح يعصمنا من الخطأ • كل ما فى الأمر أننا للاسف لا نعرف كيف نستخدمه • لهذا رأى ليبنتز ضرورة تصور القضية التى موضوعها يتضمن محمولاته تصورا أوسع وأشمل من تصور أرسطو وذلك بأن أدخل فيها القضايا الضرورية والعرضية ، كما رأى ضرورة الاهتمام بالاستدلال الرياضى الذى يسـاعد على تحليل القضايا للوصول الى القضايا الأولية البسيطة وبذلك يكون قد حدد الأساس الحقيقى لفلسفته وهو أن معرفتنا لابد وأن تعتمد على القضية التحليلية وحاول تطبيق هـذه القاعدة الأساسية فى مجالات الطبيعة وما بعد الطبيعة واللاهوت •

هـذا الاهتمام بالجانب المنطقى من فلسفة ليبنتز وما تعرض له من قضايا تحليلية دفع المهتمين بفلسفة ليبنتز من المعاصرين الى اثارة مشـكلة أساسية تتصل بصلة المنطق بما بعد الطبيعة وطرحت السؤال :

هل فلسفة ليبنتز فى صميمها تطبيق للمنطق فى مجال مابعد الطبيعة ؟

أم العكس أى أن منطق ليبنتز مجرد انعكاس لجوانب ما بعد الطبيعة وخاصة نظريته فى الوحدات العنصرية ؟

هذا ما سنعرض له فى حديثنا عن نقد ليبنتز عندما نعرض لموقف المعاصرين من هذه المشكلة .

نقد فلسفة ليبنتز

تحدثنا حتى الآن عن فلسفة ليبنتز وموقفه من رواد الفكر الفلسفى المعاصرين له وخاصة ديكارت وأسبينوزا ولوك كما قدمنا عرضا تحليليا للباب الرابع من كتابه « أبحاث جديدة فى الفهم الانسانى » والخاص بنظرية المعرفة وانتقلنا منه الى الحديث عن نظرية ليبنتز فى المعرفة ومدى اتفاقها أو اختلافها عن نظرية لوك وأخيرا تعرضنا للمنهج التحليلى الذى استخدمه ليبنتز فى تحديد ملامح فلسفته القائمة على مبدأى التناسق الأزلى والوحدات العنصرية وحاولنا مرة أخرى المقارنة بين المنهج التحليلى الذى استخدمه كل من ديكارت وليبنتز وبقى علينا أن نعرض لأهم النقاط التى تعرضت للنقد من معاصرى ليبنتز ومن المعاصرين لنا(٢١) .

١ ــ مفهوم المادة :

اعترض البعض على تصور ليبنتز للمادة بقولهم انه جعل المادة مثالية وفوق الحس وقد رد بياجيه على هذا الاعتراض فى مقدمته لكتاب « أبحاث جديدة فى الفهم الانسانى » بقوله « أن ليبنتز ــ فى رأيى ــ قد أثبت قبليا وبطريقة هندسية تقريبا ، أن المادة ، فى ذاتها ، تكون شيئا مثاليا وتفوق الحس . فمن البديهيات فى ما بعد الطبيعة

(٢١) بياجيه (مقدمة الترجمة الفرنسية) .

أن الله لا حواس له ولا يمكن أن يمتلك احساسات . فهو لا يمكن أن يشعر بالحر أو البرد ولا يحس برائحة الأزهار أو يسمع الأصوات أو يرى الألوان أو يحس بالاتصالات الكهربائية • وباختصار مادام الله عقل خالص فلا يمكن أن يتصور سوى المعقول الخالص ، ولا يعنى أنه يجعل أى ظاهرة من الظواهر الطبيعية وانما هو لا يعرفها الا بأسبابها المعقولة وليس بالانطباعات الحسية التى يحس بها المخلوقات ، المحسوس يفترض ذاتا حاسة وأعضاء وأعصاب وارتباط بين الأشياء معقولة • فالمادة اذن فى نظر الله ليست شيئا محسوسا ، والله لكونه عقلا مطلقا يرى بالضرورة الأشياء كما تكون ، وبالتالى فالأشياء فى ذاتها تكون كما يراها الله • المادة اذن فى ذاتها هى كما يراها الله ، وبما أنه لا يراها الا فى ماهيتها المثالية المعقولة فانها اذن شىء معقول وليست شيئا محسوسا ولذلك لا يمكن أن نلوم ليبنتز أنه جعل المادة مثالية مادام ذلك ضروريا لأى مذهب يقبل الكلمة المقدسة والنظام السابق تنظيمه •

٢ ـ الوحدات العنصرية :

تعرضت لاعتراضات نذكر منها :

(أ) اعتراض ايلر Euler :

فى خطاب له الى احدى أميرات ألمانيا يرتكز على أن من المستحيل أن نركب كلا ممتدا من عناصر غير ممتدة وينتهى الى أن النتيجة الضرورية لهذا المذهب هى أنكار حقيقة الامتداد والمكان والتورط فى مشكلات مثالية •

ويرى بياجيه أن من الممكن أن نفصل مذهب الوحدات العنصرية عن مذهب مثالية المكان وأن نرجىء كل الأسئلة المتصلة بالمكان ونحتفظ بها دون أن نشوه افتراض الوحدات العنصرية •

لنفرض مع الذريين وكلارك ونيوتن حقيقة المكان فلن يكون تصور الوحدات العنصرية في المكان أصعب من تصوير الذرات فى المكان : النقطة النشطة غير القابلة للقسمة يمكن أن تكون فى نقطة معينة من المكان واتحاد هـذه النقط النشطة يكون التجمعات التى نسميها جسما • ويكفى أن نفترض أن هـذه النقط من النشـاط تكون على مسافة من بعضها البعض حتى يمكن أن يحدث اتحادها انطباعا بالامتداد المستمر ، وكتنا يعرف أن للرخام مساما ؛ أى فراغات بين الأجزاء ولكن نظرا لاننا لا ندرك هـذه الفراغات بالحواس ، فان المـائدة المكونة من الرخام تبدو متصـلة ـ وباختصـار تتكون الأجسـام من عنصرين كمـا يقول للفيثاغوريون : الوحـدات العنصرية والفواصل • وكل ما بين ايبنتز والفيثاغوريين من اختلاف هو أن الوحـدات العنصرية عندهم مجـرد نقط هندسية وعند ليبنتز نقط نشطة ذات طاقة •

أما القول بصعوبة قبول أن تكون القوى غير الممتدة فى مكان فان ذلك ممكنا عند أولئك الذين يعتبرون الروح قوة غير ممتدة وجوهرا فردا ويقولون أنها فى مكان ؛ مع أنه ليس لها بماهيتها أى علاقة بالمكان • لا تناقض اذن فى نظر هؤلاء أن تكون قوة بسيطة فى مكان والا اضطروا الى انكار أن تكون الروح فى مكان ، أى أن تكون فى جسم ، بل وفى جزء معين من الجسم • أما الذين يعتبرون الروح فكرة الهية وصورة خالدة متحـدة مؤقتا بالفردية فانها فى هـذه الحالة ـ كما عند أسبينوزا ـ لا تكون فى مكان •

(ب) اعـتراض أرنولـد :

يرى أن مذهب الوحـدات العنصرية يضعف دليل المحرك الأول لأنه يســمح بتخمين أن المـادة يمكنها أن تتمتع بقوة نشطة وبالتالى بحركة تلقائية •

ويرى بياجيه أن رد ابينتز على هـذا الاعتراض لم يكن حاسما

وانما اكتفى بقوله بضرورة أن نلجأ الى الله لنفسر تنسيق المحركات • ومن ثم هو لم يتعرض للسؤال مباشرة لأن التنسيق دليل على النظام والترتيب وهو دليل مختلف تماما عن دليل المحرك الأول • ولكن نلاحظ ان ليبنتز لكى يقرر حقيقة القوة فى الجوهر الجسمى استخدم فكرة مقاومة الحركة أكثر من فكرة الحركة المفروض أنها تلقائية ، وعلى هـذا يمكن أن يكون أحـد أدلته الرئيسية هو أن الجسم الذى يتحرك عندما يتقابل مع جسم آخر يفقد من حركته بقدر ما يقابل من مقاومة الجسم الآخر ويسميه بالقصـور الذاتى أو المقاومة السلبية • تصبح هـذه المقاومة دليلا يكمل دليل المحرك الأول ولا ينقص من شأنه ، ما دام قبول أن عناصر الأجسـام مهيأة تلقائيا للحركة ، فان هـذا التهيؤ لا ينتقل الى الفعل الا بأثاره فعل غريب ،اذ لا يبدأ جسم فى الحركة الا بحضور جسم آخر • ليس من الضرورى طبعا أن يوجد السبب الأول للحركة فى الجسـم المتحرك ، فقد يكون سـببا كليا أو شاملا ، بل يكفى أن يكون سـببا مكملا completive كما يسميه المدرسون ، خاصة وأن ليبنتز يؤكد أن الفعل والوجود أمر واحد بالنسـبة لأى موجود وأن الجواهر السـلبية تماما تكون عدما خالصا •

٣ ـــ نظرية التناسق الأزلى :

١ ـــ أرنولـد :

يعترض فى خطاب مؤرخ ٢٨ سـبتمبر سـنة ١٦٨٦ بقوله أنه اقتنع بفكر الموضوع الذى يتضمن محمولاته وبقى فى شك فيما يختص قول ليبنتز أن الله يختار العالم من ممكنات لا نهاية لها ويتسـاءل : ما هو التعاون بين الجوهر أو ما يسمى بالانسجام الأزلى ؟ قد يؤلمنى شخص فى ذراعى وتؤكد روحى آلامى : أليس حركة تمزق الأنسـجة الجسدية هى التى تنتج الألم فى الروح ؟ أريد أن أرفع قبعتى أو أرفع ذراعى ، أليس رغبة الروح هى التى تنتج حركة الجسم ؟

يرد ليبنتز على هذا التساؤل بقوله بالتوازى النفسى الفسيولوجى وما يتبعه من قول بالادراكات المتناهية فى الصغر[٢٢] • ولكى يوضح علاقة الروح بالجسد رغم أن كلا منهما يعمل تبعا لقوانين خاصة يقدم مثال صانع الساعات ، الله ليس صانعا للساعات تنقصه المهارة مثل ذلك الذى تصوره مالبرانش ؛ بل هو صانع خبير وممتاز معا وذلك بان جعلها تبدأ معا ثم يترك العملية الميكانيكية تعمل وحدها بعد ذلك ، هذا هو موقف الصانع الكامل فى صناعته ، لقد وضع ابتداء من لحظة الخالق فى كل وحدة عنصرية ، وفى كل حالة كامنة كل ماستحتاج اليه من تصورات ، وقد ركبها بطريقة تجعل كل واحدة منها تبسط طبيعتها كما لو كانت وحدها فى هذا العالم ، ومع ذلك يجىء سلوكها متسقا فى كل لحظة مع سلوك الآخرين • هذا الاتساق لا ينقص من قوة الله بل على العكس هو خير دليل بعدى يمكن أن نقدمه لاثبات وجود اله منظور اليه على أنه كائن يمثل كل العلاقات بين الجواهر ، أما الوحدات العنصرية فلا يحكمها الا مبدأ تحقيق الأحسن والانسجام التام والنظام[٢٣] •

٢ ــ الأب فوشيه دى كاريل :

فى خطاب الى ليبنتز سنة ١٦٩٦ ينقد نظرية الانسجام الأزلى نفترض ان الله ينتج فى أرواحنا أفكارا معينة تتصل بحركات الأجسام ولكن لماذا لم ينتج هذه الأفكار بدون أن يتأثر فى عمله هذا بتوجيه الأجسام له ؟

وأجاب ليبنتز : « ان الله يفضل وجود كثرة فى الجواهر على وجود قلة منها ، ووجد انه من الأفضل أن تتصل تغيرات الروح بشىء اخرج عنها ، فالانسجام الأزلى يمكن أن ينظر اليه لعى أنه نظرية توازى

(٢٢) Emile Thouvrez discours de metaphysique p. 105, 106.

(٢٣) André Cresson; Leibniz p 43. 44.

بين التغيرات فى الأجسام التى تتم وفقا لقوانين طبيعية ، وتغيرات الروح التى تتم وفق قوانين نفسية وحدود المجموعتين يتصل بعضها ببعض فى كل نقطة بدون أن يتداخلا ، وكل منهما يبسط طبيعته بانتظام بغير حاجة للتدخل الالهى »[٢٤] .

٣ ـ ستارك Stark :

يرى أن ليبنتز اللاهوتى والفيلسوف بقيا شيئا واحدا وقد ساد كليهما فكرة الانسجام الآزلى بين الطبيعة والعناية ، وهى فكرة تزودنا بأبجدية الأفكار الفلسفية وتمكننا من التعبير عن كل شىء فى السماء والأرض . ولكن يعترضنا الصعوبة الآتية : اذا اعتبرنا أن الآلة الانسانية تحتوى على عدد لا نهائى من الأعضاء ، وأنها دائما عرضة للاصطدام بالأجسام التى تحيط بها ، وأن آلافا من التغيرات تطرأ عليها نتيجة هذه الصدمات ، فكيف يمكن تصور أن هذا الانسجام الأزلى لن يضطرب وأنه يجب أن يستمر طوال حياة الانسان ؟ ولنفرض أن كثرة الأعضاء والعوامل الخارجية ضرورية التغير اللانهائى فى الجسم الانسانى هل سيكون لهذا التغير الدقة المطلوبة ؟ هل لن يضطرب الترابط بين هذه التغيرات وتغيرات الروح ؟ ان هذا يبدو مستحيلا وعلى ذلك يمكن رفض نظرية ليبنتز باعتبارها مستحيلة ، ولاسيما أنها مرتبطة بصعوبة أكبر من صعوبة النظرية الديكارتية[٢٥] ، التى تجعل الحيوانات مجرد آلات . فهو يقرر انسجاما بين موجودين لا يؤثر احدهما فى الآخر ، حتى لو افترضنا أنها كالخدم يجب أن تطيع أوامر سيدها فلن نستطيع القول أنها تعمل هذا دون تأثير حقيقى من سيدها ، لأن السيد سينطق بكلمات ويصدر اشارات ستحرك أعضاء الخدم .

ويعتمد ستارك اذن فى نقده على نقطتين أساسيتين أولاهما احتمال وقوع اضطراب فى الارتباط الذى قرره ليبنتز بين الروح والجسد .

(٢٤) H.W. josoph lectures on the phil of leibniz p. 64.
(٢٥) W. Strak theodicy of leibniz p. 40, 14, 111.

والثانية استحالة تقرير الانسجام بين موجودين لا يؤثر احدهما في الآخر : القول بان الانسجام الأزلى يتطلب خضوع أحد الطرفين للآخر ولو خضوعا غير مباشر •

وللرد على هـذا النقد نقول ان ليبنتز عندما قرر نظرية الانسجام الأزلى أعلن منـذ اللحظة الأولى ان هـذا الانسـجام الأزلى دليل على قدرة الله وكماله ، فهو الذى خلق هـذا العالم من بين عوالم أخرى ممكنة لا حصر لها • وقد اختاره باعتباره أحسن عالم ، كما أنه سـبق ان قرر منذ اللحظة الأولى لخلقه كل ما سيتضمنه من تغيرات وتعديلات ، وما التعديلات والتغييرات سـوى محمولات متضمنة فى الموضوع ، وما انتقالها من الوجود بالقوة الى الوجود بالفعل الا بفضل ما منحها الله من تصورات وميول داخليـة تعمل وفق مبدأ الأحسن ؟ وبالتالى لن يحدث توقف أو خلل لأن أى نقص أو أى خلل فى هـذه الوحدات العنصرية ينقص من قدرة الله وكماله ومن ثم يستحيل تصور حدوث اضطراب فى علاقة الوحدات ببعضها •

أما القول بأن من المستحيل وجود اتساق بين موجودين لا يؤثر احدهما فى الآخر ، فمن الممكن الرد عليـه بما قاله ليبنتز فى الفقرة الرابعة عشر من مقال ما بعد الطبيعة « ان الله جعل من طبيعة كل جوهر أن يتأثر بما يحدث لغيره من الجواهر ، ولكنه عاد فقرر أن هـذا الأثر غير مباشر ، فمن المسلم به أن ادراكات وتغيرات كل جوهر تتجاوب مع ادراكات وتغيرات غيره من الجواهر وضرب مثلا وجود عدد من الأفراد فى موقف واحد ومكان واحد ولكنهم مع ذلك يعبرون عن هـذا الموقف كل من وجهة نظره الخاصـة • يكفى أن تكون هـذه التغيرات متناسبة وليس من الضرورى أن تكون متشابهة الله وحـده القادر على أن يرى العالم ليس فقط كما تراه الوحدات العنصرية المخلوقة بل قد يراه أيضا مخالفا لمـا نراه •

وباختصار الوحدات العنصرية لا تؤثر فى بعضها البعض مباشرة وأن كان هذا لا ينفى وجود تأثير غير مباشر وارتباط وثيق ينظم ما بينهما من تأثير غير مباشر ويحقق ما قدره الله من انسجام أزلى .

٤ ـ معنى الارادة :

فهم ليبنتز الارادة فهما جديدا يختلف عن فهم الديكارتيين ، سواء فى ذلك ارادة الله أو ارادة الوحدات العنصرية ويؤكد ليبنتز ان كل ارادة تتطلب علة ذاتية تفسر لـــماذا هى هكذا وليست خلاف ذلك . وبمعنى آخر ارادة كل وحـــدة عنصرية تنبع من ذاتها وتحقق ما تتضمنه من أفعال وتصبح العلة الكافية لتغيراتها . أما ارادة الله فقد اعتبرها ليبنتز علة ما فى الكون من تغير تبعا لمبدأ الأحسن وتحقيقا للانســـجام الأزلى ، أى أنه جعل ارادة الله تفصل بما فى هذا العالم من حقائق عرضية فحسب أما الحقائق الضرورية فيجب أن تعتمد على عقل الله وتصبح موضوعه الداخلى ولا صلة لها بارادته ، وهو فى هـــذا يعارض الديكارتيين الذين اعتقـــدوا ان صدق الحقائق الضرورية يعتمـــد على ارادة الله .

هـــذا التصور الجديد للارادة آثار كثيرا من الجدل بينه وبين الديكارتيين وخاصة أرنولد الذى رأى أن تصور ليبنتز لارادة الله يؤدى الى الحتمية التى تلغى حرية الله تماما ، لأنه اذا كانت كل فكرة فردية لكل جوهر تتضمن كل أفعاله فى المســـتقبل بضرورة افتراضية ، فان الممكنات تكون ممكنة قبل أن يأمر بها الله . وتبعا لذلك يخضع الله لعالم من الأفكار الحتمية أعلى منه . وانتهى أرنولد من نقده الى أن لتصور ليبنتز لارادة الله يتنافى مع التصور المسيحى .

ويرد ليبنتز على أرنولد مدافعا عن وجهة نظره التى تقرر أن الفكرة الفردية لكل جوهر تتضمن مرة واحدة كل ما سيحدث له والتى استنتج منها أرنولد أن كل ما يحدث للفرد بل لكل الجنس البشرى يجب أن تحدثه

الضرورية الحتمية ، وأعلن ليبنتز أن خطـأ أرنولد يرجع الى الخلط بين الضرورى افتراضا والضرورة المطلقة • هنـاك فرق كبير بين قولنا ان الله حر تماما فى أن يعمل وبين قولنا انه مضطر الى العمل وفقـا لفروض معينة • لايجدر بنا أن نتصور الله كما يتصوره الذين يحاولون تشبيهه بالانسان الذى يتخذ قراراته تبعا للظروف ، فهذا يجعلنا نتصوره كأنه غير حر فى خلق ما يعتبره خيرا • يجب القول ان الله قد قرر منذ الأزل تتابع كل الأحداث دون أن يقلل هـذا من حريته بأى حال من الأحوال • يجب ألا نعتبر ارادة الله خلق آدم معين على أنها منفصلة عن كل أفعال ارادته الأخرى بأبناء آدم ، وانما آدم معين يتمثله الله تمثلا أكمل من تمثله لغيره من الموجودات الممكنة ، فآدم هـذا يصحبه ظروف فردية معينة ، ومن صفاته أن له على مر الزمان خلف معين ، قليل من التفكير يبين فى وضوح أن تحليل الحدود يوصلنا الى أن فكرة آدم الفردية تعطينا تمثلا كاملا لآدم معين له شروط فردية معينة تميزه عن غيره من الأشخاص الممكنة • وقد فضله الله لأنه يرضيه أن يختار هـذا النظام المعين للكون وان كل ما سينتج تبعا لارادته سيكون ضروريا ضرورة فرضية فقط ولن ينقص هـذا من حـرية الله ولا من حـرية العقول المخلوقة •

٥ ــ منهج التحليل الفلسفى والقضية التحليلية :

تناول برتراند رسل فى نقده فلسفة ليبنتز عدة أسـئلة منها :

١ ــ هل تخضع كل القضايا لصورة الموضوع والمحمول ؟

٢ ــ هل توجد قضايا تحليلية ؟ واذا وجدت هل هى أسـاسية وضرورية •

٣ ــ كيف يميز ليبنتز بين القضايا الضرورية والعرضية[٢٦] ؟

بالنسبة للسـؤال الأول يرى رسل أن من الممكن اثبـات وجود

(٢٦) Mary Morris; philosophical writings of leibniz. p 59-61.

قضايا لا تخضع لهـذه الصـورة كالقضايا التى تعبر عـن العلاقات المختلفة ، علاقة الوضع المكانى ، أو علاقة الأكبر والأصغر ، علاقة الكل والجزء ؛ وكذلك القضايا التى تعبر عن العدد مثل « هناك ثلاثة رجال » هـذه القضايا لا تخضع لضرورة الموضوع والمحمول لأنها تؤكد تعددا فى الموضوعات وقد نعطى محمولا لكل موضوع من هـذه الموضوعات ولكن لا يمكن أن نعتبرها مجـرد جمع لعدة قضايا كل منها يتكون من موضوع ومحمول ، ومادامت فكرة العدد لا توجد الا نتيجة كونها قضية واحدة وتزول اذا أكدنا أنها مجموع ثلاث قضايا كل منها تمثل رجلا واحدا . هـذا لا يعنى أن ليبنتز أهمل مثل هـذه القضايا بل حاول أن يخضعها لصورة الموضوع والمحمول ليحتفظ بنظريته ، وهذه هى نقطة الضعف . فالقضايا التى تعبر عن العدد أو العلاقات بين الوحـدات العنصرية موجودة فعلا ومن المفروض أن يدركها الله ادراكا صحيحا وستؤدى الى القول ان الله يعتقد فى صدق ما لا معنى له أو الى القول أن هـذه القضية صـادقة ، ومعنى هـذا أنه توجد قضايا صـادقة لا تخضع لصورة الموضوع والمحمول .

بالنسبة للسـؤال الثانى « هل توجد قضايا تحليلية ؟ » لاحظ رسل أن ليبنتز يعتبر كل القضايا المتعلقة بالمنطق والحساب والهندسـة قضايا تحليلية ، أما القضايا التى تعبر عن الوجود ما عدا تلك الخاصـة بوجود الله قضايا تركيبية ؛ فى حين رأى رسل أن الأمثلة التى ذكرها ليبنتز على أنها تحليلية تتعرض لأحد هذين العيبين : بعضها من الممكن أن تظهر أنها ليست تحليلية وذلك فى قضايا الحساب والهندسـة وبعضها الآخر قضايا تحصيل حاصل ومن ثم فهى ليست قضايا على الاطلاق اذ معظمها لا يؤكد شيئا ولن يوصل الى حقيقة صادقة علاوة على أنها تحتـاج الى افتراض قضايا تركيبية تعتمد عليهـا وتؤيد صـدقها . أما بالنسبة للقضية ٢ + ١ = ٣ التى اعتبرها ليبنتز تحليلية كغيرها من قضايا الحساب ، والواقع أنها ليست تحليلية ، بل هى تركيبية . هـذه القضية تعتمد على أن الفكرة البسيطة هى التى لا تؤدى الى تناقض .

ولكن اذا كانت القضية ٢ +١ = ٣ ممكنة فلابد وأن تكون تركيبية لأن الفكرة الممكنة لا يمكن فى تحليلها الأخير أن تكون مجرد فكرة لا تؤدى الى تناقض ، لأن هذا التناقض نفســـه يحتاج الى قضايا تركيبية نســـتدله منها .

وينتهى رسل الى أن خطأ نظرية ليبنتز يرجع الى تقرير أن القضايا مثل القضية (المثلث المتساوى الاضلاع مثلث) قضايا تحليلية فى حين يرى رسل أنها ليست تحليلية كلهـــا ، بل هى نتائج منطقية للقضايا التركيبية التى تؤكد ان مكونات الموضوع من الممكن أن توجد معا ولكن رسل عاد وغير رأيه وأعلن فى مقدمة طبعته الثانية لكتابه عن ليبنتز أنه فى الفترة التى كتبه فيها لم يكن يعرف الا القليل عن المنطق الرياضى وعن نظـــرية جورج كانتور George Cantor فى العدد اللانهائى ، أما الآن بعد أن اطلع على هـــذه البحوث فقد أصبح من الضرورى أن يميز بين القضايا التى نستنتجها من المنطق والقضايا التى لا يمكن أن نستنتجها منه ، الأولى يمكن أن نعرفها على أنها تحليلية أما الأخرى فتركيبية وبذلك يكون رسل قد عاد فاقتنع بصحة مذهب ليبنتز الفلسفى الذى يقوم على نظريته المنطقية فى القضية التحليلية[٢٧] .

أما السؤال الثالث : كيف يميز ليبنتز بين القضـــايا الضروريـــة والعرضية فقد كانت اجابة ليبنتز هى أن القضايا الضرورية تختلف عن القضايا العرضية كما تختلف اللانهائى عن النهائى أو كما تختلف الاعداد المقيسة عن الاعداد اللامقيسه . القضايا العرضية فى رأى ليبنتز تحدثنا عن وجود فعلى وقع فى لحظة معينة من الزمن ، وأراد بهذا التحديد الزمنى فى الوقوع أن يستثنى القضية التى تثبت وجود الله وجودا فعليا : لأن هذه القضية ـــ على خلاف سائر قضايا الوجود الفعلى ـــ ضرورة الصدق . أما القضايا الضرورية فهى لا تشير الى واقع معين فى لحظة معينة أو بعبارة أخرى هى ـــ باستثناء قضية وجود الله ـــ القضايا

(٢٧) Russell P. 17, 21, 22, 25, 26.

التى لا تؤكد وجود موضوعها وجودا فعليا وكأنها فى حقيقة أمرها قضايا شرطية تقول : اذا فرضنا وجود الشىء الفلانى وجودا فعليــا فلا بد أن يوجد معه كذا وكذا من لواحقه • فصدق القضية الضرورية لا يعتمد على تحقق موضوعها تحققا فعليا • ووصف القضية الضروريــة بأنها أزليه والصدق لا يعنى سوى أن صدقها لا يشير الى لحظة معينة من الزمن ، فهى صادقة أيا ما كانت اللحظة التى تتحقق فيها ولأنها ستظل صادقة حتى وأن لم تتحقق تط فى الواقع • لقد اعتمد رسل فى نقــده فلسفة ليبنتز على نقطة أساسية هى صلة ما بعد الطبيعة بالعلوم وخاصة الرياضيات وقد كان لديكارت وليبنتز فضل أثارة هذا الموضوع عندما نزعما الدعوة الى تطبيق المنهج الرياضى التحليلى على ما بعد الطبيعة •

يرد بوترو Boutruaux وكوتوراه Couturat على انتقادات رسل ويظهران أنه لم يكن موفقا فى هذا النقد للاسباب الآتية :

١ ــ لم يفهم رسل دور مبدأ العلة الكافية الفهم الصحيح ، فقــد امتاز هــذا المبدأ بخاصية ميتافيزيقية ولا يعتمد على المنطق وحده كمــا هو الحال بالنسبة لمبدأ عدم التناقض • هــذا التمييز بين المبدأين جعل ليبنتز يعتقد أننا نستطيع تحليل المرضيات ولكن تحليلنا سيكون لانهائيا، أما خطأ رسل ففى أنه اعتقد أن هذا يعنى أن ليبنتز اعتبر التركيب خاصية للعرضيات •

٢ ــ بالنسبة لفكرة الجوهر واعتبرها موضوعا يتضمن محمولاتــه فقد رأى « بوترو » ان تفسير رسل لا يتفق مع فكرة ليبنتز • فقــد احتاج ليبنتز لفكرة الجوهر ليوفق بين الكثرة والوحدة : فالموضــوع كما تصوره ليبنتز ليس الا معطى entité ما بعد طبيعى قبل أى شىء • وعلى هذا ليس من حقنا أن نطالب ما بعد الطبيعة باهمــال الجوهر كموضوع لمجرد أن العلم الحديث لم يهتم بهذه الموضوعات(٢٨) •

(٢٨) Pierre Boutrux ; Etudes critiques sur la philosophie de Leibniz; Revue de Metaphysique et morale; 1904 p. 329 — 333.

٣ ــ ما بعد الطبيعة عند ليبنتز لا تفرض ضرورة القول أن الحقائق الرياضية ، التى ليست الا علاقات ، لا نملك الا وجودا منطقيا فقط ، ولا تنبع الا من مبدأ عدم التناقض وبشكل تحليلى فحسب • الوقائع الرياضية فى نظر ليبنتز ذات دلالات وجودية خارج المنطق extra logique لانهـا تعبـر عن علاقات بين الجواهـر الحقيقيـة أو بين ما فى نفسى من أفكار فطرية • كما يرى أن ارتباط أفكارى ليس من انتاجى وانمـا يعتمد على عقل الله •

وهذه هى النقطة التى هاجمها رسل قائلا أنها لا تعطينا أى أساس كاف يرضى الحقائق الرياضية مادمنا نؤكد أنها توجد فى العقل الالهى •

ويرى « بوترو » أن رسل لم يوفق كذلك فى تفسير ما قصـد اليـه ليبنتز من هذه النقطة وذلك لأنه لم يدرك أن ليبنتز لا يوافق على جعـل الافكار الرياضية الاولية التى هى موضوع التعريفات ويمكن استخدامها كنقطة بداية ــ نتائج لمبدأ عدم التناقض كما أنه لا يعتقد أنها من خلق عقلنا وانما يتخذ لنفسه موقفا وسط يسوده التفسير ما بعد الطبيعى ونظرية العقل الالهى والافكار الفطرية • قد لا تكون هذه النظريـات كافية ومرضية ولكنها بالرغم من هذا لاتجعل هذا الحل معيبا من وجهـة نظر المنطق • فقد قبل ليبنتز ــ مثل ديكارت ــ وجود روابط تسبق أى تدخل للمبادىء المنطقية فالحقيقة توجد فى الأفكار أو الحدود قبل أن تصل الى قضايا او الحقائق هذه الافكار البسيطة ستكون مادة التعريفات، فاذا أردنا بواسطتها تعريف الافكار المركبة فيلزمنا التأكد أن هـذه الافكار المركبة ممكنة لهذا يجب أن نبدأ بتحليل الافكار المركبة الى عناصرها ثم نبحث بعد ذلك هل هذه العناصر متفقة مع بعضها ، مع أنها غير متناقضة. ولكن ليبنتز يعود فيقرر أنه ليس من الضرورى أن نعتمد على التحليل، لكى نصل الى هذا القرار ، وأنما يجب أن نعتمد على الحدس ، اذ هـو الذى يجعلنا نرى اذا ما كان ارتباط الافكار البسيطة التى تكون الفكرة المركبة ارتباطا متماسكا أم لا ؟

ينتهى بوترو من مناقشة نقد رسل الى تقرير أن ليبنتز لا يستخرج كل الرياضة من مبدأ عدم التناقض ما دام قد اعتبر الحقائق الرياضيــة حقائق حدسية نجدها بشكل تحليلى بشرط أن يبدأ تحليلنا بالافكار التى ستكون مادة تفكيرنا • كل ما يمكن أن يأخذه على ليبنتز هو أنه حصر كلمة تحليل فى أضيق حدودها •فالبرهان التحليلى عند الرياضى يبدو ببساطة — فى نظر ليبنتز — كأنه قياسى يربط موضوعا بمحمول • والاجدر أن نتفق مع رسل فى نقطة واحدة هى دعوته الى ضرورة النظر الى التحليل نظرة أوسع من نظرة ليبنتز هذه النظرة سنجدها فى الفلســفة الكانطية وماتلاها •

وعلى أية حال نفسير رسل لفلسفة ليبنتز تفسيرا منطقا ليس الا تفسيرا من جانب واحد ولا يرضى ليبنتز نفسه • حقا هناك توازيا بــين نظرياته المنطقية وما بعد الطبيعية ولكن هذا لا يجيز لنا أن نعتبر مجموعة واحدة من النظريات على أنها النظريات التى أرادها ليبنتز فعلاونترك الأخرى والاجدر بنا أن نفحصها لنرى ما بينها من علاقة ، خاصة وأن ليبنتز نفسه نظر الى الفروض المتقابلة باعتبارها وجهات نظر مختلفــة لنفس الموضوع • وكل ما يلزمنا هو أن نحدد الزاوية التى ننظر منهــا الى الموضوع أو الفكرة وأن نعبر عن وجهة نظرنا كما نراها أو نعتقدهــا وعلينا أن نجمع بين وجهات النظر المختلفة اذا أردنا أن نحصل على رؤية شاملة ومتميزة لهذا العالم وما فيه من نظام وانسجام •

حقا ما أحوجنا اليوم الى هذا المنهج التحليلى وما أحوجنا الى هذه الرؤية الشاملة •

* * *

ثانيـــــــــــا

أبحـــــاث جديدة فى الفهـــــم الانســـانى

نظريـــــة المعــــــرفة

عرض تحليلى للباب الرابع من كتاب ليبنتز

أبحاث جديدة فى الفهم الانسانى

نظريــــــة المعرفــــــة

يعتبر باب المعرفة تلخيصا لاهم الافكار الرئيسية التى تتناولها الحوار بين كل من فيلاليت ــ المعبر عن رأى جون لوك ، كما جاء فى كتاب « آبحاث فى الفهم الانسانى » ، وتيوفيل ــ المعبر عن رأى ليبنتز فى هذا الكتاب وهو بمثابة الرد على رأى لوك •

يشمل الباب ٢١ فصلا يتناول عدة موضوعات رئيسية :

(ا) المعرفــــة :

ما هى ؟ درجاتها ؟ امتدادها وحقيقتها • (الفصول ١،٢،٣،٤)

(ب) الحقيقــــة :

ما هى ؟ ما المقصود بالقضايا الكلية وما حقيقتها ؟ ما يقينها ؟ ما هى البديهيات أو المسلمات؟ ما المقصود بالقضايا التافهة ؟
(الفصل : ٥،٦،٧،٨) •

(ج) الوجود وصلته بالمعرفة :

كيف تثبت وجودنا ووجود الله ووجود الاشياء الخارجية ؟ وسائل زيادة المعرفة وغيرها من اعتبارات • (الفصول ٩،١٠،١١،١٢،١٣) •

(د) الحكم ودرجات التصديق :

ما الحكم ؟ وما الاحتمال ؟ وما هى درجات التصديق (الفصــول ١٤ ، ١٥ ، ١٦) •

(هـ) مصـــادر المعرفة :

العقل ، الايمان ، الحماس • (الفصول ١٧ ، ١٨ ، ١٩) •

(و) الخطـــــــــــأ :

أنواعه : أسبابه ووسائل تجنبه (الفصل ٢٠) •

(ز) تصنيف العلـــوم :

(الفصل ٢١) •

هذا ونعرض بايجاز لكل موضوع من الموضوعات لنبين أوجه الاتفاق والاختلاف بين لوك وليبنتز وكيف حاول تفـــادى ما تعرض لـــه لوك من نقد أو خطأ •

(ا) المعرفـــــة :

تعريفها ، درجاتها ، أمتدادها ، حقيقتها •

يرى لوك أن المعرفة ادراك علاقة الارتباط والآفاق أو التقابل وعدم الاتفاق فى حين يرى ليبنتز أن هذا التعريف ينظر الى المعرفة بمعناها الضيق ولا بد من أن نعرض لها بمعناها الاوسع والتى يقصد بها :

١ ـــ العلاقة بين الافكار أو بين الحدود أو بين الحقائق أو بـــين القضايا •

٢ ـــ المعرفة بمعنى تفسير أو وصف الاشياء أو تفسير الافـــكار أو القضايا أو الحقائق •

٣ ـــ المباحث التى تتوسط الفكرة والقضية •

٤ ـــ وصف الاشياء المثالية الخالصة •

٥ ـــ وصف المستحيل •

٦ ـــ تفسير ودحض الخطأ •

أما المعرفة بمعناها الضيق ، وهى المعرفة الحقيقية التى تقوم على ادراك الاتفاق أو عدم الاتفاق بين الافكار فيلاحظ ليبنتز أن تعريف لوك يثير بعض الصعوبات منها •

١ — هذا الاتفاق بين الافكار يستبعد حالات أخرى تكتفى فيها بالتفسير أو التوضيح دون الاهتمام بالبحث عن أدله تثبت حقيقتها •

٢ — هذا التعريف يصدق على الحقائق المقولية فقط ولا يتفق مع الحقائق الشرطية المنفصلة أو المتصلة التى تشمل أكثر من فكرتين •

وكما اختلفا فى مفهوم المعرفة اختلفا فى نوع الاتفاق بين الافكار ، يرى لوك أنها أربعة :

١ — التطابق أو الاختلاف •

٢ — العلاقة •

٣ — التواجد معا أو الارتباط الضرورى •

٤ — الوجود الحقيقى •

فى حين يجملها ليبنتز فى نوعين فقط :

١ — المقارنة •

٢ — المؤازرة •

على أساس أن الارتباط بين الافكار ليس سوى نسبة أو علاقة ، مأخوذة بصفة عامة ، وبالتالى لا تخرج عن هاتين العلاقتين : المقارنة تعطى الاختلاف أو التطابق ، أما فى الكل أو فى الجزء ، أو ما يجعل الشىء مشابها أومغايرا • والمؤازرة تحتوى ما يسميه لوك بالتواجد معا أو الارتباط بالوجود • ويلفت ليبنتز النظر الى خطورة الاعتماد على الذاكرة ، وهو وان اتفق مع لوك فى القول أن المعرفة أما أن تكون فعلية تقوم على الادراك الحاضر لصلة الافكار ببعضها أو تكون عادية

يدرك فيها الذهن الاتفاق أو التباين ويحتفظ بها • فى الذاكرة • يقترح طريقة جديدة لكتابة الحساب توفر الجهد والوقت وتسهل المراجعة وتصحح الخطأ وينبه الى ضرورة مراعاة الدقة للوصول الى اليقين •

٢ ـ درجات المعرفة :

أعلى درجات المعرفة هى المعرفة الحدسية التى تعتمد على الادراك المباشر لاتفاق فكرتين دون ندخل أية فكرة أخرى وهى الاوضح والاكثر يقينا وتمدنا بالحقائق الاولية سواء منها الضرورية أو العرضية ، ويحاول ليبنتز تأكيد أهمية الحقائق الضرورية التى نعبر عنها بقضايا ذاتية وتخضع لمبدأ عدم التناقض ويضرب أمثلة من أشكال القياس الارسطى المختلفة ليؤكد اهميتها وفائدتها خاصة فى التجريد • ويلفت النظر الى الخطأ الذى وقع فيه لوك عندما أعتبر القضية ٣=٢+١ نموذجا للمعرفة الحدسية وذلك لأنه لم يميز بين المعرفة الحدسية والتعريف ، أما الحقائق الاولية العرضية فيقصد بها الخبرات المباشرة الداخلية المتصلة بالعاطفة ويضرب مثلا كوجيتو ديكارت والقديس أوغسطين وينتهى الى أنه الحقائق الاولية سواء الضرورية الخاصة بالعقل أو العرضية الخاصة بالواقع تشترك فى خاصية أساسية هى أنه لا يمكن اثباتها بشىء له يقين أكثر •

بعد المعرفة الحدسية تأتى المعرفة الاستدلالية وهى ليست سوى تسلسل للمعرفة الحدسية وهى أقل وضوحا منها ويرى ليبنتز أنها تحتاج الى فن التحليل لتصل الى الافكار المتوسطة ، وهذا التحليل بدوره يحتاج الى فن الابتكار الذى يحتاج الى جهد ومنسقة والى مساندة التركيب القائم على الاستقراء والذى ينتقل من البسيط الى المركب ، ونظرا لان التركيب وحده لا يكفى فلا بد من استخدام منهج الاستبعاد ليتخلص من الارتباطات غير المقيدة ، ولا بد أيضا من فن تقسيم الصعوبات واستدلال القضايا المتداخلة • صعوبة أخرى تعترض المعرفة الاستدلالية هى الاعتقاد أن الرياضيات وحدها هى القادرة على اليقين

الاستنباطي في حين أن من الممكن استخدامه في مجالات أخرى كالمنطق والقانون والاخلاق وما بعد الطبيعة والطبيعة والسبب في ذلك أن من السهل في الرياضيات أن تؤيد التجربة التفكير الاستدلالي في حين يصعب ذلك في المجالات الأخرى أو قد يكون استخدام التجربة مكلفا ومرهقا كما هو الحال في علم الطبيعة مثلا ، والسبيل الى تفادي هـذا الخطأ الذي وقع فيه القدماء هو أن تساند التجربة الاستدلال •

الدرجة الثالثة من درجات المعرفة هي الاعتقاد أو الايمان ولهـذا من الضروري الاهتمام بالمعرفة الاحتمالية التي أهملها المناطقة حتى عصر ليبنتز في حين اهتم بها الاخلاقيـون وخاصة الجيزوييت ، وان وقعـوا في خطأ هام اذ خلطوا بين ما هو محتمل من جهة وما هو شائع بالمعنى الذي حدده أرسطو في « الطوبيقا » والواقع أن المحتمل أكثر اتساعا من الشائع •

الدرجة الرابعة هي المعرفة الحسية التي تقرر وجود الجزئيـات خارج الذات ويلفت النظر هنا الى ضرورة التمييز بين المعرفة الحسـية والاحلام : هناك فارق بين أننا نحلم أننا في النار وبين أننا فعلا فيها •

ينتهي النقاش حول درجات المعرفة الى تقرير لوك ثلاثة درجات هي : المعرفة الحدسية والاستدلالية والحسية في حين يضيف اليها ليبنتز المعرفة الاحتمالية ويعترض على الشكاك الذين ينكرون وجود الاشياء خارج الذات بأنهم أفسدوا ما في قولهم من صواب بأن أرادوا أن يمتد شكهم الى الخبرات المباشرة والحقائق العقلية ، وفي هذا مبالغة لا داعي لهـا كما يلفت النظر الى ما بين الاحساسات والخيالات من اختـلاف مؤكدا أن المحك الحقيقي لموضوعات الحس هو ارتباط الظواهر • المهم أن تكون الظواهر مرتبطة وأن تظهر التجربة اننا لا نخطيء في المقاييس التي نقيس بها هذه الظواهر • كما يؤكد أن الخيال لن يمدنا بالافكار الواضحة ومن ثم لن يساعدنا في فهم الارتباط •

٣ ـ حدود المعرفة :

معرفتنا محدودة أكثر من أفكارنا فنحن لا نستطيع الالمـام بكل ما نرغب فى معرفته مما يتصل بما لدينا من أفكار ، بالاضافة الى مالدينا من أفكار مختلطة لا نعرفها معرفة كاملة والى أننا لا نملك المنهج الذى يحدد أفضل البناءات • وتطرح مشكلة أساسية هى : هل يفكر الكائن المـادى ؟ وما يترتب عليها من صلة النفس بالجسد ويحاول ليبنتز تناولها من خلال مبدأ التناسق الاولى موضحا أن المـادة يقصد بها المـادة الثانية وليس المـادة الاولى التى هى شىء سلبى غير كامل تعترض جوهرا بسيطا أو وحدة حقيقية لديها الادراك ولواحقه •

وبعبارة أخرى لتحديد صلة الروح بالجسد لا بد من الانتقال من عالم المحسوسات والظواهر الى عالم المعقولات والجواهر • ومن ثم الانتقال من معرفة المـادة من الخارج الى معرفة داخلها لتظهر ما هى قادرة عليه بصورة طبيعية المـادة لا يمكن أن توجد بدون جوهر غـير مادى ، أى بدون وحدات عنصرية (موناد) ، وأما اذا لم يكن لهـذه الجواهر هذا الترابط وهذا التناسق فلن يكون الله قد تصرف وفق النظام الطبيعى ، ويرفض القول أن الله قادر على أن يعطى المـادة المقـدرة على الادراك لان ذلك يعنى العودة الى القول بما قاله المدرسيون من ملكات أو يجعل من المـادة جوهرا •

النقطة الثانية التى تتصل بحدود معرفتنا تؤكد ضرورة الاكتفـاء بالاحتمال والايمان فى معرفة الكثير من الاشياء وخاصة بالنسبة لخلـود الروح أو غايات الاخلاق والدين والتى لا تحتاج الى الادلة مستمدة من الفلسفة كما أنها ليست فى حاجة الى المعجزات كما أعتقد البعض • ويوضح أهمية مبدأ التناسق الازلى الذى قرر صلة الروح بالجسـد بصورة أكثر تنظيما وأكثر ترابطا يقضى على كل شك فى وجود ما ليس بامتداد ويؤكد أن التغيرات المختلفة لا تصدر عن الامتداد أو عن الطبائع السلبية أو الطبائع الجزئية النشطة الا بالفعل الكلى للجوهر الاسمى •

نقطة ثالثة تثيرها صلة الفكر بالمـادة وتخص مصدر اللذة والالم وغيرها من الافكار كاللون أو الصوت وهل هذه من انتاج الجسد أم الروح ؟ يرى ليبنتز أنها من انتاج الروح اتفاقا مع ما يحدث فى المادة ، أى انها تنتج حسب العلل التوافقية ، اما رغبة الله الطيبة فتبدو فى أنه نظم الاشياء وفق طبائعها بحيث لا تنتج ولا تحفظ سوى ما يناسـبها وما يمكن أن تفسر حسب طبائعها • وبالتالى لا بد من وجود توازى مستمر بين قدرة الله وحكمته •

النقطة الرابعة تتصل بالصفات الحسية وما تزودنا به من قدرات وأفكار غامضة ومن ثم تتطلب الاعتماد على التجربة وربطها بأفكـار عن الصفات الحسية تتطلب أن تكون معرفة الروابط هى المجال الاوسع لمعرفتنا •

النقطة الخامسة تتصل بالاخلاق وصلتها بكل من اللاهوت وما بعـد الطبيعة وفيها يطرح أمران أولهما مالهذه المجالات الثلاثة من يقين لا يقل عن يقين الرياضيات والثانى محاولة ليبنتز اعتمادا على فن الارتبـاط أن يستخدم الاشكال والرموز بدلا من الكلمات ويذكر المحاولات السابقة فى هذا المجال وخاصة محاولة كل من فيجيلوس وايرهارد وفيجل فـى الاخلاق وصمويل بوفندور فى مجال الفقه ويلاحظ أن الامور الاخلاقية تتميز بقابليتها للتجديد بواسطة العقل وحده وهذا ما دفعه الى البحث عن الوسائل الصحيحة لامتداد فن البرهنة الى ما وراء الحدود القديمـة السائدة لدى علماء الرياضة ليطبقها على مجال الاخلاق وليؤكد أهميـة التجربة فى العلوم الطبيعية والفلكية والطب والسياسة والاخلاق •

النقطة السادسة تتعرض لأسباب جهلنا وأخطائنا والتى أرجعها لوك الى :

١ ــ نقص الافكار •

٢ ــ عدم اكتشاف الارتباط بين الافكار •

٣ ــ اهمال تتبعها وفحصها بدقة •

٤ ــ عدم وجود الافكار المتوسطة سواء تلك التى تأتى عن طريق الحواس الداخلية أو الخارجية •

ويضيف ليبنتز أن معظم شرورنا ترجع الى خطئنا والى أننا نستخدم القليل مما تقدمه لنا الطبيعة الرحيمة مؤكدا أن لدينا الكثير من الأمور التى نفخر بها وأننا حققنا الكثير فى مجال تفسير الظواهر بفضل اعتمادنا على التجارب ، وكل ما ينقصنا هو فن استخدام التجربة الذى سيكمل البدايات المتواضعة التى تحققت فعلا ، كما يلفت النظر الى أننا تقدمنا أيضا فى كشف الارتباطات بين الافكار بفضل سيطرة العقل على المادة الذى جعل من الانسان اله صغيرا يحاكى المهندس البارع الخالق للكون معتمدا على مبدأ التناسق الازلى وتبين القوانين التى تخضع لها الاجسام أما عدم الحصول على الافكار المتوسطة فيرجع الى سوء استخدام الكلمات وهو سبب الكثير من الفوضى السائدة فى معارفنا ليس فقط فى مجال الاخلاق وما بعد الطبيعة بل فى الطب أيضا ولن نتخلص من هذا العيب الا باستخدام الرموز الجبرية أو غيرها من الوسائل التى لها نفس الطبيعة •

٤ ــ حقيقة المعرفة :

البحث فى حقيقة المعرفة يطرح سؤالين أساسيين :

(ا) هل الافكار فطرية أم مكتسبة ؟

(ب) هل الابله وسط بين الانسان والحيوان ؟

يرفض ليبنتز قول لوك أن الافكار البسيطة مكتسبة وتعتمد على الحواس ويؤكد أنها فطرية لا تخضع لأى تأثير مباشر على النفس وأن أساس يقين الحقائق الكلية يكون فى الافكار نفسها مستقلة عن الحواس ، أما حقيقة الاشياء العرضية فتعتمد على مدى ارتباط الظواهر التى نعرفها بالحس بالصورة التى تتطلبها الحقائق الذهنية • وبهذا يبدو

مجال الاختلاف بين ليبنتز ولوك : ليبنتز يميز بين الحقائق الكلية والحقائق العرضية ولوك يميز بين الافكار البسيطة والافكار المركبة من جهة وبين الافكار المركبة المتصلة بالجوهر وتلك المتصلة بالاعراض من جهة أخرى •

يرى ليبنتز أن الافكار المركبة ليست من اختراعنا ، كما أن أفكارنا عن الجواهر التى توجد خارج أنفسنا تكون حقيقية بقدر اتفاقها مع النماذج الاصلية الموجودة فى عقلنا واذا عجز العقل عن الحكم باتفاقها أو ارتباطها أصبحت غامضة شأنها شأن الصفات الخاصة بالحواس •

السؤال الثانى يتصل بتعريف الانسان ويرى ليبنتز أن الانسان يتميز بملكة التفكير ومن ثم لا يمكن للابله أن يكون وسطا بين الانسان والحيوان • ويرفض أن نحكم على الابله أو المشوه بمجرد الشكل الخارجى ، فنحن لا نهتم بالشكل وانما بالعقل والله لم يخلق هذا الكائن عبثا •

(ب) الحقيقة :

ما هى ؟ هل هى اسمية ؟ وما أنواعها ؟ وما صلتها بالقضايا ؟

١ ـ معنى الحقيقة :

الحقيقة فى نظر لوك هى ارتباط العلامات وفق اتفاق الاشياء فيما بينها أو انفصال هذه العلامات فى حالة عدم اتفاق الاشياء فيما بينها وبعبارة أخرى الحقيقة هى اتفاق القضايا مع الاشياء التى تعبر عنها • يعترض ليبنتز على هذا التعريف للاسباب الآتية :

١ ـ الصفة لا تكون قضية ومع ذلك هناك ارتباط بين الصفة والموصوف (الانسان عاقل) •

٢ ـ النفى يختلف عن الانفعال •

٣ ـ الاتفاق أو عدم الاتفاق لا يقتصر على القضية وحدها (هناك اتفاق بين البيضتين مثلا وعدم اتفاق بين الخصمين) •

٤ ـ الحقيقة لا تقتصر على الكلمات فحسب •

لهذا رفض ليبنتز أن تكون الحقيقية اسمية ، لأن هذا سيؤدى الى وجود حقائق لفظية تختلف عن الحقائق التى نكتبها بحروف المطبعة ، ما دمنا سنميز بينها بالعلامات فحسب • الحقيقة عند ليبنتز تعتمد على علاقة الموضوعات بالافكار وليست على العلاقة اللغوية القائمة بين القضية والشىء • يكتفى الذهن أحيانا بملاحظة الحقيقة دون محاولة فهمها فى الوقت الحاضر مقتنعا بأنه يستطيع فهمها عندما يريد •

يميز ليبنتز بين أنواع ثلاثة من الحقيقة : الحقيقة الاخلاقية التى تعتمد على الصدق والحقيقة ما بعد الطبيعية التى تصف الوجود والحقيقة الناتجة من اتفاق القضايا التى فى الذهن مع الاشياء التى تخصها • وهذا النوع الأخير هو الذى يهتم به أكثر ولهذا يهتم بتحديد معنى القضايا وخاصة القضايا الكلية ويوضح حقيقتها ويقينها • ويتعرض للاسئلة الآتيـــة :

١ ـ هل يمكن معرفة الحقائق العامة والجزئية ؟

٢ ـ هل معرفتها مرتبط بالكلمات التى تعبر عنها ؟

٣ ـ ما دور البديهيات ؟ وما فائدتها ؟ هل يمكن الاستغناء عنهـا •

٢ ـ القضايا الكليـــة :

يرى لوك أن معرفة الحقائق العامة لا تكون الا بقدر ما هـى مدركة ومعبر عنها بالكلمات • ويعترض ليبنتز على هذا متعرضا لخصائص اللغة وامكان استخدام الاشكال بدلا من الكلمات حتى يسهل الاتصال بين الامم من جهة واثراء اللغة السائدة وجعل تصوراتها أكثر حقيقية والكتابة أكثر راحة من جهة أخرى •

واذا كان لوك يميز بين فرعين من اليقين : يقين الحقيقــة عندما ترتبط الكلمات بطريقة معينة فى قضايا وتعبر بدقة عن الاتفاق أو الاختلاف كما هو ، ويقين المعرفة الذى يتكون من ادراك اتفاق ، واختلاف الافكار بقدر ما تعبر عنه القضايا • فأن ليبنتز يرى أن يقين المعرفة يكفى دون استخدام الكلمات وأن من الممكن الحصول على عدد لا حصر له من القضايا العامة التى تصدر عن العقل وعن صفات أخرى نعرفها فــى موضوعها والتى لها حقائقها ومفاهيمها الداخلية التى يمكن أن نعرفهــا بالعلاقات الخارجية • وبعبارة أخرى يرفض ليبنتز افتراض لوك آن الصفات الحسية وما نحصل عليه من أفكار تتصل بالاشكال والحركات الطبيعية انما تعتمد فقط على رغبة الله الذى يمنحنا هذه الافكار • مؤكدا على العكس من ذلك أن التكوين الداخلى للاجسام هو الذى يجعلنا نحصل على الصفات التى تخضع بدورها لأسباب معقوله ، حتى عندما لا نستطيع معرفتها حسيا ، كما فى تحليلنا اللون الاخضر الى اللونين الازرق والاصفر فاليقين الذى نصل اليه هنا يقين تجريبى يتصل بالواقع وليس بالضرورى أن يكون يقينا قائمــا على اتفاق أو عــدم اتفاق الافكار • يعود ليبنتز مرة أخرى الى بيان أهمية ومزايا المنهج الذى استخدمه والذى يعتمد على الارقام بدلا من الحروف •

وبالنســبة للبديهيات ودورها فى المعــرفة فان لوك يرى عــدم جدواها فهى لاتمدنا بأى معرفة للكائنات الخارجية باستثناء وجود الله • ويعترض ليبنتز على ذلك موضحا أن قضية مثل « أنا موجود » قضية واضحة بذاتها ولا يمكن أثباتها بقضية أخرى ولا بحقيقة مباشرة أو أنها قضــية واقع قائمة على تجربة مباشرة وليست قضــية ضرورية نرى ضرورتها فى الاتفاق المباشر للافكار : الله وحده هو الذى يرى كيف يرتبط الحدان : أنا والوجود وبالتالى هذه القضية بديهية بالمعنى الاوسع للكلمة أى باعتبارها حقيقة مباشرة وغير قابلة للبرهنة •

واذا كان لوك يرفض القاعدة السائدة فى المدارس والتى تقرر أن « كل تفكير صادر عن الاشياء المعروفة فعلا والمسلم بها » وبالتالى

يرفض أن نعتمد الحقائق على البديهيات بحجة أن البديهيات ليست أولية ، ودليله على ذلك أن الطفل لا يحتاج اليها ليميز بين قطعة خشب وقطعة سكر ، فأن ليبنتز فى مناقشته مفهوم البديهيات وأهميتها يستعرض الاعتراضات التى ذكرها لوك ويرد عليها مبينا وجه الخطأ فى كل اعتراض ونجملها فيما يلى :

١ ـ القول ان البديهيات ستكون كثيرة ومتعددة يرد عليه بأمكان اخضاعها الى أقل عدد ممكن .

٢ ـ القول أن وظيفة البديهيات الاساسية هى أسكات المعارضين وليس دعم العلوم ، يرد عليه بقوله أن الهندسة وغيرها من العلوم الرياضية تعتمد أصلا على البديهيات .

٣ ـ القول أن الوحى قادر على تعريفنا بديننا ولسنا فى حاجة الى البديهيات ، يرد عليه أن هذا يشبه القول أن الطب القائم على التجربة لن يحتاج الى العقل فى شىء : اللاهوت الحقيقى وهو الطب الحقيقى للنفوس والمؤسس على الوحى لا يستغنى عن اللاهوت الطبيعى المعتمد على بديهيات العقل .

٤ ـ القول بوجوب التمييز بين وسيلة اكتساب المعرفة ووسيلة تعليمها فالبديهيات تصلح لتعليم الآخرين وتوصيل المعارف اليهم ولا فائدة لها فى اكتساب المعرفة . يرد ليبنتز أن العلوم المختلفة وخاصة الرياضيات والطبيعيات لا تستغنى عن البديهيات التى بدونها ستظل اكتشافاتها ناقصة .

٥ ـ القول أن الحاجة الى البديهيات جاءت نتيجة لما قررته المدارس من اعتبار النقاش محكا لمهارة المتخاصمين .

يتعرض ليبنتز لفن الجدل مبينا ظروف انتشاره ومدى تطبيقه فى المجالات المختلفة ، وهو فن هام ولكن لسوء الحظ أسىء تنظيمه وأسىء

استخدامه • العيب ليس فى فن الجدل وانما فى طريقة استخدامه ويجب اعادة تنظيمه •

٦ ـ القول أنها ليست وسيلة لتحديد النزاع وانما هى وسيلة لجعلها لانهائية ولارهاق الخصم يرد ليبنتز بالتعرض للنتائج السيئة التى تترتب على الاستطراد والتفريعات ويطالب بأن تكون التعريفات فى أضيق نطاق •

٧ ـ يرفض القول أن الفلسفة المشائية هى التى أدخلت فن الجدل وأعتبرت البديهيات أساسا للعلوم وسندا هاما للتقدم فى معرفة الاشياء • ويؤكد أن صياغة البديهيات يرجع أصلا الى الغريزة العامة والعاقلة لدى الجنس البشرى وأن المدارس المشائية لم تفعل سوى تنظيمها وترتيبها •

٨ ـ القول أنها تستخدم أحيانا فى تأييد الاخطاء وخاصة عندما ترتبط بأفكار خاطئة أو غامضة أو غير يقينية ، ويؤكد ليبنتز أن سوء استخدام البديهيات لا يعنى لوم استخدامها بوجه عام والا حق بنا أن نتمرن على صياغة الادلة التى نستخدمها صياغة صورية تتحاشى الوقوع فى الخطأ •

٩ ـ القول بأن استخدام البديهيات فى القضايا اللفظية لا يعطى أى معرفة عن الجواهر الموجودة خارج أنفسنا • ويرد ليبنتز مؤكدا أن استخدام البديهيات ساعد فى تقدم علم البصريات وعلم الضوء وأثبت كل ما يحدث خارج أنفسنا من أفعال الضوء بناء على البديهية التى تقرر ان الطبيعة تعمل بأقصر الطرق •

ويختم ليبنتز دفاعه عن البديهيات واهميتها ودورها فى الوصول الى الحقيقة مؤكدا أن العيب ليس فى استخدام البديهيات وانما فى سوء استخدامها •

ويعرض ليبنتز بعد ذلك للسؤال : هل القضايا الذاتية ذات فائدة ؟ يرى لوك أن القضايا الذاتية لا فائدة منها ولا تتضمن أى معرفة اللهم الا أنها تظهر للمرء ما يمكن أن يكون قد تورط فيه من لا معقوليه •

ويوضح ليبنتز أن هذا ليس بالامر التافه ما دام أخضاع قضية ما للامعقولية يعنى أثبات نقيضها ويذكر المبررات التى تؤكد أن هذه القضايا مفيدة وبالتالى يرد على اعتراضات لوك الآتية :

١ ـ لا يتعلم المرء من مجرد القول أنه لا يمكن أثبات ونفى نفس الشيء فى نفس الوقت ولكنه يتعلم ذلك من خلال الممارسة وبملاحظة أنه يفعل ذلك فى مناسبات متعددة دون أن يفكر فى ذلك •

٢ ـ يصعب التخلص من أدلة الخلف التى تؤدى الى اللامعقول •

٣ ـ من الممكن أن نشكل العديد من هذه القضايا بأقل جهد ولكنها ستكون قليلة النفع •

ويرد ليبنتز على هذه الانتقادات مؤكدا ضرورة أن نوضح كيف يجب استخدام هذه القضايا استخداما صحيحا يظهر فائدتها وخاصة فى مجال التعبير عن القضايا الاخلاقية وهى وان كانت لا تعرفنا شيئا جديدا فأنها على الاقل تجعلنا نفكر فى ضوء ما نعرف : قولنا « الانسان العاقل انسان » يجعلنا نفكر فى أن الانسان ليس معصوما وأنه ميت • وقولنا « النقود الفضية قابلة للصهر » يجعل الشخص الذى فى حاجة الى قذيفة لمسدسه أن يفكر فى طريقة يصهر بها النقود الفضية التى معه ليصنع منها القذيفة التى يحتاجها •

أما القول أن القضايا العامة المعبرة عن الجواهر قضايا تافهة لان كل من يعرف دلالات كلمات مثل جوهر ، أنسان ، حيوان ••• الخ يستطيع أن يشكل العديد من القضايا التى لا يمكن الشك فيها ولكنها غير مفيده ، والدليل على ذلك ما فى كتب ما بعد الطبيعة واللاهوت المدرسى من

قضايا وأستدلالات لا حصر لها • قراءتها لا تعلمنا شيئا عن الله أو العقل أو الاجسام أكثر مما كنا نعرفه قبل قراءتها •

يرد ليبنتز موضحا أنه رغم أن كتب ما بعد الطبيعة وغيرها التى من هذا النوع لا تعلمنا سوى كلمات ولا تعطينا سوى الافكار الغامضة ، وفى هذا أساءة للعلم ، الا أن هذا لا يمنع من الاعتراف بأن لـــدى المدرسيين أمثال « سوريز » نماذج من الحوار جديرة بالاعتبار وأنهم ناقشوا أفكارا مثل اللامتناهى ، المستمر ، العرضى ، المجرد ، مبدأ التفرد ، النفس وملكاتها ، العون الالهى للمخلوقات •

وبعبارة أخرى يجب الاعتراف أن هذه المعادن غير النقية لا تخلو من ذهب خالص ، ومن الواجب أن نستفيد منها دون أن نضيع وقتنا فى الحشو من الكلام غير المفيد • ويعلن محاولة تشييد ما بعد الطبيعـــة حقيقية تقيم الحقائق على العقل مدعما بالتجربة ويتعشم أن يحقق تقدما ملحوظا فى مجال المعرفة العامة وأن تقترب ما بعد الطبيعة من الصورة التى طالب بها أرسطو ، أى ان تصبح العلم المرغوب فيه وأن تصبح علاقتها بغيرها من العلوم كعلاقة المهندس بالعمال ، أى أن تصبح العلم الاعم الذى تعتمد عليه باقى العلوم وتستمد منها مبادئها وأن تصبح علاقتها بالاخلاق كعلاقة النظرية بالممارسة مؤكدا أن اعتماد الاخلاق على ما بعد الطبيعة يضفى على العدالة والفضيلة شمولا واتساعا ولا يجعل الاخلاق تقتصر على الحاضر كما كان الامر لدى سقراط أو الامبراطور مارك أنطون وأبيقور وأنما ستدعمه ما بعد الطبيعة بنظريات عامة تسمح بفهم ما فى الكون من نظام وتناسق وتساعد على رؤية مستقبل بدون حـــدود •

النقطة الاساسية اذن فى نظر ليبنتز هى الاهتمام بالقضايا الذاتية والتعرف على ما يمكن أن تقدمه من فائدة فى مجال المعرفة وخاصة عندما تحسن استخدامها ويقترح تشييد ما بعد طبيعة حقيقية تساعد على اقامة اخلاق جديدة لا تكتفى بالحاضر وانما تتطلع الى المستقبل •

واذا كان لوك قد حاول التخلى عن ما بعد الطبيعة التقليدية لما فيها من تصور فان ليبنتز يصر على التمسك بها ويدعو الى تطويرها وتجديدها لتتمشى مع مقتضيات عصره وتكون سندا للاخلاق •

(جـ) الوجود وصلته بالمعرفة :

ينتهى النقاش الى طرح السؤال : كيف نعرف الوجود الحقيقى ؟

يرى لوك أن القضايا الكلية لا تعطى سوى الارتباط بين الاشياء الموجودة والماهيات والتى لا نعرفها الا بالتجريد ومن ثم فهى لا تعطى أى معرفة للوجود الحقيقى ، ويرد ليبنتز موضحا أن أولئك الذين يميزون بين الماهية والوجود ينسبون كل ما هو عرضى الى الوجود ، والافضل ان ننظر الى العرضى بصورة أضيق بحيث يصبح الطبيعى وسطا بين ما هو أساسى أو جوهرى وما هو عرضى وبحيث يمكن القول أن السيولة طبيعية بالنسبة للماء وليست أساسية •

وبالنسبة لكيفية معرفة الوجود الحقيقى فقد ذهب لوك الى أننا نعرف وجودنا بالحدس ونعرف وجود الله بالاستدلال ووجود الاشياء الاخرى بالاحساس • الحدس لا يسمح بأدنى شك فى وجودى ويمدنى بأعلى درجة من اليقين لهذا الوجود ويضيف ليبنتز أن الادراك المباشر لوجودنا يزودنا بالحقائق الاولية سواء منها القبلية المعتمدة على العقل أو البعدية المتصلة بالواقع •

ولكن كيف نثبت وجود الله ؟

يذكر لوك الادلة الاتية :

١ ـ وجود الله لا يحتاج الا التفكير فى أنفسنا وفى وجودنا الذى لا شك فيه •

٢ ـ معرفة أننا نوجد تتطلب وجودا حقيقيا •

٣ ـ العدم الخالص لا ينتج كائنا حقيقيا وما دام كل ماله بداية يجب أن يوجده شىء آخر فأننا نستنتج وجود شىء ما منذ الازل ••

٤ ــ كل شيء يستمد وجوده من غيره يستمد أيضا كل ما يخصه وكل ملكاته وبالتالى لابد أن يكون قادرا •

٥ ــ لا يمكن للمادة أن تكون مصدرا لمعرفة الانسان •

٦ ــ الله الكائن الخالد والخالق والقادر والعاقل ومن العبث القول أن الانسان قد خلق بالصدفة •

يعترض ليبنتز على استنتاج لوك وجود شيء ما منذ الازل لما يثيره من غموض ، ولانه اذا كان هذا يعنى عدم وجود زمان لا يوجد فيه شيء ، فان العدم لن ينتج شيئا اطلاقا وبالتالى لن نوجد نحن أنفسنا وفى هذا تناقض مع الحقيقة الأولى من حقائق الواقع • واذا كان هذا يعنى أنه شيء خالد فليس فى الاستدلال الذى ذكره لوك ما يثبت انه اذا وجد شيء فلابد وأن يكون خالدا •

الاعتراض الآخر الذى يذكره ليبنتز هو ذلك الذى يمكن أن يذكره الانيقوريين مثلا الذين ينكرون أن يكون شيء واحد مصدرا لكل شيء ولكل القــدرات •

الاعتراض الثالث يرى أنه على فرض أن تفكيرنا يصدر عن كائن مفكر فليس ضروريا أن يكون ذلك الكائن المفكر هو الله •

وقد أعترض ليبنتز أيضا على أدلة ديكارت المشتقة من فكرة الله وخاصة الدليل المشتق من دليل « أنسلم » الذى يثبت وجود الله قبليا عن طريق فكرته الخاصة دون أن يلجأ الى آثاره ويرتكز اعتراضه على أن الدليل كما ذكره ديكارت غير تام وحاول أن يتم هذا الاستدلال ليصبح ذا وضوح رياضى ويظهر ما يمكن أن يترتب على هذا الدليل ما بعــد الطبيعى من نتائج أخلاقية •

كما يعترض على دليل ديكارت الثانى الذى يثبت وجود الله بناء على وجود فكرته فى أنفسنا ــ كلاهما يعيبهما فى نظر ليبنتز أنهمـــا

يفترضان أن الله ممكن • وفى هذا نوع من الغموض فنحن مثلا عندما نتحدث عن الحركة الآلية المستمرة فنحن نعرف ما نقول مع أن هذه الحركة نفسها مستحيلة فنحن اذن لا نحصل عنها الا على فكرة ظاهرية ، كما يعيبهما أنهما لا يثبتان أنه اذا حصلنا على فكرة الله فمن الضرورى ان تكون صادرة عن الأصل • وينتهى من مناقشة أدلة كل من لوك القائمة على وجودنا ووجود الاشياء الحسية أو أدلة ديكارت القائمة على وجود فكرة الله فى انفسنا الى تفضيل ما ذكره من أدلة تعتمد على مبدأ التناسق الأزلى دون أن يستبعد أى دليل يعتمد على نظام الاشياء فى اثبات وجود الله فكلها أدلة مقبولة لا يجوز اهمالها انما يجب اكمالها •

بعد اثبات وجود الله يدور البحث حول اثبات أنه كائن مفكر ولا يمكن أن يكون ماديا وقد أثبت لوك استحالة أن يكون ماديا بقوله « الجزء من المادة لا ينتج شيئا بنفسه ولا يمنحه الحركة وبالتالى أما أن تكون حركته خالدة أو أن تكون قد طبعت فيه بواسطة كائن أقوى ، اذا كانت حركته خالده فلن تكون قادرة على انتاج المعرفة • الفكرة العامة التى لدينا عن المادة تجعلنا نعتبرها كأنها شىء وحيد فى العدد ولكنها ليست أساسا شيئا فرديا وبالتالى اذا كانت المادة أول كائن خالد مفكر فلن يكون كائنا وحيدا فريدا لانهائيا ، وانما سيكون عدد لانهائيا من الكائنات الخالدة اللانهائية المفكرة المستقلة بعضها عن بعض ، محدودة القوة • ومن ثم لن يستطيع أبدا أنتاج هذا النظام وهذا التناسق وهذا الجمال • الذى نلاحظه فى الطبيعة اذن لن تكون المادة أول كائن خالد » •

يوافق ليبنتز على استدلال لوك ويكمله ليصبح متفقا مع مبدأ التناسق الأزلى ، فهو لا يعتبر المادة وحدة عنصرية وانما هو مجرد تكتل من عدد لانهائى من الكائنات ، فى حين تستمد الوحدة العنصرية ايجابيتها وسلبيتها من علة أسمى وأعم ، حتى يتسنى لها أن تحقق التناسق والجمال السائد فى الطبيعة •

الفارق الاساسى بين دليل كل من لوك وليبنتز هو أن دليل ليبنتز ما بعد طبيعى يجعل كل وحدة عنصرية تعبر بطريقتها الخاصة عما يحدث خارجها ولا يمكنها أن تؤثر على الكائنات الأخرى الا بسبب داخلى يعتمد على العلة الكلية التى تجعلها فى تناسق مع غيرها وكل ما يأخذه ليبنتز على لوك أنه يتردد فى اكمال استدلاله وأنه لم يضع فى الاعتبار ما ذهب اليه الافلاطونيون الذين لديهم فكرة مختلفة عن كل من العقل والمـادة •

والآن كيف نعرف وجود الاشياء الاخرى ؟

هل يمكن الاعتماد على المعرفة الحسية فى اثبات وجود الاشياء الخارجية ؟

يرى لوك أن الانطباعات والتأثيرات التى تسببها الاشياء الخارجية كفيلة أن تجعلنا نعرفها وبعبارة أخرى شهادة الحواس كاملة وقادرة أن تعطينا يقينا ومن العبث اذن أن نشك فى وجود البشر فى العالم عندما لا نراهم ، كما أن الذاكرة تساعدنا فى معرفة الاشياء الماضية ولكنها لا تساعد فى الحكم على وجودها الحاضر وباختصار يرى أن معرفة الاشياء الاخرى خلاف انفسنا والله يمكن أن تعتمد على الحواس أو على الذاكرة أو على الايمان والوحى • أما ليبنتز فيرى أن الذاكرة خادعة وقد يدعمها الايمان فى بعض الاحيان وقد تعتمد على الصدفة أحيانا •

واذا كان لوك قد صنف القضايا الى جزئية تتصل بالوجود وعامة تتصل بارتباط الافكار والحقائق الخالدة ، فان ليبنتز يصنفها الى قضايا واقع وقضايا العقل ، قضايا العقل عامة ضرورية أما قضايا الواقع يمكن أن تكون عامة ولكن عموميتها ليست كاملة لانها لا تعتمد على الضرورة وقـد يزودنا العقل بقضايا احتمالية وممكنة وقضايا مختلفة مشتقة من مقدمات بعضها يأتى من الواقع وبعضها يأتى من القضايا الضرورية •

واذا تساءل البعض عن الاساس الحقيقى ليقين الحقائق الضرورية الخالدة اجاب ليبنتز الاساس هو العقل الكلى السامى الذى هو المبدأ المنظم للموجودات •

وسـائل زيادة معارفنا :

ينتقل الحوار الى المنهج اللازم للوصول الى اليقين ويؤكد ليبنتز أن مبدأ المبادىء وأساس المعرفة الحقيقية هو حسن استخدام الأفكار والتجارب اعتمادا على التعريفات والبديهيات وبعبارة أخرى لابد من منهج يقوم على فن الاكتشاف والحصول على الأدلة وتوضيح الافكـار المتوسطة وتنظيمها • ويعتمد هـذا المنهج على أساسين رئيسين أولهما البدء بالبديهيات والتعريفات لنصعد بخطوات صغيرة وبتسلسل مستمر الى اثبات الحقائق التى قد تبدو فى بداية الأمر انها تفوق طاقة البشر وثانيها الاعتماد على التجربة التى تفسر الظواهر وتساعد على التنبؤ فى مجال الممارسة • ويشير الى ما حققه بيكون فى مجال التجريب فقد استطاع صياغة القواعد التى تمكن « نوبل » من ممارستها وتطبيقها فى مجال العلوم الطبيعية • كما يشير الى ما حققه ديكارت وأسبينوزا اعتمادا على المبدأ الذى يقرر أن كل شىء فى الطبيعة يتم آليا •

(د) الأحكام ودرجات التصديق

١ ــ معنى الحكم :

ينتقل الحوار الى مجال جديد يتصل بالأحكام وما يتبعها من احتمال وتصديق وما تثيره من مشـاكل تتصل بدور كل من العقـل والايمان والحماس فى الوصول الى الحقيقة •

يبدأ الحوار بتحديد التعريفات المختلفة للحكم التى يذكرها لوك وهى :

١ ــ الحكم ملكه نستخدمها احيانا وقد نقنع به بالضرورة أحيانا وقد نقبله لنقص فى المهمة أو الصبر أو المهارة احيانا اخرى •

٢ ــ هو التصديق عندما نسلم بالصدق قبل الحصول على الدليل فاذا أتفق مع حقيقة الاشياء أصبح الحكم صوابا •

ويضيف ليبنتز الى ذلك أنه الفعل الذى نفعله بعد أن تعرف السبب • هذه التعريفات للحكم تتطلب التمييز بينه وبين الاعتقاد على أساس ان الاعتقاد ليس يقينا ، كما يتطلب التمييز بين التخمين والظن فالتخمين يعتبر صوابا الى ان يثبت العكس أما الظن فيحتاج الى أن نقابله بظن آخر ، التخمين لا يقصد به التسليم قبل الدايل وانما يقصد به التسليم مقدما بناء على اساس فى انتظار الدايل الذى ينقصه •

أما الاحتمال فيقصد به لوك الارتباط الظاهرى القائم على ادلة لا تظهر الارتباط الثابت فى حين يقصد به ليبنتز ما يقوم على ما يبدو صادقا أو ما يتفق مع الحقيقة وهنا أثير النقاش حول أهمية شهادة الآخرين : يرى لوك أنها بالرغم من أنها تجعل الواقع محتملا لا يجب أن تتخذ رأى الاخريين أساسا حقيقيا للاحتمال ؟ فى حين يرى ليبنتز أن شهادة الأخرين لها أهميتها فى مجالات معينة وخاصة لدى القضاة وفى حسم النزاع بين رجال الدين •

٢ ــ درجات التصديق :

رأى لوك أن درجات التصديق تعتمد على أسس الاحتمال ولا تتجاوز درجة الظاهر الذى نجدها فيه ولن تقوم على رؤية فعلية وعلى ذلك يجب ألا نتمادى فى الشك أو نتمسك بالخطأ أو نتوقف عن الحكم فى الأمور التى لن نصل فيها الى معرفة يقينية •

ويضيف ليبنتز أن قرارات ذهننا المعتمدة على الاحتمال يجب ألا تكون ثابتة وعلينا أن نكون مستعدين لمراجعة تفكيرنا كلما اعترضنا أسس جديدة أما اذا لم يكن لدينا الوقت للتروى علينا أن نتبع الحكم الذى نصدره باعتباره حكما صحيحا •

يحذرنا لوك من ارغام أى فرد على اعتقاد شىء ما ومن استخدام العنف فى أرغام الآخرين على قبول أى رأى • ويتفق معه ليبنتز فى هذه النقطة ويضرب أمثلة من تعنت بعض رجال اللاهوت مما أدى الى

تشوب الحروب الأهلية بين المتعصبين والمتسامحين • ويؤكد أن للآخرين الحق فى التمسك باعتقاداتهم بل ونشرها اذا آمنوا بأهميتها باستثناء الاعتقادات التى تحث على الجريمة فمن واجبنا القضاء عليها واستخدام العنف لو استدعى الأمر •

أما عن درجات التصديق فهى تتمشى مع نوع القضايا : القضايا التأمليه لا تعتمد على شهادة البشر وقضايا الواقع تعتمد على شهادتهم ويمكن ترتيبها على النحو التالى :

١ ــ اليقين أو أعلى درجات الاحتمال عندما تتفق شهادة جميع الناس فى جميع العصور مثلا النار تحرق •

٢ ــ الثقة التى نعتمد على ما يقرره جميع المؤرخين •

٣ ــ اعتقاد ثابت عندما تؤيد طبيعة الاشياء أو لا تعارض هذا الــواقع •

٤ ــ الظن والتخمين والشك عندما تتعارض شهادة الشهود مع التيار الطبيعى أو عندما يتعارض الشهود بعضهم مع بعض يصبح ظننا وفى هذه الحالة يلزما الدقة لنصدر حكما صوابا •

يقارن ليبنتز بين هذه الدرجات من التصديق وبين ما قرره رجال القانون من قرائن وتخمينات ومتواترات سواء منها ما يتصل بالقوانين المدنية أو القوانين الجنائية ، كما يقارنها بما لدى الأطباء من درجات التصديق تعتمد على علامات ودرجات الاختلاف التى تساعدهم فى تشخيص المرض • ويلفت النظر الى ضرورة ادخال عنصر الصدفة أو الحظ ، ويستطرد ليتحدث عن اهتمام علماء الرياضيات بدراسة الصــدفة فى الألعاب وخاصة « دى ميرى » و « بسكال » و « هيوجينز » ويطالب بضرورة الاهتمام بدرجات الاحتمال كما يحذرنا من شهادة المعاصرين للواقعة وما يشوبها من هجاء أو تشهير أو مبالغة • كما ينصحنا بضرورة التأكد مما نأخذه عن الأصول القديمة أو الأساطير أو القصص القديمة

وذلك بأن نطابق بينها وبين ما يصاحبها من مخطوطات أو اثار فنية ، كما ينصحنا الاهتمام بالتنقيب فى الماضى وكتابة تاريخ الفنـــون المختلفة التى تتصل بالملابس أو فن الخياطة أو غيرها وباختصار يقترح أن نحصل على تاريخ كلى شامل يسجل معارف ومهارات البشر وتكون بمثابة أمثلة غير عادية تحثنا على الفضيلة •

الى جانب درجات التصديق بالاشياء التى تقع تحت حواســنا هناك تصديق بالاشياء غير الحسية وغير القابلة لأى شهادة مثل وجــود وطبيعة الملائكة والشياطين والكواكب الأخرى ، وهى كلها أمور تعتمد على المقارنة ولا تبدو محتملة الا بقدر تناسبها مع الحقائق المقررة ونظرا لأننا نتدرج من المحسوس الى اللامحسوس فأننا نحتاج الى شهادة الوحى والايمان ومن ثم لابد من التمييز بين التصديق الطبيعى والتصــديق المتصل بالوحى والايمان والذى يفوق الطبيعة •

(هـ) مصادر المعرفة : العقل والايمان والحماس :

١ ــ معنى العقل :

التمييز بين التصديق الطبيعى والتصديق المتصل بالايمان يطرح أسئلة تتصل بالمقصود بكل من العقل والايمان والحماس من جهة والصلة بينهما من جهة أخرى ؟

يعرف لوك العقــل بأنه :

١ ــ المبادىء الواضـــحة والحقيقية •

٢ ــ النتائج المستدلة من هذه المبادىء •

٣ ــ الملكة التى تميز الانسان عن الحيوان والعلة النهائية •

وظيفته أن يمدنا بالمعارف وينظم اعتقاداتنا ويشمل ملكتين : الفطنة التى تحصل على الأفكار المتوســطة ، والاســتدلال أو اســتخراج النتائج • وله أربعة درجات :

١ ــ اكتشاف الأدلة ٠

٢ ــ تنظيمها بطريقة تظهر ارتباطها ٠

٣ ــ ادراك الارتباط فى كل جزء من الاستدلال ٠

٤ ــ استدلال النتيجة ٠

ــ ويقصـد بـه ليبنتز :

١ ــ الحقيقة المعروفة التى بارتباطها بحقيقة أخرى أقل منها تصـديق الأخيرة ٠

٢ ــ علة كل من الحكم والحقيقة ٠

٣ ــ العقلى القبلى أى معرفة علة الأشياء استجابة للعقل وأحيانا تسمى هـذه العلة عقـلا ٠

٤ ــ الملـكة التى تدرك هـذه الرابطة بين الحقائق ٠

٥ ــ ملكة التفكير وتشمل جزئين متميزين : الاختراع والحكم ٠

ويطرح سؤال آخر يتصل بأهمية القياس ودوره كأداة للعقـل ووسيلة لملكة التفكير ٠ وقد رأى لوك عدم جدواه لعدة أسباب منها :

١ ــ يساعد فى رؤية الارتباط بين الأدلة فى مثال واحد وحسب ٠

٢ ــ الذين يستخدمون أشكاله وانماطه يعملون وفق قانون واضح وضعه استاذهم دون أن يفهموا علته ٠

٣ ــ اذا كان القياس ضروريا فلن يعرف العقل الانسانى أى شىء قبل اكتشافه خلق الله الانسان حيوانا ذا ساقين وترك لارسـطو مهمة أن يجعل منه حيوانا عاقلا ٠

٤ ــ عدد قليل من الناس يمكنهم الاهتمام بفحص أسس الأقيسة ٠

٥ ــ هذه الوسيلة ليست الوسيلة الوحيدة ولا الافضل للتفكير ، وأرسطو نفسه لم يصل اليه بواسطة هذه الاشكال وانما عن طريق التوافق الواضح بين الافكار •

٦ ــ المعرفة التى نكتسبها بواسطة النظام الطبيعى فى الاستدلال أفضل بدون ســـند من أى قياس •

٧ ــ يلزمنا أن نعرف أى الارتباطات لديه الفكرة المتوسطة بين أول القياس وآخره وهذا ما لا يمكن لأى قياس أن يثبته • فالعقل هو الذى يستطيع أدراك هذه الافكار عن طريق التجاور ورؤيته الخاصة فما فائـــدة القياس ؟

٨ ــ يمكن أن نستخدم الأقيسة فى اكتشاف الخطأ المستتر راء بريق البلاغة وتجنب الفطنة المقنعة ولكن الفحص الدقيق أظهر أنه علينا نميز بين الافكار التى تعتمد عليها النتائج وتلك التى تكون سطحية وأن نرتبها فى نظام طبيعى يظهر تنافرها •

٩ ــ اذا كان القياس مفيدا فلن يفوت الأمراء أن يستخدموه فى المناقشات الهامة التى تخص عرشهم أو مصالحهم •

١٠ ــ هذه الأشكال المدرسية لا تخلو من خداع ومن النادر جدا أن تقنع الخصم •

١١ ــ اذا أدخلت استدلالات خاطئة فى القياس فمن الواجب اكتشاف هذا الخطأ بوسيلة أخرى غير القياس •

بالرغم من هذه العيوب لا يرى لوك مانعا من استخدام القياس ولا يرى داعيا لأن نحرم أنفسنا من وسيلة يمكنها أن تساعد الفهم : وحجته فى ذلك انه اذا كان هناك عيون لا تستطيع أن ترى بدون نظارة فليس معنى ذلك أن نلزم الجميع باستخدام النظارة •

أما دفاع ليبنتز عن القياس فيعتمد على أنه من أحسن ما صنع العقل

البشري وأحقها بالتقدير وهو نوع من الرياضة الكلية يحتوى على فن العصمة دن الخطأ ، بشرط آن نحسن استخدامه وهذا ليس يسيرا دائما ويتطلب استخدام الادلة الصورية بالمعنى الذى يجعل كل استدلال نستدله بطريقة صورية لا يحتاج لاضافة أى موضوع آخر • ويستطرد فى ذكر أمثلة من الأقيسة ليوضح كيف نستخدم الصور المنطقيـة بالطريقة التى يريدها • ويثبت خطأ قول لوك أن القياس لا يستخدم الا لرؤية الارتباطات بين الادلة فى مثال واحد فحسب • وليؤكد أهمية استخدام الحساب الجبرى أو حساب اللامتناهى الذى يدعو اليه لمـا يمتاز به من مزايـا •

بعد الانتهاء من تعريف العقل والدفاع عن القياس واثبات أهميته فى التفكير الاستدلالى يعرض ليبنتز لنقطة أخرى هى الحجج التى يمكن استخدامها للاقناع والتى يجملها لوك فى الحجج الاربعة :

١ ــ الاقناع عن طريق السـلطة والمركز •

٢ ــ المطالبة بدليل أفضـل •

٣ ــ الضغط على الشخص بما يقول هو نفسه •

٤ ــ استخدام الادلة للاقناع •

ويلفت ليبنتز النظر الى ضرورة التمييز بين ما يحسن قوله وما هو جدير بأن نعتقده • لدينا العديد من الحجج التى يمكن أن يستخدمها العقل لاقناع الاخرين ، كما يلفت النظر الى التمييز بين ما يعارض العقل وما يفوق العقل : الاول يشمل كل ما هو غير متفق مع أفكارنا الواضحة والمتميزة والثانى يشمل كل احساس لا نرى ان صدقه أو احتماله يمكن أن يخضع للاحساس أو التفكير وبذلك يكون وجود أكثر من اله واحد يعارض العقل وبعث الموتى يفوق العقل • وينبهنا الى ما يمكن أن يثيره تعبير « يفوق العقل » من غموض أو لبس ، فقد يقصد به كل ما نجهله ولا نستطيع معرفته فى حالتنا الحاضرة ، مع أن هناك من الوقائع

معرفتها تفوق عقلنا ليس لانها فوق الحس وأنما لنقص المعلومات أو الاعضاء التى اذا حصلنا عليها أمكن معرفتها • والواقع أنه ليس هناك ما يفوق العقل لان الله يستطيع دائمـا أن يعطينا الوسائل لمعرفة أى حقيقة وهنا تطرح مسألة الصلة بين العقل والايمان ويرفض ليبنتز القول بتقابلهما ويفضل القول أن الايمان يؤسس على العقل وبالتالى رفض القول أنه لا داعى لبذل الجهد وتقديم الحجج والمبررات للأمور التى تتصل بالاعتقاد وكذلك القول بفصل الفلسفة عن اللاهوت • ويؤكد أن نظام الطبيعة نفسه مؤسس بناء على رغبة الله الطيبة بحيث يمكن أن يستبعد عنها ، لمبررات عليا تتطلبها العناية كل ما لا يجب أن يحدث الا بناء على أدلة جيدة لا يمكن أن تأتى الا من شهادة الله نفسه التى يجب أن تمتثلها كلية عندما تتحقق كمـا ينبغى •

نقطة أخرى يثيرها صلة العقل بالايمان هى ضرورة التمييز بين الوحى الأصيل والوحى التقليدى : الأول يصنعه الله مباشرة فى العقل ، والثانى يأتى بالطرق العادية للاتصال ولا يعطى أفكارا جديدة بسيطة كما أن الوحى المباشر لا يخطىء مطلقا ولهذا لن نسلم بأى قضـية باعتبارها وحيا الهيا اذا ما تناقضت مع المعرفة المباشرة والا لمـا وجد اختلاف بين الحق والباطل أو بين الاعتقاد الصادق والاعتقاد الباطل ، لانه ليس من المناسب مطلقا أن يصدر من الله ، هذا الصانع الخير لوجودنا والـذى نسلم بحقيقته ، ما يقلب أسس معارفنا ويجعل كل ملكاتنا بغير فائدة • وتأكيدا لمـا ذهب اليه من صلة العقل بالايمان بعرض لبعض المشكلات التى أثارها اللاهوتيون منهـا :

١ ـ النزاع القائم بين أصـحاب المذهب الذى ينكر الثالوث وألوهية المسيح من جهة والكاثوليك أو المصلحين من جهة أخرى مبينا خطأ أصحاب هذا المذهب لرفضهم مالا يتفق مع نظام الطبيعة طالمـا لم يتمكنوا من اثبات استحالته ؛ وخطأ خصومهم الذين دفعوا هذا السر الى حدود التناقض فأضروا بالحقيقة التى حاولوا الدفاع عنهـا •

٢ ــ النزاع حول الضرورة المنطقية والضرورة الطبيعية وهل يمكن للجسد ألا يكون في محل ، ويرى أنه اذا لم نتمكن من اثبات الضرورة المنطقية فلا أقل من اثبات الضرورة الطبيعية •

٣ ــ النزاع حول التسليم بحرفية النص أو القول بالتأويل ويرى أن هناك أمورا يجب قبول النص فيها وحالات أخرى لابد من تأوليها •

٤ ــ النزاع حول أمكان أثبات التثليث عقليا ومحاولة البعض ذلك•

٥ ــ النزاع حول الذين ماتوا قبل ان يعرفوا العهد القديم ولديهم ايمان طبيعي يمكن أن ينقذهم ويناقش الرأيين السائدين في عصره الرأى الذى يقرر أن الله لا يرفض عنايته لهؤلاء الذين لديهم المشاعر الطيبة ، والرأى الذى يتهم حتى الأطفال الذين توفوا دون تعميد ويميل ليبنتز الى الفريق الأول مؤكدا أن الله أكثر محبة للبشر من البشر مقتنعا بأن الله لن يعمل شيئا لا يكون مليئا بالخيرية والعدالة •

وأخيرا يعرض ليبنتز لقضية الالهام وما يتصل به من حماس دينى لدى بعض الافراد الذين يتصورون أنهم أصحاب الهام أو وحى مباشر • ويثير قضية هل يصلح الخيال مرشدا ومصدرا للوحى ؟ أننا نعرف أن للشيطان ضحايا ، فاذا أكتفينا بالاقتناع وحده لن نميز بين أوهام الشيطان والهامات الروح القدسى ، حقا اننا نستطيع التثبت مما يقوله القديسون الذين يتقبلون الوحى من الله مباشرة بالعلامات الخارجية والمعجزات التى تدعم النور الداخلى •

يعترض ليبنتز على هذا النوع من الحماس الدينى القائم على الخيال الخصب لدى بعض الأشخاص والذى يجعلهم يتخيلون أمورا وتصورات لم تكن لديهم من قبل • ويذكر العديد من الأمثلة عن الشخصيات التى عرف عنها ذلك (الآنسة التى تخيلت أنها تتحدث الى المسيح وأنها زوجته ، القديسة تريزا فى أسبانيا) .ويلاحظ أنهم يلزمهم المعجزات التى تدعم دعواهم حتى نؤمن بهم • ويؤكد عدم جدوى هذه التنبؤات

التى لا أساس لها والتى كان لها آثارها الضارة على من اعتقدها ، وان كان من الممكن أن نستفيد منها فى جوانب أخرى لان الله يستطيع أن يستخدم الخطأ ليدعم الحقيقة ، ولكن يجب ألا نسمح لأنفسنا أن نستخدم الخداع وسيلة لغاية طيبة . أما عقائد الدين نفسها فليست فى حاجة مطلقا الى تجليات جديد ويكفى أن نقترح قواعد ملائمة نتبعها دون حاجة الى معجزات ؛ والمسيح نفسه ؛ مع أنه لجأ الى المعجزات ، رفض أحيانا أن يعتمد عليها فى اقناع المنحرفين الذين طالبوه بالادلة ، ما دام لم يأت الا ليبشر بالفضيلة وما يدعو اليه العقل الطبيعى والانبياء .

(هـ) الخطـــــأ :

يرجع لوك خطأ البشر الى أربعة أسباب أساسية :

١ ـ نقص الأدلة .

٢ ـ قلة الخبرة فى اســتخدامها .

٣ ـ نقص فى ارادة استخدامها .

٤ ـ قواعد الاحتمال الخاطئة .

يهتم ليبنتز بما يضمن استمرار الحياة وينقصهم الكثير كالقراءة وتعلم اللغات وملاحظة الطبيعة والاهتمام بالفن وليس لديهم الوقت للتفكير فى الجانب الروحى والتزود بالثقافة الدينية أو غـيرها من الثقافات .

تدفعنا هذه الحالة الى التساؤل هل يمكن أن ترجع سعادة البشر أو شقاؤهم الى الصدفة ؟ وهل الاجدر بهم أن يتخلوا عن الاعتقادات السائدة وعدم الانقياد وراء مرشديهم والمسئولين فى بلادهم ؟

يجيب ليبنتز أن الامر لا يرجع الى الصدفة ويؤكد أن الذيــن لا يستطيعون الاعتماد على أنفسهم أو التفرغ للبحث فى الحقائق الصعبة

التى لا تمس مشاغل حياتهم ، يمكنهم أن يتبعوا المشاعر المسموح بهـا وأن يكون لديهم قابلية للتصديق والارادة الطيبة التى تسمو بهم والتى يزودهم بها الله الخير والعادل والرحيم بعبادة . أما أولئك الذين ينقصهم المهارة لتقييم ما لديهم من أدلة ، ويكتفون بقياس أو قياسين ، فلا حصر لهم وهناك نماذج منهم فى كل مكان (فى القصور أو البورصة أو المستشفيات أو المنازل الصغيرة) ويرى ليبنتز أن الاغنياء ينقصهم هذه المهارة أكثر من الفقراء لأنهم يضعون أنفسهم باختيارهم فى نـوع من الفاقة والحرمان تمنعهم من التفرغ للاعتبارات الهامة ، أما أولئك الذين ينقصهم القدرة وهم قلة فان ما لديهم من فطرة سليمة وممارسة يكفـى لتحقيق كل ما لا يحتاج الى يقظة اذ أن أرواحهم رغم ما بينها من اختلاف أصيل لا ينقصها سوى حسن التوجيه . فريق آخر لديهم الارادة ولكن يغلب عليهم الانغماس فى الملذات أو الكسل أو الاهمال والنفـور من الدراسة والتأمل مما يعوقهم عن البحث عن الحقيقة بل هناك من يخشى مواجهة الحقيقة ويفضل البقاء فى الجهل . وهناك من يسلم قيادة نفسه لغيره ممن هم أقل مكانه ولكنهم متفوقون فى العلم والمعرفة . وهؤلاء هم أسوأ نموذج من البشر لا ليس أسوأ من عبودية الذهن . ويضيف ليبنتز الى هذه النماذج من البشر الذين يقعون فى الخطأ أولئك الذين يهملون صحتهم التى هى أكبر ثروة ، وأولئك الذين ينظرون الى الفكر على أنه من عمل الشيطان ولا بد من التغلب عليه بتوجيه ذهنهم وجهه أخرى . ويرجع كل هذا الى عدم الاهتمام بالعلوم والفنون وتاريخ اللغات ويقترح ليبنتز تأليف موجز (مختصر) يضم اهتمامات الانسان يشبه ذلك الموجز الذى قدمه القديس أوغسطين لقوى وحاجات الدولة .

أما الاخطاء الصادرة من المقاييس الخاطئة للاحتمال فأن لوك يرجعها الـى :

١ — القضايا المشكوك فيها والتى نأخذها على أنها مبادىء .

٢ — الافتراضات المقبولة .

٣ — السلطة •

ويضرب لوك مثالا للقضايا المشكوك فيها والتى نأخذها على أنها مبادىء موقف الشخص العادى من مشكلة سر القربان ومدى تجاوبه مع النظرية التواجدية التى قالها اوثر والتى تؤكد أن الوجود الجوهر الالهى فى القربان لا يمنع وجود الخبز والخمر ، ويرد عليه ليبنتز من خلال شرح النظرية الانجليكية وموقفها من الحضور الحقيقى لجسد الرد فى سر القربان ويقارن بينها وبين نظرية كل من لوثر وكالفين •

أما الاخطاء الناتجة عن قبول الافتراضات والتمسك بها كأنها مبادىء مؤكدة والتى يصعب التخلص منها ، فأن ليبنتز ، مع اتفاقه مع لوك فى خطورة هذه النقطة ، يحاول أن يوضح أهمية هذه الافتراضات فى مجال العلم مستندا الى ما حققه كوبرنيق وديكارت من ثورة علمية بناء على افتراضات ثبت صحتها رغم المعارضة الشديدة التى تعرضوا لها لعدم توافر الحرية الفكرية والفلسفية •

أما عن الاخطاء الناتجة من السلطة التى يساء فهمها والتى تجعل الناس فى جهل فهى أخطر من غيرها وتقوم على نظرية قديمة اعتقدها القدماء واستمرت طوال القرون ليؤمن بها معاصرى لوك وليبنتز والتى ترى أن المرء يكون فى مأمن من الخطأ عندما يؤمن بما هو سائد وشائع يحاول لوك أن يبين خطورة التسليم بهذا الرأى ويوضح أن التأمل فى الدوافع الخفية التى يتعرض لها العلماء والرؤساء والاحزاب يظهر أنهم بعيدون تماما عن الحب الخالص للحقيقة • ويشير ليبنتز مرة أخرى الى كتاب القديس أوغسطين الذى يعرض فيه موقفه من السلطة ويؤكد أننا لا نملك أرغام أى شخص على اتباع اعتقاد ما أو التخلى عن اعتقاد ما لاننا لا نملك الدليل المعارض وليس من حقنا أن نغير شيئا بدون سبب • ويستشهد على ذلك بما حدث عندما عجز لاهوتيو حزب روما عن تدعيم سلطة الكنيسة وسلطة أصحاب المقام الاسمى فيها بالاحتكام

الى الاستدلال العقلى فاضطروا الى اخضاعها لتقرير الواقع والاعتراف بالعرف • وهذا ما فعله أيضا كل من « هنرى هولدن » الانجليزى فى كتابه « تحليل الايمان » وجريستر العالم الجيزوينى فى كتابه أيضـا « تحليل الايمان » عندما قررا أن الدور الحقيقى للكنيسة هو تقرير نظرية سائدة فعلا أو توضيحها ، ويقترح ليبنتز لتفـادى هـذا الخطـر تأليف سجل يضم القضايا التى تقررها أو تحرمها المجالس والبابوات والقساوسة والرؤسـاء والتى تخدم تاريخ الكنيسة وتساعد البشر فى الوصول الى ايمان ضمنى بدلا من أن يستسلموا استسلاما أعمى ، قـد يكون بحسن نية ، لاحكام الآخرين ، وقد اكتفت الكنيسة الرومانية بهذا الايمان الضمنى الذى يجعل الثقة شرطا ضروريا للسلام •

(ز) تصنيف العلوم :

نصل الى الفصل الأخير الذى يعرض فيه ليبنتز موقفه من تصنيف لوك العلوم الى ثلاثة أنواع :

١ ــ علم الطبيعة أو الفلسفة الطبيعية التى تضم كل ما يتصل بالاجسام ومتعلقاتها من عدد وحجم وشكل وأرواح وملائكة بل والله نفسـه •

٢ ــ الأخلاق أو الفلسفة العملية الذى يعلمنا الوسيلة التى نحصل بها على ما هو خير ومفيد ولا يقتصر على معرفة الحقيقة فحسب بل يدعو الى ممارسة ما هو صواب •

٣ ــ المنطق أو معرفة العلامات التى تدل على أفكارنا وتساعدنا فى تبادلها مع الآخرين •

يرى لوك أن هذه الفروع الثلاثة تمثل ثلاثة ممالك مستقلة منفصلة عن بعضها ومتميزة عن بعضها يعترض ليبنتز على تصنيف لوك لأنـه تصنيف عرفه القدماء وثانيا ما يثيره من صعوبات أهمها :

١ ــ المنطق كعلم للتفكير والحكم والاختراع يختلف عن علم اشتقاق الكلمات واستخدام اللغات ، والتقسيم الذى قال به لوك يجعلنا نتبع فى العلم نفس الطريقة التى نتبعها فى المعاجم •

٢ ــ لا بد فى علم المنطق من التعرض لتعريف الحدود •

٣ ــ هذا التصنيف يجعل كل علم من العلوم الثلاثة يبتلع العلمين الآخرين : فالأخلاق والمنطق مثلا سيدخلان فى مجال علم الطبيعة لأن الحديث عن الاذهان أى الجواهر التى لديها فهم وأرادة يجعلنا نتعرض لعلم المنطق والاخلاق • كذلك الامر بالنسبة للفلسفة العملية أى الاخلاق باعتبارها تساعد على تحقيق سعادتنا تتطلب علم اللاهوت والسياسة والقانون والطب • وباختصار ستصبح الممالك الثلاثة فى صراع مستمر وحرب دائمة ما دام كل مملكة منها تعتدى على حقوق المملكتين الاخريتين •

هناك تصنيف آخر قال به الاسميون الذين يعترفون بوجود من العلوم الجزئية بقدر ما يوجد من حقائق والتى يمكن تشكيلها فى مجموعات يمكن ترتيبها •

تصنيف ثالث يقارن معرفتنا بمحيط ذا مساحة واحدة ولا يقسم الى أقسام الا بخطوط وهمية تعسفية وذلك لأن الحقيقة الواحدة يمكن أن توضع فى أكثر من مكان حسب الحدود التى تحتويها أو حسب الاسباب التى تعتمد عليها أو النتائج التى يمكن أن نحصل عليها •

أما التصنيف الذى يقترحه ليبنتز فيعتمد على ثلاثة نظم رئيسية نظام تركيبى يرتب الحقائق حسب نظام الأدلة ، كما يفعل الرياضيون بحيث تعتمد كل قضية على ما قبلها ونظام تحليلى عملى يبدأ بالخبرات التى تجعل السعادة فى القمة ويمدنا بالوسيلة التى تجعلنا نكتسب هذه الخبرات ونتجنب الشرور والثالث نوع من الفهرست للحدود التى ترتبها أما حسب المحمولات التى نعبر عنها أو نرتبها أبجديا وفق

اللغة المعترف بها لدى العلماء هذا الفهرست ضروري للحصول على كل القضايا التي يدخل فيها هذا الحد • ويلاحظ ليبنتز أن هذا التقسيم يتفق مع تقسيم لوك فالنظام التركيبي يتفق مع علم الطبيعة والنظام التحليلي يتفق مع الاخلاق والفهرست الخاص بالحدود يتفق مع المنطق ولكنه يختلف عن تقسيم لوك في أن هذه المجالات مترابطة وغير منفصلة وغير متميزة كما أراد لوك فهي ترتيبات مختلفة لنفس الحقائق •

ويضيف ليبنتز تصنيفا آخر يقسم العلوم حسب الملكات والمهن الى اللاهوت والتشريع والطب والفلسفة ، على أن ترتب الحدود الداخلة في كل قسم ترتيبا أبجديا ويؤخذ على هذا التصنيف مافيه من أخطاء كثيرة وما فيه من تسميات مختلفة لنفس الشيء الواحد •

ويختم ليبنتز حواره برأيه الذي عبر عنه في أكثر من مجال وهو الا نحتقر أي تصنيف أو أي فكرة والا نرفض أي وجهة نظر وانما واجبنا أن نعمل على استكمال ما فيها من نقص وتحاشى ما فيها من خطأ أو عيب وينصح الشباب بأن يقبلوا على تعلم التاريخ وفن الكلام وأصول اللاهوت وما بعد الطبيعة كما ينصح الفلاسفة والمفكرين من معاصريه بالا يهملوا أو يحتقروا المهن الاخرى وأن يجمعوا بين النظر والعمل فقد كان الأطباء قديما يجمعون بين الطب والجراحة والصيدلة ، وأن يلموا بفنون الحرب والموسيقى والرسم والنحت بل عليهم ألا يحتقروا الحرف المختلفة • أنهم أن فعلوا ذلك أصبحوا بحق معلمى الجنس البشرى وحققوا الكثير وساعدوا على تغيير الحالة الحاضرة التي يعيشها مجتمعهم وخاصة في مجالى الأدب والسياسة واذا كانت البشرية قد حققت تقدما منذ قرن أو قرنين فان ما ننتظره من اصلاح وتقدم وخير للجنس البشرى سيكون أكثر في المستقبل خاصة لو منح الله البشر حاكما صالحا •

ثالثـــــــا

ترجمة الباب الرابـــع

نظريـــــة المعرفـــــة

البـــاب الرابـــع

فى المعرفـــــة

الفصل الاول : فى المعرفة بوجه عام :

فيلاليـــت :

١ ـ لقد تحدثنا حتى الآن عن الأفكار والكلمات التى تمثلها • نصل الآن الى المعارف التى تمدنا بها الافكار ، لأنها لا تتصل الا بأفكارنا •

٢ ـ والمعرفة ليست سوى ادراك علاقة الارتباط أو الاتفاق أو التقابل وعدم الاتفاق التى توجد بين فكرتين من أفكارنا • وهى كذلك دائما سواء كنا نتخيلها أن نخمنها أو نعتقدها فنحن مثلا ندرك بهذه الطريقة أن الابيض ليس بالأسود •

وان هناك ارتباط ضرورى بين زوايا المثلث ومساواتها بقائمتين •

تيوفيـــل :

اننا ننظر الى المعرفة نظرة أعم ما دامت توجد أيضا فى الأفكار أو الحدود قبل أن نصل الى القضايا أو الحقائق ، ويمكن القول أن ذلك الذى رأى بوعى ، الاكثر من صور النباتات والحيوانات ، والاكثر من أشكال الآلات ، والاكثر من الاوصاف أو التمثلات للمنازل أو القلاع ، والذى قرأ الاكثر من القصص البارعة ، والذى استمع للاكثر من الحكايات الشيقة ، أقول أن ذلك الشخص لديه معرفة أكثر من أى شخص آخر حتى وان لم توجد كلمة واحدة صادقة فى كل ما وصف أو حكى له ، لأن ممارسة القدرة على تمثل ذهنه للكثيرمنالتصورات والافكار الواضحة والفعلية تمكنه أكثر من تصور كل ما يعرض له ، ومن المؤكد أنه سيكون أكثر ثقافة وأقدر من شخص آخر لم ير ولم يقرأ ولم يسمع شيئا ، بشرط

الا يأخذ فى هذه القصص والتمثلات ما هو غير حق على أنه حق والا تعوقه انطباعاته عن التمييز بين الحقيقى والخيالى ، أو التمييز بين الموجود والممكن لهذا لم يخطىء بعض المناطقة من عصر الاصلاح التابعين لراموس •

١ — عندما قالوا أن الحجج ومصادر الكتشافات (الادلة كما يسمونها) تستخدم كثيرا فى تفسير أو وصف مناسب تماما لمبحث غير مركب أى لشىء أو فكرة ومواغقاته لاثبات المبحث المركب كالفرض (الموضوع) أو الحقيقة • ويمكن أيضا تفسير الغرض لنعرف معناه وقوته ، دون أن يتطلب ذلك التعرض لحقيقته أو اثباته ، مثل ما نراه فى المواعظ أو الخطب الاخلاقية التى تفسر فقرات معينة من الكتاب المقدس أو فى قرارات بعض نصوص القانون المدنى أو الكنيسى ، حيث نفترض مقدما صدقها • يمكن أيضا القول أن هناك مباحث تتوسط الفكرة والقضية • وهى أسئلة منها ما يتطلب فقط الاجابة بلا أو نعم وهى أقرب من القضايا • ولكن هناك أيضا أسئلة تتطلب الكيف والحالات •••• الخ • وحيث يلزم أن نضيف الكثير لنجعل منها قضايا ، حقا أنه يمكن القول أنه فى الاوصاف (حتى الاشياء المثالية الخالصة) يوجد اثبات مضمر للامكانية ولكن من الحق أيضا أن من الممكن أن نتناول تفسير واثبات الخطأ مما يساعد أحيانا فى حسن دحضها ، كما أن من الممكن أن نطبق فن الوصف على المستحيل •

هـذا ما نجده مثلا فى قصص الكونت سكانديانو Scandiano الخيالية والتى سار على منوالها آريوست Arioste وفى قصص أماديز دى جول Amadis des Gaules وغيرها من القصص القديمة • وقصص العفاريت التى بدأت تنتشر مرة أخرى منذ سنوات • وفى القصص الحقيقية التى كتبها لوسيان Lucien

٢ — ورحلات سيرانودى برجيراك Cyranoe de Bergerac علاوة على ما فى الزخارف الاسطورية للرسامين (فى القرن ١٥ ، ١٦ فى

ايطاليا) • ومن المعروف أيضا أن لدى علماء البلاغة العديد من المقدمات والتمرينات التمهيدية • ولكن اذا أخذنا المعرفة بمعنى أضيق ، أى المعرفة الحقيقية ، كما فعلت هنا ياسيدى ، أقول أن من الحق تماما أن الحقيقة تقوم دائما على الاتفاق أو عدم الاتفاق بين الافكار ، ولكن ليس من الحق بوجه عام أن تكون معرفتنا للحقيقة ادراكا لهذا الاتفاق أو عدم الاتفاق • لأنه عندما لا نعرف الحقيقة الا تجريبيا ، لأننا اختبرناها دون أن نعرف ارتباط الاشياء والعلة الموجودة فيما نختبر فاننا لا نملك ادراكا لهـذا الاتفاق أو عـدم الاتفاق ، وما لم يكن هذا يعنى أننا نشعر بصـورة غامضة دون أن ندركه • ويبدو من أمثلتك أنك تطالب دائما معرفة تدرك فيها الارتباط والتقابل وهذا ما لا يمكن أن نوافقك عليه • علاوة على ذلك يمكن أن نتناول المبحث المركب ليس فقط لنبحث عن أدلة الحقيقة ولكن أيضا لنفسره ونوضحه وفق الحجج والافكار النموذجية كما سبق أن وضحت • وأخيرا لدى ملاحظة أبديها على تعريفك هو أنه يبدو فقط متفقا مع الحقائق (المقولية) التى تشمل على فكرتين : موضوع ومحمول ولكن هناك أيضا معرفة للحقائق (الشرطية) أو التى يمكن اخضاعها لهـا (كالشرطية المنفصلة وغيرها) حيث يوجد ارتباط بين القضية الاولى (المقدم) والقضية الثانية (التالى) ومن ثم يمكن أن تدخل أكثر من فكرتين •

٣ فيـــــلاليت :

علينـــا أن نقتصر هنا على معرفة الحقيقة وأن نطبق على ارتباط القضايا ما سنقوله عن ارتباط الافكار لكى نفهم كلا من القضايا الحمليـــة والشرطية معا واعتقد أن من الممكن أن نخضع هذا الاتفاق أو عدم الاتفاق لاربعة أنواع هى :

١ ـ تطابق أو اختلاف •

٢ ـ عـــــلاقة •

٣ ــ التواجد معا أو الارتباط الضرورى •

٤ ــ الوجـــود الحقيقى •

٤ ــ لأن الذهن يدرك مباشرة أن فكرة ما ليست هى فكرة أخرى ، أن الابيض ليس أسود •

٥ ــ ثم يدرك الارتباط بينهما بأن يقارنهما ، مثلا المثلثان الذى تتساوى قاعدتهما متســاويان والموجــودان بين مســتقيمين متوازيـــان متســاويان •

٦ ــ بعد هذا ، هناك تواجد معا (وبالاحرى ارتباط) مثل فكرة استمرار مصاحبة الثبات لافكارنا الاخرى عن الذهب •

٧ ــ أخيرا هناك وجود حقيقى خارج الذهن كما نقول : الله موجود •

تيـــــوفيـــل :

أعتقد أنه يمكن القول أن الارتباط ليس سوى النسبة أو العلاقة ، مأخوذه بصفة عامة • وقد أوضحت من قبل أن كل نسبة تكون أما مقارنة أو مؤازرة • المقارنة تعطى الاختلاف والتطابق أما فى الكل أو فى البعض، وما يجعل منه نفس الشىء أو مغاير له ، المشابه أو غير المشابه • المؤازرة تحتوى ما تسميه أنت التواجد معا أى الارتباط بالوجود • ولكن عندما نقــول أن شيئا يوجد أو أن له وجود حقيقى ، هذا الوجود نفسه يصبح المحمول ، أى له مفهوم مرتبط بالفكرة التى يتعلق بها وهناك ارتباط بين هذين المفهومين • يمكن أيضا أن ندرك وجود موضوع فكرة ما مثل مؤازرة هذا الموضوع لى ، وهكذا أعتقد أنه يمكن القول أنه لا يوجد سوى مقارنة أو مؤازرة • ولكن المقارنة التى تدل على التطابق أو الاختلاف ، ومؤازرة الشىء لى يصبحان الرابطتين الجديرتين بالتمييز من بين غيرها • ربمـــا يمكن عمل أبحاث أعمق وادق ولكنى أكتفى هنا بذكر الملاحظـــات •

٨ ـ فيـــلاليت :

توجد معرفة فعلية هى الادراك الحاضر لعلاقة الافكار • وهناك ماهية عادية (مألوفة) عندما يدرك الذهن بوضوح اتفاق الأفكار ويحتفظ بهـا بطريقة معينة فى الذاكرة بحيث كلما فكر فى القضية تأكد أولا من الحقيقة التى تحتويها دون أدنى شك • لأنه يعجز عن أن يفكر بوضـوح وتميز فى أكثر من شىء واحد فى نفس الوقت واذا لم يعرف البشر سوى الموضوع الفعلى لأفكارهم فأنهم سيظلون جهلاء وذلك الذى سيعرف أكثر لن يعرف سوى حقيقة واحدة •

تيوفيـــــل :

حقا أن علمنا ، وحتى البرهانى منه يجب أن نصل اليه غالبا بسلسلة طويلة من النتائج • ولا بد من أن يتطلب تذكر برهان سابق نواجهه بوضوح تام عندما نقرر النتيجة والا لزمنا أن نكرر باستمرار هـــذا البرهان وأيضا عندما يستمر لا نستطيع فهمه بأكمله دفعة واحدة لأن كل أجزاءه لن تحضر فى الذهن فى نفس الوقت • وعلى هذا اذا وضعنا باستمرار نصب أعيننا الجزء السابق ، لن نتقدم أبدا لنصل الى الجزء الاخير الذى يكمل النتيجة ، هذا يجعل من الصعب تقرير العلوم بـدون كتابة ، ما دامت الذاكرة لن تكون متأكدة بما فيه الكفاية • ولكن لاننـا سجلنا كتابة البرهان الطويل ، مثل برهان أبولو Apollonius

٣ ـ ومررنا بها كلها كأننا نفحص حلقات السلسلة حلقة بعـد حلقة ، وبهذا لقد استطاع البشر التأكد من أدلتهم الاختبارات ما دام النجاح سيبرز الكل • ما فائدة الادلة اذن ما دام النجاح سيكون من نصيب الكل فى النهاية •

ومع ذلك فهذا يظهر أن كل اعتقاد قائم على تذكر الرؤية الماضية للحجج أو المبررات ، إن يكون فى مقدرتنا ولا فى ارادتنا الحرة للاعتقاد

أو عدم الاعتقاد ، ما دامت الذاكرة ليست بالشيء الذي يعتمد على ارادتنا •

٩ — فيلاليت :

حقا أن معرفتنا المألوفة نوعان أو درجتان ؛ أحيانا لا يتمثل الذهن أبدا الحقائق المخزنة بالذاكرة وانما يرى الذهن الرابطة بين الافكار الداخلة فيها ولكنه أحيانا يقتنع بتذكر الاتفاق دون أن يحتفظ بالحجج، بل أحيانا دون أن يستطيع وضعها اذا أراد • يمكن أن يتخيل المرء أنه يثق فى ذاكرته أكثر من أن يعرف حقا الحقيقة التى هو بصددها ، وقد ظهر لى فيما مضى أن ثمة وسط بين الاعتقاد والمعرفة وأنها تأكيد يفوق الاعتقاد البسيط القائم على شهادة الاخرين ، ومع ذلك أجد ، بعد أن فكرت فيها تماما أن هذه المعرفة تتضمن يقينا كاملا • كونى اتذكر يعنى أنى أعرف (الذكرى ليست سوى تجديد شىء مضى) أنى كنت ذات مرة متأكدا من حقيقة هذه القضية « ان مجموع زوايا المثلث تساوى قائمتان » الا أن عدم تغير نفس الروابط بين نفس الأشياء الثابتة ، تصبح حاليا الفكرة الوسيطة التى تجعلنى أرى أنه اذا كانت متساوية ذات مرة فستكون كذلك مرة أخرى وعلى هذا الاساس تزودنا هذه البراهين الجزئية للرياضيات بالمعارف العامة ، والا فلن تمتد معرفة عالم الهندسة لتتعدى هذا الشكل الجزئى الذى رسمه وهو يبرهن •

تيوفيل :

الفكرة الوسيطة التى نتحدث عنها ياسيدى نفترض اخلاص ذاكرتنا، ولكن يحدث أن تخدعنا ذاكرتنا وأننا لم نتخذ كل الاحتياطات وعمل كل الاجراءات الضرورية مع أننا قد نعتقد ذلك الآن • هذا يبدو بوضوح فى مراجعة الحسابات • يوجد أحيانا مراجعون رسميون مثل أولئك الذين يعملن فى مناجم « هارز » Harz ولكى يصبح محصلو المناجم أكثر انتباها فرضت غرامات مالية على كل غلطة فى الحسابات ومع ذلك

وجدت الاخطـــاء رغم هذه الغرامات • ومع ذلك كلما زدنا العناية كلما أمكن الثقة فى البراهين السابقة • لقد اقترحت طريقة لكتابة الحسابات تجعل من يجمع مجموعات الاعمدة (الجداول) يسجل على الورق آثار تقدم البرهان ، بحيث لا يخطو أى خطوة لا فائدة منها • يمكنه دائما أن يراجعها وأن يصحح الأخطاء الأخيرة دون أن تؤثر على الخطوات الأولى : وبهذه الطريقة لن تتطلب المراجعة التى يريد أن يقوم بها أى شخص آخر بدون أى جهد تقريبا لأنهيستطيع فحص نفس الآثار بنظرة عين : بالاضافة الى وسائل التحقق من حسابات كل بند بنوع من البرهان العـــادى جداء دون أن تزيد هذه الملاحظات عمل الحساب • هذا يوضح تماما أن من الممكن أن يحصل الناس علىبراهين دقيقة على الورق ، وأن لديهـــم بدون شك عددا لا نهائيا • ولكن ما لم نتذكر أننا استخدمنا الدقة التامة ، فان نحصل على هذا اليقين فى الذهن وتتكون هذه الدقة فى نظام يجعل من ملاحظة كل جزء تأكيدا للكل • كما يحدث عندما نفحص السلسلة من خلال حلقاتها • أو معاينة كل حلقة منها لنرى ان كانت قوية ، ونعتمد على القياس باليـــد حتى لا نغفل أحداها ، وعندئذ نتأكد من صلاحية السلسلة • بهذه الطريقة نصل الى اليقين الكامل بقدر الطاقة البشرية ولكنى ــ بالنسبة للرياضيات ــ لا أتفق معك فى أن البراهين الجزئية للشكل الذى نرسمه تمدنا باليقين العام الذى يبدو أنك تقره • لأنه يجب أن تعرف أنـــه ليست الاشكال هى التى تعطى الدليلعند علماء الهندسة،رغم أنهذا الاسلوب(*) Ecthétique الشـــكلى يجعلنا نعتقد ذلك • قوة البرهان مستقلة عن الشكل المرسوم ، التى ليست سوى مجرد تبسيط لما نريد أن نقـــوله وأن نلفت نظر الذهن اليه • أنها القضايا الكلية ، أى التعريفات والمسلمات والنظريات التى تم اثباتها فعلا ، فهى التى تعمل البرهان وتسنده عندما لا يوجد الشكل • ولهذا نجد عالما فى الهندسة مثل شيبيلوس قد قدم أشكال اقليدس بدون حروفها التى يمكن أن تربطها بالبرهان الذى يلدته

(*) يقصد بهـــذا الأسلوب أن يبدأ عالم الهندسة بوضع القضية التى يريد اثباتها ثم يحاول بواسطة رسم الشكل أن يثبت المطلوب ..

بهـــا . وعالم آخر مثل هرلينوس Herlinus أخضع نفس البراهين للاقيسة والاقيســـة المركبة .

الشخصيـــــــــــات

١ — Ramistes تلاميذ راموس أو بيير دى لارامى ، مصلح منطقى مشهور فى القرن ١٦ ومعارض كبير لارسطو ، ولد فى « كوث » Cuth (فيرماندوا) عام ١٥١٥ وتوفى فى باريس عام ١٥٧٢ فى مذبحة القديس بارتيلمى . أهم أعماله هى :

1 — dialecticae partitiones
2 — aristoteliene animaduersiones .
3 — Schola dialecticae.

لقد ذكر M. ch. Waddington القائمة الكاملة لاعماله فى كتابه « عن حياة وكتابات راموس » .

٢ — Lucien سفسطائى وصاحب مصنفات فى موضوعــات متعددة مشهور فى العصر القديم ولد فى ساموسات وعاش فى القرن الثانى الميلادى (حوالى ١٢٠ الى ٢٠٠) من كتاباته العديدة نذكر خصوصا محاوراته عن الآلهة والموتى ، وبحثه عن فن كتابة التاريخ ، ومجتمـــع الآلهة ، طوائف فى مزاد .Sectes a I'encan أجمل طبعة قديمة لاعماله هى طبعة هيمسرهوز Hemsterhuys التى أكملها الاخوة « رتز » (٤ مجلدات فى امستردام عامى ١٧٤٣ ، ١٧٤٤) أما التراجم الفرنســـية فهى لا حصر لهـــا وقد تالبوت M. Talbot. طبعة كاملة أخـــيرا (مجلدين باريس ١٨٦٠) .

٣ — Apollonius de perge. فى مامفيلى أحد أكبر أربعة علمـــاء هندسة فى العصر القديم (مع أقليدس ، أرشـــميدس ، وديوفـــانت diophante) ولد حـــوالى ٢٧٤ ق.م ازدهر فى عصر بطليموس فيلوباتور philopator (٢١٣ — ٢٢١) وتاريخ وفاته غير معروف

بحثه عن Sections coniques مشهور شهرة عناصر elements
أقايدس • نشر halley طبعة جميلة فى أكسفورد عام ١٧١٠ •

٤ — Scheubelius عالم هندسة فى القرن ١٦ نشر

Euclidis sex libros priores de geometricis principiis, graece et latine.

أعمال أقليدس الستة السابقة لمبادىء الهندسة ، الاغريقية واللاتينية •

٥ — Euclide عالم هندسة كبير فى العصر القديم (لا يجب أن نخلط بينه وبين الفيلسوف أقليدس الميغارى (تلميذ سقراط) لا نعرف تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته نعرف فقط أنه عاش فى الاسكندرية فى حكم بطليموس ابن لاجوس فى القرن الثالث ق•م أهم أعماله هو كتابه (المبادىء) الذى ما زال حتى اليوم أساس التعليم • طبعة يونانية ـ لاتينية ـ فرنسية نشرها payrard باريس عام ١٨١٤ •

الفصل الثاني

درجات معرفتنا

١ ــ **فيلاليت** : المعرفة : اذن تكون حدسية عندما يدرك الذهن اتفاق الفكرتين مباشرة بذاتها دون تدخل أى فكرة أخرى • فى هذه الحالة لن يتعب الذهن لاثبات أو فحص الحقيقة • أنها كرؤية العين للضوء ، يرى الذهن أن الابيض ليس أسود وأن الدائرة ليست مثلثا وأن الثلاثة تساوى اثين وواحد • هذه المعرفة هى أوضح وأكثر يقينا والتى يقدر عليها الضعف الانسانى ، أنها تعمل بطريقة لا تقاوم ولا تسمح للذهن بالتردد • انها معرفة أن الفكرة تكون فى الذهن كما ندركها ، وكل من يطلب يقينا أكثر فهو لا يعرف ماذا يطلب •

تيوفيل : الحقائق الأولية التى نعرفها بالحدس نوعان مثل الحقائق المشتقة • أنها بعدد حقائق العقل أو حقائق الواقع • حقائق العقل ضرورية وحقائق الواقع عرضية • الحقائق الأولية للعقل هى تلك التى أسميها باسم عام هو التطابق identiques موجبة أو سالبة : الموجبة مثل الآتى : كل شىء هو ما هو عليه • والكثير من الامثلة التى نريدها أ هى أ ، ب هى ب ، سأكون ما أكونه • كتبت ما كتبت • ولا شىء ، فى الشعر أو النثر ، يكون لا شيئا أو قليلا من الشىء المثلث المتساوى الاضلاع ، وهذا الشكل مثلث • القضايا العطفية والشرطية المنفصلة وغيرها القابلة هى الاخرى لهذا التطابق واعتبر ضمن القضايا الموجبة لا أ هى لا أ وهذه القضية الشرطية ، اذا كان أ هى لا ب ينتج أن أ هى لا ب • وبالمثل اذا كان لا أ هو ب ج ينتج أن لا أ هو ب ج • اذا كان الشكل الذى له زاوية منفرجة مثلثا فان الشكل الذى ليس له زاوية منفرجة يمكن أن يكون مثلثا متساوى الأضلاع والزوايا Regulier أصل الآن

الى التطابق السلبى الذى يكون أما متناقضـــا أو متباينا disparates مبدأ التناقض هو بوجه عام : القضية تكون أما صادق أو كاذبة • والتى تشير الى نمطين من البيانات الصادقة احدهما أن الصدق والكـذب لا يجتمعان معا فى نفس القضية الواحدة وثانيهما أن القضية ان تكون صادقة وكاذبة معا • علاوة على مقابلها أى نفى الصدق والكـذب لا يجتمعان ، أو لا يوجد وسط بين الصدق والكذب ، أو لا يمكن أن يكون القضية لا صادقة ولا كاذبة • ولكن كل هذا يصدق على كل القضايا التى يمكن تخيلها •

مثل : ما هو أ لن يكون لا أ • مثلا حقا أنه قد يوجـد شخص ما ليس حيوانا • يمكن تغيير هذه البيانات بأكثر من طريقة تطبيقها على القضايا العطفية والشرطية المنفصلة وغيرها أما عن القضايا المتباينة فهى القضايا التى تقول ان موضوع فكرة ما ليس بموضوع فكرة أخرى مثل الحرارة ليست نفس الشىء واللون ، وأن الانسان والحيوان ليسا نفس الشىء مع ان كل انسان حيوان كل هذا يمكن أن تؤكده مستقلا عن أى برهان أو اخضاعه للتقابل أو مبدأ التناقض ، ما دامت هذه الافكار مفهومة بحيث لا يحتاج هنا الى تحليل ، ومن جهة أخرى يمكن أن نتعرض الى سوء الفهم : لان قولنا أن المثلث والشكل ثلاثى الاضلاع ليسا نفس الشىء ، قد يخدعنا ، مادام اعتبارنا له يجعلنا نرى أن الجوانب الثلاثة والزوايا الثلاثة يسيران معا دائما • كما يمكن أن يخدعنا القول أن رباعى الاضلاع والمثلث ليسا نفس الشىء ، لانه قد يحدث أن يحصل الشكل الوحيد ذا الاضلاع الاربعة على كل الزوايا القائمة • ومع ذلك يمكن القول دائما فى التجريد أن المثلث ليس بالشكل ثلاثى الأضلاع ، أو أن المبررات الصورية لكل من المثلث والشكل ثلاثى الاضلاع ليست هى نفسها كما يقول الفلاسفة • انها ارتباطات مختلفة لنفس الشىء • ان الشخص الذى يسمع بصبر ما قلناه حتى الآن سينفد صبره أخيرا وسيقول اننا نتسلى بذكر بيانات تافهة وان كل الحقائق المتطابقة لا تجدى فى شىء ولكنه قد يصدر حكمة هذا لانه لا يكون قد تأمل الأمور بما فيه

الكفاية • فنحن مثلا نثبت النتائج المنطقية بناء على المبادىء الذاتيــة (التطابق) وعلماء الهندسة يحتاجون لمبدأ التناقض فى براهينهم التى تدفع الى المستحيل • فلنكتفى هنا بأن نظهر استخدام التطابق (القضايا المتطابقة) فى البرهنة على نتائج البرهان أقول اذن ان مبدأ التناقض وحده يكفى لاثبات الشكلين الثانى والثالث من القياس عن طريق الشكل الأول ، مثلا يمكن استنتاج فى الشكل الأول من Barbara : كل ب هى ج •

كل أ هى ب •

∴ كل أ هى ج •

لنفرض أن النتيجة كاذبة (أو أن القضية بعض أ ليس ج صادقة) اذن احدى المقدمتين ستكون كاذبة ايضا • لنفرض أن الثانية صادقة لابد أن تكون الأولى كاذبة ، التى تقول أن كل ب هى ج اذن سـيكون نقيضها صادق أى بعض ب لن يكون ج ، وأن هذه ستكون نتيجة فى برهان جديد مشتق من كذب النتيجة وصدق احدى مقدمات البرهان السابق وهذا هو البرهان الجديد : بعض أ ليس ج وهذا يقابل النتيجة السابقة المفروض انها كاذبة كل أ هى ب وهى المقدمة السابقة المفروض أنها صادقة ∴ بعض ب ليس ج وهى النتيجة الحاضرة والصادقة فى مقابل المقدمة السابقة الكاذبة) وهذا البرهان من النمط disamis من الشكل الثالث التى نستدلها بوضوح وبلمحة نظر من النمط barbara للشكل الاول • باستعمال مبدأ التناقض فحسب • وقد لاحظت فى شبابى عندما كنت انظر فى هذه الاشياء أن من الممكن استنباط انماط الشكلين الثانى والثالث من الشكل الأول بهذا المنهج وحده ، بافتراض أن النمط الاول جيد وبالتالى بما أن النتيجة كاذبة أو نقيضها صادق ، واحدى المقدمات صادقة ايضا يلزم أن تكون المناقضة للمقدمة الاخرى صادقة • حقا ان المدارس المنطقية تفضل استخدام العكس لنستنتج الاشكال الاقل أهمية من الشكل الاول وهو الاهم لان هذا يبدو مناسبا للتلاميذ • ولكن بالنسبة لاولئك الذين يبحثون عن البراهين الاستدلالية حيث يجب استخدام أقل الافتراضات الممكنة فأننا لا نستدل بافتراض

القضية المعكوسة ما يمكن أن نستدله بالمبدأ الاول فقط • وهو مبدأ التناقض والذى لا يفترض شيئا • لقد أبديت هذه الملاحظة الهامة : يمكن استدلال الاشكال الاقل أهمية والتى نسميها مباشرة ، وأقصد بها الثانى والثالث بواسطة مبدأ التناقض وحده ، أما الشىء الاقل أهمية غير المباشر وهـو الرابع والذى ينسب العرب اكتشـافه الى جالين مع اننا لا نجد عنه شيئا فى أعماله التى بقيت لنا ، ولا لدى غيره من المؤلفين الاغريق ، أقول ، أن هذا الشكل الرابع لديه هذا العيب وهو اننا لا نستدله من الشكل الأول أو الاساسى بهذا المنهج وحده ، وأنه يجب استخدام افتراض آخر هو القضايا المعكوسة (عكس القضايا) وبهذا يصبح أبعد بدرجة من الثانى والثالث وهما فى مستوى واحد بالنسبة لبعدها عن الاول ، بينما يحتاج الرابع فى استدلاله لكل من الثانى والثالث • لانه وجد من الانسب تماما أن تستدل القضايا المعكوسة التى يحتاج اليها بواسطة الشكل الثانى أو الثالث والذى يمكن استدلالهما مستقلين عن القضايا المعكوسة على النحو الذى ذكرته أنه بيير دى لا رامى Pierre de la Ramée الذى أبدى هـذه الملاحظة بالنسـبة لقابلية استدلال القضية المعكوسة بواسطة هذه الاشكال واذا لم أكن مخطئا فانه قد اعترض على كل المناطقة الذين يستخدمون القضية المعكوسة فى الدور المنطقى والاجدر الا نتهمهم بالدور وأنما نعترض على تقـديم ما هو تالى Hystereren proteron أو العكس (لانهم لم يستخدموا هذه الاشكال بدورها لاثبات العكس) وذلك لان القضايا العكسية تستحق أن تستدل بواسطة هذه الاشكال أكثر من استدلال هذه الاشكال بالقضايا العكسية (ولكن حيث أن هذا الاستدلال للقضايا العكسية يظهر ايضا استخدام القضايا الذاتية (المتطابقة identiques) الموجبة التى يعتبرها كثيرون باطله frivoles تماما وسيكون من الانسب بالاحرى أن نتناولها هنا •

لا أريد التحدث هنا الا عن القضايا العكسية الخاليه من الاستدلال السلبى Sontra position وهى تكفينا هنا لانها بسيطة وعرضية كمـا

يسموبها • القضايا العكسية البسيطة نوعان هى القضايا الكلية السالبة مثل : لا مربع يكن منفرج الزاوية اذن لا منفرج الزاوية يكون مربعا والجزئية الموجبة مثل : بعض المثلثات يكون منفرج الزاوية ، اذن بعض منفرجى الزاوية يكون مثلثا • أما العكس بالعرض كما يسمونه فتخص القضايا الكلية الموجبة مثل كل مربع يكون مستطيل اذن بعض المستطيل مربع • يقصد هنا باستمرار الشكل القائم الزوايا ، ويقصد بالمربع الشكل ذو الاربع أضلاع متساوية • والآن يلزم استنباط هذه الانواع الثلاثة من القضـــايا العكســية وهى :

١ ــ لا أ يكون ب ∴ لا ب هى أ
٢ ــ بعض أ يكون ب ∴ بعض ب هى أ
٣ ــ كل أ يكون ب . . بعض ب يكون أ

استنباط القضية العكسية الاولى فى cesare من الشكل الثانى

لا أ يكون ب
كل ب يكون ب
∴ لا ب يكون أ

واستنباط القضية العكسية الثانية فى من الشكل الثالث

كل أ يكون أ
بعض أ يكون ب
∴ بعض ب يكون أ

انتنباط القضية العكسية التالية فى من الشكل الثالث

كل أ يكون أ
كل أ يكون ب
∴ بعض ب يكون أ

وهذا يظهر أن القضايا (المتطابقة) الخالصة والتى تبدو غير مقيدة لها استخدامها الجدير بالاعتبار فى التجريد والعام . وهذا يعلمنا أنه لا يجب احتقار رأى حقيقة • بالنسبة للقضية « الثلاثة = اثنين + واحد » التى تذكرها يا سيدى • كمثال للمعارف الحدسية أقول لك انها ليست سوى تعريف للحد ثلاثة لان التعريفات الابسط للاعداد تصاغ بهذه الطريقة اثنين تكون واحد وواحد ، الاربعة ثلاثة وواحد ••• وهكذا •

حقا أنه يوجد فى داخلها ايضاحات خفية قد لاحظتها فعلا وهى أن هذه الافكار ممكنة وأننا نعرف ذلك حدسيا ، بحيث يمكن القول أن المعرفة الحدسية مشمولة فى التعريفات ما دامت امكانياتها تبدو أولا • وبهذه الطريقة كل التعريفات الكاملة تحتوى على حقائق أولية للعقل وبالتالى معارف حدسية • وأخيرا يمكن القول بوجه عام أن كل الحقائق الاولية للعقل تكون مباشرة كمباشرة الافكار •

بالنسبة للحقائق الأولية للواقع فنقصد بها الخبرات المباشرة الداخلية ذات مباشرة عاطفية وهنا نجد الحقيقة الاولى التى قال بها الديكارتيون أو القديس أوغسطين : أنا أفكر اذن أنا موجود أى أنى شىء أفكر ولكن يجب معرفة أنه كما أن القضايا الذاتية تكون كلية أو جزئية وأن كلاهما واضحا (ما دام وضوح قولنا أ هى أ لا يقل عن وضوح القول أن الشىء يكون ما يكون) فان الامر كذلك بالنسبة للحقائق الاولى للواقع • لانه ليس فقط يتضح لى مباشرة انى افكر وانما يتضح لى ايضا أنه لدى أفكار مختلفة ، وأنى أحيانا أفكر فى أ واحيانا أفكر فى ب •••• الخ • وهكذا فان المبدأ الديكارتى جيد ولكنه ليس الوحيد من نوعه • ونرى من هذا أن كلا من الحقائق الاولية للعقل أو الوقائع تشترك فى اننا لن نستطيع اثباتها بشىء له يقين أكثر •

٢ ــ **فيلاليت** : أنى مرتاح تماما يا سيدى لأنك تقدمت بعيدا فى أمور تتصل بالمعرفة الحدسية حاولت أن أمسها فحسب • ولكن المعرفة الاستدلالية ليست سوى تسلسل لمعرفة حدسية فى كل الارتباطات

للافكار الوسيطة • لان الذهن لا يستطيع احيانا الربط ، المقارنة أو التطبيق المباشر للافكار بعضها على بعض مما يضطره الى استخدام أفكار أخرى وسيطة (واحدة أو أكثر) للكشف عن الاتفاق أو عدم الاتفاق الذى نبحث عنه ، وهذا ما نسميه بالبرهنة كما فى البرهنة على تساوى الزوايا الثلاثة للمثلث لزاويتين قائمتين نجد بعض الزوايا الاخرى التى أما أن تتساوى مع الزوايا الثلاثة للمثلث أو أنها تساوى زاويتين قائمتين •

٣ — الافكار التى ندخلها نسميها preuves أدلة ونسمى استعداد الذهن لان يجدها بالفطنة •

٤ — وحتى عندما نجدها فان اكتساب هذه المعرفة يتم بجهد ويقظة وليس بنظرة عابرة ، لانه يجب الالتزام بتعاقب الافكار الذى يتم تدريجيا وبتؤده •

٥ — هناك شك يسبق البرهان أو الاستنباط •

٦ — انها أقل وضوحا من الحدسية • ومثل الصورة التى يعكسها العديد من المرايا فأنها تضعف كلما انعكست من مرآة لأخرى وتصبح غير ممكن التعرف عليها بالنسبة لضعيف البصر ، وكذلك الحال بالنسبة للمعرفة التى نصل اليها بتتابع طويل للبراهين •

٧ — ومع أن كل خطوة يقوم بها الذهن فى البرهان تكون معرفة حدسية أو رؤية بسيطة الا أنه فى هـذا التتابع الطويل للبراهين لن تحتفظ الذاكرة بهذا الارتباط بين الافكار بدقة فان الناس يأخذون احيانا القضايا الكاذبة على أنها استنباطات •

تيوفيل : علاوة على البصيرة الطبيعية أو المكتسبة بالخبرة هنـاك فن آخر لايجاد الافكار الوسيطة le medium هذا الفن هو التحليل • الا أنه من الافضل تقرير أنه يلزمنا هنا أحيانا الوصول الى صدق أو

كذب قضية معطاه ، وذلك لن يكون سوى الاجابة على السؤال ( ) اى السؤال هل هذا يكون أو لا يكون ؟ واحيانا يلزمنا الاجابة على سؤال آخر أصعب نسأل فيه مثلا بواسطة من ، كيف ؟ ويلزمه الكثير لكى يصبح تماما •

هذه الاسئلة فقط هى التى تترك جزءا من القضية على بياض ويسميها الرياضيون بالمشكلات كما عندما نطلب ايجاد مرآة تجمع كل أشعة الشمس فى نقطة أى أن نسأل عن شكلها أو كيف تصنع • أما بالنسبة للاسئلة الاولى حيث يلزم فقط الجواب بصواب أو خطأ وحيث لا يلزم أى أضافة فى الموضوع أو المحمول ، فأن لديها قليل من الابتكار ومع ذلك هناك نماذج منها ولن يكفى فيها مجرد الحصول على الحكم وحده • حقا أن الرجل الذى يحكم أى القادر على الملاحظة والاحتياط ولديه متسع من الوقت والصبر وحرية الذهن اللازمة ، يمكنه فهم أصعب استنباط اذا ما عرض كما يجب • ولكن أعدل رجل على وجه الارض لن يستطيع دائما ، بدون عون آخر أن يجد هذا الاستنباط • وعلى هذا يوجد ابتكار هنا ايضا : وقد كان لدى علماء الهندسة قديما أكثر مما لديهم الآن • لانه عندما كانت العناية بالتحليل أقل كان يلزمه الكثير من البصيرة للوصول اليه ، ولهذا اعتقد بعض العلماء فى العصر القديم وغيرهم من الذين لم ينفتحوا بما فيه الكفاية على المناهج الجديدة ، أنهم حققوا العجائب عندما توصلوا الى برهان لنظريات ابتكـرها الآخرون • ولكن أولئك المهتمين بفن الابتكار يعرفون متى يكون ذلك جديرا بالاعتبار ومتى لا يكون ، مثلا عندما ينشر شخص ما تربيع مساحة تشمل خطا منحنيا وخطا مستقيما ، وينجح فى جميع اجزائه والتى اسميها عامة يصبح دائما فى مقدورنا ، تبعا لمناهجنا ، أن نجد البرهان بشرط أن نريد تحمل المشقة • ولكن توجد تربيعات جزئية ذات نسب معينة ، حيث يمكن ان يطوق الشىء بآخر وليس فى مقدورنا حتى الآن أن نطابق سطحا على اخر ويحدث احيانا أن يقدم لنا الاستقراء حقائق فى الاعداد وفى الاشكال لم نكتشف بعد سببها العام • لانه يلزمنا

الكثير حتى نصل الى كمال التحليل فى الهندسة وفى الاعداد ، كما يفتخر الكثيرون ممن يتصورون أنفسهم ممتازين ولكنهم متسرعون وطموحون • اذ أن هناك مشقة فى ايجاد حقائق هامة ومشقة أكثر فى ايجاد الوسائل لعمل ما نبحث عنه ، حتى ولو كان حقا أننا نبحث ، وهى مشقة تفوق تلك اللازمة لاستنباط حقائق اكتشفها شخص آخر • نصل أحيانا الى حقائق جميلة عن طريق التركيب ذلك بأن ننتقل من البسيط الى المركب ، ولكن عندما يتطلب الامر أن نجد الوسيلة لعمل ما نقترح فلن يكفى التركيب عادة واحيانا تصبح محاولة عمل كل الارتباطات المطلوبة كمن يريد ان يشرب من البحر ، مع اننا نستطيع احيانا الاستعانة بمنهج الاستبعاد exclusions الذى يستبعد جزءا كبيرا من الارتباطات غير المفيدة وهو مهج لا تسمح الطبيعة أحيانا بقبول أى منهج سواه ولكننا لا نملك دائما الوسائل لتتبعها • التحليل اذن هو الذى يعطينا مخرجا من هذا التيه اذا كان هذا ممكنا ، لان هناك من الحالات ما يتطلب طبيعة السؤال نفسه أن نتحسس فى كل مكان ما دامت المختصرات لن تكون ممكنة باستمرار •

٨ — **فيلاليت** : ولكن ، حيث أن الاستنباط يفترض دائما المعارف الحدسية فان ذلك على ما أعتقد ، يتيح الفرصة لهذه البديهية : كل برهان يأتى من أشياء معروفة فعلا ومتفق عليها فعلا **ex praecognitis et prae concessis** ولكن ستكون لدينا الفرصة للتحدث عن الاخطاء الموجودة فى هذه البديهية عندما سنتحدث عن البديهيات التى تسىء لاسس براهيننا •

تيوفيل : أننى شغوف لمعرفة أى الاخطاء يمكن أن تجدها فى بديهية ما تبدو معقولة تماما اذا لزم دائما أن نخضع كل شىء للمعارف الحدسية ، فان الاستنباطات ستصبح احيانا مطولة بصورة غير محتملة • لهذا تمرس الرياضيون على تقسيم الصعوبات وأن يستدلوا القضايا المتداخلة على حدة وفى هذا أيضا فن • لأنه حيث أن الحقائق الوسيطة

أى القضايا الأولية التى نفرضها لتسهيل اثبات النظرية والتى نسميها lemmes والتى تبدو انها خارج العمل ، يمكنها أن تخصص بطرق متعددة وستكون مفيدة لمساعدة الفهم والذاكرة واختيار ما يساعد على الاختصار أو ما يبدو جديرا بالتذكر وجدير بذاته لأن نستدله • ولكن هناك عائق آخر وهى أنه ليس من اليسير أن نستنبط كل المسلمات وأن نخضع ، تماما ، الاستنباطات للمعارف الحدسية • ولو أردنا انتظار ذلك لما أمكننا الوصول حتى الآن الى علم الهندسة هذا وربما لم نكن قد حصلنا بعد على علم الهندسة • ولكن هذا ما تحدثنا عنه فعلا فى محادثتنا الأولى وستتاح الفرصة لان نقول عنه أكثر فيما بعد •

٩ ــ فيلاليت : سنعود اليها عن قريب : الآن سألاحظ مرة أخرى ما سبق أن تناولته أكثر من مرة وهو أن هناك فكرة شائعة أنه لا توجد سوى العلوم الرياضية التى تقدر على اليقين الاستنباطى ولكن حيث أن الاتفاق وعدم الاتفاق الذى يمكن معرفته حدسيا لا يخص الافكار الخاصة بالاعداد والاشكال فحسب فأنه ربما لخطأ تطبيقى من جانبنا ، اعتقدنا أن الرياضيات وحدها هى التى تصل الى الاستنباطات •

١٠ ــ لقد عرض العديد من الاسباب لهذا • العلوم الرياضية ذات فائدة عامة ، وأقل اختلاف فيها يسهل تماما التعرف عليه •

١١ ــ هذه الافكار الاخرى البسيطة التى تكون مظاهر أو مواقف ناتجة فينا ليس لها مقياس دقيق لدرجاتها المختلفة •

١٢ ــ ولكن عندما يصبح الاختلاف بين هذه الصفات المرئية كبيرا بقدر يكفى لان يثير فى الذهن أفكارا واضحة التمييز مثل تلك الخاصة بالازرق والاحمر فانها تصبح قادرة ايضا على استنباط مثل تلك الخاصة بالعدد والامتداد •

تيوفيل : توجد أمثلة كثيرة للاستنباط خارج الرياضيات ويمكن

القول أن أرسطو قد ذكرها فى تحليلاته الاولى[1] الواقع أن المنطق ايضا قابل للاستدلالات كالهندسة ويمكن القول أن منطق علماء الهندسة أو طريقة المناقشة التى شرحها أقليدس وقررها عند الحديث عن القضايا تعتبر امتدادا أو أعلاء خاصا للمنطق العــام • أرشميدس وهو أول من توصلنا الى أعماله : مارس فن البرهنة فى مناسبة تدخل فى علم الفيزيقا كما فعل فى كتابة عن التوازن •

وعلاوة على ذلك يمكن القول أن لدى الفقهاء العديد من الاستدلالات الجيدة • خاصة قدماء المشرعين الرومان الذى نحفظ بمقتطفات منها فى مجموعة القوانين اليونانية •

أنى متفق تمــاما مع اورانت فال Laurent Valle الذى لا يعجب بهولاء المؤلفين ، ولا بغيرهم لانهم يتكلمون بطريقة دقيقة وواضحة تماما فحسب بل لانهم أيضا يفكرون بطريقة تقترب جدا من الاستدلال واحيانا تكون استدلالية تماما • وكذلك لا أعرف أى علم ، باستثناء علم القانون وعلم الاسلحة قد أضاف الرومان اليه شيئا جديرا بالاعتبار عما تسلموه من اليونان •

tu regere imperio popules Romane momento :
Haetibi erunt artes pacique impnero morem, parcere subjectis et debellare superbes.

هذه الطريقة الدقيقة للشرح جعلت كل مشرعى مجموعة القوانين اليونانية مهما ابتعد بعضهم عن البعض فترات زمنية ، كأنهم مؤلف واحد واننا نبذل جهدا كبيرا للتمييز بينهم عندما لا تكون أسماء المؤلفين مذكورة على رأس المقتطفات ، تماما كما حدث عندما بذلنا جهدا كبيرا

---

(١) التحليلات الاولى : من المعروف ان أورجانون ارسطو يشمل ستة كتب : ١ ـ تفسير الكلمات • ٢ ـ المقولات • ٣ ـ التحليلات الأولى تبحث القياس • ٤ ـ التحليلات الثانية التى تبحث الاستدلال • ٥ ـ الطوبيقاحيث يبحث الاماكن • ٦ـ دحوض سوفسطائية والتى تبحث فى السفسطة •

للتمييز بين ما قاله كل من أقليدس وأرشميدس وبولون عندما قرأنا استدلالاتهم فى مواد تناولها كل واحد منهم • يجب الاعتراف ان الاغريق قد فكروا بدقة فى الرياضيات وتركوا للجنس البشرى نمـاذج لفن الاستدلال : لانه اذا كان لدى البابليون والمصريون هندسة اقل تجريبيا فانه على الاقل لم يبق منها شيء ولكن من المدهش أن هولاء الاغريق أنفسهم قد فشلوا تماما بمجرد أن ابتعدوا ولو قليلا عن الاعداد والاشكال ليصلوا الى الفلسفة • لانه من الغريب الا نرى أى أثر للاستدلال عند افلاطون وأرسطو (باستثناء تحليلاته الاولى) وعند كل الفلاسـفة القدماء ، لقد كان بوكلس procius عالم هندسة ولكنه يبدو شخصا آخر عندما يتحدث عن الفلسفة مما سهل عليه أن يفكر تفكيرا استدلاليا فى الرياضيات أن من المستحيل أن تؤيد التجربة هذا التفكير فى كل لحظة وهذا ما يحدث ايضا فى اشكال القياس • ولكن لا نجد فيما بعد الطبيعة والاخلاق مثل هذاالتوازى بين التجارب والبراهين • وفى الفيزياء تتطلب التجارب جهدا وتكاليفا • لقد تراخى الناس فى بداية الامر وبالتالى تعرضوا للضلال عندما تجردوا من التجربة هذا المرشد المخلص الذى يساندهم فى خلواتهم كما تفعل هذه الالة الصغيرة التى تتدحرج وتحمى الأطفال من السقوط أثناء المشى • هناك بدائل succedneum وهذا ما لم يتجه اليه وما زال غير متجه اليه وسأتحدث عنه فى مكانه فالاحمـر والازرق غير قادرين على أن يمدانا بالمادة اللازمة للاستدلالات عن طريق الأفكار التى لدينا عنها لأن هـذه الأفكار غامضـة وهـذه الألوان لا تمدنا بالمـادة اللازمة للبرهنـة عـن طريق التجـربة حيث نراها مصاحبة لبعض الافكار المتميزة ولكن دون أن نظهر ارتباطها بافكارها الخاصـة •

١٤ ـــ **فيلاليت** :علاوة على الحدس والاسـتدلال اللذان يمثلان درجتى معرفتنا يظل الباقى فى أيماننا أو اعتقادا وليس معرفة • على الاقل بالنسبة لكل الحقائق العامية • ولكن للذهن ادراك آخر يتصـل بالوجود الخاص للكائنات النهائية خارجنا وهى المعرفة الحدسية •

تيوفيل : الاعتقاد القائم على القريب من الحق le Vraisemblable (المحتمل) ربما يستحق اسم المعرفة والا سقطت معظم المعارف التاريخية وكثير غيرها ولكن دون مناقشة الاسماء ارى أن البحث عن درجات الاحتمال سيكون هاما ومازال ينقصنا حتى الآن وذا عيب كبير لدى مناطقنا لانه عندما لا نستطيع التقرير المطلق للسؤال يمكننا دائما تحديد درجة الاحتمال exdatis وبالتالى يمكن الحكم حكما معقولا أى الأجزاء أكثر ظهورا ٠ وعندما يربط أخلاقيونا (أقصد بهم الأكثر حكمة أمثال المحدثين من الجزويت) الأكثر يقينا بالأكثر احتمالا ويفضلون الأكثر يقينا على المحتمل فأنهم فى الواقع يبعدون عن الأكثر احتمالا ، لان السؤال هنا عن اليقين هو السؤال عن الشر الاقل احتمالا الذى علينا أن نتحاشاه ٠ وعيب الاخلاقيين المتراخين بالنسبة لهذا الموضوع هو أنهم الى حد ماديهم فكرة محدودة جدا وغير كافية تماما عن المحتمل الذى خلطوا بينه وبين الشائع eudoxe أو opinable الذى قال به أرسطو ، لأن أرسطو أراد فى الطوبيقا ان يتفق مع اعتقادات الآخرين كما يفعل الخطباء ، والسوفسطائيون الشائع eudoxe يعنى عند أرسطو ما يقبله أكبر عدد ممكن أو الاكثر سلطة لقد أخطأ بأن حصر الطوبيقا فى هذا فقط ، وأضطرته هذه الفكرة الى أن يرتبط بالمسلمات المقبولة فحسب ، وأغلبها غامض كأننا لا نفكر الا بناء على النزوات أو الامثال ٠ ولكن المحتمل أكثر اتساعا : يجب أن نستخرجه من طبيعة الاشياء ورأى الاشخاص ذوى السلطة له وزن وهو أحد الاشياء التى يمكن أن تساهم فى جعل الاعتقاد اكثر احتمالا ولكنه ليس هو الذى يحسم كل احتمالية ٠ وعندما كان « كوبرنيق » الوحيد تقريبا فى اعتقاده الذى كان دائما الاكثر احتمالا من اعتقاد باقى البشر ٠ الا انى لا أعرف هل تقرير فن اعتبار الاحتمال لن يكون مجديا الا كجزء هام من معرفتنا الاستدلالية وقد فكرت فى هذا أكثر من مـــرة ٠

فيلاليت : المعرفة الحدسية أو التى تقرر وجود الكائنات الجزئية خارج أنفسنا ، تذهب أبعد من الاحتمال البسيط ، ولكنها لا تملك كل

يقين درجتى المعرفة الذى تحدثنا عنهما ، لا شىء أكثر يقينا من أن الفكرة التى نتلقاها عن موضوع خارجى تكون فى ذهننا ، أنها معرفة حدسية : ولكن يعتقد البعض أنه يمكن أن نناقش القول ، أن معرفة كهذه يمكنها ان تستدل بيقين وجود أى شىء خارج أنفسنا يتصل بهذه الفكرة ، لأنه من الممكن أن يحصل الناس على هذه الافكار فى الذهن عندما لا يوجد شىء منه فعلا . بالنسبة لى اعتقد أنه يوجد اختلاف كبير بين الادراكات التى نحصل عليها عندما ننظر الى الشمس فى الصباح وعندما نفكر ليلا فى هذا الكوكب ، الفكرة المتجددة بمساعدة الذاكرة تختلف تماما عن الفكرة التى تأتينا حاليا بواسطة الحواس وقد يقول البعض أن الحلم يمكنه أن يعطينا نفس الاثر وارد عليهم أولا أنه لا يهم كثيرا ان أزيل هذا الشك لانه اذا لم يكن الكل الا حلما فلن تجدى البراهين ، ولن تكون الحقيقة والمعرفة شيئا على الاطلاق . وثانيا فى نظرى أنهم يعرفون تماما الفرق بين كوننا نحلم اننا فى النار وبين أننا فيها فعلا . واذا أصروا على شكهم سأقول لهم أنه يكفى أننا نجد بالتأكيد أن اللذة أو الألم تتبع تأثير موضوعات معينة فينا ، صادقة كانت أم حلما وان هـذا اليقين يساوى ما لدينا من سعادة أو بؤس وهما أمران لم نهتم بهما . وعلى هـذا أعتقد أننا نستطيع القول بالأنواع الثلاثة من المعـرفة الحدسية ، الاستدلالية والحسية .

تيوفيل : اعتقد انك على حق يا سيدى وأظن أن من الممكن أن تضيف معرفة احتمالية الى هذه الانواع من اليقين أو المعرفة اليقينية ، على هذا يوجد نوعان من المعرفة كما يوجد نوعان من البراهين ، احدهما ينتج عن اليقين والآخر لن يؤدى الا الى الاحتمال لنصل الى المعركة التى يثيرها الشكاك أمام الاعتقاديين بالنسبة لوجود الاشياء خارج أنفسنا لقد عرضنا لها فعلا ولكن يجب أن نرجع لها هنا . لقد ناقشتها فيما مضى بالكلمة وبالكتابة مع المرحوم الأب فوشيه ، كاهن ديجون وهو رجل عالم وبارع وان كان متمسكا بالاكادميين الذين ساهم فى احياء مذهبهم كما فعل جاسندى عندما بعث فلسفة بيقور . لقد ساعده نقـده

للبحث عن الحقيقة ، والابحاث الاخرى الصغيرة التى طبعها بعد ذلك على التعرف على مؤلفها بصورة أفضل : وقد نشر ايضا فى جريدة العلماء اعتراضاته على مذهبى الانسجام الازلى ، عندما نشرته للجمهور بعد أن حاولت تفهمه لعدة سنوات ولكن حال موته دون أن يرد على اجابتى ، لقد بشر دائما بضرورة تجنب الاحكام المتسرعة والحصول على أكبر يقين ولكن علاوة على أنه هو نفسه لم يلتزم بتنفيذ ما نصح به ، وله عذره فى ذلك ، ويبدو لى أنه لم يتنبه الى امكان أن يفعلها غيره ، بل ويميل بدون شك الى الاعتقاد أن أحد لم يفعلها غيره • ولكنى عرفته أن حقيقة الاشياء الحسية لا تقوم الا فى ربط الظواهر بأسبابها وأن هذا هو ما يميزها عن الاحلام : ان حقيقة وجودنا وعلة الظواهر من طبيعة مختلفة ، لانها تقرر الجواهر وقد أفسد الشكاك ما فى قولهم من صواب بأن أبعدوه بعيدا جدا بل وأرادوا أن يمتد شكهم ليصل الى الخبرات المباشرة والحقائق الهندسية (وهذا طبعا ما لم يفعله الاب فوشيه) وباقى حقائق الذهن وفى هذا مبالغة كثيرة • ولكن اذا عدنا اليك يا سيدى فانك محق فى قولك ان هناك اختلاف بين الاحساسات والخيالات ولكن الشكاك يقولون ان الاكثر والاقل لن يغير اطلاقا فى الجنس • على أى حال بالرغم من أن الاحساسات عادة تكون أكثر حيوية من الخيالات فأننا نعرف طبعا أن هناك حالات يتأثر فيها الأشخاص الخياليين بخيالاتهم أكثر مما يتأثر غيرهم بحقيقة الاشياء • بحيث اعتقد أن المحك الحقيقى بالنسبة لموضوعات الحواس ، هو ارتباط الظواهر ، أى الارتباط بين ما يحدث فى الاماكن والازمنة المختلفة وفى خبرة اشخاص مختلفين ، يكونوا هم أنفسهم بالنسبة لبعضهم البعض ظواهر هامة لهذا الموضوع (ويتحقق ارتباط الظواهر ، الذى يضمن حقائق الواقع بالنسبة للاشياء المحسوسة خارج أنفسنا بواسطة حقائق الذهن كما توضح الهندسة مظاهر البصريات ومع ذلك يجب الاعتراف أن كل هذا اليقين ليس بالدرجة العليا التى تعرفت عليها لانه ليس مستحيلا ، من وجهة نظر ما بعد الطبيعة ، أن يوجد حلم متتابع ويدوم بدوام حياة

الانسان ، ولكن من التناقض بالنسبة للعقل أن نشكل كتاب بالصدفة من بعشرة حروف الطباعة بصورة عشوائية • وبالنسبة للباقى حقا أنه لا يهم أن نسميه حلما أولا ، بشرط أن تكون الظواهر مرتبطة ، مادامت التجربة تظهر لنا أننا لا نخطىء فى المقاييس التى نقيس بها الظواهر عندما تؤخذ وفق حقائق الذهن •

١٥ ـــ **فيلاليت** : ضلا عن ذلك فان المعرفة لا تكون دائما واضحة . حتى ولو كانت الافكار واضحة ، الرجل الذى لديه أفكارا واضحة عن زوايا المثلث ومساواتها لقائمتين ، كأى رياضى فى العالم يمكنه أن يحصل على أدراك غامض تماما بالنسبة لتلاؤمها •

تيوفيل : عادة يظهر اتفاق أو عدم اتفاق فى الافكار عندما نفهمها بعمق • ومع ذلك أعترف أنه يوجد احيانا أفكارا مركبة بحيث يلزم كثيرا من العناية لكى نعلن ما تخفيه ، ويمكن لهذا الاعتبار أن تظل اتفاقات أو عدم اتفاقات معينة غامضة • أما بالنسبة للمثال الذى ذكرت فأنى الاحظ أنه لكى نحصل فى الخيال على زوايا مثلث فلن نحصل بهذا على أفكار واضـــحة • الخيال لا يســـتطيع أن يمدنا بصورة مشـــتركة عن المثلثات الحادة الزاوية والمنفرجة الزاوية ومع ذلك فكرة المثلث تكون مشتركة بينها : وعلى هذا لا تتكون هذه الفكرة فى الصور ، وليس من السهل أن نظن أننا نفهم بعمل زوايا المثلث •

٢ ـــ أرشميدس : أعظم عالم هندسة فى العصر القديم ولد فى سراقوس عام ٢٨٧ وتوفى فى حصار هذه المدينة عام ٢١٢ ونعرف مبدأه المشهور الذى أصبح أساسا للهدروستاتكا hydrostatique الطبعة الكاملة لارشميدس هى طبعة أكسفورد نشرها ســـتانهوب عام ١٧٩٣ وترجمها الى الفرنسية بيراريد Peyrard عام ١٨٠٧ فى مجلد واحـــد وعام ١٨٠٠ فى مجلدين •

٣ ـــ فال (لورانت) Valla (Lauent) عالم لغوى مشهور.

فى القرن ١٥ ولد فى روان عام ١٤٠٦ وتوفى فى نابلى عام ١٤٥٧ اعماله الرئيسية التى تتصل بالفلسفة هى : حوار ضد ارسطو عام ١٤٩٩ dialectica contra Aristotelios عام ١٥١٨٠ de libertate arbitrii عام ١٥١٩ عن حرية الاختيار . de voluptate et vero bono.

٤ — بروكلس : فيلسوف من الافلاطونية الجديدة ولد فى بيزانس عام ٤١٢ وتوفى فى اثينا عام ٤٨٥ أعماله الرئيسية هى : اصول اللاهوت ، اللاهوت عند أفلاطون ، تفسير طيماوس وقد نشر دكتور كوزان أعماله غير المطبوعة بباريس ١٨٦٤ . التى تضم تفسير بارميندس commentare sur lepremier alcibiade et malo. وبحثه de providencea , libertate النص غير موجود ولم نعرفه الا من الترجمة اللاتينية التى قام بها . guillaumede mobika. c

٥ — نميز فى اللاهوت الأخلاقى عـدة اعتقادات الاحتمـاليون probabilisme الذين يسمحون بالعمل وفق اعتقاد محتمل حتى ولو كان أقل من غـيره probabliorisme الذين ينصحون بالا نعمل الا وفق الاعتقاد الأكثر احتمالا tutiorisme الذين ينصحون بالا نختار الا الاكثر يقينا ، اى نضحى بالاقل مثلا : من المؤكد اننا نأخذ الجانب الأكثر جدية . انظر بحث لنيقولا nicole المرفق بالترجمة اللاتينية الرسائل الريفية .

---

(١) جالينوس Gaien , galenius طبيب مشـــهور فى القديم ولد فى عام ١٣١ فى برجام Pergam لا تعرف فترة ولادته ولا موته . من بين أعماله العديدة تلك التى تهم الفلسفة اكثر كتابه المشور (استخدام الأجزاء) de usa partium وهو مقدمة وتطبيق مستمر لمبدأ العلل النهائية أجمل واكمل طبعة له هى ترجمة كوهن اليونانية اللاتينية . ليبزج ٢٠ مجلـدا ١٨٢١ — ١٨٣٣ daremberg دار بمبرج ترجمة فرنسـية ظهر منهـا مجلدان . باريس (١٨٥٤ — ١٨٥٦) .

٦ — يقصد بهم بسكال الـ Casuistes (أى دارسى أحوال الضمير) قد رفضهم بسكال .

٧ — الأب فوشيه (Foucher - l'abbé) ولد فى ديجون عام ١٦٤٤ وتوفى فى باريس عام ١٦٩٦ ساند الفلسفة الاكاديمية ، أى الشك ، على طريقة شيشرون ، أهم مؤلفاته : مقالة فى البحث عن الحقيقة ، أو عن فلسفة الاكاديميين ، باريس ، نقد البحث عن الحقيقة (لمالبرانش) باريس عام ١٦٧٥ . عن حكماء القدماء باريس عام ١٦٨٢ .

الفصـــــل الثـــالث

امتداد المعرفة البشرية

١ ــ فيلاليت : معرفتنا لا تتعدى أفكارنا ٠

٢ ــ ولا يتبعدى أدراك اتفاقها أو عدم اتفاقها ٠

٣ ــ لا يمكن أن تكون دائمة حدسية لاننا لا نستطيع دائما مقارنة الاشياء مباشرة مثلا تساوى مقدار المثلثين القائمين على نفس القاعدة ولكنهما مختلفان ٠

٤ ــ وكذلك لن نستطيع دائما استدلال معارفنا لاننا لا نستطيع دائما ايجاد الافكار الوســيطة ٠

٥ ــ وأخيرا معرفتنا الحسية لا تخص سوى وجود الاشياء التى تؤثر حاليا على حواسنا ٠

٦ ــ على هذا ليس فقط أفكارنا محدودة تماما وانما ايضا معرفتنا محدودة أكثر من أفكارنا لا شك مطلقا فى أن معرفتنا البشرية لا تستطيع أن تمتد بعيدا ، واذا أراد البشر الاهتمام باخلاص بايجاد وسائل اكمال الحقيقة بحرية ذهنية كاملة وبكل التطبيق والصفة التى يستخدمها لزخرفة أو مساندة الخطأ والدفاع عن مذهب الذى يعلنونه أو حتى جزءا معينا واهتمامات معينة بما يشغلهم ٠ فانه رغم كل هذا لن تستطيع معرفتنا أبدا الالمام بكل ما نرغب معرفته مما يتصل بما لدينا من أفكار ٠ مثلا ربما لن نستطيع أبدا ايجاد دائرة تساوى مربعا ومعرفة بيقين هل توجد مثل هذه الدائرة ؟

تيوفيـــــل :

هناك أفكار مختلطة حيث لا نستطيع مطلقا التنبؤ بمعرفة كاملة لها،

مثل الافكار الخاصة ببعض الصفات الحسية • ولكن عندما تكون متميزة ، فقد تأمل ذلك بالنسبة للمربع المساوى لدائرة ، أثبت أرشميدس فعلا وجوده • لأنه سيكون ذلك الذى يصبح ضلعه le coté المتوسط النسبى بين نصف قطر الدائرة ونصف محيطها • وأثبت أيضا مستقيما une droite مساويا لمحيط الدائرة بواسطة متوسط مستقيم للمحورى كما أثبت غيرها بواسطة مماس المربع [illegible] وهى طريقة لتربيع الدائرة الذى أعجب بها كالافيس Clavius ولن نتحدث عن الخيط المطبق على المحيط ثم نمده أو المحيط الذى ندحرجه لنرسم خطا منحنيا من نقطة الدائرة ثم نحوله الى خط مستقيم • يطالب البعض بالا يتم هذا التركيب الا بواسطة المسطرة والفرجار ولكن لن نستطيع تتبكل معظم مشكلات الهندسة بهذه الطريقة • يلزمنا اذن ايجاد النسبة بين المربع والدائرة • ولكن هذه النسبة لن تستطيع التعبير عنها بالارقام العقلية المحدودة rationnels finis ويلزمنا لكى لا نستخدم الا الارقام العقلية أن نعبر عن هذه النسبة نفسها بمجموعة لا نهائية من هذه الارقام التى حددتها بطريقة بسيطة جدا • الآن يلزمنا البحث : هل لا توجد بعض الكميات المحدودة عندما لاتكونسوى صماء [illegible] أو أكثر من صماء يمكنها أن تعبر عن هذه المجموعة اللانهائية ، أى هى يمكن ايجاد بالدقة مختصرا لهذا لكن التعبيرات المحدودة وخاصة غير العقلية irrationnelles اذا ذهبنا الى الاكثر من الصماء يمكنها أن تتغير بطرق عديدة حتى يمكن أن نحصيها • وأن نحدد بسهولة كل ما يمكن • وربما توجد وسيلة لعملها،اذا أمكن التعبير عن هذه الصمم بمعادلة عادية أو حتى غير عادية أيضا ، التى تدخل غير العقلى وحتى مجهول الاسس ومع أنه يلزمنا حسابا كبيرا لنتم ذلك وحيث لن نحلها بسهولة ما لم نجد ذات يوم مختصرا يخرجنا منها • ولكننا لن نستطيع استبعاد كل التعبيرات النهائية ، وهذا ما أعرفه وأنه لعمل كبير أن نحدد أفضلها • كل هذا يبين ان الذهن البشرى يقترح اسئلة عجيبة ، وخاصة عندما نضيف اليها اللامتناهى • ولا يجب أن نندهش اذا اجتهد ذهننا ليصل الى غايته ،

ومثلما يعتمد الكل فى هذه الأمور الهندسية على موجز مختصر ، وهذا ما لا يمكن أن نعد به فاننا لا نستطيع دائما أن نخدع الكسور لاقل الحدود أو أن نجد قواسم diviseurs عدد ما • حقا أننا نستطيع دائما الحصول على هذه القواسم لأن احصاؤها نهائى • ولكن عندما يكون ما يجب فحصه متغيرا الى ما لا نهاية ويرتقى من درجة الى درجة فلن نسيطر عليه اذا اردنا من الشاق جدا أن نستخدم المنهج لنحاول الوصول الى مختصر أو قاعدة المتوالية التى تعفينا من ضرورة التقدم أكثر ، ونظرا لان الفائدة التى تعود علينا لن تساوى الجهد الذى نبذله ، فأننا نترك النجاح فيها لمن يجىء بعدنا ، الذين قد يسعدهم أن يجدو الوسيلة التى تقلل من الاطناب اذا ما اعتمدوا على الاستعدادات والاكتشافات الجديدة التى سيقدمها لهم عصرهم هذا لا يعنى أن الاشخاص الذين قد اهتموا بهذه الدراسات من وقت لآخر قد ارادوا عمل الواجب عليهم ليحققوا تقدما ، فأننا لا نأمل أن نقدم كثيرا فى فترة ما ، ولا يجب أن نتخيل أن الكل قد أنجز ما دام ، حتى فى الهندسة العادية ، مازلنا لا نملك المنهج الذى يحدد أفضل البناءات وعندما تكون المشكلات أقل تركيبا يلزمنا أن نمزج تحليلنا بنوع من المتواليات "الهندسية أو العددية التركيبية progression de synthése ليكون نجاحنا أفضل • وأتذكر أنى سمعت أن السيد / دى ويت Witt لديه بعض التأملات فى هذا الموضوع •

فيلاليت :

انها صعوبة أخرى أن تعرف هل يفكر الكائن المادى الخالص أم لا ؟ وربما ما لم يساعدنا الوحى ، ورغم أن لدينا الافكار عن المادة وعن التفكير ، لن نقدر أبدا على معرفة ، بالعقل ، ما يستحيل أن تكتشف بالتأمل فى أفكارنا الخاصة ، اذا لم يمنح الله لبعض الكتل من المادة ، التى يرى أنها مهيأة لذلك ، القدرة على الادراك والتفكير ، أو اذا لم يوجد ويرتبط بالمادة المهيأة بهذه الصورة بجوهر غير مادى يفكر ، لأنه بالنسبة

لأفكارنا لن يكون تصور أن الله يمكن أن يضيف الى فكرتنا عن المادة ملكة التفكير ، بأصعب من فهم أنه يربط بها جوهرا آخر من ملكة التفكير ، ما دمنا نجهل مما يتكون التفكير وأى نوع من الجواهر ، يرى هذا الكائن مخلوق الا بفضل رغبة وطيبة الخالق .

تيوفيل :

لا شك فى أن هذا السؤال أهم بكثير اذا قارناه بالسؤال السابق ، ولكن اسمح لنفسى ياسيدى أن أقول انى أتمنى أن يتيسر لنا تناول النفس ودفعها الى ما فيه خيرها وان تشفى الاجساد من أمراضها ، وأعتقد أن فى مقدرتنا أن نحدد ذلك . أتعشم أن تعترف بذلك على الاقل حتى أتمكن من التقدم دون أن أجرح الاحساس ودون ادعاء العلم بدلا من ذكر المبررات الجيدة ، لأنه علاوة على أنى أتحدث وفق الاحساس العام والمقبول ، أعتقد أنى قد أضفت اليها اهتماما غير عام ، أولا : اعترف ياسيدى أنه عندما لا نملك الا الافكار الغامضة عن التفكير والمادة ، كالعادة لا يجب أن نندهش اذا لم نر الوسيلة لحل هذه الاسئلة ، وكما لاحظت من قبل ، أن الشخص الذى ليس لديه أفكارا عن زوايا المثلث الا بالطريقة التى لدينا عنه عادة ، لن يفطن الى أنها تساوى باستمرار زاويتين قائمتين . يجب أن نعتبر المادة ، مأخوذة على أنها كائن كامل ، (أى المادة الثانية فى مقابل المادة الاولى التى هى شىء سلبى تماما ، وبالتالى غير كامل) أى على أنها كتلة أو ما ينتج عن الكتلة وأن كل كتلة حقيقية تفترض جواهر بسيطة أو وحدات حقيقية ، وعندما نعتبر مرة أخرى ما هى طبيعة هذه الوحدات، أى الادراك ولواحقه فاننا ننتقل بهذا الى عالم آخر ، أى العالم المعقول للجواهر ، بدلا من أن نظل ، كما كنا من قبل بين ظواهر الاحساس ، هذه المعرفة لداخل المادة تظهر بما فيه الكفاية ما هى قادرة عليه بصورة طبيعية وأنه حينما يزودها الله بالاعضاء المناسبة للتعبير عن التفكير ، فلن يعيب الجوهر اللامادى الذى يفكر أن يعطيها لها بفضل الانسجام الازلى الذى هو

أيضا تتابع طبيعى للجواهر . لن تستطيع المـادة أن توجد بدون الجواهر غير المادية أى بدون الوحدات وتبعا لذلك لا يجب أن نسأل هل الله حر فى أن يعطينا لها أم لا ؟ واذا لم يكن لهذه الجواهر فى ذاتها الترابط أو الانسجام الذى تحدثت عنه ، فلن يكون الله قد تعرف وفق النظـام الطبيعى عندما نتحدث ببساطة عن اعطـاء أو التسليم بوجـود القوى فأننا نعود الى الملكات العارية التى قال بها المدرسون ونتخيل الكائنات الصغيرة الموجودة التى يمكنها أن تدخل وأن تخرج كما يفعل الحمـام فى برجه . أننا نجعل منها جواهر دون أن نفكر فى ذلك . القـدرات الاولية تكون الجواهر نفسها والقدرات المشتقة أو اذا أردت : الملكـات ليست سوى طرق للموجود يجب اشتقاقها من الجواهر ولا نشتقها مـن المـادة الا باعتبارها آله ، أى بقدر ما ننظر اليها بالتجريد على أنها الكائن غير الكامل للمادة الأولى أو ما هو السلبى الخالص تماما . وهذا ما اعتقد انك ما زلت توافق ، ياسيدى على أنه ليس فى مقدور الآلة العارية أن تولد الادراك والاحساس والعقل . يجب اذن أن يولدها شىء آخر جوهرى .

ارادة أن يتصرف الله بطريقة أخرى ، أن يعطى للاشياء أعراضـا ليست حالات من الجود أو تعديلات مشتقة من الجواهر . يعنى الالتجاء الى المعجزات وما يسميه المدرسون la puissance opedietiale أى القدرة الخاصة للسلطة الكنسية العليا بطريقة من التمجيد تفـوق الطبيعة ، مثل ادعاء بعض اللاهوتيين أن نار الجحيم تحرق النفوس المتفرقة ، ففى هذه الحالة يمكن أن نشك هل النار هى التى تعمل ؟ ، هل الله نفسه هو الذى قدم الاثر ، عندما يعمل بدلا من النار ؟

فيـــلاليت :

انك تدهشنى بتوضيحاتك وتواجه العديدمن الاشياء التىسأعرضها بالنسبة لحدود معارفنا . لقد قلت لك أننا لسنا فى حالة البصـيرة Vision كما يقول اللاهوتيون ، وأن الايمان والاحتمال يجب أن

يكفينا فى كثير من الاشياء ، وخاصة بالنسبة لخلود الروح ، وأن جميع غايات الاخلاق والدين تقوم على أسس جيدة بما فيه الكفاية دون حاجة لادلة على هذا الخلود مستمدة من الفلسفة وأن من الواضح أن ذلك الذى بدأ فى ايجادنا هنا باعتبارنا كائنات حساسة وعاقلة ، والذى حافظ علينا فى هذه الحالة لعدة سنوات ، يمكنه ويريد أن نتمتع أيضا بحالة من الحساسية مشابهة فى الحياة الاخرى ويجعلنا قادرين على تقبل الثواب الذى حدده للبشر تبعا لسلوكهم فى هذه الحياة ، وأخيرا يمكن أن نحكم بهذا آن ضرورة تحديد موافقتنا أو معارضتنا لخلود الروح ليس من الاهمية التى أراد المتحمسون لعواطفهم الخاصة أن يقتنعوا بها • سأقول لك كل هذا وأكثر من هذا بهذا الصدد ، ولكنى أرى الآن كم هو مختلف أن أقول أننا حساسون ومفكرون وخالدون بصورة طبيعية عن أننا لن نكون كذلك الا بمعجزة • فى الواقع أنها معجزة حقا أن أعرف أنه يجب قبول أن الروح ليست خالدة : ولكن فكرة المعجزة هذه علاوة على أنها لا أساس لها ، لن تؤثر تأثيرا طيبا فى ذهن الكثير من الناس • وأرى أن الطريقة التى نتناول بها الأمر تجعلنا نحدد بشكل معقول السؤال الحاضر دون الحاجة للتمتع بحالة البصيرة • والتواجد فى صحبة هذه العبقريات السامية التى تنفذ تماما الى التركيب الداخلى للاشياء وتسمح لنا ، رؤيتنا الحية والثاقبة واتساع مجال المعرفة • بتخيل السعادة التى يجب أن نتمتع بها • ولقد أعتقدت أنه يفوق معرفتنا تماما « أن نخلط الاحساس بمادة ممتدة وأن نخلط الوجود بشىء ليس ممتدا اطلاقا » ولهذا كنت مقتنعا أن أولئك الذين يشتركون هنا وفق المنهج المخالف للصواب لبعض الاشخاص الذين يرون أن الاشياء التى يعتبرونها من جهة معينة تكون غير مفهومة ، يتوقعون مطأطئى الرأس الى الجانب المقابل حتى وأن كان لا يقل لا معقولية عن الجانب الأول ويرجع هذا ، فى رأيى ، الى أن البعض لأنهم أنغمسوا كثيرا فى المادة لن يستطيعوا أن يقروا أى وجود لما هو ليس مادى ، وآخرون لا يجدون سوى الفكر وينحصرون فىالملكات الطبيعية للمادة ، ويستنتجون أن

الله نفسه لا يستطيع أن يمنح الحياة والادراك لجوهر صلب دون أن يمنح جوهرا خالدا بينما أرى الآن أنه اذا فعل ذلك سيكون بمعجزة ، ويبدو أن عدم القابلية لفهم وحدة النفس بالجسد أو المزج بين الاحساس والمـادة قد زال بفرضك الاتفاق الازلى بين الجواهر المختلفة •

تيوفيـــــــل :

الواقع أنه لا يوجد ما هو غير مفهوم فى هذا الغرض الجـديد ما دام لا ينسب الى الروح والاجساد سوى تعديلات نختبرها فى ذاتنا وفيها ، وأنه يقررها فقط بصورة أكثر تنظيما وأكثر ارتباطا مما كنـا نعتقد حتى الآن • والصعوبة الباقية هى بالنسبة لأولئك الذين لا يريدون تخيل الا ما هو معقول ، كأنهم يريدون رؤية الأصوات أو استماع الالوان، وهم الذين ينكرون وجود كل ما ليس ممتدا ، مما يضطرهم الى انكاره حتى بالنسبة لله نفســه أى التخلى عن كل من الاسباب ومبررات التغيرات من جهة وهذه التغيرات من جهة أخرى : هذه الاسباب لا يمكن أن تصدر عن الامتداد والطبائع السلبية الخالصة عن الطبائع النشـطة الجزئية والسفلى بدون الفعل الخالص الكلى للجوهر الاسمى •

فيــــــلاليت :

بقى الاعتراض على الاشياء التى يمكن أن تقبلها المـادة بصـورة طبيعية • الجسد بقدر ما يمكن تصوره غير قادر الا على أن يطـرق ويؤثر على جسد • والحركة لا يمكن أن تنتج شيئا آخر سوى حركة ، بحيث أننا عندما نوافق أن الجسد ينتج اللذة أو الالم أو حتى فكـرة اللـون أو الموت ، فأنه يبدو أننا مضطرون للتخلى عن عقلنـا وأن نذهب أبعد من أفكارنا الخاصة وأن ننسب هذا الانتاج لرغبة خالقنا وحده • ما المبرر اذن لاستنتاج ألا يكون الأمر كذلك بالنسبة للادراك فى المادة ؟ أكاد أرى ما يمكن أن يكون عليه الاجابة ومع أنك قد قلت فعلا بعض الشىء أكثر من مرة ، الا أننى سأستمع لك الآن أكثر مما سبق وأنى

مستعد تماما لأن أسمع مرة أخرى ما ستجيب به فى هذه المناسبة الهـــامة •

نيوفيـــــــــل :

انك تحكم ياسيدى بأنى سأقول أن المـادة لن تستطيع انتـــاج اللذة والالم أو الاحساس فى أنفسنا أنها الروح هى التى ستنتجها بنفسها ، اتفاقا مع ما يحدث فى المــادة ، ويبدأ بعض الماهرين من المحدثين فى اعلان أنهم لا يفهمون العلل التوافقية occasionnelles الا مثلى ، ولكن اذا قررنا هذا فلن يحدث شىء غير معقول باستثناء أننا لا نستطيع توضيح كل ما يدخل فى ادراكاتنا الغامضة التى تتصـل باللانهائى ، والتى هى تعبيرات مفصلة لما يحدث فى الاجســام : أمـا بالنسبة للرغبة الطيبة للخالق : يجب القول أنه منظم وفق طبائع الاشياء، بحيث أنها لاتنتج ولا تحفظ سوى ما يناسبها والذى يمكن أن يفسر بواسطة طبائعها ، على الاقل بوجه عام ، لأنه قد يعوزنا التفصيل أحيانا مثل ما تعوزنا العناية والقدرة على تنظيم حبات رمل الجبل وفق نظـام شكلها ، رغم أنه لا يوجد بها شىء يصعب فهمه سوى الكثرة • وبعبارة أخرى اذا أعوزتنا هذه المعرفة فى ذاتهـا ، واذا لم نستطع حتى تصور سبب الارتباط بالجسد بوجه عام ، وأخيرا اذا منح الله الاشــياء القدرات العرضية معزولة عن طبائعها ، وبالتالى بعيدة عن العقل بوجـه عام ، فأنها تصبح بابا خلفيا تذكرنا بالصفات الحقيقية التى لا يمكن لأحد فهمها ، وبهذه الشياطين الصغيرة للكات غير قادرة للعقل • وهى شياطين مساعدة تبدو كآلهة المسرح أو مثل جنيات أماديس les fées d' Amadis والتى تفعل عند اللزوم كل ما يريد الفيلسوف ببساطة وبدون آلات • ولكن أن ننسب أصلها الى الرغبة الطيبة لله فلن يبـدو مناسبا لذلك الذى يكون العقل الاسمى ، والذى لديه كل شىء منظـم والكل مرتبط • هذه الرغبة الطيبة لن تكون طيبة ولن تكون رغبة اذا لم يوجد توازى مستمر بين القدرة والحكمة عند الله •

فيلاليت :

معرفتنا للذاتية والاختلاف تذهب أبعد بكثير من أفكارنا ، ولكن معرفتنا للرابطة بين أفكارنا (٩ ، ١٠) بالنسبة لتواجدها معا فى نفس الذات تكون غير كاملة تماما معدومة تقريبا (١١) خاصة بالنسبة للصفات الثانوية كالالوان والاصوات والاذواق (١٢) لاننا لا نعرف ارتباطها بالصفات الاولى أى (١٣) كيف تعتمد على الحجم ، والشكل ، أو الحركة • (١٥) اننا نعرف القليل عن عدم توافق هذه الصفات الثانوية ، لان الموضوع لا يستطيع أن يحصل على لونين مثلا فى نفس الوقت ، وعندما نراهما فى حجر بنى متغير الالوان opale أو فى نقيع من Lignum nephriticum فان هذا يبدو فى الاجزاء المختلفة للموضوع (١٦) نفس الامر بالنسبة للقدرات النشطة والسلبية للاجسام • ابحاثنا فى هذه المناسبة يجب أن تعتمد على التجربة •

تيوفيل :

أفكار الصفات الحسية تكون غامضة ، والقدرات التى يجب أن تنتجها لا تزودنا بالتالى الا بأفكار يدخلها غموض • وعلى هذا لن نستطيع معرفة روابط هذه الافكار الا بواسطة التجربة ، بقدر ما نخضعها لافكار متميزة تصاحبها ، كما نفعل مثلا بالنسبة لالوان قوس قزح وطيف الشمس وهذا المنهج يعطينا نوعا من البداية لتحليل مفيد جدا فى الفيزياء ولاشك فى أن الطب لم يتقدم تقدما معتبرا مع الزمان الا باستخدامه ، وخاصة اذا اهتم به الجمهور أكثر من اهتمامه حتى الآن •

بالنسبة لمعرفة الروابط فهذا هو المجال الاوسع لمعارفنا ، ومن الصعب تحديد الى أين يمكن أن يمتد • يعتمد التقدم على الفطنة فى

ايجاد الافكار المتوسطة • أولئك الذين يجهلون الجبر لا يمكنهم تصور الاشياء المدهشة التى يمكن عملها فى هذا النوع بواسطة هذا العلم •

ارى ان من السهل تحديد أى الوسائل الجديدة لاتمام الاجزاء الاخرى من معارفنا يمكن ان يكتشفها ذهن نافذ • على الاقل الافكار الخاصة بالكمية ليست هى الوحيدة القابلة للاستدلال ، هناك أفكار أخرى ربما تكون الجزء الاهم من تأملاتنا التى يمكن أن نستدل منها معارف يقينية اذا لم تقف النقائض والانفعالات والمصالح حائلا دون تنفيذ مثل هذا المشروع •

تيوفيل :

لا يوجد ما هو أصوب مما تقوله الان يا سيدى • هل هناك أهم ، على فرض انه حق ، مما اعتقد أننا حددناه بالنسبة لكل من طبيعة الجواهر والوحدات ، والمتعددات الذاتية والاختلاف ، ، تكوين الافراد ، استحالة الفراغ والذرات ، أصل تماسك الاجسام ، وقانون الاستمرار وغيرها من القوانين الطبيعية ، تناسق الاشياء ، وخلود الارواح ، وحدة الروح والجسد ، بقاء الارواح وحتى أرواح الحيوان بعد الموت ؟ ليس فى كل هذا شىء اعتقد انى استطيع أن أثبت أو قابل للاستدلال • ؟

فيلاليت :

حقا أن افتراضك يبدو مرتباطا تماما وبسيط جدا : يعترف أحد الرجال البارعين ممن أراد دحضه فى فرنسا ، أنه تأثر به تماما • وهو متميز ببساطته فيما أرى • ويحسن أن نؤكد هذه النظرية أكثر فأكثر ذات يوم • ولكن حديثنا عن الاشياء التى تهمنا أكثر ، أقصد الاخلاق ، التى اعترف أن ما بعد الطبيعة التى تقول بها تمدها بأسس مدهشة : ولكن دون تعمق أكثر ، لديها الكفاية رغم أنها ربما لا تمتد بعيدا ، اتذكر انك لاحظت ذلك ، ما دامت غير قائمة على اللاهوت الطبيعى الذى

تقول به • ومع ذلك الاعتبار الوحيد لخيرات هذه الحياة يساعدنا فى تقرير نتائج هامة تنظم المجتمعات البشرية • يمكن أن يكون حكمنا فيها صائبا ومن المؤكد أن يقيننا فيها لن يقل عما فى الرياضيات ، مثلا هذه القضية « لن يمكن ان يوجد ظلم حيث لا يوجد تملك » وهى قضية لا تقل يقينا عن أى استدلال من استدلالات اقليدس ، باعتبار أن التملك حق فى شيء ما والظلم يعنى اغتصاب الحق • كذلك الامر بالنسبة لهذه القضية : لا توجد أى حكومة توافق على الحرية المطلقة • لان الحكومة تعنى قوانين معينة وتطلب تنفيذها • والحرية المطلقة تعنى أن كل واحد قادر على أن يفعل ما يريد •

تيوفيل :

تستخدم كلمة ملكية بطريقة مختلفة قليلا عن الاستخدام العادى لاننا نقصد بها حق شخص ما فى شيء ما واستبعاد حق شخص آخر • وعلى هذا حتى اذا لم توجد ملكية ، حيث يكون كل شيء مشتركا وشائعا ، سيوجد ظلم • يجب أيضا أن نفهم من تعريف الملكية أن كلمة شيء تعنى ايضا فعل action والا فانه عندما لا يوجد حق على الاشياء ، سيكون من الظلم دائما أن نمنع البشر من العمل حيث يحتاجون • ولكن وفق هذا التفسير يصبح من المستحيل الا توجد ملكية • أما بالنسبة للقضية الخاصة بعدم اتفاق الحكومة مع الحرية المطلقة ، فانها تدخل ضمن القضايا اللازمة morollaires وأى القضايا التى يكفى ملاحظتها • ونجد منها الكثير فى التشريع وهى قضايا أكثر تركيبا مثل تلك التى تتصل بما نسميه بالشروط أو تلك الخاصة بـ jus accrescende ومواد أخرى كثيرة قد اظهرتها عندما نشرت فى شبابى بحوثا عن الشروط وحيث اثبت بعضها وسأعود اليها مرة أخرى اذا سنحت لى الفرصة •

فيلاليت :

أن ذلك ييسر المتطلعين ويساعد على تلبية رغبة من يستطيع طبعها دون تنقيح •

تيوفيـــل :

هذا ما حدث بالنسبة لفن الارتباطات الذى اشتكى منه فعلا ؛ فقد كان ثمرة شبابى الاول ومع ذلك اعيد طبعه بعد فترة طويلة دون استشارتى ودون أن يشار الى أنها طبعه ثانية مما جعل البعض يعتقد ، وفى هذا أساءة الى ، أنى كنت قادرا على نشر مثل هذا العمل فى سن متقدمة . لانه رغم ما فيه من افكار لها نتائجها التى مازلت اقرها ؛ فان ايضا بها بعض الافكار لا يمكن تقبلها الا من طالب ناشىء •

فيلاليت :

أرى أن الاشكال تعتبر أكبر علاج لعدم يقين الكلمات وهـــذا ما لا يمكن أن نجده فى الافكار الاخلاقية • علاة على أن الافكار الاخلاقية أكثر تركيبا من الاشكال التى نعتبرها عادة فى الرياضيات ، وعلى هذا يتعب الذهن فى حفظ الارتباطات الدقيقة الموجودة بين الافكار الاخلاقية بطريقة كاملة تجعلها ضرورية فى حالة الاستدلالات الطويلة • وبالنسبة للحساب اذا لم نعبر عن المواضيع المختلفة بعلامات نعرف دلالتها الدقيقة والتى تظل وستظل امام بصرنا فسيكون من المستحيل تقريبا أن تقـــوم بأعمـــال كبيرة •

٢٠ ـــ تعطينا التعريفات علاجا ما بشرط أن نستعملها باستمرار فى الاخلاق • وعلاوة على ذلك ليس من السهل التنبؤ باى المناهج يمكن أن يقترحها الجبر أو أى وسيلة أخرى لها نفس الطبيعـــة لكى تزيل الصعوبات الاخرى •

تيوفيـــل :

اخترع المرحوم أرهارد فيجل Erhard Weigel بعبقرية أشكالا عن الامور الاخلاقية وعندما نشر تلميذه المرحوم Samuel de puffendorff اصـــول الفقه الكلى jurisprudence universelle المتفق مع افكار السيد فيجيليوس Weigelius اضيف فى طبعـــة اثينـــا Iena ابحاث هذا العالم الرياضى فى مجال الاخلاق ، ولكن هذه الاشـــكال كانت نوعا من الاستعارات تشبه الى حد ما قائمة سيبيس Cobes ، وأن كانت أقل شعبية ، وتستخدم بالاحرى فى الذاكرة لحفظ وتنظيم افكارنا ، اكثر من استخدامها فى الحكم لاكتساب معارف استدلالية • أنها لا تنسى دورها فى ايقاظ الذهن • الاشكال الهندسية تبدو ابسط من الامـــور الاخلاقية • ولكنها ليست كذلك ، لان المحتوى يشمل اللانهائى حيث يجب أن نختار منه ، مثلا لكى نقطع المثلث الى أربعة أجزاء متساوية بواسطة زاويتين قائمتين عموديين فيما بينهما • انه سؤال بسيط ولكنه صعب ، ليس الامر كذلك فى الاسئلة الاخلاقية ما دامت قابلة للتحديد بواسطة العقل وحده وعلاوة على ذلك ، المجال لا يسمح هنا بالحديث عن :

de proferendis scientiae demonstrandi pomoeriis.

واقتراح الوسائل الصحيحة لامتداد فن البرهنة الى ما وراء الحدود القديمة التى ما زالت على ما كانت عليه لدى أصحاب الرياضية حتى الآن ، واتعشم ، اذا منحنى الله الفرصة اللازمة لهذا ، أن اقدم ذات يوم بحثا استخدم فيه هذه الوسائل دون أن اتقيد بالسابقين •

فيلاليت :

انك يا سيدى اذا حققت هذا القصد كما يجب فانك ستخدم تماما الفيلاليت امثالى أى أولئك الراغبين بجد فى معرفة الحقيقة • ومن الطبيعى انها مريحة للاذهان ولا يوجد ما هو مشوه ولا هو غير متفق مع

الفهم أكثر من الكذب • ومع ذلك لا يجب أن نتعشم اننا سنعتمد كثيرا على هذه الاكتشافات طالمـــا قد تدفع الرغبة وتقدير الثروة أو القوة البشر الى التعصب للافكار السائدة تمشيا مع الموضة • والبحث بعد ذلك عن الادلة وجعلها مقبولة ، أو تمويه وتغطية تشويهها • وعندما تسعى الاطراف المختلفة الى اقناع كل من يخضع لسلطتهم بهذه الافكار دون فحص هل هي خاطئة أو صواب ، فأى ضوء جديد يمكن أن نتوقعه فى العلوم التى تتصل بالاخلاق ؟ هذا الجزء من الجنس البشرى الواقع تحت السلطة عليه أن ينتظر ، فى أغلب أنحاء العالم بدلا من ذلك ، ظلمات كثيفة كتلك التى فى مصر اذا لم يمثل النور الالهى امام ذهن البشر ، وهو النور المقدس الذى لن تستطيع القدرة البشرية أن تطفئه •

نيوفيـــل :

لن أيأس أبدا من ان يوجد الوقت أو البلد الهادىء الذى يمكن للبشر من البدء فى استخدام العقل بطريقة لم يسبق لهم استخدامها • لانه فى يجب ألا نيأس من شىء واعتقد أن هناك تغيرات نحو الافضل أو الاسوأ سيتعرض لها الجنس البشرى ، وان كان النصر أخيرا للخير • لنفرض اننا سنرى يوما أميرا كبيرا يشبه ملوك سوريا ومصر القدماء ، أو يشبه سليمان ، يتولى الحكم لفترة طويلة فى سلام تام ؛ ولانه يحب الفضيلة والحقيقة ويتمتع بذهن كبير صلب ويضع فى اعتباره أن يجعل الناس سعداء متفقين فيما بينهم وأكثر سيطرة على الطبيعة ؛ فأى العجائب يمكن أن يحققها فى عدد قليل من السنوات لانه من المؤكد أنه يمكن ، فى هذه الحالة ، أن نعمل فى عشرة سنوات مالا يمكن أن نحققه فى مائة وربما ألف سنة ، ذلك اذا تركنا الامور تسير فى مجراها العادى •

ولكن بدون هذا ، اذا ما افسحنا الطريق للعديد من الناس ، كمـــا حدث لعلماء الهندسة فان هذا سيرضيهم ويحقق لهم المجد • ان الجمهور اذا احسن قيادته سيتجه ذات يوم الى تقدم الطب أكثر مما يفعل

اليوم ، وستهتم كل الدول بنشر تاريخها للطبيعى فى صورة القوائم الفلكية أو مجـــلات دورية كمجلة mercures galans [1] وانتترك أى ملاحظة جيدة دون تبجيل ، وستقدم المساعدات لكل من يهتم بها أو يتقن فن عمل امثال هذه الملاحظات ، وكذلك كل من يستخدمها لتقرير الكلمات الجامعة وسيأتى الوقت الذى يتزايد فيه عدد الاطباء الممتازين والذى يتناقص فيه عدد أفراد مهن معينة يقل الاحتياج اليها ، ويصبح الجمهور فى حالة تسمح له بتشجيع البحث فى الطبيعة ، وبوجه خاص العمل على تقدم الطب وعندئذ سيصل هذا العلم الهام الى أبعد مما هو عليه فى حالته الحاضرة ويتزايد أمام بصرنا • فى الواقع اعتقد ، أن هذا الجانب من السياسة يجب أن ينال رعاية أكثر من الحكام • بعد الجانب الخاص بالفضيلة ، وأن من أهم الثمرات التى نجنيها من الأخلاق أو من السياسة القويمة هو أنه سيقودنا الى طب أفضل عندما يبدأ البشر فى أن يصبحوا أكثر حكمة مما هم عليه ، وعندما يتعلم العظماء اتقـــان استخدامهم لثرواتهم وقدرتهم من أجل سعادتهم الخاصة •

٢١ ــ فيلاليت :

بالنسبة لمعرفة الوجود الحقيقى (وهو النوع الرابع من المعارف) يجب القول أننا لدينا معرفة حدسية لوجـــودنا ، ومعرفة اســـتدلالية لمعرفة الله ، وحسية للاشياء الاخرى • وسنتحدث بتفصيل فيما يلى •

تيوفيـــل :

لن نجد ما هو أدق من ذلك •

---

(١) mercures galants عنوان لمجلات مختلفة تهتم بالسياســـة والادب واعلانات واخبار متنوعة وقد اختار de visé سنة ١٦٧٢ هذا العنوان للجريدة التى انشأها واستمرت حتى سنة ١٨٥٣ تحت عدد من المديرين واتخذت عدة اسماء وتعرضت للتوقف لفترات . وقد حاول ليبنتز الحصول على نسخة كاملة من اعدادها .

٢٢ ـ فيلاليت :

الآن بد أن تحدثنا عن المعرفة ، يبدو من المناسب لكى نحسن اكتشاف الحالة الحاضرة لذهننا ، أن نعتبر قليلا الجانب الغامض وأن نتعرف على جهلنا لانه يفوق معرفتنا وهاهى أسباب هذا الجهل •

ينقصنا بعض الافكار ، أننا لن نكتشف الارتباط بين الافكار التى لدينا ، وأننا نهمل تتبعها وفحصها بدقة •

٢٣ ـ بالنسبة لعيوب الافكار ليس لدينا افكارا بسيطة سوى تلك التى تأتينا عن طريق الحواس الداخلية أو الخارجية • أما بالنسبة لمخلوقات العالم التى لا حصر لها وصفاتها فأننا منها بمثابة العميان بالنسبة للالوان ، لا نملك حتى الملكات اللازمة لمعرفتها ، وحسب كل الظواهر يقف الانسان فى الصف الاخير من بين الكائنات العاقلة •

تيوفيـل :

لا أعرف هل هناك من هم بعدنا فى الصف ؟ ولمـاذا نحتقر أنفسنا بدون ضرورة ربما نحتفظ لانفسنا بمكان أفضل من الحيوانات العاقلة ، لان الجنيات العليا يمكنها أن تحصل على أجسام ذات صورة مختلفة بحيث لا يناسبها اسم حيوان • أننا لا نستطيع القول أن لشمسـنا ، من بين غيرها من الشموس ، ما يعلوها بقدر ما هو أسفل منها ، واننا قد أحسن وضعنا فى هذا النظام ، لان الارض تشغل مركز الافلاك وأن بعدها قد أحسن اختياره بحيث تسمح لحيوان متأمل أن يسكن فيها • على أى حال لدينا الكثير من الامور التى نفتخر بها أكثر من تلك التى نشكو منها ، ومعظم شرورنا يجب أن ترجع الى خطئنا • واننا قد نخطىء اذا اشتكينا من عيوب معرفتنا ، ما دمنا نستخدم القليل مما تقدمه لنا الطبيعة الرحيمة •

٢٤ ــ فيلاليت :

ومع ذلك فمن الحق اننا نعجز عن معرفة المسافة القصوى لكل أجزاء العالم تقريبا الواقعة امام بصرنا • ومن الواضح أن العالم المرئى ليس سوى جزءا من هذا الكون الفسيح ، أننا محصورون فى ركن صغير من المكان أى فى فلك شمسنا ومع ذلك لا نعرف حتى ما يحدث فى الكواكب الاخرى التى تدور حولها وحول كرتنا الارضية •

٢٥ ــ هذه المعارف تنقصنا لحجمها وبعدها ولكن هناك اجسام أخرى خافية علينا لصغرها وهى تلك التى يهمنا معرفتها أكثر لانه اعتمادا على تشابكها يمكننا استدلال استخدامات وعمليات تلك المرئية ، ومعرفة لماذا يؤدى الراوند (rhubarbe) وهو عشب طبى ــ الى الاسهال ، ولماذا يقتل الشوكران (cigué) ــ وهو عشب طبى سلم ــ ولماذا يخدر الافيون ••• الخ •

٢٦ ــ وعلى هذا مهما استطاعت الصناعة البشرية أن تقيم الفلسفة التجريبية على الاشياء الفيزيقية فانى أميل الى الاعتقاد اننا لن نصل أبدا الى معرفة علمية لهذه الموضوعات •

تيوفيل :

اعتقد أننا لن نصل ابدا ابعد مما نتمنى ومع ذلك يبدو لى أننا نحقق تقدمات معتبرة بالنسبة لتفسير بعض الظواهر ، لان مالدينا من تجارب عديدة يمكن أن تمدنا بالمعطيات التى تفوق الكفاية بحيث لا ينقصنا سوى فن استخدامها ، ولن أيأس أبدا من محاولة دفع البدايات الصغيرة طالما يمدنا التحليل اللامتناهى بالوسيلة التى تربط الهندسة بالفيزيقا وطالما تزودنا الديناميكا بالقوانين العامة للطبيعة •

٢٧ ــ فيلاليت :

مازالت العقول بعيدة جدا عن معرفتنا ، اننا لا نستطيع تكوين

أى فكرة عن نظمها المختلفة : ومع ذلك فمن المؤكد أن العالم الذهنى أكبر وأجمل من العالم المـــادى •

تيوفيـــل :

هذه العوالم تكون دائما متوازية تماما ، وبالنسبة للعلل الفعالة وليس بالنسبة للعلل النهائية • لانه ما أن تسيطر العقول على المـــادة حتى تنتج تنظيمات مدهشة • يبدو هذا من التغييرات التى حققها البشر لتجميل بسطح الارض كأنهم آلهه صغار يحاكون المهندس البارع للكون وأن كان ذلك باستخدام الاجسام وقوانينها فحسب • ماذا يمكننا أن نخمن عن هذه الكثرة الهائلة من العقول التى تفوقنا ؟ وحيث أن العقول تشكل فيما بينهانوعامن الدولة وخاضعة لله ، حاكمها كامل فاننا بعيدون تماما عن فهم نظام هذا العالم المعقول ، وادراك الآلام والمكافآت التى أعدت لمن يستحقها وفق عقل عادل تماما وأن نتخيل ما لم تره عين ولم تسمعه أذن ولم يدخل أبدا قلب الانسان • ومع ذلك كل هذا يعرفنا أننا لدينا كل الافكار الواضحة واللازمة لمعرفة الاجسام والعول وليس التفصيل الكافى للوقائع ، ولا الحواس النافذة التى توضح الافكار الغامضـــة أو الممتدة بحيث ندركها كلها •

٢٨ ـــ أما بالنسبة للارتباط الذى ينقصنا معرفته فى الافكار التى نملكها سأقول لك أن التأثيرات الآلية للاجسام ليس لها أى ارتبـــاط بأفكار الالوان ، الاصوات ، الروائح ، الاذواق ، اللذة ، والالم • وأن ارتباطها لا يعتمد الا على الرغبة الطيبة وأرادة الله الحرة •

ولكنى أتذكر أنك تحكم بوجود توافق كامل وأن لم يكن دائمـــا تشابها تماما • ومع ذلك فأنت تعرف أن التفاصيل الدقيقة جدا للامور الصغيرة التى تدخل فيها يعوق توضيح ما تخفيه ، رغم أنك مازلت تأمل أن تقترب منه كثيرا ومن ثم لا تريد القول مع مؤلفى الشهير • ٢٩ (أنه لمن الجهد الضائع أن تهتم بمثل هذا البحث ، خشية أن يسىء هذا

الاعتقاد الخاطىء الى تقدم العلم • لقد تحدثت اليك ايضا عن الصعوبة التى اعترضتنا حتى الان عند تفسير الارتباط الموجود بين الروح والجسد ، مادمنا ندرك أن الفكرة تنتج الحركة فى الجسد وليست الحركة هى التى تنتج الفكرة فى الذهن • ولكن منذ أن أدركت فرضك الخاص بالاتساق الازلى زالت هذه الصعوبة تماما وبسهولة • ٣٠) بقى اذن السبب الثالث لجهلنا ، وهو أننا لا نتابع الأفكار التى لدينـا أو التى يمكن أن نمتلكها ولا نحاول ممارسة الحصول على الافكار الوسيطة • هكذا نجهل الحقائق الرياضية مع أنه لا يوجد أى نقص فى ملكاتنا ، ولا أى شك فى الاشياء نفسها • وسوء استخدام الكلمات هو الذى ساهم أكثر فى الحيلولة دون تبين التوافق أو عدم التوافق بين الافكـار ••

وقد استطاع الرياضيون تجنب الجزء الاكبر من الصعوبة بان صاغوا أفكارهم دون الاعتماد على الاسماء وتعودوا على تمثل الافكار وليس أصواتها فى ذهنهم • ولو تصرف البشر فى اكتشافاتهم للعالم المادى ، بنفس الطريقة التى تصرفوا بها بالنسبة للعالم الذهنى واذا كانوا قد خلطوا الجميع فى سديم من الكلمات ذات دلالة غير يقينية ، فانهم سيظلون يتناقشون الى ما لا نهاية حول مناطق الكرة الارضية ، أو المد والجذر ، أو بناء السفن والطرق ، وما كنا قد توصلنا الى الجانب الآخر منها ولظلت الاجزاء الواقعة على الجهة المقابلة من الكرة الارضية مجهولة كما كانت من قبل عندما أعلنا أنها نوع من البدع •

تيوفيـل :

هذا السبب الثالث لجهلنا هو الوحيد الذى يستحق اللوم • ونرى يا سيدى أنه يتضمن ايضا اليأس من التقدم أكثر • لقد أزعجنا كثيرا هذا الوهن فى العزيمة وقد أعاق بعض الاشخاص الجديرين بالاعتبار والماهرين ، تقدم الطب لاعتقادهم الخاطىء أن أى عمل يقومون به فى

هذا المجال يعتبر جهدا ضائعا • عندما ترى الفلاسفة الارسطيين القدماء يتحدثون عن الظواهر الجوية وعن قوس قزح مثلا ، ستجد أنهم يعتقدون أنه لا يجب فقط التفكير فى تفسير واضح لهذه الظاهرة ومن ثم ظنوا أن محاولات مورليوس Marolyeus ومارك أنطوان دى دومينيس (Marc Antoine de Dominis) ليست سوى محاولات خيالية تشبه محاولات أيكاروس الاسطورى (الذى تخلص من سجنه بصنع جناحين والطيران بهما) ومع ذلك ترتب على ذلك الكشف عن العالم • من الحق أن سوء استخدام الالفاظ قد سبب جزءا كبيرا من الفوضى الموجودة فى معارفنا ليس فقط فى الاخلاق وما بعد الطبيعة أو فيما تسميه العالم الذهنى ، وأنما ايضا فى الطب حيث تزايد سوء استخدام الحدود أكثر فأكثر • لا تستطيع الاشكال هنا مساعدتنا كما فى الهندسة ولكن الجبر أظهر أن من الممكن تحقيق اكتشافات كبرى دون اللجوء دائما الى افكار الاشياء • بالنسبة للبدعة الخاصة يتعرف الاجزاء الواقعة على الجهة المقابلة من الكرة الارضية ، أقول أن من الحق أن بونيفاس Boniface أرشيدوقماينس قد أتهم فرجيل دى سالزبورج فى خطاب كتبه للبابا ضده فى هذا الموضوع ، وأجابه البابا بطريقة تظهر أنه يؤيد بونيفاس دون أن يؤثر هذا الاتهام على فرجيل وظل الخصمان قديسيين ، واحتفظ بذكراه علماء بافيير Baviere الذين اعتبروا فرجيل مبشرا لكارنيتى Carinthie والبلاد المجاورة لها •

---

(١) دى ويت (جان Jean) witt المشهور باعتباه رجل دولة وعالم هندسة ولد بدور درشت Dordrechten سنة ١٦٢٥ وتوفى مع شقيقه كورتى سنة ١٦٧٢ مقتولا فى الثورة التى أوصلت جيلوم دوانج لقمة المقاطعات المتحدة وقد ترك كتابه Elementa linearum curvarum فى ليد سنة ١٦٥٠ .

(٢) Puffenaorf أحد مؤسسى القانون الطبيعى ولد Dippoldswald سنة ١٦٣٢ وتوفى ببرلين ١٦٩٤ ابحاثه ائرئيسية ١٧٤٤ ترجمه للفرنسية Barbeyrac مع ملاحظات فى مجلدين سنة ١٧١٢

1 — de jurenaturae etgentium libro octo

2 — elementa jurisprudentae de officio hominis libri duo.

الفصـــــل الرابع

في حقيقة معرفتنـــا

١ ـ فيلاليت :

يظن أولئك الذين لم يفهموا اهمية الحصول على أفكار جيدة وفهم اتفاقها أو عدم اتفاقها ، أن تفكيرنا فيها بعناية بمثابة بناء قصور فى الهواء ٠ وأن مذهبنا لا يحتوى الا ما هو مثالى وخيالى ٠ قد يتميز الانسان الشاذ الذىيتمتع بخيال خصب، بأنه يتمتع بأفكار أكثر حيوية وأكثر عددا ، ومن ثم سيكون لديه معرفة أكثر ، وكذلك سيكون لدى الشخص المتحمس من اليقين فى رؤياه أكثر مما لدى الرجل ذو الذوق السليم من استدلالات بشرط أن يتحدث هذا المتحمس تبعا لذلك ؛ وسيكون حقا ايضا قولنا ان « هذه المرأة الشريرة التى ذكرتها الاساطير اليونانية ليست هى ذلك الكائن الخرافى الذى نصفه رجل ونصفه فرس « يشبه تماما قولنا أن المربع ليس بدائرة » ٠

٢ ـ أجيب أن أفكارنا تتفق مع الاشياء ٠

٣ ـ ولكننا قد يطالبنا البعض بمحك ٠

٤ ـ أجيب ايضا أولا أن هذا الاتفاق واضح بالنسبة للافكـــار البسيطة لذهننا ولمـــا كان الذهن غير قادر على تشكيلها بنفسه وجب أن تنتجها الاشياء التى تؤثر على الذهن ، وثانيا ٠

٥ ـ ولمـــا كانت كل افكارنا المركبة ، ماعدا افكارنا عن الجواهر ، نماذج أصلية يشكلها الذهن نفسه دون أن يقصد منها أن تصبح نسخا لاى شىء كان ، ولا تستمد أصولها من وجود أى شىء ٠ فلن ينقصها أن تتفق تماما مع الاشياء الضرورية للمعرفة الحقيقية ٠

تيوفيـــل :

سيكون يقيننا قليلا وبالاحرى معدوما اذا لم يكن له كأساس لافكاره البسيطة سوى تلك التى يستمدها من الحواس • هل نسيت يا سيدى كيف أظهرت أن الافكار تكون اصلا فى ذهننا وأن أفكارنا نفسها تأتينا من أعماقنا ؛ دون أن يكون للمخلوقات الاخرى أى أثر مباشر على الروح • طبعا أساس يقيننا بالنسبة للحقائق الكلية والخالدة يكون فى الافكار نفسها مستقلة عن الحواس ، كذلك لا تستقل الافكار الخالصة والذهنية عن الحواس ، مثلا أفكارنا عن الكائن ، الواحد ، نفس الشىء ••• الخ فى حين تصدر أفكارنا عن الصفات الحسية كاللون والطعم ••• الخ (والتى لا تكون فى الواقع سوى اوهام) عن الحواس ، أى عن أفكارنا المختلطة • وأساس حقيقة الاشياء العرضية والمفردة يكون فى النجاح الذى يجعل ظواهر الحواس مرتبطة بالصورة التى تتطلبها الحقائق الذهنية بالضبط • هذا هو الفرق الذى يجب أن نقرر ، بدلا من ذلك الذى نقرره أنت بين الافكار البسيطة والمركبة ، وبين الافكار المركبة المتصلة بالجواهر وتلك المرتبطة بالاعراض ، وهو فرق لا يبدو لى مؤسسا ما دامت كل الافكار الذهنية لديها نماذجها الاصلية فى الامكانية الخالدة للاشياء •

٦ ــ فيلاليت :

حقا أن أفكارنا المركبة لا تحتاج لنماذج أصلية خارج الذهن الا عندما يخص جوهرا موجودا يجب عليه أن يوجد بصورة فعالة ؛ خارج أنفسنا ، الافكار البسيطة التى تتركب فيها • معرفة الحقائق الرياضية صادقة ، مع أنها لا تدور الا حول أفكارنا ولا نجد فى أى جزء منها دوائر دقيقة • ومع ذلك نحن واثقون من أن الاشياء الموجودة ستتفق مع نماذجنا الاصلية بشرط أن يوجد ما نفترضه •

٧ ــ هذا ما يستخدم ايضا فى تبرير حقيقة الأشياء الاخلاقية .

٨ ــ قوانين ششرون لا يقلل من اتفاقها مع الحقيقة أنه لا يوجد شخص فى العالم ينظم حياته بالضبط وفق نموذج الانسان الخير الذى صوره لنا شيشرون .

٩ــ ولكن يمكن القول أنه اذا كانت الافكار الاخلاقية من اختراعنا فأى فكرة غريبة ستحصل عليها عن العدالة والاعتدال ؟

١٠ ــ اجيب أن عدم اليقين لن يكون الا فى اللغة ، لاننا لا نفهم دائما ما يقال وقد لا نفهمه دائما بنفس الصورة .

تيوفيل :

يمكن أن تجيب ايضا يا سيدى ، بل والافضل فى نظرى ، ان افكار العدالة والاعتدال ليست من اختراعنا ولا حتى افكارنا عن الدائرة والمربع ، واعتقد أنى أظهرت ذلك .

١١ ــ فيلاليت :

بالنسبة لافكار الجواهر التى توجد خارج أنفسنا ، معرفتنا تكون حقيقية بقدر اتفاقها مع هذه النماذج الاصيلة وبهذا الصدد لا يجب على الذهن أن يربط الافكار تعسفيا طالما هناك القليل من الافكار البسيطة التى يمكن أن نؤكد انها تستطيع أولا تستطيع أن توجد معا فى الطبيعة وراء ما يبدو لنا من خلال الملاحظات الحسية .

تيوفيل :

ذلك حق كما سبق ان قلت أكثر من مرة ، لان هذه الافكار ، عندما لا يستطيع العقل الحكم باتفاقها أو ارتباطها ، تكون غامضة مثل تلك الخاصة بالصفات الخاصة بالحواس .

١٣ — فيلاليت :

من الاحسن ايضا بالنسبة للجواهر الموجودة ، الا تنحصر فى الاسماء أو الاجناس التى نفترض تقريرها بالاسماء . هذا يجعلنا نعود الى ما ناقشناه احيانا بالنسبة لتعريف الانسان . فهل حديثنا عن الابله الذى عاش أربعين عاما دون أن يبدو أنه يستخدم ذهنه ، يجعلنا نقول أنه يشغل مكانا وسطا بين الانسان والحيوان ؟ قد يكون هذا تناقضا حادا أو خطأ ذا نتائج خطيرة جدا ومع ذلك بدا لى ، قبل ذلك ، ومازال يبدو للبعض من أصدقائى ، أنى لن استطيع كشفه ، وانه بفضل حاكم سابق يقوم على هذا الافتراض الخاطىء أن هذين الاسمين « الانسان والحيوان » يعنيان جنسين متميزين مختلفين تماما لهما ماهيات حقيقية فى الطبيعة بحيث لا يستطيع أى جنس آخر تدخل فيما بينهما ، كما لو أن كل الاشياء قد صبت فى قوالب حسب العدد الدقيق لهذه الماهيات .

١٤ — عندما نسأل هؤلاء الاصدقاء تحت أى جنس من الحيوانات يمكن أن ندخل هؤلاء البلهاء اذا لم يكونو بشرا ولا حيوانات ، أجابوا أنهم بلهاء وهذا يكفى .

وعندما نسألهم ما مصيرهم فى العالم الآخر ؟ أجاب أصدقاؤنا أنه لا يهمهم أن يعرفوا ذلك ولا ان يبحثوا فيه . فليسقطوا أو فليقفوا ، أن هذا من شأن ربهم Rom, xiv,4 وهو طبيب ومخلص ولا يتصرف مع مخلوقاته وفق الحدود الضيقة لافكارنا أو آرائنا الخاصة ، ولا يميزهم وفق الاسماء والاجناس التى يسرنا أن نتخيلها ، ويكفينا أن أولئك القادرين على التعلم سيحاسبون عن سلوكهم وسينالوا أجرهم وفق ما عملوه فى جسدهم ii, Corinth . v. iIo

١٥ — سأقدم لك باقى استدلالاتهم . يقولون أن المسألة هى ،

اذا وجب حرمان السفهاء من حالة ستحدث فان الامر لا يعد واحد افتراضين خاطئين ، الاول أن كل كائن لديه القوة والمظهر الخارجى للانسان مقدور عليه حالة من الخلود بعد هذه الحياة ، والثانى أن كل من ولد بشرا يجب أن يتمتع بهذه الميزة • استبعد هذه التخيلات وسترى ان هذه الانواع من الاسئلة تافهه ولا أساس لها • واعتقد اننا ننكر الافتراض الاول وأننا لا نملك الذهن المتعمق الذى يعتقد أن الحياة الخالدة واجبة لاى شكل ذا كتلة مادية ، بحيث يجب أن تحصل الكتلة على الاحساس بصورة ابدية لمجرد انه قد وضع بهذا القالب •

١٦ — ولكن الافتراض الثانى يدعمه ، قد يقال أن هذا الابله جاء من أبوين عاقلين وبالتالى يجب ان يحصل على روح عاقلة • لا أعرف بأى قاعدة منطقية يمكن أن نقرر مثل هذه النتيجة وكيف بعد ذلك نجرؤ على تحطيم الانتاجات المشوهة والمزيفة • آه ! قد يقال انها مسوخ ! حسنا ! فليكن • ولكن هل سيظل هذا الابله دائما شرسا ؟ هل عيب الجسد هو الذى يجعلنا منه مسخا وليس العيب الذهنى ؟ اننا نعود الى الافتراض الاول والسابق رفضه وهو أن الخارج يكفى • الابله سليم التكوين انسانا ، فيما نعتقد • لديه روح عاقلة ، رغم أنه لا يبدو هكذا • ولكن اذا ما أصبحت أذنيه أطول قليلا ، ومدببه أكثر ، أصبح الانف أكثر انبساطا عن العادة فأننا قد نتردد فى الحكم عليه • أما اذا أصبح الوجه أضيق ، وأطول ومسطح أكثر ، فأننا عندئذ سنحدد موقفنا • وأما اذا ما كانت الرأس رأس حيوان ما فلا شك أنه سيكون مسخا ويصبح هذا فى نظرك استدلالا على أنه لا يملك روحا عاقلة ويجب أن يتحطم • أنى أسألك الآن أين تجد المقياس المضبوط ، والحدود الاخيرة التى تجعل منها روحا عاقلة هناك أجنة بشرية ، نصف حيوان ، ونصف انسان ، وأجنه أخرى ثلاثة أجزاء منها تشارك فى احدهما والجزء الاخير يشارك فى الآخر كيف نحدد بالضبط الملامح التى تدل على العقل ؟أكثر من

هذا ، هل يكون هذا المسخ جنسا وسطا بين الانسان والحيوان ؟ هاهو الابله الذى نحن بصـــدده •

تيوفيل :

أنى مندهش لعودتك الى هذا السؤال الذى فحصناه بما فيه الكفاية وأكثر من مرة وانك لم تعلمه لأصدقائك • اذا ميزنا الانسان عن الحيوان بملكة التفكير ، فلن يوجد وسطا : يجب أن يحصل عليه الحيوان الذى نحن بصـــدده أو لا يحصل عليه • ونظرا لان هذه الملكة لا تظهر احيانا ، فأننا نحكم عليها من خلال الدلائل التى لا تكون استدلالية فى الحقيقة ، الى أن يظهر هذا العقل ؟ لاننا نعرف بالتجربة ان أولئك الذين فقـــدوه أو أولئك الذين لديهم قدرة الممارسة ، قد تتوقف وظيفته • الولادة والشكل يعطيا دلالات على ما هو مستتر • ولكن علاقة الولادة قد يمحوها الشكل المختلف تماما عن البشرية كما فى حالة الحيوان الذى ولدته

أمرأة فى زيلاند عند ليفبنوس Levinus Lemnius (الكتـــاب ١ فصل ٨) وله منقار مدبب وعنق طويلة مستديرة وعينان لامعتان ، وذيل مدبب ، خفة كبيرة فى الجرى • وقد قيل أن هناك مســـوخا أو(أخوة لومبارد Lombards كما يسمونهم الاطباء قديما ، بسبب ما قيل من أن نساء لومبارد كن عرضة لهذه الانواع من الولادة التى تقترب كثيرا من الشكل البشرى • حسنا • ايكن هذا • كيف اذن يمكن تحديد الحدود المضبوطة لاشكل الذى يجب اعتباره بشريا ؟ وأجيب بطريقة تخمينية ليس لدينا شيئا دقيقا • وبهذا تنتهى المشكلة • قد يعترض البعض بأن الابله لا يبدى تعقلا ومع ذلك نعتبره انسانا ولكن اذا كان لديه شـــكلا ممسوخا فلن يكون انسانا • هل هكذا نهتم بالشكل أكثر من العقل ؟ لا بدون شك • نرى اذن انه ينقصه أكثر مما ينقص الابله ؟ عيب عدم ممارسة العقـــل قد يكون مؤقتا ولكنه لن يزول لدى أولئك الذين لهم رأس كلب • وعلاوة على ذلك اذا لم يكن هذا الحيوان الذى له شكل انسان انسانا فليس

هناك ضرر كبير فى اعتباره اثناء شكنا فى مصيره • وسواء أكان لــديه روحا عاقلة أو لديه روح غير عاقلة ، فلم يخلقه الله عبثا ، وهذا ما سنقوله كذلك بالنسبة للرجال الذين يظلون فى حالة مشابهة دائما لحالة الطفولة الاولى أن مصيرهم سيكون نفس مصير أرواح هؤلاء الاطفال الذين يموتون فى مهــدهم •

الفصـــل الخامس

فى الحقيقة بوجه عام

فيلاليت :

١ ــ لقد تساءل البعض منذ عدة قرون ما هى الحقيقة ؟

٢ ــ يعتقد أصدقاؤنا أنها ارتباط أو انفصال العلامات حسب اتفاق الاشياء فيما بينها أو عدم اتفاقها • ويقصد بارتباط أو انفصـــال العلامات ما يسمى بالقضية •

تيوفيل :

لكن الصفة لا تكون قضية : مثلا : الانسان عاقل • ومع ذلك هناك ارتباط بين حدين • وكذلك النفى فهو شىء آخر خلاف الانفصال ، لان نطقنا كلمة انسان وبعد فترة ننطق كلمة عاقل لا يعنى نفيها كذلك الاتفاق أو عدم الاتفاق ليس هو ما نقصده تماما بالقضية ، هناك اتفاق بين البيضتين بينهما هناك عدم اتفاق بين الخصمين • تلزمنا هنا طريقة من الاتفاق أو عدم الاتفاق خاصة تماما • وهكذا اعتقد أن هذا التعريف لا يفسر مطلقا النقطة التى نحن بصددها أما الذى لا أقره كثيرا فى تعريفك للحقيقة ، هو القول بأننا نبحث عن الحقيقة فى الكلمات • ومن ثم فلن تكون الحقيقة هى نفسها اذا تحدثنا عنها بالفرنسية أو اللاتينية أو الالمانية أو الانجليزية ، ويلزمنا أن نقول مع هوبز أن الحقيقة تعتمد على رغبات البشر وبهذا يصبح حديثنا غريبا • أننا ننسب الحقيقة لله أيضا وقد اعترفت لى ، على ما اعتقد انها ليست فى حاجة الى علامات • واخيرا انى مندهش أكثر من مزاج أصدقائك الذين يرضون بجعل المـــاهيات حقائق أسمية •

فيلاليت :

لا نذهب بعيدا بسرعة • انهم يفهمون الافكار من خلال العلاقات • هكذا ستكون الحقائق أما ذهنية أو اسمية حسب انواع العلامات •

تيوفيل :

سيكون لدينا أذن حقائق لفظية يمكن أن نميزها عن الحقائق المكتوبة التى حررت بالحبر العادى أو بحبر المطبعة ما دمنا سنميز بينها بالعلامات• يجب اذن أن نضع الحقائق فى ضوء علاقة موضوعات الافكار والتى تجعل احداها متضمنة أو غير متضمنة فى الاخرى • هذا لا يعتمد مطلقا على اللغات • ويجعلنا نشترك مع الله والملائكة : وعندما يعلن الله حقيقة فأننا نكتسب تلك التى لديه فى فهمه لانه مهما كان الاختلاف لامتناهيا بين أفكاره وافكارنا سواء فى الكمال أو الامتداد ، فمن الحق دائما اننا نتفق فى نفس الارتباط ومن الواجب اذن ان نضع الحقيقة فى هذا الارتباط ويمكننا ان نميز بين الحقائق المستقلة عن لغتنا وبين التعبيرات التى نكتشف انها تتناسبا •

فيلاليت :

٣ ــ ليس حقا تماما أن البشر يصنعون الكلمات مكان الاشياء ، ولو فى ذهنهم ، خصوصا عندما تكون الافكار مركبة وغير محددة • ولكن من الحق ايضا ، كما لاحظت انت ان الذهن يكتفى فقط بملاحظة الحقيقة دون فهمها فى الوقت الحاضر ، مقتنعا بانه يستطيع فهمها عندما يريد • علاوة على ان من السهل ان ندرك الفعل الذى نمارسه فى الاثبات أو النفى عندما نفكر فيما يحدث فينا وانه ليس بين الاشياء (٨) نتفق ايضا انه على الاقل يمكن ان نسمى القضايا لفظية وانها عندما تكون صادقة تكون قد جمعت بين كونها لفظية وصادقة فى نفس الوقت •

٩ ــ لان الخطأ يكمن فى ربط الاسماء بطريقة غير تلك التى تجعل افكارها تتفق أو تختلف •

١٠ ــ وعلى الاقل الكلمات ستكون ادوات للحقيقة •

١ ــ هناك ايضا حقيقة اخلاقية تتكون من الحديث عن الاشياء حسب اقتناع ذهننا وهناك أخيرا الحقيقة الميتافيزيقية وهى الوجود الحقيقى للاشياء وفق الافكار التى لدينا عنها •

تيوفيل :

يسمى البعض الحقيقــة الاخلاقية صــدقا ، ونعتبر الحقيقة الميتافيزيقية لدى عامة الميتافيزيقين على أنها صفة للوجود ولكنها صفة غير مفيدة وتكاد تكون خالية من المعنى ولنكتفى اذن بالبحث عن الحقيقة فى تراسل القضايا التى فى الذهن مع الاشياء التى تخصها • حقا انى نسبت ايضا الحقيقة الى الافكار بقولى ان الافكار تكون صــادقة أو كاذبة ، ولكن أقصد بها فى الواقع حقيقة القضايا التى تثبت امكانية موضوع الفكرة • وبهذا المعنى يمكن القول ايضا ان الكائن يكون حقا أى القضية التى تثبت وجوده الفعلى أو على الاقل الممكن •

الفصــل الســادس

القضايا الكلية ، حقيقتها ويقينها

٢ ــ فيلاليت :

كل معرفتنا تكون عن الحقائق عامة أو جزئية ٠ فنحن لا نستطيع ابدا أن نجل الاولى وهى الاكثر اعتبارا مفهومة ولا أن نفهمها نحن انفسنا الا فى النادر ، وبقدر ما هى مدركه ومعبر عنها بالكلمات ٠

تيوفيل :

اعتقد أن هناك ملاحظات أخرى يمكن أن نذكرها ، نراها من خلال خصائص اللغــة ويمكن أن نتقدم خاصيــة كلية أكثر شعبية وتفوق خصائصهم ، اذا استخدمنا اشكالا صغيرة بدلا من الكلمات والتى ستمثل الاشياء المرئية بملامحها ، والاشياء الغير مرئية بواسطة تلك المرئية التى تصاحبها وتضيف اليها ملاحظات معينة اضافية ، ملائمة لتجعلنا نفهم اعرابها وجزئياتها ٠ هذا يساعدنا أولا فى الاتصال بسهولة بالامم البعيدة ، ولكن اذا ادخلناها ايضا بيننا دون ان نتخلى طبعا عن الكتابة العادية فان استخدام هذه الطريقة فى الكتابة ستكون مفيدة جــدا فستثرى الخيال وتمدنا بأفكار أقل خفاء وأقل حرفية مما لدينا الآن ٠ حقا أن فن الرسم لم يكن معروفا تماما ، وترتب على ذلك انه باستثناء الكتب المطبوعة بهذه الطريقة ، لم يستطع احد استخدام طريقة اخرى سوى طريقة الطباعة ، اى وجود اشكال محفورة جاهزة للطباعة على الورق وأن يضاف اليها بعد ذلك بالريشة الاعراب والأدوات النحوية ، ولكن بمرور الزمان تعلم الناس الرسم منذ الشباب حتى لا يحرموا من سهولة هذا الشكل المرسوم الذى ينطق امام اعينهم ويرضى الناس تماما ٠ كما أن للفلاحين تقاويم دعينة تقول لهم دون كلام جزءا كبيرا مما يطلبون :

واتذكر أنى رأيت مطبوعات هجائية فى حجم خفيف يشوبها قليل من الالغاز وبها اشكال ذات دلالة بنفسها ممزوجة بالكلمات ، فى حين أن حروفنا والاشكال الصينية ان يكون لها اى دلالة الا بارادة البشر •

٣ ـ فيلاليت :

اعتقد أن فكرتك ستحقق المطلوب طالمـــا ستزيد من كمال ذهننـــا وتجعل تصوراتنا أكثر حقيقة • ولكن نعود الى المعارف العامة ويقينها ، سيكون من المناسب ملاحظة أن هناك يقين الحقيقة وأنه هناك ايضـــا يقين المعرفة • عندما ترتبط الكلمات بطريقة معينة فى القضايا التى تعبر عن الاتفاق أو الاختلاف كما هو من حقنا فانه يكون يقين الحقيقة • ويتكون يقين المعرفة من ادراك الاتفاق أو الاختلاف فى الافكار بقـــدر ما نعبر عنها فى القضايا • وهذا ما نقصد به عادة من كوننا متأكدين من القضـــية •

تيوفيـــل :

الواقع أن هذا النوع الاخير من اليقين يكفى دون استخدام الكلمات وليس سوى المعرفة التامة للحقيقة ، بينما لن يكون النوع الاول من اليقين سوى الحقيقة نفسها •

٤ ـ فيلاليت :

ولكن نظرا لاننا لن نكون متأكدين من حقيقة أى قضية عامة الا اذا عرفنا الحدود الدقيقة لدلالة الالفاظ المركبة منها فمن الضرورى أن نعرف ماهية كل جنس وهو ليس بالصعب بالنسبة للافكار البسيطة والانماط • ولكن فى الجواهر حيث من المفروض أن نحدد الاجناس بماهية حقيقية متميزة عن الاسمية ، فان امتداد ، اللفظ العام يصبح غير اكيد تماما ، لاننا لا نعرف هذه الماهية الحقيقية وبالتالى فى هذا المعنى لن نكون متأكدين من أى قضية عامة نصدرها على موضوع الجواهر

ولكن عندما نفترض أن اجناس الجواهر ليست سوى اختصار للافراد الجوهرية (individus substantiels) • فى انواع معينة مرتبة تحت اسماء عامة تتفق مع الافكار المجردة المختلفة التى نقصدها بهذه الاسماء ؛ فلن نشك فى كون القضية المعروفة جيدا كما يجب حقيقة أم لا •

تيوفيـــل :

لا أعرف يا سيدى لمـــاذا تعود مرة أخرى لنقطة هى موضـــوع خلاف بيننا والتى اعتقد أننا قد فرغنا منها • ولكن أخيرا أنى راض لذلك لانك تتيح لى الفرصة لأوضح لك الحقيقة مرة أخرى • أقول لك اذن اننا نستطيع التأكد مثلا من الف حقيقة تتصل بالذهب أو هذا الجسم الذى نعرف ماهيته الداخلية بواسطة الثقل النوعى من المعروف هنا ، أو بواسطة قابليته للسحب أو غيرها من العلامات الاخرى • لاننا نستطيع القول أن من المعروف أن الجسم ذا القابلية الكبرى للسحب يكون ايضا اكثر الاجسام المعروفة ثقلا نوعيا • من الحق أنه لن يستحيل أن نجـــد ذات يوم ما لا حظناه حتى الآن على الذهب فى جسمين يميز بينهمـــا صفات أخرى جديدة وهكذا لن يكون أخس الانواع كما نعتبره حتى الان مؤقتا • يمكن ايضا لاى نوع ظل نادرا لآخر ظل منتشرا ، قد نحكم بصددهما محتفظين باسم الذهب الحقيقى للنوع النادر وحده لنستخدمه فى العملة اعتمادا على الابحاث الجديدة التى تخصه • وبالتالى لن نشك مطلقا ايضا فى ان الماهية الداخلية لهذين النوعين لن تختلف وانه عندما يتحدد تعريف الجوهر الموجود حاليا فى كل الاعتبارات • (كما بالنسبة للانسان لن يكون بناء على الشكل الخارجى) فلن نكف عن الحصول على عدد لا حصر له من القضايا العامة تخص موضوعه يصدرها العقـــل ، وصفات أخرى سنعرفها فيه • كل ما يمكن قوله عن هذه القضايا العامة هو أنه فى حالة اعتبار الانسان الجنس الادنى[1] ونحصره فى سلالة

---

(١) الجنس الادنى Species infime هو الجنس الذى لا يمكن ان يليه جنس آخر ولا يمكن اعتباره نوعا .

آدم فلن نحصل ابدا على خصائص للانسان تتحل بذلك الذى نسـميه (in quarto moao .) • أو ما يمكن أن نعبر عنه بالقضية المعكوسـة (reciproque) أو القابلة للتحويل ببساطة ، أن لم يكن ذلك بصفة مؤقتة كما فى قولنا أن الانسان هو الحيوان العاقل الوحيد • اذا اخذنا الانسان على انه المعبر عن جنسنا فان الامر يظل مؤقتا باعتباره الحيوان العاقل الوحيد من بين الحيوانات المعروفة لنا ، لان من الممكن أن يوجد ذات يوم حيوانات اخرى تشارك البشر الحاليين فى كل ما يميزهم حتى الآن ، لكنها ستكون من أصل آخر • تماما كما كان من الممكن تصور ان الاستراليين الوهميين قد ملأوا اقطارنا ، فان من المحتمل ايضا أن نجد الوسيلة التى تميزهم عنا ولكن فى حالة عدم تمييزهم ، ولنفرض أن الله قد منع امتزاج هذه الاجناس وأن المسيح لم يكفر عن احد سوانا ، فانه يلزمنا الحصول على علامات صناعية تميزهم •

سيوجد بالطبع اختلاف داخلى ولكن نظرا لانه ان يمكن التعرف عليه فاننا سنخضع للمفاهيم الخارجية للخلق والتى سنحاول أن نرفقها بعلامة صناعية ثابتة نعطيها مفهوما داخليا ووسيلة ثابتة تميز جنسنا عن غيره من الاجناس • ان هذا مجرد تحايل لاننا لا نحتاج الى اللجوء الى هذه التمييزات ما دمنا الحيوانات العاقلة الوحيدة على هـذه الارض • ومع ذلك تساعدنا هذه التحايلات فى التعرف على طبيعـة افكار الجواهر والحقائق العامة الخاصة بها • ولكن اذا لم نعتبر الانسان الجنس الادنى والجنس الدال على سلالة آدم وانما اعتبرناه بدلا من ذلك النوع العام الذى يشترك فيه عدة اجناس تخص الآن سلالة وحيدة معروفة ، وانما يمكن أن تخص سلالات اخرى يمكن تمييزها أما بالخلق أو بعلامات أخرى طبيعية كما فى حالة هؤلاء الاستراليين المزعومين فانى اقول حينئذ أن هذا النوع سيكون لديه قضايا معكوسة ولن يكون التعريف الحالى للانسان مؤقتا • نفس الامر بالنسبة للذهب ، لانه على فرض اننا حصلنا ذات يوم على نوعين متميزين أحدهما نادر حتى الآن والاخر منتشر وربما صناعيا ، ولنفرض أن اسم ذهب يجب أن يطلق على هذا

النوع الحاضر أو الذهب الطبيعى والنادر ، لنحفظ بواسطته سيولة العملة الذهبية ، القائمة على ندرة هذه المادة فان التعريف المعروف حتى الآن ، بناء على المفاهيم الداخلية ، لن تكون سوى مؤقتة ويجب أن نضيف اليها العلامات الجديدة التى سنكتشفها لنميز الذهب النادر أو الصنف القديم عن الذهب الجديد الصناعى . ولكن اذا لزم أن يظل اسم الذهب شائعا للجنسين ، أى ، اذا قصدنا الذهب نوعا لا نعرف حتى الآن الفروع المندرجة تحته والتى نعتبرها الآن اجناسا أدنى (ولكن مؤقتا لحين معرفة التفريع) واذا وجدنا ذات يوم جنسا جديدا أى ذهبا صناعيا يسهل صنعه ويمكن أن يصبح منتشرا ، اقول انه بهذا المعنى لا يجب أن نحكم على هذا النوع بأنه مؤقت ، وانما على أنه دائم . وكذلك دون أن أجهد نفسى فى اطلاق اسماء للانسان أو الذهب فأيا كان الاسم الذى للنوع أو الجنس الادنى المعروف ، وحتى عندما لا نعطيه أى اسم فان ما سنقوله سيصدق دائما على افكار الانواع والاجناس ولن نعرف الاجناس الا بصورة مؤقتة احيانا بتعريفات الانواع . ومع ذلك سيكون مسموحا دائما ومن المعقول أن نفهم ان هناك ماهية حقيقة داخلية نحصل عليها بقضية عكسية ، سواء للنوع أو الاجناس التى تجعلنا نعرفها عادة بالعلامات الخارجية . لقد اقترحت حتى الآن أن السلالة (race) تتحول ولا تتغير اطلاقا ولكن اذا انتقلت السلالة الى جنس آخر فاننا بالاحرى سنضطر الى الالتجاء الى علامات أخرى ومفاهيم داخلية أو خارجية دون أن نرتبط بالسلالة .

٧ — فيلاليت :

. . الافكار المعقدة ، والتى تبررها الاسماء التى نطلقها على اجناس الجواهر ، تكون مجموعات من افكار عن صفات معينة لاحظنا تواجدها معا فى سند غير معروف نسميه جوهرا ولكننا لا نعرف بيقين أن الصفات الاخرى تتواجد معا ضرورة مع مثل هذه الارتباطات وعلى الاقل بالنسبة لصفاتها الاولى لا نستطيع اكتشاف اعتمادها .

تيوفيل :

سبق ان لاحظت أن نفس الامر يوجد فى افكار الاعراض التى طبيعتها أصعب الى حد ما كما فى أشكال الهندسة مثلا ، لانه عندما يخص الامر مثلا شكل مرآة تجمع كل الاشعة المتوازية فى نقطة باعتبارها بؤرة ، فمن الممكن أن نجد العديد من الصفات لهذه المرآة ، قبل أن نعرف تركيبها ، ولكننا سنظل غير متأكدين بالنسبة لكثير من الارتباطات التى يمكن أن نحصل عليها ، الى أن نجد فيها ما يدل على التكوين الداخلى للجواهر ، أى تركيب هذا الشكل من المرآة • الذى سيكون مفتاحا للمعرفة التالية • •

فيلاليت

لكن عندما نعرف التكوين الداخلى لهذا الجسم ، لن نجد منه سوى الاعتماد الذى يمكن أن تحصل عليه الصفات الاولى أو ما نسميها الواضحة ، أى نعرف ما يعتمد عليه حجمه ، أو شكله أو قواه المحركة ولكن لا نعرف ابدا الارتباط الذى يمكن أن يكون بينها وبين الصفات الثانوية أو الغامضة ، أى الصفات الحسية مثل الالوان الاذواق •• الخ •

تيوفيل :

انك مازلت تفترض ان هذه الصفات الحسية أو بالاحرى الافكار التى نحصل عليها لاتعتمد مطلقا على الاشكال والحركات الطبيعية وانما فقط على رغبة الله وحده الذى يمنحنا هذه الافكار • يبدو اذن انك نسيت يا سيدى ما أوضحته لك أكثر من مرة ضد هذا الرأى مادمت تحكم أن هذه الافكار الحسية تعتمد على بيان الاشكال والحركات وتعبر عنها بدقة مع اننا لا نستطيع أن نوضح هذا البيان فى خليط من كثرة كبيرة جدا وصغائر من الافعال الآلية التى تؤثر على حواسنا • ومع ذلك اذا وصلنا الى التكوين الداخلى لبعض الاجسام سنرى ايضا متى يجب

أن تحصل على هذه الصفات التى ستخضع هى نفسها لاسبابها المعقولة : حتى عندما لا يكون فى مقدورنا معرفتها حسيا فى هذه الافكار الحسية التى تكون نتيجة غامضة لافعال الاجسام علينا ، كما هو الامر الآن بالنسبة للتحليل الحاصل للاخضر الى أزرق وأصفر . وليس لدينا ما نطلبه تقريبا بالنسبة اليه الا ما يخص العناصر الداخلة فى تركيبه ، نحن طبعا غير قادرين على توضيح فكرتى الازرق والاصفر بناء على فكرتنا الحسية من الاخضر ولهذا بالذات تكون فكرة غامضة . ان هذا يشبه تقريبا عدم قدرتنا على توضيح فكرة أسنان العجلة ، أى السبب من خلال ادراك الشفافية الصناعية التى نلاحظها لدى الساعاتى ، والناتجة عن سرعة دوران العجلة ذات الاسنان بحيث تختفى الاسنان ويبدو مكانها شيئا شفافا مستمرا وهميا يتكون من مظاهر متتابعة للاسنان وللحلقات التى تتوسطها والتى تتابع بسرعة بحيث لا يستطيع خيالنا تمييزها . نجد اذن هذه الاسنان فى الفكرة الواضحة لهذه الشفافية وليس فى هذا الادراك الحسى الغامض الذى من طبيعته أن يكون وأن يظل غامضا ، وبصورة اخرى اذا كف الغموض (كما عندما تكون الحركة بطيئة بحيث يمكن ملاحظة الاجزاء وتتبعها) فلن تكون هى نفسها ، أى لن يكون هذا التوهم للشفافية . ونظرا لاننا لا نحتاج لتخيل أن الله هو الذى رغب فى أن يعطينا هذا الوهم وأنه مستقل عن حركة الاسنان والحلقات المتوسطة ، حيث اننا على العكس ندرك أنه ليس سوى تعبير غامض عما يحدث فى الاشياء المتتابعة الحركة التى تختلط فى تشابه ظاهرى : وعلى هذا من السهل أن نحكم بنفس الشىء كذلك بالنسبة للاوهام الحسية الاخرى التى مازلنا لا نملك تحليلا كاملا لها كالالوان والاذواق ... الخ والحقيقة أنها تستحق اسم أوهام اكثر من لفظة صفات أو حتى افكار . ويكفينا فى كل الاحوال أن نفهمها كما نفهم هذه الاشفافية الصناعية دون أن تكون معقولة ، ولا يمكن الادعاء اننا نعرف عنها أكثر من ذلك ، لان من المتناقض أن نريد أن تظل هذه الاوهام الغامضة وأن نحاول مع ذلك توضيح العناصر المكونة لمركباتها عن طريق

المتخيل : انك بذلك تريد أن تجد لذة فى أن يخدعك منظور مريح وأن ترى العين هذه الخديعة فى نفس الوقت ، وفى هذا افساد لها • انها اخيرا حالة يكون فيها

Nihil plus agas
quam si des operam, ut cum ratione insanias.

ولكن احيانا يحدث للبشر أن يبحثوا عن nodum in scripo. وأن يخلقوا صعوبات حيث لا توجد صعوبات بأن يطلبوا مالا يستطاع وأن يشتكو بعد ذلك بعدم قدرتهم وبمعرفتهم المحدودة •

٨ ــ فيلاليت :

« كل ذهب ثابت » أنها قضية لا نستطيع معرفة صدقها بيقين • لانه اذا كان الذهب يعنى جنسا من الاشياء متميزا بماهية حقيقية اعطته له الطبيعة فأننا نجهل أى الجواهر الجزئية تكون من هذا الجنس ، وبهذا لا نستطيع اثبات بيقين أن كان من الذهب أم لا واذا اعتبرنا الذهب يتمتع بلون اصفر معين ، قابل للطرق ، قابل للانصهار : اثقل من أى جسم آخر معروف ، فلن يصعب علينا أن نعرف ما يكون ذهبا وما لايكون ، ولكن مع ذلك لن يمكن أن نثبت أو ننكر أى صفة أخرى بيقين سوى ماله بهذه الفكرة ارتباط وعدم اتفاق يمكن اكتشافه ولكن الثبات ليس له أى ارتباط معروف باللون ، الوزن ، والافكار البسيطة الاخرى التى افترضت انها تكون الفكرة المركبة التى لدينا عن الذهب ، من المستحيل أن نستطيع معرفة ، بيقين ، صدق هذه القضية « كل ذهب يكون ثابتا » •

تيوفيل :

اننا نعرف بيقين أن الاثقل من الاجسام المعروفة هنا يكون ثابتا تماما كما نعرف بيقين أن النهار سيطلع غدا • وذلك لاننا اختبرنا ذلك آلاف المرات ، أنه يقين تجريبى يتصل بالواقع ، حتى عندما لا نعرف صلة الثبات بالصفات الاخرى لهذا الجسم • كما أنه لا يجب أن نقابل بين شيئين متفقين وينسبان الى نفس الشىء • عندما أفكر فى جسم

يكون أصفر ، قابل للانصهار ومقاوم فى البوتقة فى نفس الوقت ، فأنى افكر فى جسم ماهيته النوعية ، حتى وأن كانت غير معروفة فى داخلها ، تظهر هذه الصفات من أعماقنا وتجعلنا نعرفه بواسطتهما ولو بصورة غامضة على الاقل لا أرى أى سوء فى ذلك ولا يستحق أن نعود من وقت لآخر لنهاجمه ٠

١٠ — فيلاليت :

يكفينى الآن معرفة أن ثبات اثقل الاجسام لا تكون معروفة أبدا عن طريق اتفاق أو عدم اتفاق الافكار ٠ واعتقد بالنسبة لى أن من بين الصفات الثابتة للاجسام وما يتصل بها من قدرات لن تستطيع ذكر صفتين يمكن معرفة بيقين ضرورة تواجدهما معا أو عدم قابلية الاتفاق بينهما ، ماعدا الصفات التى تخص نفس الحاسة الواحدة وتستبعد احداهما الاخرى بصورة ضرورية مثل عندما نقول أن ما هو ابيض ليس بأسود ٠

تيوفيل :

اعتقد اننا قد نجد أمثلة منها قولنا أن كل جسم له مرئى ٠ كل جسم صلب يحدث صوتا عندما نطرقه فى الهواء ٠ نغمات الاحبال والخيوط تتضاعف بتضاعف الاوزان التى تسبب توترها حقا أن ما نساءل عنه يصدق فقط عندما تدرك اتحاد الافكار المتميزة مع الافكار الحسية الغامضة ٠

١١ — فيلاليت :

ليس من الضرورى دائما أن نعتقد أن الاجسام تحصل على صفاتها بنفسها مستقلة عن أى شىء آخر ، قطعة الذهب ، اذا ما انفصلت عن ضغط وتأثير أى جسم آخر ، ستفقد فى الحال لونها الاصفر ووزنها ، وربما تصير أيضا سهلة التفتيت وتفقد قابليتها للطرق ٠ انك تعرف كيف تعتمد النباتات والحيوانات على الارض والهواء والشمس ، ولكن هل تعرف أن كان للكواكب المثبتة بعيدا عنها تأثيرا عليها ٠

نيوفيــــل :

هذه ملاحظة ممتازة جدا ، واذا كانت بعض القرائن الخاصـــة باجسام معينة معروفة لنا فأننا لا نستطيع الحكم على أثرها بدون معرفة داخل تلك الاجسام التى تلمس أو تنفذ خلالها •

١٣ ــ فيلاليت :

على أى حال ، حكمنا قد يذهب ابعد من معرفتنا • لان الاشخاص المواظبين على عمل الملاحظات تمكنهم التعمق أكثر ويستطيعوا احيانا ، بواسطة احتمالات معينة تفرضها الملاحظة الدقيقة والتلميحات المعينة التى توضع معا ، افتراض تخمينات دقيقة تتصل بذلك الذى لم تكتشفه التجربة بعد ، ولكن الامر سيظل دائما مجرد تمخين •

نيوفيــل :

لكن اذا كانت التجربة تدعم هذه النتائج بطريقة ثابتة ، الا تجد أن فى قدرتك اكتساب قضايا معينة بهذه الوسائل ؟ أقول من المؤكــد ذلك ، على الاقل تلك التى تقرر مثلا أن الاجسام ثابتة وأن ذلك الذى يليها سيكون سريع الزوال ، لانه يبدو لى أن يقين[1] (بمعناه الاخلاقى أو الطبيعى) وليس ضرورة (أو يقين ما بعد طبيعى) هذه القضايا التى نتعلمها بالتجربة وحدها وليس بالتحليل والربط بين الافكار تقرر بيننا وبحق •

---

(١) اليقين ما بعد الطبيعى يختلف عن الاخلاقى أو الطبيعى اختلاف يقين حقائق الفعل عن حقائق الواقع . حقائق الفعل تعتمد على ضروريات الفكر ومن ثم يقينها مطلق . أما حقائق الواقع ، فى نظر ليبنتز ، فتعتمد على الاختيار للاحسن ولديها وضوحا نسبيا تقرره التجربة ، ومن ثم ضرورتها افتراضية فقط .

والمبدأ الذى نعتمد عليه هو التمييز المدرسى المشهور بين فهم الارادة الله وهو مبدأ غالبا ما يشير اليه ليبنتز ، خصوصا عندما يقرر عرضيه العالم ويتحاشى الحتمية الكلية التى قال بها اسبينوزا ، وتبعا لهذا المبدأ يصبح فهم الله مصدر الحقائق الضرورية وارادة الله مصدر الحقائق العرضية . (على اى حال هــذا التمييز لا تحل مشكلة عرضـــية العالم الطبيعى ولا حرية الانسان الاخلاقية) . الترجمة الانجليزية ص ٤٦٢ .

الفصـــل الســابع

القضايا المسماة بديهيات أو مسلمات

١ ـ فيلاليت :

يوجد نوع واحد من القضايا التى تحت اسم بديهيات أو مسلمات تصبح مبدىء العالم ، ولانها واضحة بذاتها اقتنعنا بتسميتها فطرية ، مع أنه لا يوجد شخص واحد ممن أعرف حاول اظهار سبب وأساس وضوحها النهائى الذى يضطرنا الى أن نقتنع بها • على أى حال لا بأس من أن نتناول هذا الموضوع ونرى هل هذا الوضوح الكبير يخص هذه القضايا • وحدها ؟ وأن نبحث كذلك الى أى حد تساهم فى معرفتنا •

—

تيوفيـــل :

هذه الدراسة مفيدة وهامة جدا • كذلك يجب الا نفترض يا سيدى أنها كانت مهملة تماما • ستجد فى مئات الاماكن أن المدرسين قالوا أن فهم حدود هذه القضايا يجعلها واضحة ex terminis ، بل أنهم اعتقدوا أن قوة الاعتقاد تكمن فى معرفة الحدود ، أى فى ارتباط الافكار • ولكن علماء الهندسة فعلوا أكثر من ذلك ، أنهم حاولوا أثباتها • لقد ذكر بروكلس فعلا أن طاليس الميلاطى Thales of Miletus أحد أقدم علماء الهندسة المعروفين ، رغب فى اثبات القضايا التى قرر أقليدس وضوحها ، كما أن أبولونيوس اثبت مسلمات أخرى • وكذلك بروكلس • المرحوم روبـــيرفال Roberval الذى جـــاوز الثمانين من عمـــره حاول نشر « العناصر الجديدة » للهندسة الذى اعتقد أنى حدثتك عنه فعلا ، ربما ساهم فى ذلك أيضا أرنولد بكتابه « العناصر الجديده » الذى اثار ضجة حوله • لقد عرض جزءا منه فى الاكاديمية الملكية للعلوم وقـــد وجـــد البعض ما يقولونه بالنسبة لاثبات البديهية « اذا اضـــفنا الى

المتساويات أحجاما متساوية فانها تصبح متساوية » اثبات البديهية الاخرى التى لها نفس الوضوح وهى « اذا طرحنا من المتساويات احجاما متساوية فان الباقى سيكون متساويا » وقيل كان من الواجب عليه افتراضها أو اثباتهما معا • ولكنى لم أكن من هذا الرأى واعتقد أن من الافضل دائما أن نقلل عدد البديهيات ، ولاشك أن الجمع أسبق من الطرح وابسط ، لاننا نستخدم الحدين فى الجمع على حد سواء وليس الامر كذلك فى الطرح • لقد فعل أرنولد « عكس ما فعله السيد » روبرفال (Roberval) بل أنه افترض اكثر من أقليدس • أن ما نعتبره احيانا مبادىء أساسية سواء كانت واضحة أو غير واضحة • قد يكون افضل بالنسبة المبتدئين الذين توقفهم الحيرة • ولكن بالنسبة لتشييد العلم ، الامر مختلف وهذا ما نأخذه احيانا فى الاخلاق وفى نمــاذج المناطقة ذات الرصيد الطيب وأن كان جزءا منها مازال غامضا ومختلطا لقد اعلنت منذ زمن طويل ان من المهم أن نثبت كل بديهياتنا الثانوية التى نستعملها عادة وذلك بأن نخضعها لبديهيات أولية أو مباشرة أو غير قابلة للاثبات والتى اسميها اخيرا بالمتطابقات •

٢ ــ فيلاليت :

تكون المعرفة واضحة بذاتها عندما ندرك مباشرة اتفاق الافكار أو عدم اتفاقهــا •

٣ ــ ولكن توجد حقائق لا نعتبرها بديهيات مع أنها لا تقل وضوحا بذاتها • ولنبحث هل يمكن أن تزودنا بالانواع الاربعة للاتفاق الذى تحدثنا عنها من قبل (الفصل الاول الفقرة ٣) والفصل الثالث (٧) وأقصد بها التطابق ، الارتباط ، العلاقة ، والوجود الحقيقى •

٤ ــ بالنسبة للتطابق لدينا العديد من القضايا الواضــحة عن الافكار المتميزة لاننا نستطيع نفى احداها عن الأخرى كما عندما نقول

أن الانسان ليس بحصان وأن الاحمر ليس بأزرق كما أن قولنا ما يكون يكون أوضح من قولنا الانسان هو الانسان •

تيوفيـــل :

هذا حق وقد لاحظت فعلا أن من الاوضح أيضا القول فى صورة التطابق بوجه خاص أ هى أ ، أكثر من قولنا بصورة عامة يكون المرء ما يكونه • ولكن ليس مؤكدا دائما كما سبق أن لاحظت كذلك أن ننفى موضوعات الافكار المختلفة بعضها البعض كما عندما يريد أن يقول أحدنا : الشكل الثلاثى (أو ماله ثلاث جوانب) ليس مثلثا ، لان فى الواقع الثلاثية ليست المثلثية • وبالمثل ، عندما يقول احدنا : أن لؤلؤات السيد (سلوسيس Slusius) الذى حدثتك عنه منذ زمن غير طويل ليست خطوطا من القطع المكعبة المتكافئة ••• parabole ، فأنه سيخطىء ، مع أن هذا قد يبدو واضحا لدى الكثير من الناس لقد اعترض المرحـــوم (هاردى • Hardy) مستشار قصر باريس وعالم هندســـة ممتـــازة ومستشرق ومهتم بالهندسات القديمة وهو الذى نشر شروح (مارينوس Marinus) على معطيات (data) أقليدس على اعتبار المقطع المائل للمخروط الذى نسميه بالاهليلجى مختلفا عن المقطع المائل الاسطوانى • وذلك لان استدلال Serenus بدا له زائفا ولم استطع التغلب عليـــه بتحذيراتى خاصة وأنه عندما قابلته كان فى عمـــر الســـيد روبرفال (Roberval) وكنت مازلت شابا والفارق بيننا لا يسمح بأن أكون مقنعا له رغم ما حاولته معه هذا المثال يوضح ، بشكل عابر ، ما يمكن أن يفعله الحكم السابق على الآخرين وخاصة الممتازين منهم وهو احدهم فقد ذكره (هاردى) باحترام فى خطابات ديكارت ولكنى ذكرته فقط لاظهر كيف يمكن أن نخطىء عندما ننفى فكرة شخص آخر عندما لا نكون قد تعمقناها بالقدر الذى تحتاجه •

٥ ــ فيلاليت :

بالنسبة للارتباط أو التواجد معا لدينا القليل من القضايا الواضحة

بذاتها ومع ذلك يمكن مثلا اعتبار القضية التى تقرر أن الجسمين لا يكونا فى نفس المحل قضية واضحة بذاتها •

تيوفيــل :

يعارضك الكثير من المسيحيين ، كما سبق أن أوضحت . وحتى ارسطو ومن بعده أولئك الذين يقبلون التركيز الحقيقى والدقيق والذين يخضعون الجسم بأكمله لحيز أصغر بكثير من الحيز الذى يشغله من قبل ، أولئك الذين مثل المرحوم (كومينوس Comenius) (٣) الذى أدعى فى كتابه الصغير والدقيق أنه سيقلب الفلسفة الحديثة بناء على تجربته الخاصة بالبندقية القديمة كل هؤلاء لن يوافقوك ايضا ، أما اذا اعتبرت الجسم مجرد كتلة صماء فان ايضاحك سيكون صادقا لانه سيكون متطابقا أو قريبا من المتطابق ، ولكن سينكرون عليك اعتبار الجسم الحقيقى بهذه الصورة وقد يقولون على الاقل أن الله أقدر على أن يجعله على شكل آخر بحيث تتفق هذه الصلابة مع النظام الطبيعى للاشياء التى قررها الله ، التى تؤكدها خبرتنا ومع ذلك فأنه يتطلب منا أن نعترف انها ايضا تتفق مع العقل •

فيلاليت :

بالنسبة لعلاقات الانماط (modes) اقام الرياضيون عدة بديهيات على علاقة المساواة ، مثل البديهية التى ذكرتها وهى « اذا طرحنا اشياء متساوية من اشياء متساوية كان الباقى متساويا » • ولكنى اعتقد انها لا تقل وضوحا عن قولنا ان واحد + واحد يساوى اثنين • واذا استبعدنا اصبعان من اصابع اليد الخمسة واستبعدنا اصبعان من الخمسة باليد الاخرى سيكون عدد الاصابع الباقية متساوية •

تيوفيــل :

أن واحد + واحد يساوى اثنين ليس بحقيقة بالمعنى الدقيق ،

انما هو تعريف للاثنين مهما كان فى هذا من صدق ووضوح أى هو تعريف لشىء ممكن • بالنسبة لبديهية أقليدس التى نطبقها على اصابع اليد أوافق أنه من السهل ايضا تصور ما نقوله عن الاصابع عما نقوله بالنسبة لـ أ ، ب واننا نلاحظه بوجه عام حتى لا تكرر احيانا نفس الشىء أن ذلك يشبه ذلك الذى يفضل الحساب مستخدما الارقام الجزئية بدلا من استخدام القواعد الكلية ، وهذا يجعلنا نحصل على أقل مما نستطيع • لان من الافضل أن نحل هذه المشكلة العامة (الحصول على رقمين مجموعهما يعطينا رقما معينا ، والفارق بينهما يعطينا رقما معينا) • أكثر من البحث فقط عن رقمين مجموعهما (١٠) والفرق بينهما (٦) لانه اذا تقدمت فى المشكلة الثانية على نمط الجبر العددى سيكون الحساب هكذا : أ + ب = ١٠ ، أ ــ ب = ٦ اذن اذا اضفنا الطرف الايمن على الايمن والطرف الايسر على الايسر سيكون أ + ب + أ ــ ب = ١٠ + ٦ أى (مادمنا سنطرح + ب ، ــ ب) ٢ أ = ١٦ أ و أ = ٨ واذا طرحنا الجانب الايمن من الايمن والايسر من الايسر (نطرح أ ــ ب هو أن نضيف ــ أ + ب) يصبح أ + ب ــ أ + ب = ١٠ ــ ٦ • أى ٢ ب = ٤ أو ب = ٢ وهكذا اصل الى حقيقة أن أ ، ب التى ابحث عنهما هما ٨ ، ٢ وهما المطلوبان اذ أن مجموعهما ١٠ والفارق بينهما ٦ ولكنى لم أحصل على المنهج العام لاى اعداد أخرى نريد أو يمكن أن نضعها بدلا من (١٠ ، ٦) وهو منهج استطيع أن أحصل به بنفس السهولة التى حصلت بها على هذين الرقمين (٨ ، ٢) بأن أضع س ، ص بدلا من الرقمين ١٠ ، ٦ لاننا لو تقدمنا بنفس الطريقة السابقة سيكون لدينا أ + ب + أ ــ ب = س + ص أى ٢ أ = س + ص أ و أ = س + ص وسيكون ايضا أ + ب ــ أ + ب س ــ ص أى ٢ ب = س ــ ص أو ب = س ــ ص هذا الحساب يعطينا النظرية أو القاعدة العامة وهى أنه عندما نطلب عددين ، لدينا مجموعهما والفارق بينهما ، ما علينا سوى أن نأخذ بالنسبة لاكبر الاعداد المطلوبة نصف المجموع الحاصل من المجموع والفارق

المذكورين ، وبالنسبة لاقل الارقام المرقومة نصف الفارق بين المجموع والفارق المذكورين ، نرى ايضا انى استطيع الاستغناء عن الحروف . اذا استخدمت الارقام كأنها حروف أى بدلا من ذكر ٢ أ = ١٦ ، ٢ ب = ٤ اكتب ٢ أ = ١٠ + ٦ ، ٢ ب = ١٠ ــ ٦ ، مما يعطينــى أ = ١٠ + ٦ ، ب = ١٠ ــ ٦ وهــكذا فى الحساب الجزئى كما فى الحساب العام أخذنا العلامتين ١٠ ، ٦ على أنهما أرقام عامة كما لو أنهما الحرفان س ، ص لكى أحصل على حقيقة أو منهج أكثر عموما ، ونأخذ هاتين الخاصيتين ١٠ ، ٦ على انهما الرقمان الدالان عليهما ، فعلا سأحصل على مثال حسى ويمكن أن يستخدم كبرهان ، وكما استبدل (Viéte) الحروف بالارقام ليصل الى عمومية أكثر ، أردت أن أعيد استخدام خصائص الارقام ما دامت قد تكون افضل من الحروف حتى فى الحساب الجبرى نفسه ، لقد وجدت ذلك ذا فائدة كبرى فى الحسابات الكبرى ، لانها تجنب الاخطاء بل ونطبق عليها البراهين . مثل تلك الخاصة بـــ objection du novénaire فى وسط الحساب ، دون أن تصل الى النتيجة عندما يستخدم بمهارة فى المواضع positions بحيث تصدق الافتراضات فى الجزئى ، بالاضافة الى الاستخدام الذى يظهــر العلاقات والترتيبات التى لا تستطيع الحروف وحدها أن تحسن توضيحها بالذهن ، كما أظهرت فى موضوع آخر ، عندما وجدت أن الاعداد البيانية الجيدة تصبح مساعدا جيدا للذهن البشرى .

٧ ــ فيلاليت :

بالنسبة للوجود الحقيقى ، الذى اعتبره النوع الرابع للاتفاق يمكن أن نلاحظه فى الافكار . أنها لن تستطيع أن تمدنا بأى بـــديهية ، لاننا لا نملك حتى المعرفة الاستدلالية للكائنات خـــارج انفســـنا ، باستثناء الله وحده .

تيوفيـــل :

يمكن القول دائما أن هذه القضية ، أنا موجود ، قضية ، قضية

لها هذا الوضوح الاخير لكونها قضية لا يمكن اثباتها بقضية أخرى ، أو بحقيقة مباشرة • والقول : أنا أفكر أذن أنا موجود ، لا يثبت بالدقة الوجود بالفكر ، ما دام التفكير وكونه مفكرا هما نفس الشىء ، والقول أنى أفكر يعنى فعلا القول أنى أكون • ومع ذلك لديك المبرر الذى يجعلك لا تعتبر هذه البديهيات لانها قضية واقع مؤسسة على تجربة مباشرة وليست قضية ضرورية • ترى ضرورتها فى الاتفاق المباشر للافكار • على العكس ، لا يوجد سوى الله الذى يرى كيف يرتبط هذين الحدين أنا والوجود ، أى لماذا أوجد ، ولكن واذا نظرنا للبديهية بصورة أعم على أنها حقيقة مباشرة أو غير قابلة للبرهنة ، يمكن القول أن هذه القضية : أنا موجود ، بديهية ، وعلى أى حال يمكن تأكيد أنها حقيقة أولية • أى أنها أحدى الايضاحات الاولية المعروفة التى تنتشر فى النظام الطبيعى لمعارفنا ، لانه من الممكن الا يكون المرء قدتمد تشكيل هذه القضية مع أنها طبعا فطرية بالنسبة الينا •

٨ ـ فيلاليت :

لقد اعتقدت دائما أن للبديهيات تأثير قليل على الاجزاء الاخرى لمعرفتنا • ولكنك أنرت بصيرتى بأن أظهرت لى استخداما هاما للمتطابقات ومعذرة ، أرجو أن تسمح لى بأن اعبر لك عما فى خاطرى بالنسبة لهذا الموضوع ، لان ايضاحاتك ستساعد الاخرين على أن يعودوا الى صوابهم •

٨ ـ انها قاعدة مشهورة فى المدارس أن كل تفكير صادر من الاشياء المعروفة فعلا المسلم بها (expraecognitis et praeconcessis) يبدو أن هذه القاعدة تعتبر هذه البديهيات حقائق معروفة للنفس قبل غيرها ، وأن الاجزاء الاخرى لمعرفتنا مجرد حقائق تعتمد على البديهيات •

٩ ـ اعتقد أنى أظهرت (الكتاب الاول الفصل الاول) أن هذه البديهيات ليست بأول ما نعرف ، فالطفل يعرف جيدا أن قطعة الخشب

التى أشير اليها ليست قطعة من السكر الذى تذوقها أكثر من أى بديهية تعجبك • لكنك ميزت بين المعارف المفردة أو خبرات الواقع وبين مبادىء المعرفة الكلية والضرورية (والتى أعرف أن من الضرورى أن تعتمد على البديهيات) كما ميزت ايضا بين النظام العرضى والطبيعى •

تيوفيــل :

لقد أضفت ايضا أنه فى النظام الطبيعى القول : أن الشىء يكون ما يكون يسبق القول : أنه ليس شيئا آخر ، لان الامر هنا لا يخص تاريخ اكتشافاتنا ، المختلف باختلاف الاشخاص ، وانما يخص الرابطة والنظام الطبيعى للحقائق ، الذى يكون هو نفسه دائما • أما ملاحظتك ، أن ما يراه الطفل ليس سوى واقع ، فأنها تستحق تأمل أكثر ، لان خبرات الحواس لا تعطى أبدا حقائق يقينية تماما ، كمــا لاحظت أنت بنفسك منذ قليل) ولا خالية من خطر الوهم لانه اذا كان من المسموح عمل تخيلات ميتافيزيقية ممكنة فان من الممكن أن يتغير السكر الى قطعة خشب بطريقة غير قابلة للادراك ، لكى نعاقب الطفل اذا كان خبيثا ، كما يتغير الماء الى نبيذ ليلة نويل اذا كان الطفل قد احسنت تربيته • لكنك قد تقول أن الالم الذى تطبعه قطعة الخشب لن يصبح ابدا اللذة التى يعطيها السكر • واجيب أن الطفل سيحرص فيما بعد على صياغة قضية خاصة حرصه على ملاحظة هذه البديهية « اننا لن نســـتطيع ، بحق ، القول أن ما يكون لن يكون فى نفس الوقت » مع انه يستطيع جيدا أدراك الفرق بين اللذة والالم كذلك الفرق بين يدرك ولا يدرك •

١٠ ـــ فيلاليت :

ومع ذلك اليك كمية من الحقائق الاخرى التى تكون واضحة بنفسها مثل هذه البديهيات « اثنين زائد واحد يساوى ثلاثة » قضية واضحة وضوح البديهية التى تقول أن الكل يساوى جميع أجزائه معا •

نيوفيــل :

يبدو انك نسيت يا سيدى كيف اوضحت لك أكثر من مــرة أن القول « ١ + ١ = ٢ » ليس الا تعريفا للحد ثلاثة ، بحيث يصبح قولنا أن واحد زائد اثنين يساوى ثلاثة يساوى قولنا ان الشىء يســاوى نفسه • بالنســبة للبديهية « الكل يســاوى جميع اجــزائه معا » لم يستخدمها أقليدس بصراحة كما أنها تحتاج لتحديد ، لانه يجب اضافة أن هذه الاجزاء لا يجب أن يكون لها هى نفسها جزءا عاما : لان ٧ ، ٨ أجزاء من ١٢ • النصف الاعلى والجزع معا يصبحان أكثر من الانسان ما دام التجويف الصدرى مشترك بينهما : ولكن أقليدس يقول أن الكل أكبر من الجزء وهذا أمر لا يمكن الاعتماد عليه • والقول أن الجسم أكبر من الجزع لا يختلف عن بديهية أقليدس الا فى أن هذه البديهية تنحصر فيما يجب بالضبط ولكن بالتمثيل وباتخاذ الجسم شكل الانسان يصبح المعقول محسوسا ، لان القول : هذا الكل يكون أكبر من جزئه هذا فى الواقع القضية القائلة أن أى كل يــكون أكبر من جــزئه ، وأن اختلفت ملامحه من التنميق أو الاضافة تماما مثل قولنا أن آب تعنى أ ــ وعلى هذا لا يجب أن نقابل هنا بين البديهية والمثال باعتبارهما حقائق مختلفة وانما نعتبر البديهية كأنها الحقت بالمثال وجعلت المثال حقيقيا • الامر يختلف عندما لا نلاحظ البداهة فى المثال نفسه وعندما يكون اثبات المثال مجرد نتيجة وليس فقط تفرعا للقضية الكلية كما يمكن أن يحدث بالنســبة للبديهيات •

فيلاليت :

يقول مؤلفنا الماهر هنا : أريد أن اسأل هؤلاء السادة ، الذين يزعمون أن كل معرفة أخرى (التى ليست بواقع) تعتمد على المبادىء العامة الفطرية والواضــحة بذاتها ، أى مبدأ يحتاجون لاثبــات أن اثنين واثنين تكون اربعة ؟ أننا نعرف (فى نظرة) حقيقة هذه الانواع من القضايا دون مساعدة أى برهان ، فما رأيك يا سيدى ؟

نيوفيـــل :

اقول انى انتظرك مستعدا تماما • القول بان اثنين واثنين يساوى اربعة ليس بحقيقة مباشرة لنفرض أن اربعة تعنى ثلاثة وواحد • يمكن اذن اثباتها واليك كيف •

تعريفات : (١) اثنين = واحد وواحد •

(٢) ثلاثة = اثنين وواحد •

(٣) اربعـــة = ثلاثة وواحد •

بديهية : بضع الاشياء المتساوية مكان بعضها تظل المساواة •

الاثبات : ٢ + ٢ = ٢ + ١ + ١ (تعريف رقم (١)) ٢ + ٢

٢ + ١ + ١ = ٣ + ١ (تعريف رقم (٢)) ٢ + ١ + ١

٣ + ١ = ٤ (تعريف رقم (٣)) ٣ + ١

اذن بناء على البديهية = ٤

٢ + ٢ = ٤ ما يلزم اثباته يمكن بدلا من القول ان ٢ + ٢ = ٢ + ١ + ١ أى أضع ٢ + ٢ تساوى ٢ + ١ + ١ • وهكذا بالنسبة للباقى • ولكن يمكن أن نفهمه ضمنا لاننا عملنا بناء على بديهية أخرى تقول أن الشىء يساوى نفسه ، أو أن ما هو بنفسه يكون متساويا •

فيلاليت :

هذا الاستدلال ، وأن كان ضروريا بالنسبة للنتيجة المعروفة ، يستخدم فى اثبات كيف تعتمد الحقائق على التعريفات والبديهيات • وهكذا اتنبأ بما ستجيب به على العديد من الاعتراضات التى يمكن أن تعترض بها على استخدام البديهيات • يعترض بأنه ســتوجد كثرة لا تحصى من المبادىء • ولكن ذلك عندما نحسب ضمن المبادىء النتائج

الطبيعية التى تتبع التعريفات بمساعدة بديهية ما ، وما دامت التعريفات أو الافكار لا يمكن حصرها فان المبادىء ستكون كذلك ايضا بنفس المعنى ولنفرض معك أن المبادىء غير القابلة للبرهنة تكون بديهيات ذاتية لها اعتبارها ولن يمكن ايضا حصرها بواسطة التمثيل ولكن فى الاساس يمكن اعتبار أ هى أ ، ب هى ب على أنها نفس المبدأ أن اختلفت الصياغة •

نيوفيل :

علاوة على ذلك هذا الاختلاف فى الدرجات الموجود فى الوضوح يجعلنى لا اتفق مطلقا مع مؤلفك المشهور فى أن كل هذه الحقائق التى نسميها مبادىء والتى تعتبر واضحة بذاتها لانها قريبة جدا للبديهيات الاولية التى يمكن اثباتها ، تكون مستقلة تماما ولا يمكنها أن تستمد من غيرها أى ضوء أو أى دليل • اننا نستطيع دائما اخضاعها للبديهيات نفسها أو لحقائق اخرى اقرب الى البديهيات مثل حقيقة اثنين واثنين = اربعة وقد حكيت لك كيف انقص السيد (روبرفال Roberval) عدد بديهيات أقليدس بأن اخضع بعضها لبعض •

١١ ـ فيلاليت :

هذا الكاتب الذكى judicieux الذى اتاح الفرصة لمناقشاتنا ، يرى أن لبديهيات وظيفة ولكنه يعتقد بالاحرى أن وظيفتها أن تسد افواه المعاندين أكثر من أن تدعم العلوم • ويقول : وساكون مسرورا لو استطاع أى شخص أن يذكر لى احدى هذه العلوم المبينة على البديهيات العامة والتى لا يمكنها أن تصمد بدون البديهيات •

نيوفيل :

لاشك أن الهندسة احدى هذه العلوم • استخدام أقليدس بوضوح البديهيات فى الاستدلالات وهذه البديهية (الحجمان المتجانسان يكونان

متساويين عندما لا يكون احدهما أكبر ولا أصغر من الآخر) تصبح أساسا لاستدلالات أقليدس وأرشميدس لحجم منحنى (curvilignes) استخدم ارشميدس بديهيات لم يكن أقليدس فى حاجة اليها ، مثلا ، الخطين الذى لكل منهما تجويفه فى نفس الاتجاه دائما سيكون اطولهما ذلك الذى يحتوى الاخر ، لا يمكن ايضا تجاهل البديهيات المتطابقة فى الهندسة مثل مبدأ التناقض أو الاستدلالات التى تقد الى المستحيل • أما عن البديهيات الاخرى التى يمكن استدلالها فمن الممكن تخطيها تماما واستخراج النتائج مباشرة من الذاتيات والتعريفات ، ولكن أطناب الاستدلالات وما نقع فيه من تكرار لا نهاية له يسببان غموضا مزعجا ، اذا كنا نريد أن نتقدم بسهولة علينا البدء باستمرار بدلا من فرض القضايا الوسيطة المبرهن عليها فعلا ، ان افتراض الحقائق المعروفة يفيد خصوصا بالنسبة للبديهيات فقد يضطر احيانا علماء الهندسة الى استخدامها فى كل لحظة دون ذكرها ، لدرجة أن ننخدع فنعتقد أنها غير موجودة لاننا نذكرها فى الهامش •

فيلاليت :

انه يعترض على مثال اللاهوت ويقول مؤلفنا أنه بالوحى نعرف هذا الدين المقدس وبدون مساعدته لن تستطيع ابدا البديهيات تعريفه لنا ، فالنور يأتينا اذن من الاشياء نفسها أو مباشرة من الصدق الالهى الذى لا يخدع •

تيوفيل :

ان هذا يشبه القول أن الطب مؤسس على التجربة اذن لن يفيدنا العقل بشىء اللاهوت المسيحى وهو الطب الحقيقى للنفوس مؤسس على الوحى الذى يجيب على التجربة ، ولكى يصبح متكاملا يلزمنا أن نضيف اليه اللاهوت الطبيعى المستمد من بديهيات العقل الخالد ، هذا المبدأ نفسه الذى يقرر أن الصدق صفة الله والذى به تعرف أن يقين الوحى قائم أليس بديهية مأخوذة من اللاهوت الطبيعى ؟ •

فيلاليت :

مؤلفنا يريد أن نميز بين وسيلة اكتساب المعرفة ووسيلة تعليمها أى نميز بين التعلم والايصال • بعد أن شيدت المدارس وعين المدرسون لتعليم العلوم التى اخترعها آخرون ، استخدم المدرسون هذه البديهيات ليغرسوا هذه العلوم فى ذهن تلاميذهم واقناعهم ببعض الحقائق الجزئية فى حين استخدم المخترعون الاوائل الحقائق الجزئية للوصـــول الى الحقيقة بدون اللجوء الى البديهيات العامة •

تيوفيـــل :

أتمنى أن يبرر لى أحد هذه العملية المزعومة بأمثلة من بعض الحقائق الجزئية ولكن اذا دققنا فى الأمر فلن نجدها ممارسة فى تثبيت العلوم • واذا لم يجد المخترع سوى حقيقة واحدة جزئية فلن يكون سوى نصف مخترع • اذا كان فيثاغورث قد لاحظ أن المثلث الذى أضلاعه ٣ ، ٤ ، ٥ يمتاز بمساواة مربع الوتر لجانبيه (أى أن ٩ + ١٦ = ٢٥) هل يمكن أن يكون لهذا مخترعا لهذه الحقيقة الكبرى التى تشمل كل المثلثات قائمة الزاوية التى أصبحت بديهية لدى علماء الهندسة ؟ حقا قـــد يتصادف أحيانا أن يواجه العبقرى مثالا لدفعه الى البحث عن الحقيقة العامة ، ولكن هذا أمر نادر يصعب أن نصل اليها ، علاوة على أن هـــذا الطريق للكشف ليس الاحسن ولا الاكثر استعمالا لدى أولئك الذين يتقـــدمون بنظام وبمنهج ، ولا يستخدمونه الا فى الحالات التى تصبح فيه أقصر المناهج هى أفضلها ، انه كما اعتقد البعض أن أرشميدس قد توصـــل الى تربيع القطع المتكافئة بأن وزن قطعة من الخشب مقطوعة قطعا متكافئة، ان هذه التجربة الجزئية جعلته يصل الى الحقيقة العامة ، لكن أولئك الذين يعرفون عمق هذا الرجل العظيم يرون جيدا أنه لم يكن فى حاجة الى مثل هذه المساعدة • وحتى عندما يتيح هذا الطريق التجريبى للحقائق الجزئية الفرصة لكل الاكتشافات فلن يكون كاذبا لتقديمها • والمكتشفون أنفسهم قد اسعدهم ملاحظة البديهيات والحقائق العامة عندما استطاعوا الحصول

عليها والتى بدونها تظل اكتشافاتهم ناقصة تماما . كل ما يمكن أن ننسبه اذن للمدارس والمدرسين هو أنهم جمعوا ورتبوا البديهيات والحقائق العامة الأخرى : وشكرا لله أن تم ذلك بعناية وباختيار والا أصبحت العلوم مشتتة ومشوشة أعرف أن هناك أحيانا فارق بين المهنج المستخدم لتعليم العلوم والمنهج الذى يستخدم للحصول عليها ولكن ليس هذا هو الذى يهمنا الآن لقد اتاحت أحيانا ، كما أوضحت فعلا ، الصدفــة الفرصة للاكتشافات . اذا لاحظنا هذه المناسبات واحتفظنا بها للخلف ، (فى ذلك فائدة كبرى) فان هذا التفصيل سيكون مفيدا جدا فى تاريــخ الفنون ؛ ولكنه لن يفيد فى تشييد المذاهب . أحيانا يتقدم المكتشفون تقدما معقولا نحو الحقيقة ، ولكن بعد أن يسيروا مسافات طويلة . وأرى أن المؤلفين قد يؤدون خدمة جليلة للجمهور اذا سجلوا باخــلاص فى كتاباتهم خطوط محاولاتهم ، ولكن اذا طالبنا أن يشيد بناء العلم بهــذه الطريقة فاننا سنكن كمن يريد أن يحتفظ بكل الاجهزة التى استخدمها المهندس فى بناء المنزل . المناهج الجيدة للتعليم هى تلك التى تمكننا من الحصول على العلم واذا لم يكن العلم تجريبيا أى اذا استخدمنا الادلة والبراهين المستمدة من الأفكار فى تعليم الحقاق فسيكون ذلك دائمــا بواسطة البديهيات والنظريات والقواعد وغيرها من القضايا العامة . أمر آخر هو عندما تكون الحقائق جامعة مثل الكلمات الجامعة التى قالهــا هيموقراط aphorismes d' Hippocrati منها حقائق الواقع أو الحقائــق العامة أو على الأقل تلك التى غالبا ما تكون صادقة ومأخوذه بالاحظة أو قائمة على التجربة ، وليست فى حاجة الى أدلة مقنعة تماما . وليس هذا بالأمر الذى يخصنا هنا لأن هذه الحقائق لا تعرف ابدا بارتبــاط الأفكــار .

فيــــــــــلاليت :

هذه هى الطريقة التى يدرك بها مؤلفنا العبقرى كيف جاءت حاجتنا للبديهيات لقد قررت المدارس النقاش محكا لمهارة الناس وحكمت بانتصار

ذلك الذى يظل بميدان المعركة وذاك الذى يصمد حتى النهاية ولكن لا بد من تقرير البديهيات كوسيلة لاقناع المعاندين .

نيوفيل :

لا شك فى أن مدارس الفلسفة قد احسنت ربط العمل بالنظر كما فعلت المدارس الحديثة فى الطب والكيمياء والرياضيات وتمنح الجائزة لمن يحسن العمل بتفوق فى الاخلاق أكثر من ذلك الذى يحسن الحديث . ومع ذلك نظرا لوجود مواديكون الحديث فيها هو المؤثر وأحيانا المؤثر الوحيد ، والعمل الرئيسى الذى لا يظهر مهارة الانسان بمدى نجاحه فى المحاضرات ومن المعروف أنه فى بداية الاصلاح دعا البروتستانت خصومهم الى الحوار والمناقشة وأحيانا كان نجاحهم فى هذه المناقشات سببا لتأييد الجمهور للاصلاح وتعرف أيضا أهمية فن الحديث والقاء الضوء والقوة على الأدلة ، او ما يمكن أن نسميه فى النقاش وخاصة فى مجلس الدولة والحرب والعدالة ، وفى مجالس الاستشارة الطبية ، بل وفى المحادثات . نضطر الى اللجوء لهذه الوسيلة وأن نقنع بالكلمات بدلا من الوقائع فى هذه المقابلات بحجة أن الأمر يتصل بحادث أو واقع مستقبل حيث يصعب معرفة حقيقته عن طريق أثره . وهكذا فان فن المناقشة أو الصراع بالحجج الذى أوضحت هنا سلطته وأمثلة عليه فن كبير وهام جدا ولكن لسوء الحظ أسىء تنظيمه ، ولهذا السبب ففى بعض الأحيان لا تصل الى نتائج قد نستنتج استنتاجا خاطئا . ومن أجل هذا قصدت أكثرمن مرةذكر ملاحظات على محاورات اللاهوتيين الذين اتصلت بهم لاظهر العيوب التى يمكن بملاحظتها والحلول الممكن استخدامها ، بالنسبة للاستشارات الخاصة بالمشروعات . غالبا ما يخضع أصحاب السلطة ، اذا لم يكن لديهم الذهن القوى للسلطة أو البلاغة التى تتغلب عليهم وتتجمع ضد الحقيقة .وباختصارفن المحاضرة والمناقشة فى حاجة الى أن يعاد تأسيسه .

بالنسبة لمزايا ذلك الذى يكون آخر المتكلمين فلا مجال له تقريبا

الا فى المحادثات الحرة : لأنه فى المجالس التى يتخذ فيها بنظام الاقتراع فالنتيجة واحدة سواء بدأالفرد الحديث أو كان الأخير ، وذلك لأن العرف قد جرى أن يفتتح الرئيس الجلسة ويختمها أى أن يطرح الموضـــوع ويحسمه الا أنه يتخذ القرار وفق أغلبية الأصوات • وفى المناقشـــات العلميـــة آخـــر من يتكلم هـــو المســـؤول أو المـــدافع عن الاطروحة ويظل فى ميدان المعركة باستمرار • وقد جرت العـــادة على أن يناقشه الاعضاء لا أن يربكوه والا تحول الامر الى عداء ، ولنقول الحق ، الأمر لا يتصل بالحقيقة فى هذه اللقاءات وكثيرا ما يناقش نفس المجلس الفروض المتعارضة فى أوقات مختلفة•لقد أشاروا لكاسولون Casaubon الى قاعة السوربون وقالوا له : هذا هو المكان الذى ناقشوا فيه طـــوال عدة قرون فكان جوابهماذا أنجزوا ؟

فيـــــــــــلاليت :

ومع ذلك حاول البعض الا يستمر النقاش الـــى ما لا نهـــاية • والوصول الى وسيلة للفصل بين المتخاصمين حتى لا يتورطوا فى سلسلة لا نهائية من الأقيسة • هذه الوسيلة هى أن نقدم قضايا عامة معينة ، واضحة بذاتها فى أغلب الأحيان ، ومن طبيعتها أن يقبلها الجميع برضاء تام يجب أن تعتبر مقاييس عامة للحقيقة ، وتصبح بمثابة مبـــادىء (ما دام المتناقشان لم يفترضا غيرها) لا يمكن أن يتخطاها أحد وعلى الطرفين أن يلتزما بهـــا وهكذا اذا ما أطلقنا على هذه البديهيات اســـم مبادىء فلن يمكن انكارها فى النقاش وسينتهى الموضوع ولهذا يرى مؤلفنا أن البعض قد أخطأ حين اعتبرها مصدر المعارف وأسس العلـــوم•

تيوفيـــــــــــل :

نشكر الله اذا التزموا بهذا فى المناقشات ، ولن يكون لدينا ما نقوله مادمنا بذلك نقرر شيئا •وماذا يمكن أن نفعل أفضل من أن نخضع التناقش أى الحقائق المتنازع حولها الحقائق واضحة ولا تقبل النزاع ؟

أليس فى ذلك تقريرها بطريقة استدلالية ؟ ومن يستطيع أن يشك فى أن تصبح هذه المبادىء التى تحسم المناقشات ، تقريرا لحقائق وفى نفس الوقت مصادر للمعارف ؟ لأنه ما دام الاستدلال جيدا فلا يهم أن نعمله ضمنيا فى مكتبنا أن نقرره على منبر الخطابة • حتى عندما تصبح هذه المبادىء مطالب أكثر من أن تكون بديهيات ، ونقصد بالمطالب ما يقصده ارسطو ، وليس مايقصدهأقليدس أى باعتبارها فروض نريد تأكيدها ، ما أن تتاح الفرصة لاثباتها ، ستكون هذه المبادىء وسيلة لاخضاع الاسئلة الأخرى الى عدد قليل من القضايا • هكذا أنى مندهش اذ أرى من يلوم أمرا مشروعا اعتمادا على حكم مسبق • فصاحبك مثلا قد وقـع فى نفس الخطأ الذى يقعفيه الناس نتيجة عدم الانتباه • لسوء الحظ يحدث شىء آخر تماما فى المناقشات العلمية • بدلا من تقرير البديهيات العامة يعملون كل ما فى وسعهم لاضعافها بتعريفات لا جدوى منها ، ويقنع البعض باستخدام قواعد فلسفية معينة مما ملئت بها الكتب الكبرى رغم قلة حظها من اليقين والتحديد ومن ثم يجدوا لذة فى التخلص منهـا عن طريق اظهارها •

انها ليست وسيلة لتحديد المنازعات وانما هى وسيلة لجعلهـا لا نهائية ولارهاق الخصم أن الأمر هنا يشبه من يقودنا الى مكان معتم حيث نتخبط هنا وهناك وحيث لا يتمكن أحد من التحكم من ضرباته • هذا الاختراع مدهش بالنسبة للمدافعين عن فروضهم • أنـه درع (فولكان Vulcain) الذى يعصمهم أنه (orci galea) أو خوذة (بلوتون• Haume de pluton) التى تجعلهم غير مرئيين• أنهم سيكونون غير مهرة أو سيىءالحظ اذا أمكن الامساك بهم رغم كل هذا • حقا هناك قواعد لها استثناءات ، خصوصا فى الموضوعـات التى يدخل فيها كثير من الملحقات كما فى الفقه ولكن لكى يصبح الاســتخدام أكيدا يجب أن تكون هذه الاستثناءات محددة عددا ومعنى بقدر الامكان: وعندئذ قد يحدث أن يكون للاستثناء استثناءاته الفرعية ، أى انعطافات وأن يكون لهذان الانعطافات مضاعفات ••• الخ • ولكن فى النهـاية

يجب ارتباط هذه الاستثناءات وتفريعاتها فى المناقشات العلمية فلا بد دائما أن تتم المناقشة والقلم باليد لنسجل كل ما يقوله الطارفان • وسيكون ذلك ضروريا أيضا فى المناقشة التى تتخذ صورة الأقسية المتعددة التى تمترج من وقت لآخر بالتمييزات التى تعرض أقوى ذاكرة فى العالم لأن تخلط بينها ؛ولكن لا أحد يحرص على أن يجهد نفسه ليدفع ضرورة الأقسية ويسجلها لاكتشاف الحقيقة ، خاصة عندما لا تكون ذات عائد والتى لن نصل الى نهايتها عندما نريد ما لم تستبعد هذه التمييزات أو تحسن تنظيمها •

فيـــــلاليت :

حقا ، كما لاحظ صاحبنا أن منهج المدرسة ، لأنه تدخل فى النزاعات خارج المدرسة ليسكت المنازعين ، أصبح له أثره السىء • لأنه ما أن نحصل على الافكار المتوسطة حتى يمكن رؤية الارتباط بدون الالتجاء الى البديهيات وقبل أن تكون قد انتجب وهذا يكفى للاشخاص المعلمين وسلسى القيادة ، ولكن منهج المدارس ، لأنه شجع وأعطى للناس حق المعارضة ومقاومة الحقائق الواضحة لدرجة أنهم تناقضوا أو عارضوا المبادىء المقررة ، لا نندهش أبدا حينما نجدهم فى الحديث العادى لا يخجلون من عمل ما يعتبر مفخرة وفضيلة فى المدارس ، ويضيف المؤلف أن أناسا معقولين منتشرين فى العالم ولم يفسدهم التعليم ، يجدون مشقة فى تصديق أن منهجا كهذا أقره أشخاص جعلوا مهنتهم حسب الحقيقة وفنوا حياتهم فى دراسة الدين والطبيعة ، ويقول أنه لن يفرض هنا الى حد تؤدى هذهالطريقة فى التعليم الى أبعاد أذهان الشبان عن حب البحث المخلص للحقيقة أو بالاحرى جعلهم يشكون هل توجد حقيقة فى العالم ، أو على الاقل جديرة بأن ترتبط بها • ونضيف أن ما يعتقده تماما هو أنه باستثناء المناطق التى اعتنقت الفلسفة المشائية فى مدارسهم التى انتشرت عدة قرون والتى لا تعلم أى شىء آخر للعالم سوى فن المناقشة ، لا يوجد من يعتبر هذه البديهيات أسسا للعلوم وسندا هاما للتقدم فى معرفة الاشياء •

تيوفيـــــــــل :

يرى مؤلفك الماهر أن المدارس وحدها هى القادرة على صياغـة البديهيات بينما هى ترجع الى الغريزة العامة والعاقلة جـدا للجنس البشرى ؛ ويمكن الحكم على ذلك بالامثال التى تستخدمها كل الأمم ، والتى ليست عادة سوى بديهيات يقتنع بها الجمهور • ومع ذلك عندمـا ينطق الاشخاص ذوى حكمة بشىء يبدو معارضا للحقيقة فمن الواجب أن نعطيهم الحق بأن نشك فى وجود العيب فى تعبيراتهم ونرجح أنـه يوجد فى مشاعرهم : وهذا ما ينطبق على مؤلفنا الذى سأبدأ باظهـار الدافع الذى يدفعه ضد البديهيات وهذا ما يبدو بوضوح فى الأحاديث العادية حيث لا يلزمنا أن نتدرب كما نتدرب فى المدارس • أن من الأمور المنتقدة أن تريد أن نكون مقتنعا لتستسلم •

ومن ثم فى أغلب الاحيان نميل الى حذف القضية الكبرى التى نفهمها وأن نقنع بالقياس المضمر (قياس بمقدمة واحدة) • أحيانا بدون صياغة المقدمات حيث يكفى أن نذكر الفكرة المتوسطة أو الحد الأوسط ، فان الذهن يفهم الرابطة دون أن نعبر عنها • والامر مقبول عندما تكـون الرابطة مما لا نزاع حولها ، ولكنك تعترف أيضا ياسيدى أنه قد نتسرع أحيانا فى افتراضها وقد تولد عنها استدلالات زائفة بحيث يحسـن أحيانا عندما نضـع فى اعتبارنا جانب اليقين أكثر من جانب الاختصار أو البلاغة ، ومع ذلك تسرع مؤلفك فى الحكم ضد البديهيات جعله يرفض تماما فائدتها فى تقرير الحقيقة ، ووصل الى اعتبارها شريكة فى فوضى المحادثة • حقا أن الشبان الذين تعودوا على التمرينات العلمية يهتمون قليلا بالتمرين ولا يهتمون بأن يستخرجوا من التمرين أكبر ثمـرة يمكن أن يحصلوا عليها ، وهى المعرفة ، أنهم يجهدون أنفسهم ليتخلصوا منها فى العالم • ومن احدى المشاغبات أنهم لا يرغبون الخضوع للحقيقة الا أننا جعلوها واضحة حسيا ، مع أن الجدية وحتى الكياسة ترغمهم على الا يصـلوا الى هذه النهايات التى تجعلها غير مناسـبة وتعطى عنهـا

فكرة سيئة • ويجب أن نعترف أن هذا عيب يصاب بعدواه رجال الآداب• ومع ذلك ليس الخطأ فى الرغبة فى اخضاع الحقائق للبديهيات وانما فى جعلها فى غير محلها ولا حاجة لها ، لأن الذهن البشرى يواجه الكثير فى لحظة واحدة مما يضايقه أن ترغب فى اجباره على التوقف فى كل خطـوة يعملها ، وأن يعبر عن كل ما يفكر فيه • أن هذا يشبه تماما ما يحدث عندما نحاسب تاجرا أو نزيلا فى فندق بأن نرغمه على أن يحسب كل شىء بأصابعه لكى يكون متأكدا ، وطلبنا هذا يجعلنا سفهاء أو أغبياء • الواقع، أن بيترون Petrone على صواب فى قوله أن الشبان أصبحوا أغبياء وطائشين فى أحيانا حيث يجب أن توجد مدارس للحكمة ، ولكنهم أحيانا أيضا يصبحون مزهوين ومشوشين ومتخاصمين ومتقلبى الاحوال وغير متفقين وهذا كله يعتمد أحيانا على مزاج اساتذتهم • وعلاوة على ذلك أجد أخطاء أكبر بكثير فى المحادثة من تلك الخاصة بطلب وضوح أكثر • لأننا عادة نقع فى الخطيئة المقابلة ولا نطلب منها ولا نعطيها ما يكفيها ، واذا كان احدهما غير مناسب فان الآخر مفسد وخطير •

١٢ ــ فيـــــــلااليت :

نفس الأمر أيضا بالنسبة لاستخدام البديهيات عندما نربطهــا بأفكار خاطئة ، غامضة ، وغير يقينية ، لأنه عندئذ تستخدم البديهيــات فى تأييد أخطائنا ، بل وفى اثبات التناقض مثلا ذلك الذى يتصور مــع ديكارت الجسم ليس شيئا آخر غير الامتداد ويمكنه اثبات بســهولة بهذه البديهية (ما يكون يكون) أنه لا يوجد فراغ أى مكان لا يشــغله الجسم لأنه يعرف فكرته الخاصة ، يعرف أنه يكون ما يكونه وليس فكرة أخرى ، وعلى هذا كانت الكلمات الثلاثة امتداد ، جسم ، ومكــان تدل على نفس الشىء • ومن الحق بالنسبة له أيضا أن يقول أن المكــان جسم تماما كما يقول أن الجسم جسم •

١٣ ــ ولكن بالنسبة لشخص آخر الذى يقصد بالجسم الامتــداد الصلب فأنه يستنتج بنفس الطريقة أن القول : أن المكان ليس جســما

قول أكيد تماما مثل أى قضية يمكن اثباتها بهذا : من المستحيل أن يكون الشيء ولا يكون فى نفس الوقت •

تيوفيل :

ان اساءة استخدام البديهيات لا يستدعى لوم استخدامها بوجه عام . كل الحقائق عرضة لهذا العائق عندما نربطها بأخطاء . يمكن أن نستنتج ما هو خاطيء . بل ما هو متناقض وفى هذا المثال لسنا فى حاجة مطلقا لهذه البديهيات الذاتية التى ينسب اليها سبب الخطأ والتناقض • ويمكن أن نرى هذا اذا أمكن صياغة دليل أولئك الذين يستنتجون من تعريفاتهم أن المكان جسم أو أن المكان ليس بجسم ، صياغة صورة • هناك أيضا شيء من المبالغة فى هذه النتيجة : الجسم ممتد وصلب ، اذن المضاف ، أى الممتد . ليس جسما . والممتد ليس شيئا جسميا على الاطلاق ، لأنى لاحظت فعلا وجود تعبيرات سطحية عن الافكار ، أو تلك التى لا تضاعف الأشياء كما عندما يقول أحدنا : أقصد بالتلاثية (triquetrum) المثلث ذو ثلاثة أضلاع وأستنتج من ذلك أن كل ما هو ثلاثى الاضلاع ليس مثلثا • وهكذا يمكن للديكارتى أن يقول أن فكرة الممتد الصلب له هذه الطبيعة اى أنها تعطى ما يزيد عن حاجتنا ، اذا ما أخذنا الممتد على أنه شيء جوهرى فكل ممد سيكون صلبا ، أو كل ممتد . سيكون جسميا وبالنسبة للخلاء سيكون من حق الديكارتى أن يستنتج من فكرته أو صورة الفكرة (facon d' idée) عدم وجود الخلاء مطلقا ، على فرض أن فكرته جيدة • ولكن لن يكون من حق أى شخص آخر ، أولا أن يستنتج امكان وجود الخلاء بناء على فكرته ، ومع أنى لست مؤيدا للرأى الديكارتى ، الا أنى أعتقد أنه لا يوجد خلاء واحد فى هذا المثال اساءة أكثر لاستخدام كل من الافكار والبديهيات •

١٥ ــ فيـــــــلاليت :

على الأقل ، يبدو أن هذا الاستخدام للبديهيات فى القضايا اللفظية لن يعطينا أدنى معرفة عن الجواهر الموجودة خارج أنفسنا .

تيوفيـــــــــــل :

ان لى رأى آخر . مثلا هذه البديهية ، أن الطبيعة تعمل بأقصر الطرق ، أو على الاقل بأكثرها تحديدا ، تكفى وحدها لتبرير كل علــم البصريات وعلم انعكاس الضوء . ومبحث انكسار الضوء أى كل ما يحـــدث خارجنا فى أفعال الضوء كما سبق أن أوضحت ذلك وقد أثبت ذلك السيد (مولينيه Molineux) فى بحثه عن انكسار الضـــوء وهـــو كتاب جيد جدا .

فيـــــــلاليت :

طبعا قد يدعى البعض أنه عندما نستخدم المبادىء الذاتية لاثبات قضايا **بها كلمات تعبر عن أفكار مركبة ، مثل** كلمتى انسان وفضيلة فان استخدامها يصبح خطيرا جدا ويجعل الناس يعتبرون أو يقولون الخطــأ على أنه حقيقة واضحة . لأن الناس يعتقدون أن تمسكنا بنفس الحدود يعنى أن القضايا تدور حول نفس الاشياء ، رغم اختلاف الافكـــار التى تعنيها هذه الحدود ، بحيث أن الناس ، لأنهم اعتادوا على أن ينظروا الى الكلمات على أنها اشياء فأنهم قد استخدموا هذه البديهيات فى اثبـــات القضايا المتناقضة .

تيوفيـــــــــل :

ما أظلم أن نلوم هذه البديهيات المسكنة على ما يجب أن ينسب الى سوء استخدام الحدود وغموضها لنفس السبب سنلوم الاقيسة ، لأننا نسىء الاستنتاج عندما تكون الحدود غامضة . ولكن القيـــاس

برىء ، لأنه فى الواقع يوجد أربعة حدود وهذا ضد قواعد القياس لنفس السبب • نلوم حساب علماء الحساب أو الجبر لأننا بوضع س بدلا من ص أو أخذ أ على أنه ب سهوا فأننا نستنتج نتائج خاطئة ومتناقضة •

١٩ ـ فيلاليت :

كنت أعتقد على الاقل أن البديهيات قليلة الفائدة عندما يكون لدينا أفكارا واضحة ومتميزة ؛ رأى الآخرون أنها ليست ذات فائدة بل أدعوا أن ذلك الذى لن يميز الصواب عن الخطأ بدون هذه الأنواع من البديهيات لن يستطيع ذلك أيضا معتمدا عليها •

ومؤلفنا يظهر (الفقرتين ١٦ ، ١٧) أنها لا تستخدم ابدا فى تقرير هل هذا انسان أم لا ؟

تيوفيل :

اذا كانت الحقائق بسيطة جدا وواضحة وقريبة جدا من الذاتيات والتعريفات فأننا لن نستخدم البديهيات لنستخرج منها هذه الحقائق ، لأن الذهن يستخدمها ضمنيا ويصل الى النتائج مرة واحدة دون تخزين • ولكن بدون البديهيات المعروفة فعلا سيجد علماء الرياضة مشقة فى التقدم ، لأنه فى النتائج الطويلة من الاحسن أن نتوقف من وقت لآخر وأن نعمل نوعا من الاعمدة التى تدل على المسافات فى وسط الطريق والتى يلاحظها الآخرين بدون هذا ، هذه الطرق الطويلة ستكون غير ملائمة تماما ، وقد تبدو مختلطة وغامضة لا تساعد على التمييز وتحديد مكاننا بالضبط ويصبح شأننا شأن من يذهب الى البحر بدون بوصلة فى ليلة حالكة الظلام لا يرى فيها شطا ولا عمقا أو شأن من يسير فى هذه الارض الفسيحة حيث لا يوجد أشجار ولا تلال ولا جداول وهى أيضا تشبه السلسلة ذات الحلقات ، التى تستخدم فى القياس وبها

عدة مئات من الحلقات المتشابهة المتتابعة ولا تفصل بينها أى فواصل أو خرزات السبحة، أو غيرها من التقسيمات التى تعبر عن أبعاد الاقدام، الست أقدام ، الخمس ياردات .... الخ .

ان الذهن الذى يحب الوحدة فى الكثرة يربط اذن بين بعض النتائج ليشكل منها نتائج متوسطة وهذا هو دور البديهيات والنظريات .. بهذه الطريقة نجد لذة أكثر ونورا أكثر وتذكر أكثر وتطبيق أكثر وقليل من التكرار ، واذا أراد بعض التحليليين الا يفترضوا هاتين البديهيتين الهندسيتين ـ أن مربع وتر المثلث قائم الزاوية يساوى ضعف مربع جانبى الزاوية القائمة وأن الجوانب المتصلة بالمثلثات المتشابهات تكون متناسبة وبالتالى تخيلوا أنه مادمنا نستطيع اثبات هاتين النظريتين بربط الافكار التى تتضمنها ، فمن الممكن تخطيها بسهولة وذلك ياسيدى بأن نضع مكانها الافكار نفسها : فأنهم سيجدون أنفسهم قد ابتعدوا تماما عن حسابهم ، وحتى لا تظن أن دور هذه البديهيات محصور فى حدود العلوم الرياضية فقط يمكنك أن تلاحظ أنه لن يقل ذلك فى القانون فمن المبادىء الوسيطة التى تجعله سهل والتى تساعده فى مواجهة هذا المجال الفسيح على خريطة جغرافية ، هى أن تخضع عددا من القرارات الجزئية لمبادىء أعم . مثلا ستجد أن عددا من قوانين جوستنيان الخاصة بالدعاوى والدفوع تلك التى نسميها (in factum) تعتمد على هذه البديهية

ne quisalterius damno fiat locupletior

أى لا يجب أن يستفيد المرء من الضرر الذى يلحقه بآخر ، أنه يلزمنا أن نعبر عنها بدقة أكثر . حقا أنه علينا أن نميز بين قواعد القانون .. انى أتحدث عن الأفضل وليس عن قواعد قانونية معينة ادخلها الاساتذة وتكون غامضة مع أنها يمكن أن تصبح جيدة ومفيدة ، اذا أعدنا صياغتها ، بينما هى بتفريعاتها اللانهائية لن تصلح الا فى التشويش ، ولكن القواعد الجيدة أما أن تكون أقوالا مأثورة أو بديهيات واقصد بالبديهيات كلا من المسلمات والنظريات . واذا تشكلت الأقوال المأثورة بالاستقراء والملاحظة وليس

بالعقل قبليا ، وصاغها رجال مهرة بعد الاطلاع على هذا النص التشريعي الموجود ضمن جوستانيان التى تحدثت عن قواعد القانون حيث جــاء بهــا قــوله :

non ex regula jus sumi , sed ex jure quad est regulam fieri.

أى أننا نستخرج القواعد من قانون معروف لكى نحسن تذكره ، ولكننا لا نقرر القانون بناء على هذه القواعد • ولكن هناك بديهيــات أساسية تشكل القانون نفسه لا تستمدها من سلطة الدولة التعسفية فأنها تشكل القانون الطبيعى • وهذه هى القاعدة التى تحدثت عنها والتــى تمنع الكسب الذى يضر • توجد أيضا قواعد استثناءها نادر ، وبالتالى تعتبر كلية ، مثل التى جاءت فى (الفقرة ٢ من دستور الامبراطــور جوستيان) تحت عنوان الدعاوى والتى تقرر أنه عندما يتصل الأمــر بالشئون الجسدية فلن يملكها الفاعل ، سوى فى حالة واحدة أشــار اليها الامبراطور فى مجموعة قوانينه وما زلنا نهتم ببحثها • حقا فان البعض بدلا من (sane uno casu) يقرأون (sane non uno) يستدلون من الحالة الواحدة عدة حالات بالنسبة للاطباء لقد أوضــح المرحــوم (Barner) الذى كنا نتوقع منه أن يكون فى بحثـــه nouveau sennertus تحدينا لنسق فى الطب معدلا وفق الاكتشافات أو الأفكار الجديدة ، أن الطريقة التى يلاحظها عادة الأطباء فى أنساقهم العملية هى أن يفسروا فن الشفاء بأن يتناولوا مرضا بعد آخر ، تبعــا لاجزاء جسم الانســان ، أو بعبارة أخرى أن يقدموا قواعد كليــة مشتركة فى عدة أمراض ، أو أعراض ، وهذا يوقعهم فى تكرارات لا حصر لهــا ، بحيث يمكن أن نستبعد ، فى نظره ثلاثة أرباع ما فى (sennertus) واختصار العلم تماما بقضايا عامة وخاصة تلك التى ينطبق عليهــا قول ارسطو أنها تكون مشتركة أو تقترب منها • أعتقد أنه محق فى أن ينصح بهذ المنهج ، خاصة لما فى الطب من وصايا تماحكية (ratiocinative) والتى بقدر ما هى تجريبية ، فانه ليس من السهولة ومن المؤكد أن تشكل قضايا كلية • وعلاوة على ذلك هنــاك عــادة تعقيــدات فى الامراض

الخاصة التى يمكن مقارنتها بالجواهر بحيث يصبح المرض مثل النبات أو الحيوان يتطلب تاريخا خاصا ، أى أنها تصبح أنماطا أو طرفا من الوجود ، ينطبق عليها ما قلناه عن الاجسام أو الاشياء الجوهرية : وبالتالى يصعب تدقيق النظر فى (الحمى الرباعية (fiévre quarte) كما يصعب تدقيق النظر فى الذهب أو الزئبق ، وعلى هذا فمن الافضل : على الرغم من الوصاياالكلية ، أن نبحث فى أجناس الأمراض عن طرق للشفاء وللعلاج ترضى عدة دلالات وأسباب مجتمعة ، وأن تحصل على ما تؤديه التجربة بصفة خاصة وهذا ما لم يفعله (sennertus) بالقدر الكافى ، لأنبعض السادة المهرة قد لاحظوا أن تركيبات الوصفات التى اقترحها كانت أحيانا فى صورة (ex ingenio) تعتمد على التقريب أكثر من أن تدعمها التجربة ، كما يجب حتى تتأكد أكثر من آثرها . اعتقد اذن أن الافضل أن نجمع بين الطريقتين ولا نشتكى من التكرارات . فمادة بهذه الدقة والاهمية كالطب ما زال ينقصها الكثير مما لدينا فى القانون ، أى الكتب ، الحالات الجزئية ، وقوائم بما قد تم ملاحظته فعلا ، لانى اعتقد أن واحد من الالف من كتب القانون تكفينا فى حين لا نملك الكثير فى مادة الطب حتى اذا اتيح لنا من الملاحظات المناسبة ما نريد ألف مرة عما لدينا . ما دام القانون يعتمد على العقل فى الحالات التى لا تعبر عنها ، بوضوح ، القوانين أو العادات . لان من الممكن دائما أن نستخرجه بواسطة العقل أما من القانون أو القانون الطبيعى فى غيبة القانون . قوانين كل اقليم تكون محددة ونهائية ، أو يمكن أن تصبح كذلك ، أما فى الطب فأن مبادىء التجربة ، أى الملاحظات ، يلزمها أن تتضاعف لتعطى فرص أكثر للعقل لان يحل الرموز التى لم تسمح الطبيعة الا بمعرفة نصفها . لا أعرف شخصا يستخدم البديهيات بنفس الطريقة التى استخدمها مؤلفك الماهر الذى

نتحدث عنه (الفقرتان ١٦ ، ١٧) كما لو ان شخصا لكى يثبت لطفل أن الزنجى انسان ، يستخدم المبدأ القائل أن ما يكون يكون ، فيقول : العبد لديه روح عاقل ، ولكن الروح العاقلة والانسان شىء واحد ، وبالتالى

اذا كان مع حصوله الروح العاقلة لن يكون انسانا فسيكون من الخطأ قولنا أن ما يكون يكون ، أو قولنا أن نفس الشيء سيكون ولا يكـون فى نفس الوقت • لان بدون استخدام هذه البديهيات التى لا تكون مناسبة هنا ولا تدخل مباشرة فى الاستدلال ، كما أنها لن تقدم شيئا يقنع الجميع بأن يفكروا هكذا : العبد الاسود له روح عاقلة ، كل من له روح عاقلة يكون انسان ، اذن العبد الأسود انسان • واذا استنتج شخص ما أنه لا توجد روح عاقلة عندما لاتبدو لنا فان الاطفال حديثة الولادة ، والبلهاء لن ينتموا الى الجنس البشرى (كما يقرر المؤلف أنه أفاض الحديث مع اشخاص عاقلين ينكرون ذلك) لا اعتقد مطلقا ان الاستخدام السيء للبديهيات والذى يظهر أنه من المستحيل أن يكون الشيء ، ولا يكون ، قد يقربهم ، ولا أن يفكروا فيها عندما يقومون بهذا الاستدلال • مصدر خطأهم سيكون امتدادا لمبدأ مؤلفنا ، الذى ينكر أنه يوجد شيء ما فى الروح لا ندركه ، فى حين يذهب هؤلاء السادة الى انكار الروح نفسها عندما لا يدركها الآخرون •

الشخصـــــيات

(١) Arnauld (Antoine) يسمى أيضـــا أرنولد الكبـــير ، فى للجانسيست ولد فى باريس سنة ١٦١٢ وتوفى فى Liége سنة ١٦٩٤ بعد حياه صاخبة ، أهم أعماله الفلسفية : ـــ المنطق (المسمى منطق بورت رويال) وشاركه فيه نيقولا) ، بحثه فى الافكار الصـــواب والخطـــأ ، موجه ضـــد مالبرانش ، ملاحظات فلسفية حول المذهب الجديد للطبيعة والعناية ، واخيرا اعتراضات ضد ديكارت . ظهرت الطبعـــة الكاملة لأعمـــاله فى لوزان سنة ١٧٨٠ وتوجد الأعمال الفلسفية فى الاجزاء ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠) وقدمت طبعة خاصة لمكتبة (Charpentier) باريس سنة ١٨١٣ .

(٢) Hardy مستشرف ورياضى وقانونى . توفى فى باريس سنة ١٦٧٨ فى عمر متقدم فى السن جدا ، وقدم ترجمة لاتينية لمعطيات data أقليدس مع تفسير Marinus

(٣) Marinus فيلسوف أغريقى فى القرن الخامس تلميذ بروكلس الذى ترك لنا تاريخ حياته .

(٤) Comenius عالم مشهور فى القرن ١٧ ولد فى Comna قرب Brunmen مورافيا) سنة ١٥٩٢ وتوفى فى امستردام سنة ١٦٧١ نشر مؤلفـــات تربوية جمعها تحت عنـــوان opera didactica اهمهـــا spicilegium didactium اهتم أيضـــا بعلم الطبيعة وقدم بحثـــا بعنوان : disquisisitionos de caloris et frigoris natura.

(٥) فيثاغورث : فيلسوف يونانى مشهور ، حياته غير معروفة سوى من خلال قصص اسطورية فى قليل أو كثير ، ولد فى الفترة من ٥٥٠ الى ٥٨٠ ق . م ووفاته حولى عام ٥٠٠ . يبدو أنه ولد فى « ساموى ورحـــل كثيرا وان كانت عددا من هذه الرحلات مشكوك فيها . أسس فى كروتون باليونان الكبرى المدرسة المشهورة المهتمة بالرياضيات والموسيقى . ينسب اليه اكتشاف نظريات مشهورة لمربع الوتر المثلث قائم الزاوية ونظـــرية العلاقات الرياضية للمسافات الموسيقية يبدو انه لم يكتب شيئا وكل ما لدينا بأسمه مزور .

(٦) (Casaubon ,) عالم مشهور فى القرن ١٦ ولد فى بوردوا بدوفين عام ١٥٥٩ وتوفى فى لندن عام ١٦١٤ .

(٧) (Jaques Barner) طبيب ازدهر فى النصف الثانى من القرن ١٢ قـــدم prodrmus Sennerti novi وعرف بوجه خاص بكيميائية الفلسفة (chimia philosophica)

(٨) (Sennert) (daniel) طبيب مشهور ولد فى (م عام ١٥٧٢ وتوفى فى (Wittemberg) عام ١٦٣٧ ونشر عدة أعمال ، اهمها من الناحية الفلسفية هى :

Hypommemeta physica de rerum principiis deorigine animarum in brutis.

نشر أعماله الكاملة فى عدة طبعات احســـنها طبعـــة ليون عام ١٦٥٠ أو عام ١٦٦٦ .

الفصـــل الثامن

عن القضايا التافهة Frivoles

فيلاليت :

١ ـ اعتقد تماما أن العقلاء لا يهمهم اســتخدام المســلمات المتطابقة بالطريقة التى تحدثنا عنها •

٢ ـ كما يبدو أن هذه البديهيات المتطابقة تماما ليست ســوى قضــايا تافهة كما تســميها المدارس (nugatorise) • لم أكن لاقنع بالقول أن هذا يبدو لى كذلك لولا المثال المدهش الذى ذكرته والخاص باستدلال العكس عن طريق القضايا المتطابقة والذى جعلنى ، من الان فصاعدا ، أعدل عن وجهة نظرى وخاصة عندما يتصل الامر باحتقـــار شىء ما • ومع ذلك سأخبرك بما يبرر أعلاننا أنها تافهة تماما •

٣ ـ من الوهلة الاولى نعرف أنها لا تتضمن أى معرفة ، اللهم ألا انها تظهر احيانا للمرء ما يمكن ان تكون قد تورط فيه من اللامعقولية •

تيوفيــل :

هل تعتبر هذا الامر تافها يا سيدى ؟ اعتقد جيدا أن المرء لا يتعلم بأن نقول له يجب الا ننكر ونثبت نفس الشىء فى نفس الوقت ، ولكنه يتعلم ذلك بأن نثبت له ، من خلال المناسبات ، أنه يفعل ذلك دون أن يفكر فيه •أنه من الصعب فى نظرى ، أن نتخلص دائما من أدلة الخلف أى التى تؤدى الى اللامعقول وأن نثبتها كلها بالادلة الواضحــة كما يسمونها • وقد مارسه علماء الهندسة المهتمون جدا بهذا • وقد لاحظ ذلك بروكلس من وقت لآخر ، عندما ذكر أن بعض علماء الهندســة القدماء الذين جاءوا بعد أقليدس قد توصلوا الى استدلال مباشر أكثر

من استدلاله • ولكن سكوت هذا المفسر القديم يظهر بوضوح أنه لم يستخدم •

فيلاليت : على الاقل الا تعترف يا سيدى أن من الممكن صياغة مليون من القضايا بأقل جهد ولكنها ايضا قليلة الجدوى . اليس من التفاهة أن نلاحظ مثلا ، أن المحار هو محار • وأن من الخطأ أن ننكره أو أن نقول أن المحار ليس محارا ؟ • يسر المؤلف أن يقارن بين الشخص الذى يجعل من المحار فاعلا تارة وصفة أو محمولا تارة أخرى ، وبين القرد الذى يتسلى بأن يلقى المحارة من يد الى أخرى ، فاذا كان ذلك مما يمكن أن يشبع جوع القرد ، فأن هذه القضيا ستكون قادرة على ارضاء فهم الانسان •

تيوفيل :

أرى أن هذا المؤلف حاضر الذهن وصائب الحكم ، لديه كل المبررات التى فى العالم التى تجعله يعارض أولئك الذين سيستخدمونها بهذه الصورة • ولكنك ترى جيدا كيف يجب استخدام المتطابقات لتصبح مفيدة ، وذلك بأن نثبت بها ، بناء على النتائج والتعريفات ، خضوع الحقائق الاخرى التى نريد تقريرها •

٤ ــ فيلاليت :

اعرف ذلك ، وأرى جيدا أن من الممكن ، بحق ، تطبيقه على القضايا التى تبدو تافهة وغالبا ما يكون ذلك فى عديد من المناسبات التى نثبت فيها جزءا من الفكرة المركبة لموضوعها كقولنا : الرصاص معدن وخاصة عندما نقول لشخص يعرف معنى هذه الحدود • ويعرف أننا نقصد بالرصاص جسما صلبا له ثقل وقابل للصهر وقابل للطرق ، فهذه هى الوسيلة الوحيدة للقول أنه معدن بدلا من أن نشير الى عدد من الافكار البسيطة وتعدها له واحدة بعد الاخرى •

٥ ــ نفس الامر عندما نثبت جــزءا من التعريف للحــد الذى نحدده فنقول : كل ذهب قابل للانصهار ، على فرض اننا حددنا الذهب بأنه جسم أصفر له ثقل ، فأنه قابل للانصهار وقابل للطرق • وكذلك القول أن المثلث له ثلاث جوانب ؛ وأن الانسان حيوان ، وأن حصان الامراء حيوان يصهل ، كل هذا يستخدم فى تعريف الكلمات وليس فى معرفة أى شىء آخر خلاف التعريف • ولكننا يمكن أن نعرف شيئا آخر عندما نقول أن لدى الانسان فكرة عن الله ، وأن الافيون يغرق الانسان فى النوم •

تيوفيــل :

علاوة على ما ذكرته عن المتطابقات التى يكون تطابقها تاما ، نجد أن للمتطابقات الناقصة فائدة أخرى خاصة • مثلا قولنا أن الانسان العاقل يكون دائما انســانا ، يجعلنا نعرف أنه ليس معصــوما وأنه ميت ••• الخ • قد يحتاج شخص ما ، وهو فى خطر ، الى قذيفــة مسدس وينقصه الرصاص ليصهره بالصورة التى يريدها ، فيقول له صديقه : تذكر أن النقود الفضية التى فى محفظتك قابلة للصهر ، هذا الصديق لا يجعله يعرف مطلقا صفة للفضة وانما يدفعه الى التفكير فى استخدام يمكن أن يلجأ اليه ليحصل على قذائف للمسدس ترضى هذه الحاجة الملحة • جزء كبير من الحقائق الاخلاقية والعديد من عبارات المؤلفين لها هذه الطبيعة • أنها لا تعرفنا شيئا احيانا ولكنها تجعلنا نفكر فى ضــوء ما نعــرف • هذه القصيدة الهجائية من التراجيديا اللاتينية
Cuivis potest acciderd, quad cuiquam potest

(التى يمكن أن نعبر عنها هكذا ، وأن كانت بصورة أقل جمالا : ما يمكن أن يحدث لفرد يمكن أن يحدث لكل فرد) لا يسعها الا أن تــذكرنا بالمصير الانسانى •

quod nihil humani ànobis alienum putare debemus

وهذه القاعدة القانونية :

que jure suo utitur, nemini facit injuriam

ذلك الذى يستخدم حقه لا يضر أحد • تبدو تافهة • ومع ذلك لها استخدام جيد فى اعتبارات معينة وتجعلنا نفكر بعدل فيما يجب • مثلا عندما يرتفع شخص ما بمنزله الى القدر المسموح ، قانونا وعرفا ولكنه مع ذلك يحرم جاره من منظر ما فاذا اراد الجار أن يشتكى جاره ذكرنا له هذه القاعدة وكذلك قضايا الواقع ، أو الخبرات مثل تلك التى تقول أن الافيون مخدر ، تقودنا ابعد من حقائق العقل الخالص التى تجعلنا نذهب أبعد مما فى أفكارنا المتميزة بالنسبة لهذه القضية أن لكل انسان فكرة عن الله ، فهى قضية من قضايا العقل عندما تقصد بكلمة فكرة تصورا ذهنيا • لان تصور الله فى نظرى فطريا لدى كل الناس ولكن اذا كانت هذه الفكرة تعنى تصورا نفكر فيه حاليا فأنها تصبح قضية واقع تعتمد على تاريخ الجنس البشرى •

٧ ــ أخيرا القول أن المثلث له ثلاث جوانب فهذا ليس متطابقا كما يبدو لانه يلزمنا قليل من الانتباه لنرى أن الضلع لابد وأن يكون له من الزوايا بقدر ماله من الجوانب ، وسيكون له ايضا جانبا زائدا اذا ما افترضنا أن هذا الضلع غير مغلق •

فيلاليت :

يبدو أن القضايا العامة التى نشكلها عن الجواهر تكون فى الغالب تافهه ، اذا ، ما كانت يقينية • ومن يعرف دلالات الكلمات : جواهر ، انسان ، حيوان ، صورة ، روح نباتية ، حسة ، عاقلة ، سيشكل منها عدة قضايا لا يمكن الشك فيها ولكنها غير مفيدة ، وخاصة بالنسبة للروح ، التى نتكلم عنها احيانا دون أن نعرف ما هى حقيقة • كل واحد منا يمكن أن يرى قضايا لاحصر لها • ولااستدلالات ونتائج لها هذه الطبيعة فى كتب ما بعد الطبيعة واللاهوت المدرسى ، ونوع معين من الفيزيقا الذى قراءته لن تعلمنا عن الله ، الاذهان ، الاجسام ، شيئا أكثر مما نعرف قبل أن نتصفح هذه الكتب • —

تيوفيــل :

حقا أن مختصرات ما بعد الطبيعة وغيرها من الكتب التى من هذا النوع والتى نراها منتشرة لا تعلمنا سوى الكلمات • مثلا قولنا أن ما بعد الطبيعة هو العلم بالكائن الاسمى بوجه عام ، الذى يفسر مبادئه وما يصدر عنه من ارتباطات ، وأن مبادىء الكائن هى المـــاهية والوجود وأن تكون أما أولية مثل : الواحد الحق الخير ، أو مشتقة مثل : نفس الشىء والمغاير البسيط والمركب •••• الخ • والحديث عن كل حد من هذه الحدود لا يعطينا سوى أفكار غامضة وتمييزا للكلمة وفى هذا أساءة للعلم • ومع ذلك يجب أن نعترف ان لدى المدرســيين المتعمقين أمثال سوريز (Suarez) الذى يقدره تماما (جروتياس • Grotius) مناقشات جديرة بالاعتبار ، تتصل بالمستمر ، اللامتناهى ، العرضى ، حقيقة المجردات ، مبدأ التفرد ، أصل وفراغ الصور ، النفس وملكاتها ، العون الالهى لمخلوقاته ••• الخ وحتى فى الاخلاق بالنســبة لطبيعة الارادة ومبادىء العدالة • وباختصار يجب الاعتراف بأن هذه المعادن غير المنقية لا تخلو من الذهب خالص • ولكن على الاشخاص المستنيرين أن يستفيدوا منها ، أما شحن الشباب بمثل هذا الحشو من الكلام غير المفيد لمجرد أن هناك شىء جيد هنا أو هناك فهو أسوأ تبديد لاعــز الاشياء وهو الوقت • كذلك لا ينقصنا تماما القضايا العامة الخاصة بالجواهر والتى تكون أكيدة وتستحق ان نعرفها • هناك حقائق كبرى وجميلة عن الله التى علمنا مؤلفنا الماهر أياها أما فى ذاتها أو فى جزء منها بغيرها وقد يضيف البعض على تلك التى تركها ارسطو • ويجب القول أن الفيزيقا حتى العامة أصبحت أكثر حقيقة عما كانت من قبل أما ما بعد الطبيعة الحقيقية فقد بدأنا تقريبا فى تكوينها ونجد حقــائق هامة مؤسسة على العقل وتؤيدها التجربة تتصل بالجواهر بوجه عام • وانتعشم ايضا أن أعمل على تقدم أكثر فى مجال المعرفة العامة للنفس والاذهان • مثل هذه ما بعد الطبيعة هى التى طالب بها ارسطو وهى العلم الذى يسميه المرغوب أو الذى يبحث عنه ، والذى يجب أن يكون

بالنسبة للعلوم الاخرى ما يكونه علم السعادة بالنسبة للفنــون التى تحتاجه وما يكونه المهندس بالنسبة للعامل • ولهذا يقول ارسطو أن العلوم الاخرى تعتمد على ما بعد الطبيعة باعتبارها الاعموالتى يجب أن تعيرها مبادئها التى تكون قد برهنتها • كذلك يجب معرفة أن علاقة الاخلاق الحقيقية بالنسبة لمـــا بعد الطبيعة تشبه علاقة الممارسة بالنسبة للنظرية اعتمادا على نظرية الجواهر ، وبوجه عام يجب أن تعــرف العقول وأن نعرف بوجه خاص الله والنفس ممـــا يضفى على العدالة والفضيلة اتساعا أكثر • لانه كما سبق أن لاحظت ، اذا لم توجد العناية ولا الحياة المقبلة سيظل المرء محدودا فى ممارسة الفضيلة ، لانه لا يهتم الا بالرضـــاء الحاضر وهو الرضـــاء الذى ظهر فعلا عند ســـقراط ، والامبراطور مارك انطون ، وابيقور ، وغيرهم من القدماء ولن يكون مدعما باستمرار بدون هذه النظرات الجميلة والعظيمة التى يتيحها أمامنا النظام والانسجام فى الكون لنرى مستقبلا بدون حدود ، بغير ذلك لن يصبح هدوء النفس سوى ما نسميه الصبر بالقوة ، ومن ثم يمكن القول أن اللاهوت الطبيعى يحتوى جزءان النظرية والعمل وبالتالى يحتوى على ما بعد الطبيعة الحقيقية والاخلاق الاكمل •

١٢ ــ فيلاليت :

هذه المعارف لا شك فى أنها بعيدة تماما من أن تكون تافهه أو مجرد لفظية ، لكن يبدو أن هذه الاخيرة هى تلك التى يثبت فيها أحد المجردين الآخر ، مثلا الادخار اعتدال ، أو عرفان الجميل عدالة ، قد يبدو هــذه القضايا وغيرها خادعة فى أولة وهلة ولكن اذا ما ركزنا عليها أكثر ستجد أنها لا تعطينا سوى دلالة الحدود •

تيوفيــل :

ولكن دلالة الحدود أى التعريفات بارتباطها بالبديهيات المتطابقة تعبر عن مبادىء كل البراهين ، ونظرا لان هذه التعريفات يمكنها أن

تعرفنا فى نفس الوقت الافكار وامكانيتها ؛ فمن الواضح أن ما يعتمد عليها لن يكون دائما لفظيا خالصا •••• بالنسبة للمثال عرفان الجميل عداله أو بالاحرى لا يمكننا احتقار جزء من العدالة : لانه يعرفنـــا ما تسميه ((actio ingrati) أو الشكوى التى يمكن أن نشكوها من ناكرى الجميل يجب أهمالها على الأقل فى المحاكم • لقد أقر الرومان هذه الدعوى ضمن الأحرار أو المتحررين ، ويجب أن توجد اليوم بالنسبة لفسخ الهبات ، وقد قلت أن الافكار المجردة يمكن أن تنسب بعضها الى بعض كما ينسب النوع الى الجنس كما فى قولنا الديمومة استمرار ، الفضيلة عادة ، ولكن العدالة الكلية ليست فضيلة فحسب بل هى أيضا الفضيلة الأخلاقية بأكملها •



الشـــــخصيات

(١) (Saurez) جيزويت لاهوتى مشهور ، ولد فى غرناطة عام ١٥١٨ وتوفى ١٦١٧ يمكن القول أنه آخر المدرسيين ، لدينا من مؤلفاته Metaphysicarum disputationum libro duo. سنة ١٦١٩ — باريس ، Tractatus de legibus et deo legislatore. لندن سنة ١٤٧٩ .

(٢) (Gratiuc) مشرع مشهور ولد فى دفلت بهولندا فى ١٠ ابريل عام ١٥٨٣ وتوفى فى راكتوك عام ١٦١٥ . مؤلفه الرئيسى هو de jure pacis et belli

ترجمة الى الفرنسية (Barberyrae)

(٣) (Antonin , Epicéte) : رواقيـــان رومـــانيان مـــن عصر الامبراطورية ، ولد امبكت فى هيوروبولياس فع فرجيا فى القرن الاول ومات حوالى منتصف القرن الثانى كان عبدا ثم حرر . العملان الذين يلحصـــان نظريته هما les entretiens وقد كتبهما أريان تلميذه واجمل طبعة لكتبه نشرها (Schweighauser) او مارك أوريل امبراطور روما عام ٣٢١ م توفى عام ١٨٠ وعمله الوحيد هو كتابه الافكار (pensée) طبعة Schule عام ١٨٠٢ وله ترجمة فرنسية فى مجلدين (dacier) بباريس عام ١٦٩١ وترجمه (de joly) عام ١٧٧٠ و (de pierron) عام ١٨٤٣ بباريس .

الفصل التاسع

عن المعرفة التى لدينا عن وجودنا

١ ـ فيلاليت :

لم نعتبر حتى الآن سوى ماهيات الاشياء ، ونظرا لان ذهننا لا يعرفها سوى بالتجريد ، بأن ننزع عنها كل وجود جزئى ، خلاف ذلك الذى يكون فى فهمنا ، فهى لاتعطينا اطلاقا أى معرفة لأى وجود حقيقى، والقضايا الكلية التى يمكن أن نعرفها بيقين لن يكون لها أى صلة بالوجود . علاوة على ذلك فى كل مرة ننسب شيئا الى فرد من نوع أو جنس اعتمادا على قضية لا تكون يقينية اذا كان هذا الشىء نفسه قد نسب الى نوع أو جنس بوجه عام ، لن تتصل القضية بالوجود وان تجعلنا نعرف سوى ارتباط عرضى بين هذه الاشياء الموجودة بوجه خاص ، كما عندما نقول أن هذا الرجل عالم .

تيوفيل :

حسن جدا . بهذا المعنى ينسب هؤلاء الفلاسفة . الذين يميزون احيانا بين ما يتصل بالماهية وما يتصل بالوجود ، الى الوجود كل ما هو عرضى أو بالصدفة اننا لا نعرف أحيانا هل القضايا الكلية التى لا نعرفها الا بالتجربة يمكن أن تكون هى أيضا عرضية ، لان تجربتنا محدودة ففى البلاد التى لا يستجمد فيها الماء دائما فى حالة سيالة ، قضية ليست أساسية ما دمنا سنعرف ذلك عندما نصل الى البلاد الاكثر برودة ومع ذلك يمكن أن نأخذ العرض بطريقة أضيق كما او أنه يوجد وسط بينه وبين الاساسى ، هذا الوسط هو الطبيعى ، أى ذلك الذى لا يرتبط بالشىء بصورة ضرورية ، ولكنه مع ذلك ، يناسبه اذا لم يمنعه شىء . على هذا يمكن لاحدنا أن يتمسك بتقرير أنه ليس أساسيا بالنسبة للماء أن يكون

سائلا وأن كان طبيعيا أن يكون كذلك • أقول أن من الممكن أن يتمسك بذلك ولكنه ليس بالامر المبرهن عليه • وربما قد يندفع سكان القمر . اذا كان مسكونا الى الاعتقاد بالقول أنه من الطبيعى لن يكون الماء مثلجا • ومع ذلك هناك حالات أخرى يكون فيها الطبيعى أقل شكا • مثلا : شعاع الضوء يندفع دائما مستقيما فى نفس الوسط . ما لم يتصادف أن يلتقى بسطح يعكسه • علاوة على أن أرسطو قد اعتاد أن ينظر الى المادة كمصدر للاشياء العرضية ، ولكن يجب أن نقصد هنا المادة الثانية أى ركام أو كتلة الاجسام •

فيلاليت :

٢ ـ لقد لاحظت فعلا ، وفق المؤلف الممتاز الانجليزى الذى بحثه الخاص بالفهم ، أننا نعرف وجودنا بالحدس ومعرفة الله بالاستدلال ، والاشياء الاخرى بالاحساس •

٣ ـ لكن هذا الحدس الذى يجعلنا نعرف وجودنا يجعلنا نعرفها بوضوح تام لا يمكن اطلاقا اثباته ولا يحتاج ابدا لذلك : وبحيث عندما أشرع فى الشك فى كل الاشياء : فأن الشك نفسه لا يسمح لى بالشك فى وجودى • أخيرا لدينا هنا أعلى درجة من اليقين يمكن أن نتخيلها •

تيوفيل :

انى متفق تماما مع ذلك . وأضيف أن الادراك المباشر لوجودنا ولافكارنا يمدنا بالحقائق الاولية البعدية أو الخاصة بالواقع ، أى التجارب الاولى وكذلك القضايا المتطابقة التى تشمل الحقائق الاولية القبلية أو المعتمدة على العدل أى الادوار الاولى • هذه وتلك لا يمكن أن تكون مثبتة ويمكن أن نسميها مباشرة ، تلك لانه يوجد تباشر بين الفهم وموضوعه وهذه لانه يوجد تباشر بين الموضوع والمحمول •

الفصـــل العاشر

عن المعرفة التى لدينا عن وجود الله

١ ــ فيلاليت :

لقد منح الله أرواحنا الملكات التى تتزين بها ، وهو لم يترك نفسه بدون شهادة ، لان الحواس والذكاء والذهن تمدنا بأدلة واضحة عن وجـــوده ٠

تيـوفيل :

لم يعط الله الروح الملكات القادرة على المعرفة فقط ، وانما طبع فيها أيضا خصائص تميزها ؛ وأن احتاجت للملكات تدرك بها هذه الخصائص ٠ ولكنى لا أريد تكرار ما سبق ان ناقشناه بالنسبة للافكار والحقائق الفطرية التى من بينها فكرة الله وحقيقة وجوده ٠ والاجدر بنا أن ننتقل الى الواقع ٠

فيـــــلاليت :

ولكن مع أن وجود الله يعتبر أسهل حقيقة يبينها العقل وأن وضوحها يساوى ، اذا لم أكن مخطئا ، وضوح الاستدلالات الرياضية الا أنهـــا تتطلب الاهتمام بها ٠ أنها لا تحتاج أولا الا التفكير فى أنفسنا وفى وجودنا الذى لا شك فيه ٠ وعلى هذا أفترض أن كل واحد منا يعرف أن شيئا يوجد حاليا ، وعلى هذا هناك كائن حقيقى ٠ اذا وجد شخص يمكنه أن يشك فى وجوده الخاص ، فأنى أعلن أنى لا أخاطبه ٠

٣ ــ نعلم أيضا بمعرفة تقوم على رؤية بسيطة أن العدم الخالص لا يمكنه أبدا أن ينتج كائنا حقيقيا ٠ ومن هنا ينتج بوضوح رياضى أن

شيئا وجد منذ الأبد ، ما دام كل ماله بداية يجب أن يكون قد أوجده شيء آخر •

٤ ــ ولكن كل كائن يستمد وجوده من آخر ؛ ويستمد أيضـــا منه كل ما يخصه وكل ملكاته • اذن المصدر الخالد لكل هذه الموجودات يكون أيضـــا مبدأ لكل قدراتها بحيث يجب أن يكون هذا الكائن الخالد قادرا تماما •

٥ ــ أكثر من ذلك ، يجد الانسان فى نفسه المعرفة اذن يوجد كائن عاقل ولكن من المستحيل على الشيء المجرد تماما من المعرفة والادراك أن ينتج كائنا عاقلا ؛ ومن المناقض لفكر المـــادة ، المحرومة من الاحساس، أن تنتجه لنفسها • اذن مصدر الأشياء يكون عاقلا ، وقد وجد كائن عاقل منـــذ الأزل •

٦ ــ الكائن الخالد ، القادر ، والعاقل جدا ، هو ما نسميه الله • وأنه اذا وجد شخص غير عاقل بحيث يفترض أن الانسان هو الكائن الوحيد الذى لديه المعرفة والحكمة ولكنه مع ذلك قد شكل بالصدفة الخالصة وأن هذا المبدأ الأعمى الخالى من المعرفة هو الذى فسر كـــل ما عداه فى الكون ، فأنى أنصحه بأن يفحص فى وقت فراغه تحذير شيشرون القوى والملىء بالبلاغة de legibus, lib II. والذى يقول أنه لمن المؤكد الا يجب لأحد أن يكون من البلاهة والزهو بحيث يتخيـــل أنه ، مع أنه يوجد فى داخله فهم وعقل ، لا يوجد أى عقل يحكم كل هـــذا الكون الفسيح • مما قلته ينتج بوضوح أن لدينا معرفة يقينية بالله بأى شيء آخر أيا كان خارجنا •

تيـــــوفيل :

أؤكد لك ياسيدى باخلاص كامل أنى آسف تماما لأنى مضطر الى أن أعارض هذا الاستدلال ، ولكنى أفعل ذلك فقط لاعطيك فرصة لتملأ

الفراغ • اعتراضى أساسا على النقطة التى نستنتجها (٣) أن شيئا وجد منذ الأزل • أجد فى هذا غموضا ؛ اذا كان هذا يعنى أنه لم يوجد أبدا أى زمان لا يوجد فيه أى شىء ، فانى أوافق على ذلك لأن هذا يترتب حقا على القضايا السابقة اعتمادا على نتيجة رياضية تماما • لأنه اذا لم يوجد شىء منذ الأزل فانه لن يوجد شىء باستمرار ، فالعدم لا يمكن أن ينتج كائنا ، أذن لن تكون نحن أيضا ، وهذا يناقض الحقيقةالاولى للتجربة ، ولكن الخطوات التالية ستظهر أولا أن شيئا ما قد وجد منذ الازل ، يعنى أنه شىء خالد • ومع ذلك لا ينتج ابدا،بناء على ما سبق أن ذكرت حتى الآن أنه اذا ما وجد دائما شىء ما ضمن المؤكد أن يوجد دائما شىء معين ، أى أن يوجد كائن خالد • لأن بعض المعارضين سيقولون قد أوجدتنى أشياء أخرى ، وهذه الاشياء أيضا توجدها أشياء أخرى : علاوة على ذلك ، اذا قبل البعض وجود الكائنات الخالدة (مثل ذرات الابيقوريين) فأنهم لا يعتقدون أنهم مضطرون لهذا الى قبول وجود كائن خالد يكون وحده مصدر كل ما عداه • لأنه عندما يعرفون أن ما يعطى الوجود للشىء يعطى له أيضا الصفات والقدرات الأخرى سينكرون أن يعطى شىء وحيد الوجود للآخرين ويقولون أيضا أنه يجب أن يؤازر عدة أشياء كل شىء • على هذا لن نصل بهذا وحده الى مصدر واحد لكل القدرات • ومع ذلك من المقبول أن تحكم أن هناك مصدرا بل وأن الكون تحكمه الحكمة • ولكن عندما نعتقد أن المادة قابلة للاحساس فمن الممكن أن نكون مهيئين للاعتقاد فى أنه ليس من المستحيل أن تنتجه ، أو على الأقل سيكون من الصعب أن نذكر دليلا لا يظهر فى نفس الوقت أنها غير قادرة على ذلك تماما ، وعلى فرض أن تفكيرنا يصدر عن كائن مفكر هل يمكننا أن نوافق من غير مساس للاستدلال ، أنه يجب أن يكون الله ؟

٧ — فيلاليت :

لا أشك مطلقا فى أن الرجل الممتاز الذى استعرت منه هذا الاستدلال قد تعجز عن أكماله ، وسأحاول أن أحمله اليه فقد يقدم

خدمة كبيرة للجمهور • أنت نفسك تتمنى ذلك . هذا يجعلنى أظن أنك لا تعتقد مطلقا أنه لكى نسكت الملحدين يجب أن ندير كل شيء حول وجود فكرة الله فينا ، كما يفعل البعض ، الذين يرتبطون كثيرا بهذا الاكتشاف المتميز ، لدرجة أنهم يرفضون كل الاستدلالات الأخرى على وجود الله ، أو على الاقل يحاولون أضعافها ومنع استخدامها كما لـــو أنها ضعيفة أو خاطئة حتى وان كانت فى أساسها أدلة تجعلنا نـــرى بوضوح وبطريقة مقنعة وجود الكائن الأعلى بناء على اعتبار وجودنـــا الخاص والاجزاء الحسية للكون ، والتى لا أعتقد أن من واجب أى شخص عاقل أن يقاومها •

تيـــــــوفيل :

مع انى أقبل القول بالأفكار الفطرية وخاصة فكرة الله ، الا أننى لا أعتقد أن الاستدلالات الديكارتية المشتقة من فكرة الله تكون كاملة • لقد أثبت بوضوح (فى أعمال ليبرنج actes de Leipsik وفى مذكرات تريفو Trevoux)أن استدلالات ديكارت مستعارة من القديس أنسلم أرشيدون كانتوربيرى ، وهى جميلة جدا وعظيمة حقا • ولكن هنـــاك أيضا فراغ يجب أن يملأ هذا الارشيدوق المشهور الذى كان ، ولا شك ، من أقدر الرجال فى عصره والجدير بحق بالتهنئة لحصـــوله على وسيلة لاثبات وجود الله قبليا • عن طريق فكرته الخاصة ، دون أن يلجأ الى آثاره •وهذا هو مصدر قوة دليله : الله هو الاكبر (أو كما يقول ديكارت)وأكمل الكائنات ، أو هو كائن له عظمته وكماله الاعلى الـــذى يشمل كل الدرجات ، هذه هى فكرة الله • وهذا هو الآن كيف ينتج الوجود عن هذه الفكرة أن يوجد شيء أكثر من الا يوجـــد أو الوجود يضيف درجة على العظمة أو الكمال وكما يعلن ديكارت الوجود هو نفسه الكمال• اذن هذه الدرجة من العظمة والكمال أو هذا الكمال الذى يتكون فـــى الوجود يكون فى هذا الكائن ساميا وكبيرا وكاملا • وأى درجة نقص فى كماله يتعارض مع تعريفه وبالتالى هذا الكائن السامى موجود • المدرسيون •

بما فيهم أستاذهم القديس توما احتقروا هذا الدليل واعتبروه استدلالا زائفا ؛ وهم فى ذلك مخطئين تماما • وديكارت الذى درس مدة طويلة الفلسفة المدرسية فى كلية الجيزوميت فى لافليش ، كان محقــا تماما فى اعادة تقريره • أنه ليس بالاستدلال الزائف ولكنه استدلال غير تام يفترض شيئا يجب أن نثبته ليصبح ذا وضوح رياضى ، من المفروض ضمنيا أن هذه الفكرة عن الكائن العظيم والكامل مسكنه ولا تتضمن تناقضا • لقد أضاف شيئا فعلا اذ أثبت أن افتراض أن الله ممكن تؤدى الى اثبات أنه موجودوهذه هى مميزات خاصة بالالوهية وحدها • فمن حقنا أن نفترض امكانية كل كائن وخاصة امكانية الله الى أن يثبت أحدنا العكس • أن هذا الدليل الميتافيزيقى يعطينا نتيجة اخلاقية مقنعــة تقرر أنه وفق الحالة الحاضرة لمعارفنا يجب الحكم بأن الله يوجد ونتصرف بما يتفق مع ذلك • ولكن مازلنا نتمنى أن يكمل أناس ماهرون الاستدلال بقدر من الوضوح الرياضى وأعتقد أنى قلت فى هذا الصدد شيئا يمكن أن يكون مفيدا • دليل ديكارت الآخر والذى يسعى الى اثبات وجود الله لأن فكرته تكون فى أنفسنا ، ويجب أن تكون صادرة عن الاصــل دليل أقل اقناعا • لأن أولاهذا الدليل يعيبه كما يعيب الدليل السابق أنه يفترض أنــه يوجد فينا مثل هذه الفكرة ، أى الله ممكن • لأن ما يزعمه من أنه عندما نتحدث عن الله فأننا نعرف ما نقول وبالتالى لدينا عنه فكرة ، يعتبر علامة خادعة ، لأننا،مثلا ، عندما نتحدث عن الحركة الآلية المستمرة فأننا نعرف ما نقول فى حين أن هذه الحركة مستحيلة ، ومن ثم لن نحصــل على فكرة عنها الا فى الظاهر • ثانيا • هذا الدليل نفسه لا يثبت كفاية أن فكرة الله ، اذاحصلنا عليها ، يجب أن تصدر عن الاصل • ولكنى لا أريد أن أتوقف عندها حاليا • أنك تقول لى ياسيدى • أن معرفتنا الفكرة الفطرية عن الله لا تجيز لنا أن نشك فى امكان وجودها ؟ ولكنى لا أجيز هذا الشك الا بالنسبة لاستدلال قوى مؤسس على الفكرة وحدها ، ولأن من جهة أخرى ثقتنا قليلة فى الفكرة وفى وجود الله وأنت تذكر أنى أثبت كيف أن الافكار تكون فينا ، لا دائما بحيث ندركها ، وأنما دائما

بحيث يمكن أن نستدلها من أعماقها الخاصة وأن نجعلها قابلة للادراك • وهذا أيضا ما أعتقده بالنسبة لفكرة الله ، التى أتمسك بامكانها وللوجود الذى أثبت بأكثر من طريقة ان الانسجام الازلى أيضا يمدنا بوسيلة جديدة صريحة • ومن جهة أخرى أعتقد أن كل الوسائل تقريبا التى استخدمت لاثبات وجود الله تكون جيدة ويمكن أن تخدمنا اذا اكملناها ولست من الرأى الذى يقول بوجوب اهمال الدليل الذى نستمده من نظام الاشياء •

٩ ــ فيلاليت :

ربما سيكون من المناسب أن تلح قليلا على هذا السؤال هل يمكن لكائن مفكر أن يأتى من كائن غير مفكر ومحروم من كل احساس ومعرفة كالمادة •

١٠ ــ من الواضح أيضا أن جزءا من المادة غير قادر على انتاج شىء بنفسه وأن يمنح ه الحركة ، يجب اذن أما أن تكون حركته خالدة أو أن تكون قد طبعت فيه بواسطة كائن أقوى • عندما تكون هذه الحركة خالدة ستكون دائما غيرقادرة على التولد عن المعرفة • قسمها الى أكبر قدر تشاء من الاجزاء الصغيرة ولكى تجعلها روحية اعطيها كل الاشكال وكل الحركات التى تريدها ، أجعل منها كرة أو مكعبا أو مخروطا أو منشورا • • • الخ أبعاده ستكون ألف جزء من الـ gry وهو ١/١٠ من الخط الذى يكون ١/١٠ من البوصة والتى تكون ١/١٠ من القدم الفلسفى الذى يكون ١/٣ من بندول كل ذبذبة فيه فى مسافة ٤٥ درجة تساوى لحظة زمنية • هذه الذرة من المادة مهما كانت صغيرة لن تؤثر بوجه آخر على الأجسام الأخرى ذات الاحجام التى تناسبها الا كما تؤثر الاجسام التى طولها بوصة أو قدم بعضها على بعض • ويمكن أن نتعشم ، ولنعاذرنا أنها تولد الاحساس ، الافكار ، المعرفة وذلك عندما نربط معا أجزاء ضخمة من المادة ذات أشكال معينة وحركات معينة أكثر مما ينتج من ربطها بأجزاء أصغر من المادة الموجودة فى

العالم • هذه الأخيرة تتصادم ، تتدافع ، وتتقاوم أحدهما الأخرى تمــاما كالاجزاء الضخمة هذا كل ما يمكنها فعله • ولكن اذا استطاعت المــادة أن تستمد من داخلها الاحساس ، الادراك والمعرفة مباشرة وبدون آلة أو بدون مساعدة الاشكال والحركات ، فى هذه الحالة يجب أن نحصــل على خاصية غير قابلة للانفصال للمادة ولكل أجزائها • يمكن أن نضيف الى ذلك أن الفكرة العامة والنوعية التى لدينا عن المــادة تدفعنا الى الكلام عنها كما لو أنها شيء وحيد فى العدد ، مع ذلك ليست المــادة أساسا شيئا فرديا يوجد كأنه كائن مادى أو جسم مفرد نعرفه أو يمكن أن ندركه • بحيث اذا كانت المــادة أول كائن خالد مفكر ، فلن يوجد كائن وحيد خالد ، لا نهائى ، ومفكر ولكن عددا لا نهائيا من الكائنات الخــالدة، وأفكارها متميزة وبالتالى لن تستطيع أبدا انتاج هذا النظام ، هــذا التناسق وهذا الجمال الذى نلاحظه فى الطبيعة • من هذا ينتج ضرورة أن المــادة لن تكون أول كائن خالد • أتعشم أن تكون راضيا ، ياسيدى، من هذا البرهان المأخوذ من المؤلف المشهور للاستدلال السابق الذى لم يظهر الوجود من استدلاله •

تيوفيــــــل :

أجد أن هذا البرهان هو الاقوى فى العالم ، وليس فقط دقيق ولكن أيضا عميق وجدير بمؤلفه أيضا أنى متفق تماما معه فى أنه لا يوجد مطلقا ارتباط أو تعديل لاجزاء المــادة ، مهما كانت صغيرة ، يمكنهــا أن تنتج ادراك بقدر ما تعجز الاجزاء الضخمة (وذلك نعرفه بوضوح) وأن كل شيء يحدث فى الاجزاء الصغيرة يكون متناسبا اذا قورن بما يمكن أن يحدث فى الاجزاء الكبرى ، أنها كذلك ملاحظة هامة تخص المــادة ، تلك التى يذكرها مؤلفك هنا ، وهو أنه يجب الا نعتبرها شيئا وحيدا فى العدد أو (كما هى عادتى فى الحديث) على أنها وحــدة عنصرية حقيقية أو وحدة ما دامت ليست سوى تكتل من عدد لا نهائى من الكائنات • أن هذا المؤلف الممتاز يلزمه خطوة واحدة فقط ليصــل

الى مذهبى أنى ، فى الواقع ، أعطى الادراك لكل هذه الكائنــات اللانهائية التى يشبه كل واحدة منها حيوانا مزودا بالروح (أو بمبدأ نشط مشابه يجعل منها وحدة حقيقية) بالاضافة الى ما يحتاجه هذا الكائن ليكــون منفعلا ومزودا وموهوبا بجسد عضوى • الآن هذه الكائنــات تستمد طبيعتها الايجابية والسلبية على السواء (أى ما يجعلها لا مادية ومادية) من سبب عام وأعلى ، لأنه اذا لم يكن الأمر ، كذلك ، كما يلاحظ مؤلفك جيدا ،ولكونها مستقلة بعضها عن البعض فلن يمكنها أبدا انتاج هــذا النظــام ، هذا الانسجام ، هذا الجمــال الذى نلاحظه فى الطبيعة • ولكن هذا الدليل الذى يبدو يقينا اخلاقيا قد اندفع الى ضرورة ما وراء طبيعية تماما بفضل النوع الجديد من الانسجام الذى قدمته • وهــو الانسجام الأزلى • لأن كل روح من هذه الأرواح تعبر بطريقتهــا عما يحدث خارجها ولا يمكنها أن تؤثر على الكائنات الجزئية الأخرى ، أو بالأحرى ، يلزمها أن تستمد هــذا التعبير من أعماق طبيعتها ؛ يجــب بالضرورة أن تستمد كل واحدة منها هذه الطبيعة (أو هذا الســبب الداخلى للتعبيرات عما يكون فى الخارج) من سبب كلى تعتمــد عليــه كل هذه الكائنات ، ويجعل كل واحدة منها تتفق تماما وتتصل بالاخرى ، مما لا يحدث بدون معرفة وقدرة لا نهائية ، وبراعة عظمى تفــوق القبول الآلى التلقائى لافعال الروح العاقلة ، مما دفع مؤلف مشهور الى ذكر اعتراضات ضدها فى معجمه « المدهش » حيث كاد أن نشك فى أن حالة هذه الأشياء تجاوز كل حكمة ممكنة ، فقال أن حكمة الله لا تبدو له مطلقا عظيمة جدا بحيث ينتج مثل هذا الأثر ، واعترف على الاقل بأنه لم يحدث لأحد مطلقا أن قدم مثل هذا الوضوح الذى يمكن أن نمتلكه عن الكمــال الالهى •

فيــــــلاليت :

١٢ ـــ يعجبنى اتفاق آرائك مع آراء مؤلفى وأتعنسم الا يغضبك يا سيدى ، أن انقل اليك ما تبقى من مناقشة لهذا الموضوع أولا ، فحص •

هل يكون الكائن المفكر الذى تعتمد علية الكائنات الأخرى العاقلة (ومن باب أولى كل الكائنات الأخرى) ماديا أم لا ؟

١٣ ـــ أنه يعترض على امكان أن يكون الكائن المفكر ماديا ولكنــه يجيب أنه عندما يكون ذلك فأنه يكون كائنا خالدا له علم وقـــدرة لا نهائية • علاوة على ذلك ، اذا أمكن فصل الفكر عن المـــادة ، فلن يكون الوجود الابدى للمــادة نتيجة للوجود الأبدى لكائن مفكر •

١٤ ـــ أننا سنسأل أولئك الذين يجعلون الله ماديا هل يعتقدون أن كل جزء من المــادة مفكر ؟ فى هذه الحالة سنستنتج أنه ستوجد من الآلهة بقدر أجزاء المــادة • ولكن اذا لم يفكر أى جزء من المــادة ، فاننا حينئذ سنكون بصدد كائن مفكر مركب من أجزاء ليســت بمفكــرة، وقد رفضنا هذا فعلا •

١٥ ـــ أنه اذا كانت بعض الذرات من المــادة تفكر فقط والاجزاء الاخرى حتى وان كانت خالدة أيضا ، لا تفكر أبدا ، فان هذا يعنــى القول أن جزءا من المــادة يعلو الى ما لا نهاية الجزء الآخر وينتــج الكائنات المفكرة غير الخالــدة •

١٦ ـــ انه اذا أردنا أن يكون الكائن المفكر الخالد والمبــادى تكتلا معينا من المــادة أجزاءهــا ليست مفكرة ، فأننا نقع فيما رفضناه : لأن أجزاء المـادة وقد أحسن ربطها فلن تعطى سوى علاقة محلية جديدة لا يمكن أن نزودها بالمعرفة •

١٧ ـــ لا يهم أن يكون هذا التكتل متحركا أو ساكنا • اذا كـــان ساكنا فلن يكون سوى كتلة بدون فعل ، لا تمتاز عن الذرة ، واذا كـــان متحركا فان الحركة التى تميزه عن الاجزاء الأخرى يجب أن تنتج الفكر وستكون أفكارا عرضية ومحدوده ، كل جزء على حدة ، لكونه بدون أفكار ولا يملك ما ينظم حركته وهكذا ، لا يملك من الحرية ولا الاختيار ولا الحكمة أكثر مما ينبغى أن يكون فى المــادة البسيطة الخام •

١٨ ــ يعتقد البعض أن المــادة تكون على الاقل خالدة مع الله ولكنهم لا يفسرون لماذا يكون انتاج الكائن المفكر ، الذى يقبلونه ، أصعب من انتاج المــادة التى تكون أقل كمالا • وربما (يقول المؤلف) اذا أردنا أن نبتعدقليلا عن الافكار العامة ، فان ما يمكن أن نصل اليه هو تصور ، أى ادراك ولو بطريقة غير كاملة ، كيف يمكن أن تصنع المــادة وكيف بدأت الوجود بواسطة قدرة هذا الكائن الأول الخالد • ولكن سنرى فى نفس الوقت أن من الصعب أن نفهم أن اعطاء الوجود لذهن سيكون نتيجة لهذه القدرة الخالدة اللانهائية • يضيف أن ذلك قد يبعده كثيرا عن الافكار التى تقوم عليها الفلسفة حاليا فى العالم • فلن يكون لدى العذر اذا ابتعدت كثيرا : وبحثت بقدر ما تسمح به القواعد اللغوية ، هل الرأى المقرر يتعارض فى أعماقه مع هذا الاحساس الخاص ؟ أقول أنى سأكون مخطئا أن اشتركت فى هذه المناقشة خاصة فى هذا المكان من الارض حيث تتفق النظرية السائدة مع قصدى ، ما دامت تفترض كشىء لا مجــال للشك فيه ، أنه اذا ماقبلنا أن الخلق أو البدء لجوهر أيا كان ، يشتق من العدم ، فمن الممكن افتراض بنفس السهولة خلق أى جوهر آخر ما عدا الخالق نفسه •

تيوفيــــــل :

لقد أسعدتنى ياسيدى بأن نقلت الى جانبا من فكر مؤلفك الماهــر الذى حالت غطنته المترددة دون أن يتمه • وستكون خسارتنا كبيرة اذا حذفها وتركنا هكذا بعد أن أوصل المــاء الى فمنا • وأوكد لك ياسيدى أنى أعتقد أن هناك شيئا جميلا وهاما يكمنوراءهذه الطريقة الغامضة(١) أن كلمة الجوهر بالحروف الكبيرة تجعلنا نظن أنه يتصور انتاج المــادة بنفس طريقة انتاج الأغراض والتى لا نجد صعوبة فى اشتقاقها من العــدم ، وقد ميزه فكره الفريد عن الفلسفة السائدة حاليا فى العالم ، أو فى هذا المكان من الأرض،ولا أعرف هل وضع فى اعتبارهالافلاطونيين الذين يعتبرون المــادة كشىء هارب وعابر يشبه الاعراض ، والذين لديهم فكرة مختلفة تماما عن العقول والأرواح •

فيـــــــلاليت :

أخيرا اذا أنكر البعض الخلق ، الذى بفضله تكون الاشياء من لا شىء وذلك لأنهم لم يستطيعو ادراكه ، فان مؤلفنا ، قد كتب ، قبـــل أن يعرف اكتشافك الخاص بوحدة الروح بالجسد ، معترضا عليهم لانهم لم يفهموا كيف نتجت الحركات الارادية فى الاجسام بارادة الروح ، لأنهم رفضوا تصديقه مقتنعين بالتجربة ، كما يرد على الذين يجيبون أن الروح لا تستطيع انتاج حركة جديدة وأنها تنتج فقط تحديدا جديدا للارواح الحيوانية ، أقول أنه يرد عليهم بأن كلاهما مما لا يمكن ادراكه ، وليس هناك أفضل من القول الذى يضيفه بهذه المناسبة : بأن ارادة حصر ما يمكن أن يفعله الله، فى ذلك الذى نستطيع فهمه ، يعنى أننا نعطى امتدادا لا نهائيا لفهمنا أو نجعل الله نفسه نهائيا .

تيوفيـــــــــل :

بالرغم من القضاء على مشكلة اتحاد الروح بالجسد فى نظرى ، ما زال هناك بقية ، لقد أظهرتبعديا بالانسجام الأزلى أن كل الوحدات الحقيقية قد استمدت أصلها من الله وتعتمد عليه ومع ذلك لا أحد يستطيع فهم الكيفية التفصيلية ، وفى الاصل الاحتفاظ بها ليس سوى خلقـــا مستمرا كما عرف المدرسيون بوضوح تام .

---

(١) القديس انسلم : فيلسوف مشهور ولاهوتى فى العصر الوســيط ولد عام ١٠٣٣ فى أوستن وتوفى عام ١١٠٩ مشهور بوجه خاص باختراع دليله المشهور على وجود الله كتابيه الفلسفيين هما :

le monologium — le proslogium

وتوجد مدة طبعات كاملة لاعماله ... عــام ١٤٩١ nurenberg باريس ١٥٧٥ (نشرة D. Gerberon) اعيد طبعها عام ١٧٢١، عام ١٧٤١ فى Vénise) مجلد واحد .

(٢) بايل فى مقـــاله (Rorarius

(٣) لقد شرحها م . كوست (Coste) اعتمادا على ما ذكــره المواطن نيوتن فى الملاحظة الثانية من الفقرة ١٨ من هذا الفصل طبعة لوك بامستردام عام ١٧٥٥ ص ٥٢٣ .

الفصـــل الحـــادي عشر

المعرفة التي لدينا من وجود الاشياء الاخرى

فيـــــــــــلاليت :

١ -. نظرا لما لوجود الله من ارتباط ضرورى بوجودنا فأن أفكارنا التى يمكن أن نحصل عليها عن شىء ما لن نثبت وجود هذا الشىء ، بأكثر مما يمكن أن يثبت رسم الانسان وجوده فى العالم •

٢ — ومع ذلك يقينى من وجود الأبيض والاسود على هذه الورقة عن طريق الاحساس يساوى يقينى من حركة يدى التى لا تخضع الا لمعرفة وجودنا ولوجود الله •

٣ — هذا اليقين يستحق اسم المعرفة ، لأنى لا أعتقد أن يكـــون الشخص أرتيابيا لدرجة أن يصبح غير متأكد من وجود الأشياء التـــى يراها والتى يحسها ، على الاقل ، ذلك الذى يستطيع أن يتمادى فى شكه بعيدا ، لن يختلف معى مادام لن يستطيع أبدا أن يتأكد أنى أقول ما يمكن أن يكون ضد شعوره •

٤ — أدراك الأشياء الحسية ينتجها أسباب خارجية تؤثر فـــى حواسنا ، لأننا لن نكتسب أبدا هذه الادراكات بدون الأعضاء ، واذا كانت الأعضاء كافية فانها ستنتجها باستمرار •

٥ — بالاضافة الى ذلك ، أثبت أحيانا أنى لن أتمكن من أن أعـــوق ظهورها فى ذهنى ، كالضوء مثلا عندما أفتح عينى فى مكان ينفذ اليـــه ضوء النهار ، بدلا من قدرتى التخلى عن الافكار الموجودة فى ذاكرتى يجب اذن أن يوجد سبب خارجى لهذا الانطباع الحى ، الذى لا أستطيع تخطى أثره •

٦ ـ بعض من الادراكات يصاحب ظهورها ألم ، حتى وأن نتذكرناها بعد ذلك دون آن نشعر بأقل ضيق ، وكما أن الاستدلالات الرياضيـة لا تعتمد أبدا على الحواس ومع ذلك كثيرا ما نستخدمها فى اثبـات وضوح رؤيتنا ، ويبدو أنها تعطينا يقينا يقترب من يقين الاسـتدلال نفسـه •

٧ ـ أيضا ، حواسنا فى كثير من الحالات يشهد بعضها على بعض من يرى النار يستطيع أن يحس بها ، اذا شك فيها • وعندما أكتب هـذا، أرى أنى استطيع تغيير مظاهر الورق ، وأقول مقدما ، أى فكرة جديدة ستعرض لذهنى ، ولكن عندما أخط هذه الحروف ، لن أستطيع مطلقـا تجنب رؤيتها على ما هى عليه ، علاوة على أن رؤيـة هذه الحروف ستجعل أى شخص آخر ينطق بنفس الأصوات •

٨ ـ اذا اعتقد شخص ما أن كل هذا ليس سوى حلم طويل ، وأنـه يستطيع أن يحلم اذا كان هذا يعجبه ، أنى أقدم له هذه الاجابة • أن يقيننا المؤسس علىشهادة الحواس يكون كاملا بقدر ما تسمح بـه طبيعتنا ، وبقدر ما تتطلبه حالتنا •

ذلك الذى يرى اشتعال الشمعة ويتحقق من حرارة اللهب الـذى سيؤذيه اذا لم يسحب أصبعه ، لن يطلب يقينا أكثر من ذلك ، لكى ينظم فعله ، واذا لم يفعل ذلك ، استيقظ • مثل هذا اليقين يكفينا اذن، وهو يشبه اللذة والالم وهما أمران لا يوجد أى اهتمام آخر يتجاوزهما فى معرفة أو وجود الأشياء •

٩ ـ ولكن اذا تجاوزنا احساساتنا الحالية فلن توجد معرفة ، وكل ماهنالك أمور محتمة تشبه اعتقادى فى وجود البشر فى العالم معأنـى لا أرى أى واحد منهم الآن أثناء جلوسى وحدى فى مكتبى •

١٠ ـ كذلك ، أليس من الجنون أن أتوقع اثبات كل شىء والا

أعمل وفق الحقائق الواضحة المتميزة عندما لاتكون قابلة للاثبات • ذلك الذى يريد أن يستخدمها هكذا ، لن يستطيع التأكد من أى شئ آخر سوى آنه يهلك فى أقل وقت ممكن •

تيوفيـــــــــل :

لقد لاحظت فعلا فى حوارنا السابق أن حقيقة الأشياء الحية يبررها ارتباطها الذى يعتمد على حقائق ذهنية قائمة فى الذهن ، وملاحظـات مستقرة فى الأشياء الحية نفسها ، حتى ولو لم تظهر الأسباب • وحيـث أن هذه الاسباب والملاحظات تمدنا بوسيلة للتنبؤ فى المستقبل فى ضوء هدفنا ، وإذا نجح حكمنا المعقول ، فأننا لا نستطيع المطالبة ، بل ولن نحصل على يقين أكبر بالنسبة لهذه الاشياء • وكذلك يمكن تبرير الاحلام وارتباطها القليل بالظواهر الأخرى • ومع ذلك اعتقد أن من الممكن أن نتجاوز ما نسميه معرفة أو يقين الاحساسات الحالية ، ما دام الوضوح والتميز يذهبان أبعد ، وهذا اعتبره نوعا من اليقين • وسيكون بدون شك من العبث أن نشك فى وجود بشر فى العالم ما دمنا لا نراهم • الشك الجاد هو ذلك الذى يتصل بالممارسة ، ومن الممكن اعتبار اليقين معرفة للحقيقة ، يكون شكنا فى ممارستنا نوعا من العبث ، وأحيانا نعتبرهـا بصورة أعم ونطبقها على الحالات التى شكنا فيها يعرضنا للوم الشديد • ولكن الوضوح سيكون يقينـا مضيئا ، أن الذى لا نشك فيه مطلقا بسبب الرابطة التى نراها بين الافكار وفق هذا التعريف لليقين نصبح واثقـين من أن القسطنطينية موجودة فى العالم ، وأن كلا من قسطنطين والاسكندر الاكبر ويوليوس قيصر قد عاشوا • حقا قد يجوز لبعض فلاحى أردنز Ardennes أن يشكوا فيها لنقص معلوماتهم ، ولكن لا يمكن للرجل المثقف أو الرجل المجتمع أن يفعل ذلك دون أن يتعرض لاضطراب فى الذهن •

فيـــــلاليت :

١١ ــ حقا أننا واثقون تماما من تذكر كثيرا من الاشياء الماضية ولكن لن نستطيع الحكم هل ما زالت باقية ؟ بالأمس رأيت ماء وعددا من الألوان الجميلة على الزجاجات والتى انعكست على هذا المـــاء أما الآن فأنى متأكد من وجود هذه الزجاجات وهذا المـــاء ولكنى لم أعد أعرف بيقين الوجود الحاضر لكل من المـــاء والزجاجات وأن كان ما زالا من المحتمل تماما لأننا لاحظنا أن المـــاء باقية فى حين اختفت الزجاجات •

١٢ ــ أخيرا ، باستثناء أنفسنا والله لن نعرف الأرواح الأخـــرى الا بالوحى ولا نملك بصددها سوى يقين الايمان •

تيوفيـــــــل :

من الملاحظ فعلا أن ذاكرتنا تخدعنا أحيانا ، وقد تضيف اليهـــا الايمـــان أو لا تضـــيفه ، حسب قـــوة أو ضعف حيويتها ، وحسب ارتباطها أكثر أو أقل بالاشياء التى نعرفها ، وحتى عندما نثق فى المبدأ ، قد نشك أحيانا فى الملابسات • أتذكر أنى عرفت شخصا معينا ، لأنى أحس أن صورته ليست جديدة بالنسبة لى ، وكذلك صوته ، ومع أن هذه العلاقة المزدوجة تعتبر ضمانا أكثر من أحداهما فقط ، الا انى لا أستطيع تذكر أين رأيته ومع ذلك ، قد يحدث ، وأن كان نادرا ، أن نرى شخصا فى حلم قبل أن نراه بلحمه وعظمه وقد أكد لى البعض أن آنسة فى بلاط معروف رأت فى الحلم ، ووصفت لأصدقائها ، الشخص الذى ستتزوجه والصالة التى ستقام بها الحفلات ، وكل ذلك قبل أن تكون قد عرفت أو رأت الشخص أو المكان • وقد يرجع الناس هذا الامر الى احساس خفى سابق ، ولكن الصدفة أيضا قد تنتج مثل هذا الاثر وأن كان من النـــادر أن يحدث هذا • علاوة على أن صور الاحلام من الغموض بحيث لا نملك الحرية فى ردها الى غيرها فيما بعد •

فيـــــــلاليت :

١٣ ـــ لنستنتج اذن وجود نوعين من القضايا : قضايا جزئيـــة تتصل بالوجود مثل « الفيل موجود » والاخرى عامة تخص اعتمـــاد الافكار مثل « طاعة الله واجبة على البشر » •

١٤ ـــ معظم هذه القضايا العامة واليقينية تسمى حقــائق خالدة هى كذلك فى الواقع ، أن الامر لا يتطلب أن تكون قضايا مشـــكلة حاليا فى مكان ما منذ زمان بعيد ، أو أن تكون محفورة فى الذهن وفق نموذج يوجد باستمرار ، ولكن لأننا متأكدين من أن أى مخلوق مزود بالملكات والوسائل اللازمة سيطبق هذه التصورات عند اعتباره لافكاره وســـيجد حقيقة هذه القضايا •

تيوفيــــــــل :

تقسيمك يبدو أنه يرجع الى تقسيمى القضايا الى : قضايا الواقع وقضايا العقل ، قضايا الواقع ، يمكن أن تصبح عامة ، بطريقة ما ولكن بواسطة الاستقرار أو الملاحظة بحيث لا تكون سوى كثرة من وقائـــع متشابهه ، مثلما عندما نلاحظ أن كل زئبق يتبخر بقـــوة النار ، وهـــذا ليس بعمومية كاملة لأننا لا نرى مطلقا الضرورة • القضايا العامـــة للعقل تكون ضرورية ، مع أن العقل يزودنا أيضا بقضايا لا تكون عامـــة تماماولا تكون سوى محتملة مثل عندما نقرر أن فكرة ما ممكنة الى أن نكشف عكسها ببحث أكثر دقة • هناك أخيرا قضايا مختلطة مشتقة من مقدمات بعضها يأتى من الوقائع والملاحظات والأخرى تكون قضايا ضرورية • وهى تعبر عن عدد من النتائج الجغرافية والفلكية الخاصـــة بالكرة الأرضية ومسار النجوم ، التى تتولد بالربط بين ملاحظـــات المسافرين وعلماء الفلك والنظريات الهندسية والحساب • ولكن حســـب ما يرى المنطق ، ونظرا لأن النتيجة تتبع أضعف المقدمات ، لن يكون لهـــا من اليقين أكثر مما لهذه المقدمات هذه القضايا المختلطة لن يكون لها من

اليقين والعمومية الا ما لهذه الملاحظات . بالنسبة للحقائق الخالدة يجب ملاحظة أنها فى أساسها تكون كلها شرطيه وتقول فى الواقع : اذا افترضنا هذا الشىء الآخر مثلا ، عندما أقول : كل شكل له ثلاثة جوانب فان هذا الشكل نفسه سيكون له ثلاثة زوايا أقول هذا ، مع أن القضايا الحملية التى يمكن اعلانها بدون شروط ، وأن كانت شرطية فى أساسها ، تختلف عن القضايا التى نسميها شرطية مثل هذه القضية « اذا كان لشكل ثلاثة جوانب فأن مجموع زواياه يساوى قائمتان فى هذه القضية نرى أن المقدم (الشكل ذو الثلاث جوانب) والتالى (زواياه قائمتان) ليس هما نفس الموضوع، كما كان فى الحالة السابقة التى كان المقدم (الشكل ذو الثلاث جوانب) والتالى (الشكل ذو الثلاث زوايا) . ومع أن من الممكن أيضا تحويل القضية الشرطية الى قضية حملية وذلك بتغير قليل فى الحدود ، مثلا بدلا من القضية الشرطية السابقة أقول : زوايا كل شكل له ثلاث جوانب تكون مساوية لقائمتين « لقد ناقش المدرسون

ما يسمونه constantia subjecti أى كيف يمكن أن يكون صدق القضية القائمة على موضوع ماحقيقيا ، اذا كان هذا الموضوع غير موجود . أن الحقيقة لا تكون سوى شرطية . بحيث عندما يوجد الموضوع سنجده كذلك . وقد يسأل البعض أيضا على أى أساس يقوم هذا الارتباط ، ما دامت الحقيقة التى فى داخله لا تخدع ؟

ستكون الاجابة : أنها تكون فى علاقة الافكار . ولكن قد يسأل البعض محتجا أين ستكون هذه الافكار ، اذا لم يوجد أى ذهن ؟ وماذا سيصبح الأساس الحقيقى ليقين الحقائق الخالدة ؟

هذا يؤدى بنا الى الاساس الأخير للحقائق ، أى الى هذا الذهن السامى الكلى الذى لا يمكن أن ينقصه الوجود ، والذى يضم مملكة الحقائق الخالدة ، كما عرف ذلك القديس أوغسطين وعبر عنه بطريقة كلها حيوية وحتى لا يظن أحد أنه ليس من الضرورى أن نلجأ اليه ، يجب أن نعتبر هذه الحقائق الضرورية العلة التى تحدد المبدأ المنظم للموجودات

نفسها • وبالاجمال هى قوانين الكون ومع هذا . هذه الحقائق الضرورية لانها سابقة على وجودات الكائنات العرضية . يجب أن تكون مؤسسة فى جوهر ضرورى فيه أجد أصل الأفكار والحقائق المحفورة فى نفوسنا، ليس فى صورة قضايا وانما كمصادر تطبيقها وموضوعاتها ستولد الاعراض الحالية •



الفصـــل الثانى عشر

وســـائل زيـــادة معارفنـــا

غيـــــــلاليت :

١ ـ لقد تحدثنا عن أنواع المعرفة التى لدينا • نصل الآن الـى وسائل زيادة المعرفة أو الحصول على الحقيقة • هناك اعتقاد ســائد بين العلماء أن البديهيات هى أسس كل معرفة • وأن كل علم جزئى يقــوم على أشياء معينة معروفة فعلا •

٢ ـ اعترف أن الرياضيات تبدو أنها تفضل هذا المنهج لنجاحه • وقد سبق لك أن اعتمدت عليه ، ولكن مازلنا نشك أيهما يسْعد الطفــل الصغير فى معرفة أن جسمه أكبر من أصبعه :

هل هى الأفكار وارتباطاتها ؟ أم بديهية أو أكثر من البديهيات التى نفترضها منذ البداية ، مثل تلك التى تقرر أن الكل أكبر من الجزء ؟ لقــد بدأت المعرفة بالقضايا الجزئية ، ولكننا أردنا تخليص الذاكرة ، اعتمادا على الافكار العامة ، من كمية مزعجة من الافكار الجزئية • هل يمكن ، اذا كانت اللغة ناقصة وخالية من اللفظين : كل وجزء ، أن نعرف الجســـم أكبر من الاصبع ؟ أعتقد أن ما ستقوله يتفق مع ما سبق أن ذكره مؤلفى من مبررات •

تيوفيـــــل :

لا أعرف لماذا يحاول البعض التعرض كثيرا للبديهيات ويهاجموها ؟ أنها مفيدة جدا طالما تستخدم فى تفريغ الذاكرة من عدد من الافكار الجزئية ، وكما هو معروف ، حتى اذا لم يكن لها أى استخدام آخر • وأضيف الآن أنها لن تتولد عنها مطلقا ، لأننا لا نحصل عليها بالاستقراء:

ذلك الذى يعرف أن العشرة أكثر من التسعة ، وأن الجسم أكبر من الاصبع ، وأن المنزل كبير بحيث نستطيع الهروب من الباب ، يعـرف كل قضية من هذه القضايا الجزئية بناء على نفس السبب العام الذى أدمج فيه ، تماما كما نرى الخطوط مشبعة بالألوان ، بحيث تتشكل القضيـة أو المظهر أساسا من الخطوط أيا كان ، اللون . هذا السبب العـام هو البديهية نفسها المعروفة ضمنيا ، كما يقول ، وقد لا يكون كذلك فى بداية الأمر بطريقة مجردة ومنفصلة . الأمثلة تسـتمد حقيقتهـا من البديهية المدمجة بها . البديهية ليس لها أساس فى الأمثلة ونظـرا لأن هذا السبب العام لهذه الحقائق الجزئية يكون فى ذهن كل الناس ، يتضح جيدا أنها لاتحتاج لأن يكون لكلمتى كل وجزء وجود فى لغـة ذلك الذى يتعمقها .

فيـــــــلااليت :

٤ ـ أليس من الخطر أن نسمح بالافتراضات بحجة أنها البديهيات ؟ قد يفترض أحدنا مع بعض القدماء ، أن كل شىء مادى ، ويفترض آخـر مع بوليمون polémon أن العالم هو الله . ويؤكد ثالث أن الشمس هى المعبود الرئيسى ولك أن تحكم أى دينا ذلك الذى سنؤمن به اذا سلمنا بهذا الرأى . من الخطر حقا أن نقبل المبادىء دون أن نفحصهـا ، خاصة ، اذا كانت تهم الأخلاق ، لأن البعض يتوقع حياة أخرى تشـبه تلك التى قال بها ارستيب Aristippe (الذى يرجع الجمال الى ملذات الجسد ، أكثر من تلك التى قال بها أنتيسيب) Antisthéne الـذى يرجع سعادتنا الى الفضيلة وأرشيلوس Archélaus الذى قرر أن العدل والظلم ، الشرف أو الخيانة ، يحددها القانون وليست الطبيعة . سيكون لنا بدون شك مقاييس أخرى للخير والشر الاخلاقى ، خـلاف أولئك الذين عرفوا الالتزامات السابقة على أى دستور بشرى .

٥ ـ يجب اذن أن تكون المبادىء يقينية .

٦ ـ ولكن ، هذا اليقين لا يأتى الا من المقارنة بين الافكار ، ومن

ثم نحن لانحتاج لمبادىء أخرى . تبعا لهذه القاعدة وحدها سنذهب الى أبعد من اخضاع ذهننا لتقدير الآخرين .

تيوفيـــــل :

أنى مندهش ياسيدى ، أنك تعارض البديهيات ، وترفض المبادىء الواضحة ، بما يمكن أن تعارض أو ترفض ما يمكن أن نسميه المبـادىء الاعتباطية التى لا مبرز لها . عندما نطالب باستخدام المبادىء المعروفة مقدما ' praecognita ، فى العلوم أو المعارف التى تستخدم فى تأسيس العلم ، فاننا نطالب بمبادىء معروفة وليس بمواقف تعسفية لا نعـرف حقيقتها مطلقا ، حتى أرسطو قد قصد ذلك ، أى أن تستمد العلوم الدنيا والفرعية مبادئها من علوم أخرى هى ما نسميها ما بعد الطبيعة والتى هى فى نظره لا تحتاج لشىء من العلوم الاخرى ، بل هى التى تمدهم بالمبادىء التى يحتاجونها . وعندما نقول « على الصبى أن يعتقد فى معلمه » فان ما نقصده هو أنه لا يجب أن يفعل ذلك الا مؤقتـا وما دام غير مزود بالعلوم العليا ، أى لا يكون ذلك الا احتياطيا . ومع هذا كثيرا ما يتحاشى المرء تقبل المبادىء الاعتباطية التى لا مبرز لها . ومن ثـم يجب أن نضيف أنه ، حتى المبادىء التى يقينها ليس كاملا ، يمكن أن يكون لها استخدامها ، اذا كنا لا نقيم بناءنا الا على الاستدلال ؛ لأنـه مهما كانت النتائج فهى فى هذه الحالة ليست سوى شرطية وان تكـون ذات قيمة ما لم نفترض صدق هذا المبدأ ، غير أن هذا الارتباط نفسـه وايضاحاته الشرطية ستكون على الاقل مثبتة ، بحيث نتمنى تماما أن يكون لدينا العديد من الكتب المؤلفة بهذه الطريقة ، والتى لن يقع الطالب أو القارىء فى الخطأ ما دمنا أخبرناه بالشرط ، ولن تنظم الممارسة بنـاء على هذه النتائج الا بقدر ما يتحقق الافتراض فى موضع آخر . هـذا المنهج نفسه يستخدم أيضا فى تحقيق الفروض أو الافتراضات عندما يتولد عنه العديد من النتائج التى صدقها معروف فى مواضع أخرى ، وأحيانا يزودنا بالسبب الكافى لاثبات حقيقة الفرض . السيد كونرنج

Conring الطبيب المحترف،والمؤلف الممتاز فى جميع الموضوعات باستثناء الرياضيات ، كتب خطابا لصديق فى هلمستاد كان مهتما باعادة طبع كتاب فيوتوس Viottus الفيلسوف المشائى ؛ حاول فيه تفسير التحليلات لأرسطو . وقد أرفق الكتاب بالخطاب الذى تعرض فيه كونرنج لقول بابوس Pappus « ان التحليل يفترض اكتشاف المجهول بأن يفترضه ويصل بذلك الى حقائق معروفة ، وهذا لا يتفق مع المنطق (على حد قوله) الذى يعلمنا أنه لا يمكن أن نستنتج الحقائق من المغالطات ولكنى عرفته بعد ذلك أن التحليل يستخدم التعريفات والقضايا العكسية ، التى تزودنا بالوسيلة للرد والحصول على الاستدلالات التركيبية ، وحتى عندما لا يكون هذا الرد استدلاليا ؛ كما فى الفيزياء ، فلا يفوته أحيانا احتمال الصدق ، عندما يفسر الفرض بسهوله العديد من الظواهر التى تصعب بدونه ، وتكون مستقلة تماما بعضها عن بعض أنى أؤيد ، ياسيدى ، الحقيقة التى تقرر أن مبدأ المبادىء هو حسن الاستخدام للافكار والتجارب . ولكن عندما نتعمقها سنجد أنه بالنسبة للافكار هذا لن يكون سوى ربط التعريفات بواسطة البديهيات الذاتية ، ومع ذلك ليس بالامر السهل دائما أن نصل الى هذا التحليل الأخير . ومهما كانت رغبة علماء الهندسة والقدماء التى على الأقل ، قد تشهد بأنهم سعوا الى أن يصلوا الى النهاية ، فأنهم لم يستطيعوا ذلك ويسعدهم أن يتمكن المؤلف المشهور للبحث الخاص بالفهم الانسانى من اتمام هذا البحث الاصعب بكثير مما نظن . لقد وضع أقليدس مثلا البديهية التى تقول : « ان الخطين المستقيمين لا يستطيعا أن يتقابلا الا مرة واحدة فقط » . الخيال ، معتمدا على خبرة الحواس ، لا يسمح لنا بأن نتخيل أكثر من لقاء واحد للخطين المستقيمين . العلم لا يمكن أن يؤسس هكذا، واذا اعتقد شخص ما أن الخيال هذا يعطى ارتباطات للافكار المميزة فلن يكون على علم كافى بمصدر الحقائق ، وكمية القضايا التى يمكن اثباتها بأخرى تسبقها وبالتالى تصبح فى نقطة مباشرة . وهذا ما لم يلاحظه كثير من الذين يرددون أقوال أقليدس هذه الأنواع عن الصور

ليست سوى أفكارا غامضة • ومن لا يعرف الخط المستقيم الا بهذه الطريقة لن يستطيع أبدا أن يستدل منه شيئا • لهذا اضطر اقليدس ، لأنه ينقصه الفكرة المعبرة عنها بوضوح ، الى تعريف الخط المستقيم (لأن ما يقدمه مؤقتا كان غامضا • ولا يساعده فى الاستدلالات) بأن يرجعه الى بديهيتين أعتبرهما تعريفا واستخدمهما فى استدلالاته،احدهما أن الخطين المستقيمين ليس لهما أى جزء مشترك،الأخرى أنهما لا يشغلان فراغا • قدم ارشميدس طريقة لتعريف الخط المستقيم بقوله أنه الخط الاقصر بين نقطتين ، ولكنه يفترض ضمنيا (باستخدامه فى الاستدلالات عناصر مثل تلك التى استخدمها أقليدس المؤسسة على البديهيتين اللتين ذكرتهما) أن التأثيرات التى تتحدث عنها هذه البديهيات تناسب الخط الذى يحدده • وعلى هذا اذا أعتقدت مع أصدقائك ، بحجة ملاءمة أو عدم ملاءمة الافكار ، أنه كان من المسموح به وما زال أن نقبل فى الهندسة ما يمكن أن يقوله لنا الخيال دون أن نبحث عن دقة الاستدلال بواسطة التعريف والبديهيات التى قررها القدماء فى هذا العلم (هذا على ما أعتقد ، ما يعتبره العديد من الناس نقصا فى المعلومات) فانى أعترف لك يا سيدى أن من الممكن ان يرضى ذلك أولئك الذين يهتمون بالهندسة العملية كما هى ، وليس أولئك الذين يريدون الحصول على العلم الذى يكمل الممارسة • واذا كان القدماء من هذا الرأى وتساهلوا فى هذه النقطة فانى أعتقد أنه لم يكن من الممكن لهم أن يتقدموا ولم يتركوا لنا سوى هندسة عملية تشبه هندسة المصريين أو تلك التى ما زالت عليها هندسة الصينيين : هذا ما سيحرمنا من كثير من المعارف الفيزيقية والميكانيكية التى ساعدت الهندسة على اكتشافها والتى ما زالت مجهولة لدى كل من يجهل هندستنا • هناك كذلك ما يظهر أن اتباع الحواس والصور الخيالية ، يوقعنا فى الاخطاء تقريبا كما نرى أن كل من لم يتثقف بالهندسة الدقيقة ، معتمدة على الايمان الخيالى ، ان يشك مطلقا فى أن الخطين الذين يقتربان باستمرار بعضهما من بعض يجب أن يتلاقيا فى النهاية ، فى حين يقدم علماء

الهندسة أمثلة معارضة فى خطوط معينة يسموهها الخطوط المتقاربة Asymptotes ولكن علاوة على ذلك سنحرم مما أعتبره الاجدر بالتأمل فى الهندسة ، أى ذلك الذى يجعلنا نلمح المصدر الحقيقى للحقائق الخالدة والوسيلة التى تجعلنا نفهم ضرورتها ، وهذا ما لا يمكن للافكار الغامضة أن تجعلنا نراه بوضوح • قد تقول لى أن أقليدس اضطر طبعا لأن ينحصر فى بديهيات معينة لا نرى وضوحها الا عن طريق الصور الخيالية ، واعترف لك أنه انحصر فى هذه البديهيات ، ولكن من الافضل أن ينحصر فى عدد قليل من الحقائق لها هذه الطبيعة التى تبدو الابسط وأن نستدل منها غيرها ، مما هو أقل منها أهمية ، يقينا أن نترك للناس حرية بسط تكاسلهم حسب مزاجهم • انك ترى اذن يا سيدى أن ماقلته أنت وأصدقائك بالنسبة لعلاقة الافكار باعتبارها المصدر الحقيقى للحقائق فى حاجة الى تفسير • اذا أردت الاكتفاء بأن ترى بغموض هذا الارتباط فانك تضعف دقة الاستدلالات ، وقد أحسن أقليدس عندما أخضع كل شىء للتعريفات ولعدد قليل من البديهيات ، وأنه اذا أردت أن تظهر هذا الارتباط بين الافكار وان تعبر عنه بوضوح ستضطر الى اللجوء الى التعريفات والبديهيات الذاتية ، كما أطالب ، وستضطر أحيانا الى أن تكتفى ببعض البديهيات أقل أولية كما فعل أقليدس وأرشميدس عندما تجد صعوبة فى الوصول الى تحليل كامل ، وسيكون ذلك أفضل من أن تهمل أو تعدل عن بعض الاكتشافات الجميلة التى يمكن أن توصلنا اليها وكما قلت لك من قبل ياسيدى أنى أعتقد أننا ماكنا نحصل على هندسة (أقصد العلم الاستدلالى) اذا لم يكن قد رغب القدماء فى التقدم ولم يتوقفوا الى أن يثبتوا البديهات التى اضطروا الى استخدامها •

فيلاليت :

بدأت أفهم ما هو ارتباط الافكار المعروفة معرفة متميزة • وأرى جيدا أن هذه الطريقة تجعل البديهيات ضرورية وأرى أيضا بالنسبة للمنهج الذى نستخدمه فى أبحاثنا عندما نفحص الأفكار ، كيف يجب أن

يكون على نمط الرياضيات الذى يصعد بخطوات صغيرة وبتسلسل مستمر ابتداء من بدايات فعلية واضحة جدا وسهلة جدا (هى ليست سوى البديهيات والتعريفات) ليصل الى الاكتشاف والبرهنة على الحقائق التى تبدو ، من أول وهله أنها تفوق طاقة الانسان • فن الحصول على الادلة والمناهج المدهشة التى اخترعها لتوضيح وتنظيم الافكار المتوسطة هو الذى أدى الى الاكتشافات المذهشة وغير المتوقعة — ولكن معرفة أنه وخاصة تلك التى تتصل بالاحجام ، وهذا ما أريد تحديده ، فان فحص بمرور الزمن لن نستطيع اختراع منهج مشابه يخدم الافكار الأخرى ، هذه الافكار الاخرى وفق مناهج الرياضيين العادية سيدفع أفكارنا الى أبعد بكثير مما يمكن أن نتصور •

٨ — وهذا يمكن أن يحدث مثلا فى الأخلاق ، كما سبق أن قلت أكثر من مــرة•

تيوفيـــــــل :

آعتقد أنك على حق ياسيدى وأنى على استعداد منذ زمن لأن أبدأ فى تحقيق تنبؤاتك •

فيـــــلاليت :

٩ — بالنســبة لمعرفة الأجسام يجب أن تتخذ طريقا عكسيا تماما لأننا لا نملك أى أفكار عن ماهيتها الحقيقية ، ومن ثم نضطر الى اللجوء الى التجربة •

١٠ — ومع ذلك لا أنكر أن الشخص الذى تعود على عمل التجارب المعقولة والمنظمة ، لن يكون قادرا على تشكيل التخمينات الدقيقة أكثــر من غيره نظرا لخصائصها المجهولة • ولكن هذا سيكون حكما ورأيا وليس بمعرفة ويقين • هذا يجعلنى أعتقد أن علم الطبيعة غير قادر على أن يصبح علما فى متناول أيدينا • ومع ذلك من الممكن أن تخدمنا التجــارب والملاحظات التاريخية بالنسبة لصحة أجسادنا ورفاهية الحياة •

تيوفيـــــــل :

مازالت متفقا معك فى أن علم الطبيعة لن يكون علما كاملا وفى متناول أيدينا ولكن هذا لا يمنع من امكان الحصول على علم طبيعة ، بــل قــد حصلنا فعلا ، على نماذج منه ، مثلا دراسة المغناطيسية يمكن أن تصبـــح هذا العلم ، لأنتابغتليل مق الافتراضات المدعمة بالتجارب أمكننا أن نثبت قدرا معينا من الظواهر التيتحدث متفقة تماما مع ما يقرره العقل. لا يجب أن تأمل تبرير كل الخبرات ، جتى الهندسيات لم تثبت بعد كل بديهياتها، ولكنها أيضا تقنع باستدلال عدد كبير من النظريات بناء على عدد قليل من مبادىء العقل . كذلك الأمر بالنسبة لعلماء الطبيعة ، يكفى أن يبرروا بواسطة بعض مبادىء التجربة قدرا من الظواهر وأن يعتمدوا عليها فى التنبؤ فى مجال الممارسة .

فيــــــلاليت :

اذن ، ما دامت ملكاتنا غير مهيأة لادراك البناء الداخلى للأجسام فلا بد من الحكم بأنه يكفى أن تكشف لنا وجود قدر من معارفنا عن أنفسنا وتعلمنا واجبنا واهتمامنا الأكبر بالخلود . أعتقد أن من حقى أن استدل من ذلك أن «الاخلاق هو العلم الخالص والعمل الكبير للبشر بوجه عام ، كما استدل من جهة أخرى أن الفنون المختلفة التى تتصل بأجزاء مختلفة من الطبيعة تهتم بالجزئيات » ويمكن القول أن جهل أمريكــا بكيفية استخدام الحديد قد أدى الى حرمانها من التمتع بالعديد من الخيرات التى تزودها بها الطبيعة . وعلى هذا فانى بعيد تماما عن احتقار علم الطبيعة .

١٢ ــ أنى أتمسك بأنه اذا أمكن توجيه هذه الدراسة كما يجب ، ففى امكانها أن تكون ذات نفع أكبر للجنس البشرى مما تم حتى الآن ، أن ذلك الذى اخترع المطبعة والذى اكتشف البوصلة والذى عرف فائدة الكينا ، قد ساهم أكثر فى انتشار المعرفة وتقدم الكماليات المفيدة

للحياة • وأنقذ الكثير من البشر مما فعل مؤسسى المدارس والمستشفيات وغـيرها من المؤسسات ذات الرحمـة الملحوظة والتى تكلفت الكثير فى تشـييدها •

تيوفيـــــــل :

لا يمكن القل ، ياسيدى ، أكثر من هذا لكى ترضينى • أن الاخلاق الحقيقية والعناية تدفعنا الى تنمية الفنـون ، بعيدا عن أى تشـجيع كل أصحاب المذهب الطمأنينى quiétistes الخامل • وكما سبق أن قلت منذ قليل : السياسة الجيدة قادرة على أن توصلنا ذات يوم الى طـب أفضـل بكثير مما هو عليه الآن • هذا ما يمكن أن نوصى به بعد العنايـة بالفضيلة •

فيـــــلاليت :

مع أنى أوصى بالتجربة فانى لا أحتقر الفروض المحتملة التـى يمكنها أن توصلنا الى اكتشافات جديدة وهى على الاقل ذات سند كبير للذاكرة • ولكن قد يتسرع الذهن ويسلم ببعض المظاهر الخفيفة تجنبـا للجهد والوقت اللازم لتطبيقهـا على عدد من الظواهر •

تيوفيـــــــل :

فن اكتشاف أسباب الظواهر أو الفروض الحقيقية ، شأنه شـأن فن حل الرموز ، غالبا ما يختصر أحد التخمينات العميقـة ، لقـد بدأ بيكون هذا الطريق بصياغة فن التجريب فى قواعد ، واستطاع الفارس « بويل » Boyle بمهارته أن يمارسه • ولكن اذا لم نربطه بفـن استخدام التجربة فلن نصل ، ولو تكلفنا الكثير - الى مايمكن أن يصـل اليه ، من أول وهله ، الرجل القادر على العمق • ذكر « ديكارت » ، الذى كان بالتأكيد هذا الرجل ، ملاحظة مشابهة فى احدى رسائله الخاصـة بالمنهج الى كل من مستشار انجلترا وأسبينوزا (الذى لا أجد صعوبـة فى ذكر ما يقوله من أشـياء طيبة فى احدى رسائله الى المرحـــوم

أولدنبرج Oldenbourg سكرتير الجمعية الملكية فى انجلترا ــ والمنشورة ضمن أعمال هذا اليهودى الماهر التى نشرت بعد وفاته ، لقد تعرض لفكرة قريبة وتتصل بعمل السيد بويل والتى ــ أقول الحق ــ تجعلنا نكتفى بذكر ، من بين عدد لا حصر له من التجارب الجميلة ؛ المبدأ الذى يقرر « أن كل شىء يتم آليا فى الطبيعة » وهو مبدأ يمكن أن نتأكد منه بالعقل وحده ، وليس بالتجارب مطلقا ، أيا كان عددها •

فيلاليت :

١٤ ــ بعد أن قررنا الأفكار الواضحة والمتميزة بأسماء ثابتة يصبح فن الحصول على الافكار المتوسطة ، هو الوسيلة الكبرى لنشر معارفنا ورؤية الارتباط أو عدم الاتفاق بين الأفكار النهائية • المسلمات لا يمكنها على الاقل أن تمدنا بها • لنفرض أن شخصا ليس لديه فكرة دقيقة عن الزاوية القائمة فانه سيضطرب عندما يحاول دون جدوى اثبات أى شىء عن المثلث القائم الزاوية • وأيا كانت المسلمات التى نستخدمها سنجد صعوبة فى الوصول بمساعدتها الى اثبات أن مربعات هذه الاضلاع التى تحتوى الزاوية القائمة تساوى مربع الوتر • يستطيع الانسان أن يقلب طويلا هذه المسلمات على وجوهها دون أن يصل الى الوضوح فى مجال الرياضيات •

تيوفيل :

لن يفيد تغليب المسلمات على وجوهها ما لم نحصل على تطبيقاتها تستخدم المسلمات أحيانا فى ربط الافكار ، مثلا هذه المسلمة التى تقول أن الامتدادات المتشابهة للبعدين الثانى والثالث تكون ضعف وثلاثة أمثال الامتدادات المتصلة بالبعد الأول • وهى ذات استخدام كبير فى تربيع الدائرة الهلالية Lunule التى قام بها هيبوقراط ، أولا فى حالة الدوائر بأن نربط بها تطبيق أحدهذين الشكلين على الآخر ،حيث وضعهما المعطى يقرر الاتفاق فى حين تلقى عليها مقارنتهما المعروفة الأضواء •

الشخصيات

(١) Aristippe : ولد فى Cyréne وازدهر حوالى سنة ٣٨٠ق . م . تلميذ سقراط .

(٢) Antisthene : مؤسس مدرسة الكلبين ، ولد فى اثينا حوالى سنة ٤٢٢ ق . م وتوفى حوالى سنة ٣٦٥ ، كتب عددا كبيرا من الكتب ذكر « لاكرات » Lacrate عناوينها ولم يبق منها سوى شذرات .

(٣) Archelaus : فيلسوف ايونى واستاذ سقراط .

(٤) Conring : طبيب وصاحب مصنفات فى مواد مختلفة مشهور فى القرن ١٧ ولد فى Norden سنة ١٦٠٦ وتوفى فى خلمستاد بالسويد سنة ١٦٨١ ونشر عددا كبيرا من الاعمال فى الطب والسياسة .

(٥) Pappus : فيلسوف ورياضى من الاسكندرية . عاش فى حكم نيودرس الكبير حوالى سنة ٣٨٠ لدينا من اعماله « مجموعاة رياضية » فى ثمانية كتب (ما عدا الاولين) نشرت فى Pesaro سنة ١٥٠٨ وفى بولونيا سنة ١٦٦٠ وعديد من الاعمال الرياضية الأخرى .

(٦) **بيكون** : فيلسوف انجليزى مشهور ولد فى لندن سنة ١٥٥٠ وتوفى فى نفس المدينة سنة ١٦٢٦ كان مستشارا لانجلترا . اهم اعماله Instrauratio Magna : الجزء الاول منه de Dignitate Scientiarem سنة ١٦٢٣ والجزء الثانى الاورجانون الجديد سنة ١٦٢٠ ، ابحاث فى الاخلاق والسياسة (بالانجليزية) نشرت اعماله الكاملة عدة مرات لندن سنة ١٧٣٠ فى ٤ مجلدات ، ١٧٦٥ فى ٣ مجلدات ، سنة ١٨٣٦ — ١٨٢٥ فى ١٢ مجلد وهى الاكمل . وفى فرنسا نشر Bouillet الاعمال الفلسفية فى ٣ مجلدات ونشر A. Lassalle سنة ٨٠٣/٨٠٠ اعماله مترجمة الى الفرنسية فى ١٥ مجلد .

(٧) **ديكارت** : اهملنا حتى الآن تلخيص حياة واعمال هذا الفيلسوف المشهور الذى ولد فى لاهاى بالتورين سنة ١٥٩٦ وتوفى فى ستوكهلم سنة ١٦٥٠ . قضى فى هولندا معظم حياته . اهم اعماله : مقال فى المنهج سنة ١٦٣٧ ، تأملات فى الفلسفة الاولى سنة ١٦٤٤ ترجمها الى الفرنسية الدوق ليونز Luynes سنة ١٦٤٧ فى باريس . انفعالات النفس سنة ١٦٤٩ ، مبادىء الفلسفة سنة ١٦٤٤ ترجمها الى الفرنسية Pacot سنة ١٦٤٧ . توجد عدة طبعات لاعماله الكاملة اقدمها طبعة امستردام سنة ١٦٨٣ — ١٦٧٠ فى ٨ مجلدات . وأحدثها طبعة كوزان سنة ٢٦ — ١٨٢٤ فى ١١ مجلد باريس .

(٨) **اسبينوزا** : فيلسوف مشهور ولد في امستردام سنة ١٦٣٢ من سرة يهودية برتغالية وتوفى سنة ١٦٧٧ : أهم اعماله مبادىء الفلسفة لديكارت سنة ١٦٦٣ ، ورسالة لاهوتية بسياسية واعماله التى نشرت بعد وفاته : الاخلاق ، رسالة سياسية ، اصلاح الذهن توجد طبعتان كاملتان لاعمال اسبينوزا ، طبعة Paulus سنة ١٨٠٣ فى Iena وطبعة Gfroerer سنة ١٨٣٠ وظهر سنة ١٨٦٢ فى امستردام مجلد يضم اعمال غير منشورة . ترجم اعماله الى الفرنسية E. Saisset فى مجلدين سنة ١٨٤٢ .

(٩) **اولدنبرج** : Oldenbourg سكرتير الجمعية الملكية فى لندن نشر الاعمال الفلسفية للفترة من ١٦٦٤ الي ١٦٧٧ وترجم الى الانجليزية كتاب نيقولا شيتسون « Prodromius de Solidis.

الفصـــل الثالث عشر

اعتبـــارات أخرى تخص معرفتنـــا

فيـــــلاليت :

١ ـ قد يكون من المناسب أيضا أن نضيف أن معرفتنا تتصـــل (بالنظر) بالرؤية la vue ، وهى فى هذا المجال كما في أشيـــاء أخرى ، لا هى ضرورية كلية ولا هى ارادية تماما لا يستطيع الانســـان أن يكف عن الرؤية عندما يفتح عينيه أمام الضوء ولكنه يستطيع أن يحول بصره عن موضوعات معينة •

٢ ـ اعتبارها بكثير أو بقليل من التطبيق • وهكذا عندما تطبـــق الملكة فلن يعتمد الامر على ارادة تحديد المعرفة . تماما كما أن الانســـان لن يستطيع أن يمنع نفسه من رؤية ما يرى وانما يلزمه اســـتخدام الملكات كما يجب حتى يتعلم •

تيوفيـــــــل :

لقد تكلمنا فيما مضى عن هـــذه النقطة وقررنا أنها لا تتطلب من الانسان أن يمتلك هذا الاحساس أو ذاك فى الحالة الحاضرة ، ولكنهـــا تتطلب منه أن يستعد للحصول عليها أو لعدم الحصول عليها ، وكذلك الأمر بالنسبة للإعتقادات التى لن تكون اختيارية الا بطريقة غير مباشرة•

الفصل الرابع عشر
الحكم

فيلاليت :

١ ـ يجد الانسان نفسه غير محدد فى معظم أفعال حياته . اذا لم يكن لديه ما يرشده عندما تنقصه المعرفة اليقينية •

٢ ـ يلزمنا أحيانا أن نقنع باحتمال بسيط معتم •

٣ ـ الحكم هو الملكة التى نستخدمها أحيانا • قد نقنع به بالضرورة ولكن أحيانا لنقص فى الهمة أو الصبر أو المهارة •

٤ ـ نسميه تصديقا أو عدم تصديق عندما يوجد تخمين ، أى عندما نسلم بصدقه قبل الحصول على الدليل ، فاذا اتفق مع حقيقة الاشياء أصبح الحكم صوابا •

تيوفيل :

آخرون يطلقون كلمة « حكم » على الفعل الذى نفعله فى كل مرة ننطق بعد معرفة السبب ، وهناك أيضا آخرون يميزون بين الحكم والاعتقاد ، كما لو أنه لا يجب أن يكون يقينا • ولكنى لا أريد محاكمة أحد بالنسبة لاستخدام الكلمات ومن المسموح لك ياسيدى أن ننظر الى الحكم على أنه شعور محتمل • أما بالنسبة للتخمين ، وهو اصطلاح قانونى ، فان الاستخدام الصحيح لديهم يميزه عن الظن ؛ أنه شىء أكثر ويجب أن نعتبره صوابا بصفة مؤقتة الى أن نثبت العكس ، بينما يجب أن نقارن بين العلامات أو الظنون وأن نقابل بينها أحيانا • وهكذا فان ذلك الذى يعترف بأنه استدان مبلغا من شخص آخر فمن المسلم به ضرورة سداده ما لم يثبت أنه قد سدده فعلا ، أو أن الدين قد سقط بناء على مبدأ آخر • لن يكون التخمين اذن ، فى هذا المعنى ، التسليم قبل الدليل وهو بهذا المعنى غير مسموح به ، وانما يعنى الاخذ مقدما ولكن بناء على أساس انتظارا لدليل مناقض •

الفصـــل الخامس عشر

الاحتمـــــــال

فيـــــلاليت :

١ ـــ اذا أظهر الاستدلال الارتباط بين الافكار ، فان الاحتمـال لن يكون سوى ظاهر هذا الارتباط ، قائما على أدلة لا تظهر أبدا الارتباط الثـــابت •

٢ ـــ توجد عدة درجات من التصديق ابتداء من اليقين الى التخمين فالشك وعدم الثقة •

٣ ـــ عنـــدما نحصل على اليقين يوجد حدس • فى كل أجـزاء الاستدلال يظهر الارتباط ، ولكن ما يجعلنى أعتقـــد سيكون شـــيئا آخر تماما •

٤ ـــ ولكن الاحتمال يقوم على اتفاقات مع ما نعرف أو على شهادة الذين يعرفونه •

تيوفيـــــــل

أفضل التمسك بأنه يعتمد دائما على ما يبدو صادقا أو على الاتفاق مع الحقيقة ، وشـــهادة الآخرين أمر آخر اعتاد الصدق أن يحصل عليه بالنسبة للوقائع التى فى متناوله • يمكن اذن القول أن تشابه المحتمل مع الحق يؤخذ أما على الشىء نفسه أو من شىء آخر غريب عنه • يقرر علماء البلاغة نوعين من الحجج : صناعية نستمدها من الأشياء بالاستدلال ، وغير صناعية لا تقوم الا على شـــهادة خاصة من الانسان أو ربما الشىء نفسه • ولكن هنـــاك أيضا ما هو خليط ، لأن الشـــهادة يمكن أن تزودنا هى نفسها بواقع يمتد ليشكل حجة صناعية •

فيـــلاليت :

٥ ــ أن التشــابه بالحق هو الذى يجعلنا لا نصدق بســهولة كل ما هو غير قريب من معارفنا • وهكذا عنــدما يقول السفير للملك سيام أن المــاء يتجمد فى بلده فى الشــتاء بحيث يستطيع الفيل السير عليها دون أن يغوص • فان الملك يرد : لقد كنت أعتقد أنك رجل ســليم العقل والآن أرى أنك تكذب •

٦ ــ ولكن اذا استطاعت شــهادة الآخرين أن تجعل الواقع محتملا ؛ فمن الواجب اتخاذ رأى الآخرين أساسا حقيقيا للاحتمال • لأنه يوجد لدى الناس من الأخطاء أكثر مما لديهم من معرفة ، واذا اعتبرنا الثقة فى أولئك الذين نعرفهم ونقدرهم أساسا مشروعا للشعور فسيكون من حق الناس أن يكونوا ملحدين فى اليابان ومن أتباع محمد فى تركيا ؛ وبابويين papistes فى أســبانيا وكالفانيين فى هولنــدا ولوثاريين فى الســويد •

نيوفيـــل :

شــهادة الناس لها وزنها بدون شك أكثر من رأيهم وهذا ما يلاحظه أكثر فى العدالة حيث تتطلب تفكيرا أكثر ومع ذلك نعرف أن القاضى يطلب أحيانا حلف اليمين على صدق ما يقال أو كما يسمونه Oath de Credulitaté ، ولأنه فى التحقيقات غالبا ما يطلب من الشــهود ليس فقط ذكر ما رأوا وانما أيضا حكمهم عليــه والمبررات التى دفعتهم الى هــذا الحكم • يختلف القضاه أيضا عن مشاعر وآراء الخبراء فى كل مهنة ، الأفراد ليسوا مضطرين الى ذلك ، ماداموا غير ملزمين بالوصول الى الفحص الدقيق • وهكذا فالطفل والرجل الذى لا يهمه كثيرا الأمر ، مضطر عندما يجد نفسه فى موقف معين ، أن يتبع دين بلده طالمــا لا يمسه بسوء وطالما ليس فى حالة تحثه على البحث عن دين أفضــل وكذلك مربى الأمراء ، أيا كان الحزب الذى ينتمى اليه ، سيجبرهم على

الذهاب الى الكنيسة التى يذهب اليها الذين يقتنعون بمذهبه • يمكن أن نحسم النزاع القائم بين السيد نيقولا Nicole والآخرين حول حجج التجديد من أمور الايمان والتى قد يختلف البعض معه فى جزء منها فى حين لا يهتم بها البعض الآخر الاهتمام الكافى هنــاك أحكام سابقة أخرى يمكن أن نعفى الناس من مناقشتها وهى ما يسميها Tertullien فى بحثه الخاص Preseriptions (الأنظمة القانونية) • بالتعليمات مستخدما لفظا كان يقصد به الفقهاء القدماء عدة أنواع من الاستثناءات والادعاءات الغريبة والمبادرات ، ولا يقصد بها اليوم سوى الأنظمة القانونية المؤقتة عندما نرفض دعوى الآخرين لأنهم لم يتقدموا بهــا فى الموعد المحدد قانونا • وهكذا نجد ما يمكن أن يكون حكما مسبقا مشروعا ، سواء يؤيد الكنيسة الرومانية أو الكنيســة البروتستنتية • لقد وجدت وســـيلة لمقابلة التجديد لدى هؤلاء أو أولئك فى اعتبارات معينة مثل ترك البروتستنت التنظيمات القدمية للكنسيين ، وعندما غير الرومانيون مجموعة الشرائع المذكورة فى الكتاب المقدس للعهد القديم ، كما ظهرت بوضوح فى النقاش الذى ســجله الاشيدوق دى مو والذى صاغ منذ عــدة أيام حسب ما وصلنى من أخبار • وهكذا كانت الاتهامات متبادلة ، أن التجديد لأنه يثير بعض الخطأ لن يكون دليلا أكيدا فى هذه الأمور •

١ — Jacgué - Boussuet أسـقف دى مو de Meaux ولد فى ديجون سـنة ١٦٢٧ وتوفى سـنة ١٧٠٤ فى باريس . أهم أعمـاله الفلسفية : معرفة الله والذات ، مقال عن التاريخ العالمى ، المنطق . حرية الاختيـار .

٢ — Tertullien أحد آباء الكنيسة اللاتينية ولد فى قرطاجة سـنة ١٦٠ وتوفى سـنة ٢٤٥ . وانتهى بالسقوط فى بدعة مونتان . أهم أعماله : الدفاع apologie عن عبادة الأوثان ، عن حياة العذارى .

٣ — نيقولا (بيير) :

فيلسوف ولاهوتى من أتباع البورت رويال . ولد سـنة ١٦٢٥ وتوفى سـنة ١٦٩٥ عمله الرئيسى هو : أبحاث فى الأخلاق والتعاليم اللاهوتيـة .

Essais de morale et instructions theologiques.

منها ستة مجلدات عن الأخلاق . وكتاب المنطق أو فن التفكير الذى شارك أرنولد فى كتابته .

الفصـــل السادس عشر
درجات التصـــديق
Degrées dàssenti ment

فيـــلاليت :

١ — فيما يتعلق بدرجات التصديق يجب ملاحظة أن أسس الاحتمال التى لدينا لا يتجاوز الظاهر الذى نجدها فيه أو التى وجدناها فيهـــا عندما فحصناها ، لأنه يجب الاعتراف أن التصديق لن يستطيع أن يكون دائمـــا مؤسسا على رؤية فعلية كما يحدث للعقول التى لها ذاكرة مدهشة والقادرة على الاحتفاظ دائمـــا بكل الأدلة التى امتلكتها فى شـــعور معين ، والتى أحيانا تملأ مجلدا عن سؤال واحد يكفى أن يدققوا فى المـــادة بعناية وجد ، وأن يكونوا قد أوقفوا العد ، على حد قولهم .

٢ — بدون هـــذا يلزمنا أن يصبح الناس شكاكا أو أن يغيروا رأيهم فى كل لحظـــة لكى يردوا على كل انســـان ، يكون قد فحص الموضوع منـــذ قليل ، يقترح عليهم حججا لن ترضيهم تماما فى هـــذه اللحظة ، أما لعجز الذاكرة أو التطبيق على مهل .

٣ — يجب الاعتراف ان هـــذا يجعل الناس أحيانا يعاندون فى الخطأ ، ولكن العيب ليس فى أنهم يعتمدون على ذاكرتهم ، وانما فى انهم أساءوا الحكم من قبل ، لأنه قد يتاح أحيانا للناس فرصة من الفحص والتعقل تجعلهم يلاحظون أنهم لم يفكروا بعكس ذلك مطلقا . وقد اعتاد أولئك الذين يفحصون اعتقاداتهم أقل فحص أن يرتبطوا بها أكثر ، ومع ذلك فان الارتباط بما قد نرى يصبح مشروعا ، وان كان غير مشروع دائمـــا فيما يتصل بما نعتقد ، لأن من الممكن أن نهمل اعتبارا ما كفيل بان يهدم كل شىء . وربما قد لا يوجد شخص فى العالم لديه المهلة والصبر والوسائل ليجمع كل الأدلة المؤيدة لهذا الطرف أو ذاك

فى كل الأسئلة ، أو أن يملك من الآراء ما يجعله يقارن بين هــذه الأدلة ويستنتج بيقين أنه لا ينقصه شىء لم يعرفه ليصل الى معرفة شاملة • ومع ذلك العناية بحياتنا لا يمكنها أن تنتظر ، ومن الضرورى تماما أن يتحدد حكمنا على أمور ليس فى مقدورنا أن نصل فيها الى معرفة يقينية •

تيوفيـــــــل :

كل ما ذكرنه حتى الآن يا سيدى . طيب وقوى . ومع ذلك مازلنا نتمنى أن يكون لدى الناس : فى لقاءاتهم ، مختصرات مكتوبة توضح الأسباب التى حملتهم على الاحساس بنتيجة ما . والتى يرون أنهم مضطرون لأن يبرروها لأنفسهم أو لغيرهم فيما بعد • وعلى أى حال لم نتعود ، فى مجال العدالة . على أن نتراجع عن الأحكام التى صدرت أو أن نراجع حساباتنا النهائية (والا ستظل دائمــا فى قلق وسيصبح من غير المحتمل عدم الاحتفاظ دائمــا بملاحظات عن الأشــياء الماضية) ومع ذلك فقد نضطر بناء على أيضاحات جديدة الى الالتجاء الى المحكمة وتقــديم ما يســمى بدعوى الاسترداد restitution in integrum ضد ما كان مقررا ، وحتى فى أمورنا الخاصة ، وبالذات تلك التى يمكن أن نتراجع فيها أو التى لن يؤذينا أن نتوقف أو نتقدم حسب هوانا • ان قرارات ذهننا المؤسسة على الاحتمالات لا يجب أبدا أن تكون ثابتة ، وأن نكون مستعدين لمراجعة تفكيرنا عندما تواجهنا اعتراضات جديدة • ولكن عندما لا نجد الوقت للتروى فمن الواجب اتباع الحكم الذى صدر ، بكل صراحة كما لو كان معصوما ولكن بدون تعنت[1] •

فيـــــلاليت :

٤ ــ من جهة أخرى لا يستطيع الناس أذن تفادى الخطأ عندما يحكمون أو يحصلون على مشاعر متنوعة ، طالمــا لم يستطيعوا النظر

---

(١) ديكارت : مقال فى المنهج جـ ٢ « مسلمتى الثانية أن أكون الأكثر صرامة وحزما فى الأفعال التى استطيعها والا اتبع باستمرار الاعتقادات المشكوك فيها مادمت قد قررت ذات مرة أنها اكيدة تماما » .

الى الأشــياء من نفس الزوايا ، عليهم أن يوائموا بينهم وبين واجبات الانســانية المتصلة بهذا التنوع من الاعتقادات ، والا يلزموا أى فرد بتغيير موضوعات اعتقاده بناء على اعتراضهم ، خاصــة اذا كان لديه الفرصة لتصور أن الشخص الذى يعارضه يتصرف بناء على مصلحة أو حماس أو أى دافع شخصى آخر وفى أغلب الأحيان أولئك الذين يعرضون على الآخرين ضرورة الخضوع لمشاعرهم لا يحسنوا فحص الأمور ، لأن أولئك الذين يتقدمون فى المناقشة بما فيه الكفاية ليخرجوا من الشك ، وهم قلة قليلة ، سيجدون أن الأمور التى يلومون غيرهم من أجلها من القلة بحيث لا تستحق أستخدام العنف من جانبهم .

تيوفيـــــل :

حقا أن الجدير باللوم ليس اعتقادات البشر وانما حكمهم المتهور فى لوم الآخرين ، كأنما من الضرورى أن يكون غبيا أو شريرا ذلك الذى يحكم بخلاف ما نحكم به . هــذه الأمور التى ينشرها أصحاب الانفعالات والكراهيات وسط الجمهــور نتيجة ذهنهم المتغطرس والظالم والمحب للسيطرة ولا يقبل أى معارضة . حقا أن هــذا لا يعنى عدم وجود أى مبرر للوم معتقدات الآخرين ، وانما يجب أن يتم ذلك فى جو يتفق ويتلاءم مع الضعف البشرى كما أن من الصواب الاحتياط ضد النظريات السيئة التى تؤثر على السلوك والمعتقدات العملية ، ولكن يجب الا ننسبها الى الناس والى أحكامهم المسبقة دون أن يكون لدينا المبررات القوية لذلك . واذا كانت العدالة تطلب منا أن نصفح عن البشر فان التقوى تتطلب الاحتجاج على الآثار السيئة لمعتقداتهم عندما تكون ضارة ، كتلك المعتقدات التى تعارض عناية الله العادل والحكيم والخير ، أو التى تعارض خلود الأرواح أو التى تجعلهم يتأثرون بعدالته ، ناهيك عن المعتقدات الخطيرة الأخرى التى تتصل بالأخلاق والسياسة والتى لن نتحدث عنها . أعرف رجالا ممتازين وحسنى النية يقررون أن تأثير هذه المعتقدات النظرية على الممارسة أقل من تأثيرها على الفكر . وأعرف أيضا

أشخاصاً لن تسمح لهم مواقفهم بأن يتأثروا بهذه المعتقدات ؛ كما أن أولئك الذين توصلوا الى هـذه الأخطاء بالـأمل ، قد اعتادوا بطبيعتهم على الابتعاد عن الخطايا التى يتعرض لها البشر بوجه عام ، الى جانب حرصهم على مكانة الطائفـة التى يتزعموها . يمكن القول أن ابيقور وأسبينوزا مثلا كانا نموذجا لذلك . لكن هـذه الأسباب غالبا ما تزول لدى تلاميذهم وأتباعهم الذين يظنون أنهم قد تحرروا من الخوف الفظيع من العناية التى تراقبهم والتى تهدد مستقبلهم فيطلقون العنان لانفعالاتهم البهيمية ويوجهوا ذهنهم الى اغراء وافسـاد الآخرين ، واذا كانوا متحمسين وفى مواقف قاسية ففى مقدورهم : أرضاء لسرورهم أو تقدمهم ان يشعلو النار فى أركان الأرض الأربعة ، وهـذا ما علمته عن سلوك بعضهم ممن أختطفهم الموت . لاحظت كذلك ان أمثال هـذه المعتقدات تتسلل تدريجيا فى أذهان رجال ذوى مستوى عالى ويحكمون غيرهم ويعتمد عليهم فى تصريف أمور الآخرين ، مما يجعلهم ينزلقون الى الاطلاع على الكتب الشـائعة ويهيئوا كل شىء للثورة العـامة التى تهدد أوروبا وتكمل هدم كل مازال باقيا فى العالم من مشاعر كريمة كانت سائدة لدى الأغريق القدماء والرومان الذين فضلوا حب الوطن والخير العام واهتموا بمستقبل الأجيال القادمة بل وبالحياة ، هـذه الشخصيات العامة كما يسميها الانجليز ، قد تضاءلت جـدا ولم تعد سائدة وسوف تتضاءل أسرع عندما لن تساندهم الأخلاق المقابلة والتى بدأت تسود .

لا يملك أى مبدأ سوى ذلك الذى يسمونه بتشرف ، ولكن علامة الرجل الشريف أو الطاهر فى نظرهم هى ألا يفعل الدنايا كما يفهمونها ؛ أما اذا سفك أحدهم طوفانا من الدم أو قلب كل شىء رأسا على عقب ، فى سبيل تحقيق ثروة أو تدعيم سلطته فلن يكون بذلك مسيئا ، بل قد يعتبر بطلا كما كان الحال بالنسبة لهيرومستراتس[1] Herostratus قديما ودون جوان فى وليمة ببير لموليير فى الحاضر . أنهم يسخرون

---

(1) Herostratus : من افسوس اشعل النار فى معبد Artemis فى افسوس ليلة ولادة الاسكندر الاكبر سنة ٣٥٦ من أجل ان يصبح مشهورا .

بوقاحة من حب الوطن ويحقرون أولئك الذين يهتدون بالجمهور ، واذا تحدث رجل حسن النية عما يحدث للأجيال المقبلة ردوا عليـه : سوف نرى ذلك عندما يحين الوقت من الممكن أن يمارس هؤلاء الأشخاص نفس الشرور التى ظنوا أنها تخص غيرهم وعلى أى حال اذا أمكن علاج الذهن من هـذا المرض المنتشر والذى بدأت تظهر أثاره السـيئة ، ربما أمكن منع الشرور ، أما اذا استمر فى التزايد فسوف يعالج الله البشر بالثورة التى يجب أن تنبع هى أيضا من ذلك لأنه أيا ما حدث فكل شىء سوف ينتهى الى الأحسن بوجه عام فى نهاية الأمر مع أنه قد لا يحدث ولا يجب أن يحدث بدون عقاب حتى أولئك الذين ساهمو فى الخير بأفعالهم السيئة أعود الآن من استطرادى الذى تعرضت فيه للمعتقدات الصادقة والذى دفعنى اليه حديثنا عن حق لومهم • لكن فى اللاهوت ذهب اللوم الى أبعد من هـذا ، فأولئك الذين يظهرون مزايا اعتقادهم الأورثوذكس يتهمون خصـومهم بما يتهم بـه التوفيقيون syncrétistes خصومهم ، وقد ولد هـذا الاعتقاد حروبا أهليـة بين المتشددين والمتسامحين فى داخل نفس الحزب الواحد • ومع ذلك ، فانه شأنه شأن تحريم الخلاص الأبدى على الذين يعتقدون اعتقادا آخر ؛ يتم بناء على حقوق الله ومن ثم فلن ينوقع أحكم هؤلاء الذين يصدرون هـذه الأحكام سوى الهلاك للأرواح الهائمة ويتركون لرحمة الله الفريدة الحكم على أولئك الذين يعجزهم خبثهم عن الاستفادة منها ، أما هم فيعتقدون أنهم مضطرون الى بذل كل جهد يمكن تصوره ليخرجوهم من هـذه الحالة الخطيرة • اذا توصل هؤلاء الأشخاص الذين يحكمون هكذا بهلاك الآخرين ، الى هـذا الاعتقاد بعد فحص دقيق واذا لم توجد وسـيلة لتحريرهم من وهمهم ، فلن نستطيع اوم سلوكهم طالمـا لم يستخدموا سوى وسائل الرأفة • ولكن ان ذهبوا الى أبعد من ذلك فقد اعتدوا على قوانين العدالة • لأنه يجب أن يفكروا فى أن الآخرين لهم اعتقاداتهم أيضا ولديهم الحق فى التمسك بمشاعرهم بل ونشرها اذا آمنوا بأهميتها • يجب استثناء الاعتقادات التى تحث على

الجريمة التى يجب أن نقضى عليها ولو بالعنف : اذا لم يستطع تنفيذ ذلك القادرين عليها ، كما أن من حقنا أن نقضى على الحيوان السام ولو كان بريئا • ولكنى أقصد القضاء على الطائفية وليس على البشر ، طالما يمكن منعهم من أن يصبحوا مزعجين أو متعصبين •

غيـــــلاليت :

٥ — لكى نعود الى أساس ودرجات التصديق ، من المناسب أن نلاحظ ان القضايا نوعان أحداهما عن الواقع : تعتمد على الملاحظة ويمكنها أن نعتمد على شـــهادة البشر ، والأخرى تأملية تعبر عن الأشـــياء التى لا تستطيع حواسنا اكتشافها ، ولا تقبل مثل هـــذه الشهادة •

٦ — عندما يتفق واقع جزئى مع ملاحظاتنا المســتمرة والعلاقات الموحدة للآخرين فاننا نعتمد عليها كما لو أنها معرفة يقينية ، وعندما نتفق مع شـــهادة جميع الناس فى كل العصور بقدر ما يمكن معرفتها ، فأنها ستكون أول وأعلى درجة من الاحتمال ، مثلا النار تحرق ، الحديد يغوص فى أعماق المـــاء • اعتقادنا القـــائم على مثل هـــذه الأسس يرتفع الى درجـــة اليقين •

٧ — فى الدرجة الثانية . عندما يقرر جميع المؤرخين أن شخصا قد فضل المصلحة الخاصة على المصلحة العامة ، حيث نلاحظ دائمـــا أن هـــذه هى عادة معظم البشر ، فان الشعور الذى أعطيه لهذه القصص يصبح ثقة confiance •

٨ — فى الدرجة الثالثة عندما لا تؤيد طبيعة الأشياء أو لا تعارض واقع ما تقرره شـــهادة أناس غير مشكوك فيهم ، مثلا أن يوليوس قيصر عاش فاننا نقبل ذلك باعتقاد ثابت ferme créance •

٩ — عندما يعارض الشـــهود التنبؤ العادى للطبيعة أو يتعارضوا فيما بينهم فان درجة الاحتمال تتنوع الى ما لا نهاية ، من حيث تأتى هذه

الدرجات التى نسميها ظن croyance ، تخمين conjecture أوشك doute أو عدم يقين incertitude أو عدم ثقة defiance وهنا يلزمنا الدقة لنصدر حكما صحيحا ولكى تتناسب مشاعرنا مع درجات الاحتمال .

نيوفيـــــــل :

الفقهاء فى تناولهم الأدلة والقرائن والتخمينات علامات ، قد قالوا الكثير من الأمور الجيدة ، وبتفصيل . لقد بدأوا بالتواتر حيث لا نحتاج لأى دليل ومن بعده وصلوا الى أدلة كاملة . أو تلك التى نعتبرها هكذا ، وخاصة تلك التى تتصل بالأمور المدنية على الأقل . ولكننا قد نتحفظ فى بعض الاحالات وخاصة الأمور الجنائية وان نخطىء اذا طالبنا بأدلة أكثر من تامة ، أو ما نسميها corpus delicti حسب طبيعة الواقعة توجد اذن أدلة أكثر من تامة ، وأدلة تامة عادية ، والقرائن التى نعتبرها أدلة تامة بصفة مؤقتة ، الى أن يثبت العكس ، توجد أيضا أكثر من نصف تامة demi plein التى تسمح فيها للذى يقدمها أن يحلف اليمين . وليدعمها أنها juramentium suppletorium هنـــاك أخرى أقل من نصف تامة حيث على العكس تطلب اليمين من ذلك الذى ينكر الواقع لكى يسقط الدعوى juramentium purgationis خلاف ذلك يوجد قدر من درجات التخمين ومن علامات وخصوصا فى الأمور الجنائية حيث يوجد علامات ad torturam تتصل بالسؤال (الذى هو نفسه له درجاته المذكورة فى صيغ الحكم) . هناك أيضا علامات يكفى لاظهار الضرر وتعد الأشياء كما لو أن المرء قد أراد استحضارها . وهناك ما يصلح للتأكد من انسان مشكوك فيه d capturam وللاستعلام ad inquirendum هـــذه الاختلافات يمكن أيضا أن تستخدم فى حالات أخرى متناسبة . ان صورة صياغة الدعاوى فى العدالة ليست فى الواقع سوى نوعا من المنطق مطبقا في أمور القانون . لدى الأطباء أيضا قدر من الدرجات والاختلافات فى العلامات والاشارات التى يمكن أن نراها لديهم . بدأ علماء الرياضة فى عصرنا فى الاهتمام بالصدفة وخاصة فى الألعاب .

الفارس دي ميرى[1] de meré الذى نشر كتابه les agrements

وغيره من المؤلفات ، وهو رجل ذو ذهن نافذ ولاعب وفيلسوف أتاح الفرصة لتأليف عــدة وسائل تتصل بالرهان لمعرفة كم تساوى اللعبة اذا توقفت فى هــذه الحالة أو تلك • ودفع صديقه بسكال(٢) الى فحص هــذه الأمور كما أتاح الفرصة للســيد هيجمنز(٣) لعمل بحثه alea كما ســاهم فى هــذا المجال علماء آخرون وتقررت عــدة مبادىء اســتخدمها الســيد de wit فى بحث صــغير طبع فى هواندا عن les rentes àvie . معتمدا على أساس يرجع الى prostapherese أى أخذ المتوسط الحسابى لعدد من الافتراضات المتســاوية القبول • وقد استخدمها فلاحونا منــذ زمان عند بيع قطعة أرض أو توزيع ميراث حسب رياضتهم الطبيعية وذلك بأن يشــكلوا ثلاثة مجموعات يسميها الساكسون بالــ scharzen كل مجموعة منها تعبر عن مقدار • لنفرض اذن أن أحداها يســاوى ١٠٠٠ ـــ والثانى ١٤٠٠ والثالث ١٥٠٠ فان مجموعها ســيكون ٣٩٠٠ ومتوسطها ١٣٠٠ وبصورة أخرى يمكن أخــذ مجموع الجزء الثالث فى كل وحدة • أنها مسلمة aequilibus aequqlia بالنسبة للفروض المتســاوية يجب أن نحصل على اعتبارات متساوية • ولكن عندما لا تتساوى الفروض علينا أن نقارن بينها • لنفرض مثلا أن زهرين أحدهما يكسب عندما يحصل على ٧ نقط والآخر عندما يحصل على ٩ ونسأل أى نسبة يمكن أن توجد بين ظواهر كسبهما ؟ أقول أن ظواهر الأخير تساوى $\frac{٢}{٣}$ من ظواهر الأول ، لأن الأول يعمل ٧ بثلاثة طرق بواسطة الزهرين : ١ ، ٦ أو ٢ ، ٥ أو ٣ ، ٤ • الآخر لا يمكن أن يعمل ٩ سوى بطريقتين ٣ ، ٦ أو ٤ ، ٥ كل هــذه الطرق ممكنة تماما اذن الظواهر التى تشبه اعداد الامكانيات المتســاوية ستكون ٣ : ٢ أو ١ : $\frac{٢}{٣}$ لقد قلت أكثر من مرة أنه يلزمنا نوع جديد من المنطق يتناول درجات الاحتمال مادام أرسطو فى التحليلات لم يفعل سوى ذلك ، واكتفى بأن نظم قواعد شــعبية معينة موزعة حسب الأماكن العامة ، ويمكن أن تستخدم فى بعض المناسبات التى تهتم بتوضيح الحديث أو تظهره ، دون أن يكلف نفسه جهدا لتقديم معيار ضرورى نقيم به

الظواهر لنصدر حكما متينا • سيكون من الأحسن لمن يريد أن يتناول هـذا الموضوع أن يتابع دراسـة ألعاب الحظ • وبوجه عام أتمنى أن يتمكن عالم رياضى ماهر من تأليف كتاب مفصل وواضح ومعقول يتناول هذه الأنواع من الألعاب وسيكون ذا فائدة كبرى لاتقان فن الاختراع فذهن الانسـان يبدو فى الألعاب أفضل منه فى الأمور الأكثر جدية •

فيـــلاليت :

١٠ — يلاحظ قانون انجلترا القاعدة التى ترى أن النسخة التى يشهد على أصالتها الشهود تكون دليلا جيدا ، ولكن نسخة النسخة مهما كانت مدعمة بالشهود العدول فلن نقبل أبدا كدليل فى الحكم • ام أسمع مطلقا من يلوم هـذا الاحتياط الحكيم • يمكن على الأقل أن نستخرج منه هـذه الملاحظة ، وهى أن الشـاهد تقل قوته بقدر ما يبتعد عن الحقيقة الأصلية التى تكون فى الشىء نفسه ؛ فى حين يستخدمها بعض الناس بطريقة معكوسة تماما • تكتسب الاعتقادات قوتها كلما مضى عليها الزمن وذلك الذى كان مجرد احتمال منـذ ألف سنة بالنسبة لرجل عاقل معاصر لذلك الذى قرره لأول مرة ، يصبح حاليا مؤكدا لأن كثيرين قد دعموه بشهادتهم •

تيوفيـــل :

انتقادات أمور التاريخ لها أهميتها فى نظر الشـهود المعاصرين للأشـياء ، ومع ذلك حتى الشخص المعاصر نفسه لا يجب أن نعتقد فيه الا بالنسبة للأحداث العـامة أصلا ، ولكن عندما يتحدث عن الدوافع والأسرار والأشـياء موضع النقاش كحوادث التسمم أو القتل ، فعلينا أن نسلم على الأقل بما يعتقده العديد منهم • اننا نثق تماما فيما يقوله Procope عندما يتحدث عن حرب البيليزير Bélisaire ضد الفاندال والجوث ولكننا نتردد عندما يروى فى أقاصيصه عيوب الامبراطورة تيودور • وعلى العموم يجب أن نتحفظ فى تصديق ما تذكره الاهاجى ، اننا نرى الكثير مما ينشر فى أيامنا ويعارض كل ظاهر وأن انخدع به الجهلاء • ربما يقال ذات يوم هل من الممكن أن يجرؤ أحد على نشر

هـذه الأمور التى حدثت فى هـذه الأيام ؟ ألم يكن هنـاك أساس ظاهر ؟ ولكن اذا قيل ذلك ذات يوم . فان الحكم سيكون خاطئا تماما . ورغم ذلك يميل العالم الى الهجاء ونكتفى بذكر ما نشره المرحوم دومريه الابن فى مذكراته المطبوعة منذ عدة سنوات : من أمور معينة لا أساس لها ضد Hugo Grotius وهو شـخص لا نظير له وكان سفيرا للسويد فى فرنسـا وقد صدم صدمة قوية لمـا ذكره عن صديق مشهور كان صديقا لوالده . وقد رأيت عددا من المؤلفين يكررون نفس الشىء مع أن خطابات ومفاوضات هـذا الرجل العظيم تخبرنا بالعكس تماما . قد نتحرر أحيانا فى كتابة القصص التاريخية مثل ذلك الذى كتب حياة كرومويل الأخيرة فقد اعتقد أنه لكى يضفى على الموضوع روح المرح قد سمح لنفسه عند الحديث عن حياة هـذا الزعيم الماهر أن يجعله يسافر الى فرنسـا حيث يتابعه فى باريس كأنه المربى الخاص ومع ذلك ظهرمن تاريخ حياة كرومويل الذى كتبه كارلنجتن الرجل المثقف والذى أهداه الى ابنه ريتشارد عندما كان تحت رعايته ، أن كرومويل لم يغادر أبدا انجزر البريطانية ، التفاصيل اذن تكون قليلة اليقين ، ليس لدينا أى شىء تقريبا عن العلاقات بين المعارك . فتلك التى تتصـل بمعركة Tetelive مثلا تبدو خيالية وكذلك تلك الخاصة Quinte Curae يلزمنا تقارير من هنا وهناك يكتبها اناس يمتازون بالدقة والقدرة على وضـع الخطط الشـبيهة بخطط الكونت دالبرج Delberg الذى خدم باخلاص فى عصر ملك السـويد شارك جوستاف والذى كان حاكما عاما لمدينة ليفونى ودافع عن ريجا Rige مسجلا أفعال ومعارك هذا الأمير . ومع ذلك يجب أولا ألا نقلل من قدر أى مؤرخ جيد بناء على كلمة من أمير أو وزير يكون قد كتب ضـده فى احدى المناسبات أو فى أحد الموضوعات التى لا ترضيه أو الذى أخطأ فيها حقا .

يحكى أن شارل الخامس Charles Quint عندما أراد قراءة شىء عن سليدن Sleiden قال « احضروا الى كذابى » وأن Carlowiz الجنتلمان السكسونى المشـهور فى هـذا الوقت قال أن تاريخ سليدن

زعزع كل اعتقاد طيب كان لديه فى التواريخ القديمة • وأقول أن هـذا لن يؤثر فى عقول الأشخاص ذوى الاطلاع ولن يزعزع مكانة تاريخ سليدن الذى أفضل جزء فيه هو هـذا النسيج من أفعال عامة للمجالس التشريعية واجتماعات وكتابات يقرها الأمراء ، واذا بقى أقل شك فى هـذا الصدد فقد أزالته القصة الممتازة التى ذكرها صديقى المشهور المرحوم Seckendorf (التى لا أجد مفرا من اعتراضى على اسم الوثريه الموجود على العنوان ، وهى عادة سيئة سائدة فى ساكس) والتى يؤيد فيها معظم الأشـياء بمقتطفات لا حصر لها أخذت من سـجلات سكسونية كانت فى متناول يده ، ومع أن مسيو « دى مو » de Meaux الذى أرسلت اليه هـذا الكتاب وقد هوجم فيه ، أجاب بأن هـذا الكتاب يعيبه الاطناب الفظيع ، ولكنى أتمنى أن تتضاعف صفحاته وكلما كان رحبا كلما أتاح فرصة أكثر حيث لن يسعنا سوى اختيار الأماكن • علاوة على ما فيه من أعمال تاريخية جديرة بالاحترام ، وعظيمة حقا ، علينا ألا نحتقر المؤلفين التالين للعصر الذى يكتبون عنه عندما يكتبون بوضوح ، وقد يحدث أحيانا أنهم يحتفظون بمقتطفات قديمة جـدا مثلا • لقد شككنا فى الأسرة التى ينتمى اليهـا Suibert أسقف بامبرج Bamberg فى عصر البابا كلمنت الثانى ، وقد ذكر مؤرخ غير معروف لتاريخ بوبنسبنيك فى القرن ١٤. ، اسم عائلته كما ذكر علماء آخرين لم يلتفت اليهم تاريخيا ، ولكنى حصلت على مجلة تاريخية أقدم بكثير ولم تطبع بعد • ذكر فيها نفس الشىء بصورة أكثر نظاما ومنها يتضح أن هـذا الأسقف كان من عائلـة من قدامـى الأشراف فى هورتبرج (وهـى ليست بعيـدة Wolfenbuttel) حصلوا على اقليمهم من المالك الأخير للكنيسـة الكاثوليكية فى Halderstadtt •

فيـــــلاليت :

١٨ ـــ لا أريد أن يعتقد أحـد أنى أردت التقليل من سلطة واحترام التاريخ بملاحظتى هـذه ، فقد حصلنا بهذا المصدر على وضوح مقنع عن جزء كبير من حقائقنا المفيدة ، ولا أرى ما هو أحق بالتقـدير من

المذكرات التى بقيت لنا من العصر القديم . وكنت أتمنى أن يكون لدينا العدد الأكبر والأقل فسادا • ولكن من الحق دائما أنه لن ترتفع أى نسخة الى مستوى يقين الأصل الأول لها •

نيوفيـــــل :

من المؤكد أنه عندما يؤكد مؤلف واحد من القدماء واقعا ما . فان كل من ينسخه لن يضيف عليــه أى قيمة وبالأحرى يجب ألا يوضع فى الاعتبار وهــذا ما يجب أن يكون طالمــا ما يقوله لن يكون سوى تكرار ، هكذا الأمر بالنسبة للأشياء التى أراد أن يعمل منها السيد ميناج Menag كتابا ، فهى لم تذكر سوى مرة واحدة • اليوم أيضا عندما يكرر مائة ألف مؤلف صغير نقائص بولزك Bolsec مثلا فان الانسان الفطن لن ينظر اليها الا على أنها مجرد أصوات لفرخ الأوز • لقد كتب الفقهــاء de fide historica مادته تستحق بحثا أدق : وبعض هؤلاء الســادة كانوا متسامحين جــدا بالنسبة للعصر القديم مازالت بعض الوقائع الأكثر دويا موضع شك : لقد شك أناس ماهرون بحق فى هل كان روميلوس أول مؤسس لمدينــة روما • هنــاك نقاش حول وفاة سيروس وبالتالى الصراع بين هيرودوت وستيسياس قد أثار الشكوك حــول تاريخ الســيريان والبابليين والفرس وكذلك تاريــخ كل من Nabuchodonosor Assuérus d' Esther, de judith. يعانى الكثير من الصــعوبات • عنــدما يتحدث الرومان عــن ذهب تولوز يعارضون ما يحكى عــن هزيمة الجولوا على يــد كامى Camille ، وخاصة التاريخ الخاص والشخصى للشــعوب لا تخلو من نقد ، ، عندما لا يؤخذ من الأصــول القديمة جــدا ، أو الموافقــة تماما التاريخ العــام • لهذا فان ما يحكى لنا عن قدماء الملوك الجرمان والجولوا والبريتانيك والايكوس والبولونى وغيرهم ، يصبح مجرد أســطورة ولمجرد التسلية ، أن تريبيتا Trebeta ابن نينوس مؤسس تريف Tréves ، بروتس مؤلف البريتون حقيقيان مثل الــ Amadis الحكايات المأخوذة من بعض مؤلفى القصص : Trithemius, Sifuid Petri, Albinis, Aventin

وقد أعطو لأنفسهم الحرية فى أن يصنفوا الأمراء القدماء الى فرانك Frison, saxon, Boiens, Franc . وما يحكيه لنا ساكسون العالم النحوى وادا Edda عن القدماء الذين عاشوا فى الشمال : سيكون له نفس قوة ما يقوله Kadlubko المؤرخ البولونى الأول ، عن أحد ملوكهم من سلالة يوليوس قيصر ، ولكن عندما تتقابل قصص مختلف الشعوب فى حالات لا يبدو أن أحدها قد نسخ عن الآخر ، فان ذلك سيكون أكبر دليل على الحقيقة ، مثلا اتفاق هيرودوت مع تاريخ العهد القديم فى كثير من الأشياء ، مثلا عندما يتحدث عن معركة مجيدو Mégiddo بين ملك مصر والسوريين فى فلسطين ، أى اليهود ، وحيث حسب تقرير التاريخ المقدس الذى لدينا عن العبريين ، أصيب الملك جوسياس Josias بجرح مميت . الاتفاق بين مؤرخى العرب والفرس والترك والاغريق والرومان وغيرهم من المقربين يسر كل من يبحث عن الوقائع ، كما أن شهادات الميداليات والمخطوطات الباقية من العصر القديم والتى تضاف الى كتب القدماء ، تصبح فى الحقيقة نسخا من النسخ . علينا أن ننتظر ما يضيفه الينا تاريخ الصين عندما يصبح فى حالة تسمح بالحكم عليه عندما يحمل معه مبررات الثقة فيه ، الاهتمام بالتاريخ يرجع أصلا الى اللذة التى نجدها فى معرفة الأصول والتقدير الذى يمنحه لمن يستحق من الرجال وتقرير النقد التاريخى وخاصة التاريخ المقدس الذى يدعم أسس الوحى (ولنضع جانبنا على السلالات وحقوق الأمراء والأقوياء) والتعاليم المفيدة التى تقدمها الأمثلة لا أحتقر أبدا محاولة التنقيب فى الماضى لنصل الى أقل الأمور أهمية ، لأننا أحيانا نستخدم ما يمدنا به النقد من معارف فى أمور أكثر أهمية ، انى أوصى بأن نكتب تاريخ الملابس وفن الخياطة منذ ملابس الحبر الأعظم لدى العبريين بل واذا أردنا منذ الكسوة التى أعطاها الله لأول زوجين عند خروجهما من الجنة حتى أربطة الشعر والزينة الكريهة فى عصرنا ، وأن نضيف اليه كل ما يمكن أن نستخرجه من الكتب القديمة والرسوم والتماثيل المصنوعة منذ عدة قرون ، وقد أضيف اليها ، اذا رغب فى

ذلك أى شخص ، مذكرات رجل من آوجسبرج فى القرن الماضى أخـذ لنفسـه صـورا بكل الملابس التى ارتداها منـذ طفولته حتى سن الثالثة والستين ، ولا اذكر من قال لى أن المرحوم الدوق « أومنت »[٤] هو مطلع على أخبار القدماء : كان مهتما بأمور مشابهة • ربما يساعدنا هـذا فى تمييز الآثار المشروعة من تلك غير المشروعة ، دون أن نتعرض لاستخدامات أخرى ، ومادام من المسموح للناس أن يلعبوا فسيكون من المسموح لهم أكثر أن يتسلوا بهذه الأنواع من الأعمال . اذا لم ترهقهم واجبـاتهم ، ولكنى كنت أتمنى أن يتخصص أشـخاص باختيارهم ، ليستخرجوا من التاريخ كل ما هو اكثر فائدة وليكون لدينا أمثلة غير عادية للفضيلة وملاحظات على متع الحياة وخطط السياسة والحرب • كما كنت أتمنى أن يكون لدينا تاريخا كليا لا يذكر سوى هـذه الأمور وقليل من الأمور ذات النتائج ، لأننا أحيانا نقرأ كتابا كبيرا فى التاريخ ، قد أحسن كتابته ويحقق هدف مؤلفه ، وممتاز فى نوعه ، ولكنه مع ذلك لا يحتوى على معلومات مفيدة ، أنا لا أقصد هنا تلك الاخلاقيات البسيطة المليء بها مسرح الحيـاة البشرية والدواوين الشـعرية ، وانما أقصد مهارات ومعارف لا يجدها الناس عند الحاجة اليها • أتمنى أيضا أن يستخرج من كتب الرحلات أشياء لا حصر لها ونمتلك هـذه الطبيعة ، يمكن أن نستفيد منها وأن نرتبها حسب موادها • ولكن من المدهش أن الكثير من هـذه الأمور مازال فى حاجة الى التنفيذ ، ان الناس يتسلمون دائمـا بما قد تحقق فعلا ، أو بأشياء لا جدوى منها أو على الأقل بما هو قليل الأهمية . ولا أجد علاجا لهذا سوى أن يندمج الناس بصورة أكثر جدية وفى أوقات أكثر هدوءا •

فيـــــلاليت :

١٢ ــ استطراداتك تسر وتفيد ، ولكن بالنسبة لاحتمال الوقائع علينا أن نعرض للاعتقادات التى تمس الأشياء التى لا تقع تحت الحواس • أنهـا غير قابلة لأى شـهادة ، مثل وجود وطبيعـة العقول والملائكة

والشـــياطين ... الخ الجواهر الجســـدية التى تكون فى الكواكب ومساكن هذا الكون الفسيح ، وأخيرا طريقة عمل معظم أعمال الطبيعة ، فنحن لا نملك عن كل هذه الأشـــياء اننا لا نستطيع تقريرها فهى لا تبدو محتملة الا بقدر تناسبها كثيرا أو قليلا مع الحقائق المقررة . ان احتكاكا عنيفا بين جسمين يولد الحرارة وقد يشعل نارا ، ان انحراف الأجسام الشفافة يظهر الألوان ، فتحكم بان النار تتولد عن تحرك عنيف الاجزاء غير المحسوسة ، وان الألوان التى لا ترى أصلها تبحث عن انحراف مشابه ، ونظرا لوجود ارتباط متدرج بين كل أجزاء المخلوقات القابلة للملاحظة البشرية والتى لا يوجد بين أى جزئين منها فراغ يحق لنا أن نعتقد أن الأشـــياء ترتفع نحو الكمال تدريجيا وبدرجات غير محسوسة . ومن الخطأ القول أين يبدأ كل من المحسوس والمعقول وما هى أقل درجة للأشـــياء الحية . ان الأمر هنا يشبه تزايد وتناقص الكمية فى المخروط المنتظم . هنـــاك اختلاف متزايد بين أفراد معينة وحيوانات عجماوية معينة ، ولكن اذا أردنا المقارنة بين فهم وقدرة اناس معينين وحيوانات معينة فاننا سنجد الفارق بينهما قليل جـــدا بحيث سيكون من الخطأ تأكيد أن فهم هؤلاء الناس سيكون أدق وأكثر امتدادا من فهم هـــذه الحيوانات . مع اننا لو لاحظنا مثل هـــذا التدرج غير المحسوس بين أجزاء المخلوقات ابتداء من الانسان حتى الأجزاء الأدنى التى تتدرج تحته ، فان قاعدة المقـــارنة تجعلنا نرى احتمال أن يوجد مثل هـــذا التدرج فى الأشـــياء التى تكون فوقنا خارج عالم ملاحظاتنا ، وهـــذا النوع من الاحتمال سيكون الأساس الأكبر للفروض المعقولة .

تيوفيـــــل :

ان هذه المقارنة دفعت بالسيد هوجنز Hugens فى كتابه نظريات الكون Cosmotheores الى أن يرى أن حالة الكواكب الأخـــرى الرئيسية تقترب من حالتنا ، ماعدا ما يسببه اختلاف بعدها عن الشمس من اختلافات وكذلك السيد فونتنيل Fontenelle الذى كان له اهتماماته

العميقة عن تعدد العوالم . قال أشياء جميلة فى هذا الصدد وقد وجــد أن فن الأبراج صعب . ويقال أيضا أن هارلكان Harlequin قد ذكر شيئا قريبا من ذلك فى كتابه مملكة القمر . والواقع أن الحكم على هذه الأقمار (وهى مجـــرد كواكب تابعـــة) قد تغير . وقد ألف كلبر[٦] Kelper كتابا صغيرا . يصور فيه حالة القمر . كما ذكر شخص انجليزى[٧] نافذ الذهن ، وصفا شيقا لشخصية أسبانية من اختراعه : حملته الطيــور العابرة الى القمر ، ولن نتحدث عن سيرانو Cyrano الذى ذهب يبحث عن هذا الاسبانى . لقد أراد بعض ذوى الذهن النافذ تقديم صورة جميلة للحياة الأخرى ، وتخيلوا دعوة الارواح السعيدة الى التنزه من عالم الى عالم ، وقد يجد خيالنا فيها جزءا من الاهتمامات الجميلة بالجن، ومهما كان الجهد الذى بذل ، فانى أشك فى استطاعتنا الاتصال بالجن ؛ بسبب بعد المسافة والاختلاف الكبير بيننا وبينهم ، والى أن نحصل على منظار يشبه ذلك الذى وعدنا به ديكارت لنميز أجزاء سطح القمر التى لا تزيد عن حجم منازلنا ، فلن نستطيع تحديد ما يوجد فى كوكب مختلف عن كوكبنا . تخميناتنا ستكون مفيدة أكثر وحقيقية أكثر بالنسبة للأجزاء الداخلية لاجسامنا . أتعشم أن نذهب الى ما وراء التخمين فى كثير من الحالات وأعتقد فعلا الآن أنه على الاقل لا يجب أن تعتبر التحـــرك العنيف لأجزاء النار الذى حدثتك عنه ضمن الاشياء التى لا تكـــون سوى رموزا . خسارة أن يصبح فرض ديكارت الخاص بتلاحم أجزاء الكون المرئى قليل الاتفاق مع الأبحاث والاكتشافات التى تمت منذ ذلك الحين ، أو أن يكون على ديكارت أن يعيش خمسون عاما أكثر لعطينــا فرضا يخص المعارف الحاضرة يشبه ذلك الذى أعطـــاه لنا فى عصره . بالنسبة للارتباط المتدرج للانواع فقد تعرضنا له فى مناقشة سابقة حيث أوضحت أن الفلاسفة فكروا فعـــلا فى الفراغ وفى الاشــــكال أو الاخناس . كل شىء فى الطبيعة يسير بتدرج ولا يتـــم شيئـــا فجأة هذه القاعدة الخاصة بالتغيرات تعتبر جزءا من قانون الاستمرار الخاص بى ، ولكن جمال الطبيعة يتطلب ادراكات متميزة ويتطلب مظاهر من

القفزات أو على حد القول خاتمات موسيقية ، كما أنها تجد لذة فى خلط الاجناس • وعلى هذا حتى وان كان من الممكن أن يوجد فى أى عـــالم آخر أنواعا متوسطة بين الانسان والحيوان (حسب ما يفهم من هاتـــين الكلمتين) وأنه يوجد فى مكان ما من الحيوانات العاقلة ما يفوقنا ، فان الطبيعة قد وجدت من الاحسن أن تبعدها عنا لتمنحنا ، دون منــــازع ، التفوق الذى لدينا فى كوكبنا • أتحدث عن الاجناس المتوسطة ولا أريـــد أن أتعرض هنا للافراد البشرية التى تقترب من الخامات ، اذ من الواضح أن هذا ليس عيبا فى الملكة ، ولكنه عقبة فى الممارسة ، بحيث أعتقـــد أن أغبى الناس (الذى لا يكون فى حالة تعارض الطبيعة بسبب مرض أو نقص آخر دائم يحل محل المرض) سيكون بلا مقارنة أكثر معقولية وأكثر وداعة من أكثر الحيوانات روحانية . بالرغم من أنه قد يقـــال أحيانا عكس ذلك عن طريق المزاح • بقى أن أؤيد بقوة البحث عـــن المقارنات : النبـــاتات ، الحشرات ، علم التشريح المقـــارن للحيوانات سيزودنا أكثر فأكثر خصوصا عندما نستمر فى استخدام المجهر أكثر مما نفعل الآن • وبالنسبة للمواد الاعم ستجد أن مشاعرى بالنســـبة للوحدات العنصرية المنتشرة فى كل مكان وعن استمرارها الذى لا يتوقف وعن حفظ الحيـــوان بالروح والادراكات الأقل تميزا فى حالة معينــــة، مثل موت الحيوانات البسيطة وعن الاجســـام التى من المعقول أن ننسبها الى الجن وعن انسجام الأرواح والاجســـام الذى يجعل كل واحـــد منها يتبع قوانينه الخاصة دون أن يضطرب بغيره ودون أن يتميز فيهـــا الارادى أو اللاارادى : أقول سنجد أن كل هذه المشاعر تتفق تماما مـــع مقارنة الاشياء التى نلاحظها وأنى اتجاوزها فقط فيما يتصل بملاحظاتنا دون أن أحصرها فى نسب معينة من المـــادة أو أجناس معينة من الأفعال ، وأنه لا يوجد أى اختلاف بينها سوى اختلاف الاكبر عن الاصغر والمحسوس عن غير المحسوس •

فيلاليت :

١٣ — على أى حال هناك حالة قد يقل مراعاتنا لها عند مقارنة الاشياء الطبيعية التى تعرفها بالتجربة عن مراعاتنا لما يتصل بالشهادة المعارضة لواقع غريب يبتعد عنها ، لأنه عندما تتفق الاحداث التى تفوق الطبيعة مع غايات ذلك الذى لديه القدرة على تغيير مجرى الطبيعة فلن يكون لدينا ما يبرر رفضنا الاعتقاد فيها عندما تكون قد تقررت جيدا ، وهذه هى حالة المعجزات التى لا يجب الاعتقاد فيها فحسب بل نقلها أيضا الى حقائق أخرى تحتاج الى مثل هذا التأكيد .

١٤ — أخيرا هناك شهادة تجعلها تفوق أى تصديق وهو الوحى ، أى شهادة الله الذى لا يخدع ولا يخدع والتصديق الذى ننسبه اليه يسمى ايمانا ويستبعد كل شك تماما كالمعرفة الاكثر يقينا . ولكن الامر هنا يتطلب أن نكون متأكدين أن الوحى الهيا وأن نعرف أننا نفهم المعنى الحقيقى والا تعرضنا للتعصب والاخطاء الناتجة عن التفسير الخاطىء . وعندما يكون وجود ومعنى الوحى محتملا فحسب فلن يكون التصديق من الاحتمال أكثر من ذلك الموجود فى الادلة وهذا ما سنتحدث عنه مرة أخرى بتفصيل أكثر .

تيوفيل :

يمثل اللاهوتيون بين دوافع قابلية التصديق (كما يسمونها) والتصديق الطبيعى الذى يجب أن يتولد عنه ، ولا يمكن أن يحصل على احتمال أكبر من هذه الدوافع ، وبين القبول فوق الطبيعى الذى هو فى الواقع من العناية الالهية . لقد حرروا كتبا خاصة بتحليل الايمان والتى لا تتفق فيما بينها ، ولكن مادمنا سنتكلم عنها فيما بعد فانى لا أحب التعرض هنا لما سنتناوله فى موضعه .

الشخصيـــــات

(١) Meré مشهور فى القــرن ١٧ صـــديق بســكال وبلزاك : نشرت أعماله فى امستردام سنة ١٦٩٢ فى مجلدين .

(٢) **بســكال** : كاتب مشهور وفيلســوف فرنسى ولد فى كليمونت ســنة ١٦٢٣ وتوفى فى باريس ســنة ١٦٦٢ عملاه الرئيســيان هما : الريفيات Provinciales والأفكار Pensées أوضح كوزان فى تقريره المشــهور بالأكاديمية الفرنســية أن نص العمل الأخير قد عدله تعديلا خطيرا الناشرون الأوائل من يورت رويال . يوجــد الآن طبعتان مخلصتان طبعــة Faugére فى مجلدين وطبعــة Havet فى مجلد واحد .

(٣) Hugens أو Huyghens عالم فيزيقى ورياضى مشــهور فى القرن ١٧ ولد فى هوج بهولندا ســنة ١٦٢٩ وتوفى بنفس المدينة سنة ١٦٩٥ نشر وجمع أعماله S. Gravesande تحت عنوان Christ hugens in IV tomes distributa فى ليد سنة ١٧٢٤ فى مجلد واحد وفى امستردام سنة ١٧٢٨ فى مجلدين .

(٤) **دوقدومنت** : duc d' aumont عالم فى القرن ١٧ وعضــو فى أكاديمية المخطوطات والفنــون الجميلة . ولد فى عام ١٦٣٢ وتوفى ســنة ١٧٠٤ .

(٥) **فونتنيـــــل** : Fontenelle ولد فى روان سنة ١٦٥٧ توفى فى باريس ســنة ١٧٥٧ وعمره مائة عام لم يكن فيلســوفا بالمعنى الدقيق ويتصل بتاريخ الفلسفة بروحه الفاحصة والنافذة التى تسود أعماله أهمها محاورات الموتى (١٦٨٣) وبحث فى تعدد العالم (١٦٨٦) تاريخ المعجزات (١٦٨٧) شــكوك حــول نظــام العلل العرضــية وأخيرا رثاء eloge وهــو عمله الرئيسى .

(٦) **كلــبر** Kelper ولد فى Weill سنة ١٥٧١ وتوفى فى Ratisbonne ســنة ١٦٣٠ عالم هندســة مشــهور وفلكى اكتشف قوانين الحركة الكونية .. أهم أعماله : Harmonices mundi libri quinque (الكتب الخمس عن انســجام العالم) . علم الفلك الجــديد أو الفيزياء السماوية مؤسسة على دراســة حركة مارس . والكتاب الذى أشــار اليه ليبنتز وهــو : Sumnium Kelper

(٧) Godwin de Liandoff : رجل دين انجليزى فى كتابه « رجل فى القمر » لندن سنة ١٦٣٨ ترجم للفرنسية ســنة ١٦٤٨ .

الفصل السابع عشر

العقل

فيلاليت :

١ — قبل أن نتحدث بوضوح عن الايمان سنتناول العقل • أنه يعني أحيانا المبادىء الواضحة والحقيقية وأحيانا النتائج المستدلة من هذه المبادىء ، وأحيانا العلة وخاصة العلة النهائية • وسنعتبره هنا كملكة نفترض أنها تميز الانسان ويفضل الحيوان وبفضلها يفوقها كثيرا •

٢ — نحتاج اليه أما لنوسع معارفنا أو لننظم معتقداتنا ، وهو يتكون ، اذا أحسنا تناوله ، من ملكتين هما الفطنة للحصول على الأفكار المتوسطة وملكة استخراج النتائج أو الاستدلال •

٣ — يمكن أن نعتبر فى العقل هذه الدرجات الأربعة :

١ — اكتشاف الأدلة •

٢ — تنظيمها بشكل يظهر ارتباطها •

٣ — ادراك الارتباط فى كل جزء من الاستدلال •

٤ — استخراج النتيجة يمكن أن نلاحظ هذه الدرجات فى الاستدلالات الرياضية •

تيوفيل :

العقل هو الحقيقة المعروفة والتى ارتباطها بأخرى معروفة بصورة أقل تجعلنا نصدق الثانية • ولكن بوجه خاص نسميه عقلا اذا ما كان علة ليس فقط لحكمنا وأنما أيضا للحقيقة نفسها ، وما نسميه أيضا عقلا قبليا ، العلة بالنسبة للأشياء كالعقل بالنسبة للحقائق ، ولهذا تسمى العلة نفسها أحيانا عقلا وخاصة العلة النهائية ، وأخيرا الملكة التى

تدرك هذه الرابطة بين الحقائق ، وملكة التفكير هى أيضا تسمى عقلا ، وهذا هو المعنى الذى نستخدمه هنا ، لأنى قد أظهرت فعلا فيما قبل أن شبه التفكير الذى نراه فى الحيوانات ليس سوى توقع حادث مشابه لحالة تبدو مشابهة فى الماضى دون معرفة هل يوجد نفس العلة الناس أنفسهم لايتصرفون خلاف ذلك فى الحالة التجريبية فقط • ولكنهم يرتفعون عن الحيوانات بقدر ما يرون من ارتباطات بين الافكار ، أقول ، الارتباطات التى تشكل أيضا فى ذاتها حقائق ضرورية وكلية • هذه الارتباطات تكون ضرورية حتى عندما لا تنتج سوى اعتقاد ، عندما يمكن اثباتها بعد أن يتضح احتمالها بالبحث الدقيق وبحيث يوجد عندئذ ليس استدلالا لحقيقة فحسب وانما الجانب الذى تتطلب الحكمة أن نأخذ به • واذا قسمنا ملكة التفكير ، فأنى أعتقد أنه لا بأس من أن نتعرف فيها على جزئين وفق شعور سائد الى حد ما يميز بين الاختراع والحكم أما بالنسبة للدرجات الاربعة التى ذكرتها بالنسبة للاستدلالات الرياضية فانى أرى أن الأول ، وهو اكتشاف الأداة ، لا يبدو بالصورة التى كنت أتمناها • أننا نجد أحيانا تركيبات دون تحليل وأحيانا يحذف التحليل ليضع علماء الهندسة فى استدلالاتهم أولا القضية التى يجب اثباتها ولكى يصلوا الى الاستدلال يعرضون لبعض الاشكال ما هو معطى (ما يسمى بالمعطيات ecthèse) ومن بعدها ينقلون الى الاعداد ويرسمون خطوطا جديدة يحتاجون اليها فى الاستدلال ، وأحيانا يكمن الفن الاكبر فى الحصول على الاعداد • بعد ذلك يعملون الاستدلال نفسه بأن يستخرجوا النتائج مما سبق أن سلفوا به فى المعطيات ومما أضيف فى الاعداد مستخدمين الحقائق المعروفة فعلا أو التى سبق اثباتها ليصلوا الى النتيجة • ولكن هناك حالات قد نستغنى فيها عن المعطيات والاعداد •

فيلالايت :

من المعتقد بوجه عام أن القياس هو الاداة الكبرى للعقل وأحسن وسيلة لعمل هذه الملكة • وأشك فى ذلك ، لأنه لا يفيد الا فى رؤية

الترابط بين الادلة في مثال واحد وليس فيما عداه ، وقد يراه الذهن بسهولة وربما أفضل بدونه . وأولئك الذين يعرفون استخدام الاشكال والانماط يفترضون في أغلب الاحيان استخدامها بقانون واضح وضعه اساتذتهم دون أن يفهموا علته ، اذا كان القياس ضروريا فلن يعرف العقل الانساني أي شيء قبل اكتشافه ؛ ويجب القول أن الله قد جعل من الانسان مخلوقا ذا ساعتين وترك لارسطو مهمة أن يجعل منه حيوانا عاقلا ، أريد أن أقول أن قليلا من الناس يمكنهم الاهتمام بفحص أسس الاقيسة حيث لا يوجد من بين ٦٠ طريقة لتشكيل القضايا الثلاثة سوى ١٤ تقريبا يقينية . ولكن الله كان أكثر رحمة بالبشر . لقد منحهم ذهنا قادرا على التفكير . لا أقول ذلك لأقلل من شأن ارسطو الذي اعتبره من أكبر رجال العصر القديم والذي من النادر أن يوجد من يضاهيه في الانتشار أو الدقة أو نفاذ الذهن أو قوة الحكم ، والذي اخترع هذا النظام الصغير من أشكال المجادلة وقدم خدمة كبرى للعلماء ضد أولئك الذين لم يخجلوا من انكار كل شيء ، ولكن مع ذلك ، هذه الاشكال ليست هي الوسيلة الوحيدة ولا الافضل للتفكير ؛ وأرسطو نفسه لم يصل اليها بواسطة هذه الاشكال، وانما عن الطريق الاصيل للتوافق الواضح بين الافكار : والمعرفة التي نكتسبها بواسطة النظام الطبيعي في الاستدلالات الرياضية تبدو أفضل بدون سند من أي قياس . الاستدلال هو استنتاج صدق قضية من أخرى نعرف من قبل أنها صادقة ، أما افتراض ارتباط معين بين الافكار المتوسطة ، مثلا من قولنا أن الناس ستعاقب في العالم الآخر ، نستدل أنهم يستطيعوا تحديد أنفسهم في هذا العالم . واليك الرابطة « سيعاقب البشر ، الله هو الذي يعاقب ، اذن العقاب عادل ، اذن المعاقب مذنب ، اذن كان الاحرى به أن يعمل خلاف ذلك ، اذن لديه الحرية ، اذن أخيرا لديه القدرة على أن يحدد » تظهر الرابطة هنا أفضل مما لو وجد خمس أو ستة أقيسة معقدة ، حيث تكون الأفكار منقولة مكررة ومنتظمة في أشكال صناعية يلزمنا أن نعرف أي الارتباطات لديه فكرة متوسطة

بين أول القياس وآخره وهذا لا يمكن لأى قياس أن يثبته • أن الذهن هو الذى يستطيع برؤية الخاصة ادراك هذه الافكار الموضوعة هكذا بنوع من التجاور ، ما فائدة القياس اذن ؟ انه يستخدم فى المدارس حيث لا يخجلوا من انكار اتفاق الافكار الواضح اتفاقها • من أين يأتى أن الناس لا يعقلون أبدا الاقيسة لأنفسهم عندما يبحثون عن الحقيقة أو عندما يعلموها للذين يرغبون باخلاص فى معرفتها ؟ من الواضح تماما أن هذا النظام :

انسان — حيوانن — حى

أى أن الانسان حيوان والحيوان حى ، اذن الانسان حى •

طبيعى أكثر من هذا القياس :

حيوان — حى ، انسان — حيوان ، انسان — حى

أى أن الحيوان حى والانسان حيوان اذن الانسان حى

حقا أن الأقيسة يمكنها أن تستخدم فى اكتشاف خطأ مستتر وراء بريق الزينة المستعار من البلاغة ، وقد اعتقدت فيما مضى أن القياس ضرورى على الاقل لتجنب السفسطة المقنعة وراء الاحاديث الزاهية ، لكن بعد فحص دقيق وجدت أنه ما علينا الا أن نميز بين الافكار التى تعتمد عليها النتائج وتلك التى تكون سطحية ، أن نرتبها فى نظام طبيعى لتظهر تنافرها • لقد عرفت رجلا يجهل قواعد القياس تماما ومع ذلك أدرك ما فى حديث طويل مصطنع ومقبول من ضعف وبراهين باطلة ، لم يتوصل اليها اناس آخرون تدربوا بكل دقة على المنطق ، واعتقد أن قليلا جدا من قرائى لا يعرفون هؤلاء الاشخاص • واذا لم يكن الامر كذلك ، فان الامراء لن يفوتهم أن يدخلوا الاقيسة فى المناقشات الهامة التى تهم عروشهم ومصالحهم ، والتى يعتقد الجميع أن من العبث استخدامها • لم نسمع أحدا تحدث عن ذلك لا فى آسيا ولا أفريقيا ولا أمريكا ولا

الاحرار الاوروبيين • أخيرا سنجد فى نهاية الحساب أن هذه الاشكال المدرسية لا تخلو من خداع ، ومن النادر أن يقنع هذا المنهج المدرسى بل ومن النادر جدا أن ينتصر • أنهم يعرفون أكثر أن خصمهم أكثر مهارة ولن يتركهم يقنعوه بعدالة حجتهم • أما اذا أمكن ادخال استدلالات خاطئة فى القياس فمن الواجب اكتشاف هذا الخطأ بوسيلة أخرى غير القياس • ومع ذلك فلست من الرأى القائل برفض الأقيسة أو أن نحرم أنفسنا من أى وسيلة قادرة على مساعدة الذهن هناك عيون فى حاجة الى نظارة ، ولكن لا يجب على أولئك الذين يستخدمونها أن يلزموا كل من يقرأ باستخدامها • أن فى ذلك انتقاص من قدرة الطبيعة من أجل فن هم مدينون لها به ، خاصة اذا كان تأييدهم قد جاء على يد أشخاص يستخدمون النظارات أو أنهم استخدموها عندما ضعف بصرهم ولم يعد فى استطاعتهم الرؤية بدونها •

تيوفيل :

استدلالك على قلة فائدة الاقيسة ملىء بالعديد من الملاحظات القوية والجميلة ، ويجب الاعتراف أن الشكل المدرسى للاقيسة قليل الاستخدام فى العالم ، وأنه طويل ومعقد اذا أردنا استخدامه بجد . ومع ذلك هل تعتقد ذلك (ج) أنى أتمسك بأن اختراع شكل الاقيسة من أجمل ما صنع الذهن البشرى ومن أكثرها استحقاقا للتقدير، أنه نوع من الرياضة الكلية لم تعرف أهميته بما فيه الكفاية ، يمكن القول أنه يحتوى على فن العصمة من الخطأ ، بشرط أن نعرفه وأن نحسن استخدامه ، وهذا غير متيسر دائما وعلى ذلك يجب معرفة انى أقصد بالادلة الصورية ، ليس فقط هذه الطريقة المدرسية من البرهنة التى تستخدم فى المدارس ، وانما كل استدلال نستدل له بطريقة صورية ولا نحتاج فيه لاضافة أى موضوع ، بحيث يصبح أى قياس مركب مفصول النتائج sorite وأى نسيج آخر من القياس يتجنب التكرار بل حتى الحساب الدقيق ، وحساب الجبر ، والتحليل اللامتناهى ستكون كلها فى نظرى أدلة صورية ما دامت صورة استدلالها قد سبق

اثباتها بحيث نتأكد من أننا لم نخدع • ولا يهم كثيرا ألا تكون استدلالات أقليدس أدلة صورية فى الغالب ، لأنه عندما يعمل القياس المضمر فى الظاهر ، فان القضية المحذوفة والتى تبدو ناقصة ، قد عوضت بذكرها فى الهامش حيث نعطى الوسيلة للحصول عليها مثبتة فعلا ، وهذا يحقق اختصارا كبيرا دون أن ننقص شيئا من قوتها • هذه القضايا العكسية والتركيبات تقسيمات الاسباب divisions des raisons ليست سوى انطباعا من صور التدليل جزئية وخاصة بالرياضيين وبالمادة التى يبحثونها والتى يثبتون صورها بمساعدة الصور الكلية للمنطق • علاوة على ذلك يجب معرفة أنه توجد نتائج غير قياسية جيدة لا نستطيع اثباتها بدقة بواسطة أى قياس بدون أن نغير قليلا من الحدود • هذا التغيير نفسه للحدود هو الذى يجعل النتيجة غير قياسية • يوجد منها الكثير من بينها a recto ad obliquum مثلا : المسيح اله ، اذن أم المسيح تكون أم الاله • وبالمثل ما يسميه المناطقة الماهرون بعكس العلاقة مثل هذه النتيجة : اذا كان دافيد والدسلامون فلا شك فى أن سلامون ابن دافيد • هذه النتائج لا ينقصها أن نثبت بواسطة حقائق تعتمد عليها الاقيسة الشعبية أيضا ليست الأقيسة حملية فقط بل شرطية بما فيها الشرطية المنفصلة • ويمكن القول أن الحملية بسيطة ومركبة الحملية البسيطة هى التى نعتبرها عادة حسب أنماط الاشكال وقد وجدت أن لكل شكل من الاشكال الاخرى ستة أنماط ، بحيث يوجد ٢٤ نمطا فى الجميع • الاربعة أنماط الشائعة للشكل الاول ليست سوى أثرا لدلالة السور كل ، لا ، بعض والاثنان الذى اضيفهما حتى لا نستبعد شيئا ليست سوى توابع للقضايا الكلية ، لأنه من هذين النمطين العاديين كل ب يكون ج ، كل أ يكون ب ∴ كل أ يكون ج وكذلك لا ب يكون ج وكل أ يكون ب ∴ لا أ يكون ج ، يمكن أن نضيف هذين النمطين : كل ب يكون ج ، كل أ يكون ب ∴ بعض أ يكون ج وكذلك لا ب يكون ج ، كل أ يكون ب ∴ بعض أ ليس ج • لأنه ليس من الضرورى أن نثبت القضايا التابعة وأن نثبت نتائجها : كل أ يكون ج اذن بعض أ يكون ج وكذلك لا أ يكون ج

∴ بعض أ ليس جـ ؛ مع أننا نستطيع ذلك طبعا بواسطة القضايا الذاتية المرتبطة بالانماطالتى حصلنا عليها فعلا من الشكل الأول بهذه الطريقة: كل أ يكون جـ ، بعض أ يكون أ ∴ بعض أ يكون جـ وكذلك لا أ يكون جـ ، بعض أ يكون أ ∴ بعض أ ليس جـ • بحيث نثبت النمطين الاضافيين للشكل الأول بواسطة النمطين الاولين العاديين للشكل المذكور يتداخل التوابع الممكن اثباتها هى نفسها بالنمطين الآخرين لنفس الشكل • وبنفس الطريقة الشكل الثانى يقبل أيضا نمطين جديدين ، وهكذا يكون لكل من الشكل الأول والثانى ستة ، وللثالث ستة فى كل الاوقات ؛ ونعطى للرابع خمسة ولكن وجد أن لديه ستة كذلك بناء على نفس المبدأ ؛ ولكن يجب معرفة أن الصورة المنطقية لا ترغمنا على هذا النظام للقضايا التى نستخدمها بصورة عامة وأنا من رأيك ياسيدى أن الترتيب الآخر أفضل : كل أ يكون ب ، كل ب يكون جـ ∴ كل أ يكون ب وهذا سيكون بوجه خاص بواسطة القياس المركب مفصول النتائج sorites وهو نسيج من هذه الأقيسة لأنه ما زال هناك واحد : كل أ يكون جـ كل جـ يكون د ∴ كل أ يكون د ؛ يمكن أن نعمل نسيجا من هذين القياسين يتجنب التكرار فنقول : كل أ يكون ب ، كل ب يكون جـ ، كل جـ يكون د ∴ كل أ يكون د حيث نهمل القضية التى لا فائدة منها كل أ يكون جـ ونتجنب التكرار غير المفيد لنفس القضية التى يتطلبها القياسين ؛ لأنها قضية غير مفيدة والنسيج سليم وكامل فى الصورة بدون هذه القضية عندما نثبت قوة هذا النسيج بواسطة هذين القياسين • يوجد عدد لا حصر له من الانسجة الأخرى أكثر تعقيدا ليس فقط لأنه يدخل فيها عدد أكبر من الاقيسة البسيطة وانما أيضا لأن الاقيسة التى تدخل فى تركيبها تختلف فيما بينها ، لأنه يمكن أن ندخل فيها ليس فقط قضايا حملية بسيطة انما أيضا قضايا عطفية ، وليس فقط قضايا حملية وانما أيضا شرطية وليس فقط أقيسة كاملة وانما أيضا أقيسة مضمرة حذفت منها القضايا التى نعتقد أنها واضحة • كل هذا يرتبط بنتائج غير قياسية ومع تعبير مكان القضايا وبقدر من التفكير وطرق

التعبير التى تخفى هذه القضايا ، نظرا للميل الطبيعى للذهن الى الاختصار ، ولخصائص اللغة ، التى تظهر فى جزء منها ، استخدام الجزئيات ، كل هذا يعطينا نسيجا من الاستدلال يمثل كل برهنة ، حتى لدى الخطيب ، قد تخلص من الزينة وخضع للصورة المنطقية ، ليس بالطريقة المدرسية وانما بالطريقة الكافية لمعرفة قوتها حسب قوانين المنطق وهى ليست سوى تلك الخاصة بالحس السليم بعد أن يتم تنظيمها وتسجيلها كتابة ، ولا تختلف عنها الا اختلاف القوانين العرفية لاقليم ما بعد تسجيلها ، عما كانت عليه قبل تسجيلها . واذا لم يكن قد تحقق سوى هذا التسجيل وقدرتها على المواجهة بصورة أفضل ، فان ذلك يلقى ضوءا أكثر يساعدها على التقدم والممارسة ، لأن الحس السليم الطبيعى ، بدون مساعدة الفن سيجد صعوبة أحيانا فى الوصول الى النتائج عندما يحلل بعض الاستدلالات ، فقد يجد مثلا أن بعضها مما يتضمن بعض نماذج من الحقيقة قليلة التداول ولكن المنطقى الذى لا يريدنا أن نستخدم مثل هذه الأقيسة أو لا يرد هو أن يستخدمها بدعوة أن علينا دائما أن نخضع كل الأدلة المركبة للأقيسة البسيطة التى نعتمد عليها ، سيكون ، حسب ما سبق أن ذكرته لك ، بمثابة شخص يريد ارغام التجار الذين يشترى منهم شيئا ما على أن يعدوها له واحدة واحدة كما نعد على أصابعنا ، أو كما تعد الساعات فى ساعة المدينة ، مما يظهر غباءه اذا لم يستطع العد بطريقة أخرى والذى لا يستطيع ، بدون العد على الأصابع ، معرفة أن ٥ + ٣ = ٨ ويدل على نزوة اذا كان يعرف هذه المختصرات ولا يريد استخدامها أو السماح باستخدامها . وسيكون أيضا بمثابة الرجل الذى لا يريد مطلقا أن نستخدم البديهيات والمسلمات التى أثبتت فعلا بدعوى ضرورة اخضاع كل استدلال للمبادىء الأولى حيث تظهر العلاقة المباشرة بين الأفكار والتى نعتمد عليها هذه المسلمات المتوسطة . بعد أن شرحت استخدام الصور المنطقية بالطريقة التى أعتقد أن الواجب اتباعها ، أعود الى اعتباراتك ولا أرى مطلقا كيف تريد يا سيدى ألا نستخدم القياس الا لرؤية الارتباط بين الأدلة فى مثال

واحد ، اننا لن نوافق على القول بأن الذهن يرى دائما بسهولة النتائج ؛ لأننا نرى أحيانا أن بعضها (على الأقل فى أدلة الآخرين) يفسح المجال للشك طالما لا نرى البرهان • عادة نستخدم الأمثلة لنبرر النتائج ولكن ليس هذا مؤكدا باستمرار رغم وجود فن الاختيار الأمثلة التى لن تكون صادقة أبدا اذا لم تكن النتائج جيدة • ولا أعتقد أنه كان مسموحا فى المدارس المنظمة جيدا أن ينكروا بدون أى خجل الاتفاق الواضح للأفكار ؛ ولا يبدو لى أن القياس قد استخدم لاثباتها • وعلى الأقل لم يكن الاستخدام الوحيد والرئيسى •

وسنجد غالبا أنه لا يظن (عند فحص استدلالات المؤلفين الزائفة) أنهم قد أساءوا لقواعد المنطق ، وقد جربت بنفسى أحيانا ، عندما ناقشت تحريريا بعض الأشخاص ذوى النوايا الطيبة ، أننا لم نبدأ فى التفاهم الا عندما تناقشنا صوريا لنزيل خليط الاستدلالات • لا شك أنه سيكون من العبث أن نبرهن فى المداولات بالطريقة المدرسية بسبب الأطناب التعب والمزعج لهذه الصورة من الاستدلال ، لأنها بمثابة من يعد على أصابعه • ولكن مع ذلك فى المداولات الأهم التى تخص الحياة والدولة والسلام • وليس حقا تماما أن يترك الناس أنفسهم منبهرين أحيانا بالسلطة أو بريق الفصاحة أو الأمثلة التى أسئ تطبيقها أو الأقيسة الناقصة التى تخطىء فى افتراض وضوح ما تحذف ، بل وفى النتائج الخاطئة ، بحيث يلزمهم ، من بين أمور أخرى ، منطقا صارما ولكن فى سياق يختلف عن السياق المدرسى لكى يحددوا أين يكون الأوضح أما عن الرجل العامى الذى يجهل المنطق الصناعى والذى لا يفوته أن يفكر أحيانا أفضل من أولئك المتمرنين على المنطق ، فان ذلك لا يثبت عدم فائدته ، تماما كما أن عدم فائدة الحساب الاصطناعى ان يثبته رؤية بعض الناس يحسنون العد فى المناسبات العادية دون أن يعرفوا القراءة والكتابة ودون أن يعرفوا الامساك بالريشة أو الفيشة ، بل قد يظهرون أخطاء شخص تعلم الحساب ولكنه قد يهمل أو يشوش العلامات أو السمات • حقا أن من الممكن أن تصبح الأقيسة سفسطائية

ولكن قوانينها الخاصــة تساعد في معرفتها • أن الأقيســة لا تعدل من الرأي ولا تقنع دائمــا ، ولكن لأن سوء استخدام التمييزات والحدود التي يساء فهمها تجعل الاستخدام مطولا لدرجة أن يصبح غير محتمل اذا لزم دفعه حتى النهاية • لم يبق لي هنا ســوى اعتبار اتمام حجتك المقدمة كمثال على استدلال واضح بدون الصورة التي يقول بها المناطقة • يعاقب الله الانســان (هــذا من واقع مفروض) يعاقب الله بعدالة ذلك الذي يعاقبه (هــذه حقيقة عقلية يمكن أن نسلم بأنها قوية) ∴ يعاقب الله الانســان بعدالة (هــذه نتيجة قياسية ممتدة بصورة غير قياســية الى a recto ad obliquum اذن يعاقب الانســان بعدالة (وهي عكس للعلاقة ولكنها حذفت لوضوحها) •

∴ الانســان مذنب (وهو قياس ضمني حذف منه هــذه القضية التي ليست في الواقع ســوى تعريف : ذلك الذي عوقب بعــدالة يكون مذنبا) •

∴ يستطيع الانســان أن يفعل ذلك (نحذف هــذه القضية : ذلك الذي يكون مذنبا يمكن أن يفعل خلاف ذلك) •

∴ الانســان كان حرا (تحذف أيضا : من استطاع أن يعقل خلاف ذلك يكون حــرا) •

∴ (من التعريف الحر) لديه القدرة على التحديد وهــذا ما يجب اثباته • وألاحظ كذلك أن « اذن » هــذه تتضمن في الواقع كلا من القضية المستترة « ذلك الذي يكون حرا لديه القدرة على أن يحدد » وتســتخدم لتجنب التكرار في الحدود ، وفي هــذا المعنى لا يوجد شيء محذوف ، والحجة في هذا الصدد يمكن أن تصبح كاملة • ترى أن هــذا الاستدلال نسيج من أقيســة متفقة تماما مع المنطق ، لأنى لا أريد الآن اعتبار مادة هــذا الاستدلال حيث ربما يوجد ملاحظات يجب ذكرها أو ايضاحات تطالب بها • مثلا ، عندما لا يستطيع الانسان أن يفعل خلاف ذلك توجد حالات يمكن أن يكون فيها مذنبا أمام الله

مثلما عندما يكون من السهل ألا يستطيع مساعدة جاره ليحصل على عذر ، وختاما أعترف أن صورة البرهنة المدرسية غير ملائمة عادة وغير كافية وسيئة التنظيم ، ولكن أقول فى نفس الوقت أنه ليس هناك ما هو أهم من فن البرهنة صوريا وفق المنطق الصحيح ، أى بتمام المادة ، ووضوح نظام وصورة النتائج ، سواء كانت واضحة بذاتها أو سبق اثباتها •

فيلاليت :

٥ — لقد اعتقدت أن القياس سيكون أقل فائدة أو بالأحرى لا فائدة منه مطلقا فى الاحتمالات ، لأنه لا يدفع سوى دليلا واحد نمطيا ولكن أرى الآن أنه يلزم دائما أن نثبت بقوة ما هو أكيد فى هذا الدليل النمطى نفسه ، أى المظهر الذى يوجد فيه ، وأن نتكون قوة النتيجة فى الصورة •

٦ — ومع ذلك اذا استخدمت الأقيسة فى الكم فانى أشك أنها تستطيع أن تستخدم فى الاختراع ، أى الحصول على الأدلة وعمل اكتشافات جديدة • مثلا لا أعتقد أن اكتشاف القضية السابقة والأربعين من الكتاب الأول لأقليدس تكون مطلوبة لقواعد المنطق العادى ، لأننا نعرفها أوليا ، كما أنها قابلة لأن تثبت فى صورة قياسية •

تيوفيل :

اذا ما فهمنا أنسجة الأقيسة ضمن الأقيسة هى وكل ما اسميه البرهنة الصورية ، فمن الممكن القول أن المعرفة التى لا تكون واضحة بذاتها تكتسب بالنتائج ، هذه النتائج لا تكون جيدة الا اذا كان لها صورتها المطلوبة • لاستدلال القضية التى تقول أن مربع وتر المثلث قائم الزاوية يساوى مربعى الجانبين ، فاننا نقسم المربع الكبير الى أجزاء وكذلك المربعين الصغيرين وسنجد أن أجزاء المربعين الصغيرين يمكن أن توجد كلها فى المربع الكبير لا أقل ولا أكثر • أن اثبات المساواة صوريا كذلك مساواة الأجزاء يمكن اثباتها بالحجج الصورية • لقد كان التحليل عند القدماء يعنى مثلا عند بابوس Pappus أن نأخذ ما نطالب

به وأن نستخرج منه نتائج الى أن نصل الى شىء معطى أو معروف • لقد لاحظت انه لهذا يلزم أن يكون القضايا عكسية لكى يستطيع الاستدلال فى التركيب أن يسير بعكس قضايا التحليل ، المهم دائمـــا استخراج النتائج • من الأفضل مع ذلك أن نلاحظ هنا أنه لا مجال لهذه العودة بالنسبة للفروض الفلكية أو الفيزيقية • كما أن النجاح لا يثبت حقيقة الفرض • حقا أنه يجعله محتملا ، ولكن حيث أن هذه قد تبدو مذنبـــة فى حق قاعدة المنطق التى تقرر أن من الممكن استخراج الحق من الباطل ؛ فقد يقال أنه لا مكان مطلقا لقواعد المنطق فى الموضوعات المحتملة • وأجيب أن من الممكن استنتاج الحق من الباطل وليس محتملا دائمـــا وخاصـــة عندما يبرر فرض بسيط العديد من الحقائق ، وهـــذا لمن النادر ويصعب وجوده • يمكن القول مع كاردان Carden أن منطق الاحتمالات لديه نتائج أخرى غير منطق الحقائق الضرورية ولكن احتمالية النتائج نفسها لابد وأن تثبتها نتائج منطق الضروريات •

فيـــــلاليت :

٧ ـــ يبدو وأنك من مؤيدى الدفاع عن المنطق الشعبى ولكنى أرى أن ما تقوله يخص منطقا أكثر سموا بالنسبة له يكون المنطق الشعبى بمثابة الأصـــول الأبجدية بالنسبة لعلم المعرفة • وهـــذا يذكرنى بفقرة قالها رجل القانون « هوكر » Hooker فى كتابه « السياسة الكنسية » الباب الأول الفقرة السادسة حيث يعتقد أنه اذا أمكن التزود بالمساعدات الحقيقية للمعرفة وفق التفكير ، وأننا فى هـــذا القرن الذى يعتبر مستنيرا لا نعرف كثيرا ولا يحاول أحـــد منا أن يبذل الجهد ، وأصبح الاختلاف فى قوة الحكم بين أولئك الذين ظلوا فى حالتهم الحاضرة كالاختلاف بين النـــاس فى حالتنا الحاضرة والأغبياء • وأتمنى أن يتيح حوارنا الفرصة لأن يصل البعض الى المساعدات الحقيقية للفن الذى تحدث عنه هـــذا الرجل العظيم الذى يتمتع بذهن نافذ • وأن يصبحوا مقلدين ولن يشبهوا الدواب التى تتبع الطريق المهد • ومع ذلك أجـــرؤ على

القول أنه يوجد فى القرن أشخاص يتمتعون بهـذه القوة فى الحكم وبهـذا الذهن الثاقب ويمكنهم الحصـول على طرق جديدة لتقـدم المعرفة اذا أرادوا أن يجهدوا أنفسـهم وأن يوجهوا أنظارهم الى هـذا الجانب •

تيوفيـــــل :

لقد لاحظت جيدا يا سيدى مع المرحوم « هوكر » أن العالم لا يبذل الجهد فى هـذا المجال ، وعلاوة على ذلك أعتقد انه يوجـد وأنه قد وجد أشخاص قادرون على النجاح فى هـذا المضمار • كما يجب الإعتراف ان لدينا الآن مساعدات كبرى سواء في جانب الرياضيات أو الفلسفة ولا يعتبر بحث صديقك الممتاز عن الفهم الانســانى اقلها وسنحاول أن نرى هل هناك وسيلة للاستفادة منه ؟

فيـــلاليت :

٨ ـ يلزمنى القول يا سيدى انى اعتقدت وجود خطأ واضح فى قواعد القياس ولكن مناقشتك لى جعلتنى أتردد • وسأعرض عليك على أى حال الصعوبات التى تعترضنى يقال « لا يمكن لأى استدلال قياسى أن يكون منتجا اذا لم يحتوى على قضية كلية على الأقل • ولكن ويبدو لى أنه لا يوجد سوى الأشياء الجزئية التى تكون الموضوع المباشر للاستدلال ولمعارفنا ، وهى لا تدور سوى على اتفاق الأفكار التى كل منها لا وجود لها الا جزئيا ولا تمثل الا شيئا مفردا •

تيوفيـــــل :

بقدر تصورك تشـابه الأشياء يمكنك أن تتصور شيئا ما أكثر ، والكلية لا تتكون الا من ذلك ، لن تقترح أبدا أى حجة من الحجج دون أن تسـتخدم فيها حقائق كليـة من الأفضل على أى حال أن نلاحظ أن القضايا الشخصية (من الناحية الصورة) تكون كلية • لأنه مهما كان

حقا أنه لا يوجد سوى مبشر واحد هو القديس بطرس فان من الممكن القول أنه أيا كان القديس بطرس فقد أنكر سيده • وهكذا يصبح القياس : القديس بطرس أنكر سيده • (مع أنها ليست ، سوى قضية شخصية) قائما على قضايا كلية موجبة ويصبح نمطه Darapti من الشكل الثالث •

غيلاليت :

أريد كذلك القول أنه يبدو لى من الأفضل أن نغير مكان الأتيسة ونقول كل أ يكون ب ، كل ب يكون جـ ∴ كل أ يكون جـ •

بدلا من أن نقول كل ب يكون جـ ، وكل أ يكون ب ∴ كل أ يكون جـ•

ولكن يبدو لى حسب قولك أنهما سيعتبران من نفس النمط • حقا أن التنظيم المختلف عن التنظيم الشعبى سيظل دائما مستعدا أكثر لعمل نسيج من عدة أقيسة •

تيوفيل :

انى متفق معك تماما • ومع ذلك يبدو أنه من الناحية التعليمية يحسن أن نبدأ بقضايا كلية مثل المقدمات الكبرى فى الشكلين الأول والثانى هناك أيضا خطباء لديهم هذه العادة • ولكن الرابطة تبدو أفضل على النحو الذى نقترحه ، لقد لاحظت من قبل ان أرسطو قد يكون لديه مبررا خاصا للتنظيم الشعبى ، لأنه بدلا من القول أ تكون ب اعتاد القول ب تكون فى أ وبهذه الطريقة من التعبير تأتى الرابطة التى تطالب بها فى التنظيم السائد لأنه بدلا من القول ب تكون جـ ، أ تكون ب ، •• أ تكون جـ يعلن عنهما هكذا جـ تكون هى ب ز ، ب تكون فى أ ••• جـ تكون فى أ ، مثلا بدلا من القول أن المستطيل متساوى الزوايا (أى له زوايا متساوية) والمربع يكون مستطيلا •• المربع يكون متساويا الزوايا •• فان أرسطو بدون تغيير فى مكان القضايا يحتفظ

بالمكان الوسط للحد الأوسط عن طريق اعلان القضايا التى يعكس حدودها ويقول « المتساوى الزوايا يكون فى المستطيل والمستطيل يكون فى المربع •• متساوى الزوايا يكون فى المربع • ونحن لا نحتقر هـذه الطريقة من التعبير لأن فى الواقع المحمول يكون فى الموضوع أو بالاحرى فكرة المحمول متضمنة فى فكرة الموضوع ، مثلا فكرة المتساوى الزوايا تكون فى المستطيل ، لأن المستطيل هو الشـكل الذى زواياه تكون قائمة • وبما أن كل الزواية القائمة متساوية فيما بينها فان فكرة المستطيل هى فكرة الشـكل الذى كل زواياه متساوية وهى فكرة المتساوى الزوايا • طريقة التعبير الشـعبية تهتم بالاحرى بالأفراد أما طريقة أرسطو فتختص أكثر بالأفكار أو الكليات • لأن القول « كل انسـان حيوان » تعنى القول أن كل الناس متضمنة فى كل الحيوانات ، ولكنى أفهم فى نفس الوقت أن فكرة الحيوان متضمنة فى فكرة الانسـان • الحيوان يشمل أفرادا أكثر من الانسـان ، ولكن الانسـان يشمل أفكارا أو صورية أكثر ، أحدهما لديه أمثلة أكثر والآخر لديه مفهوم أكثر • كذلك يمكن القول بحق أن النظرية القياسية كلهـا يمكن اثباتها بنظرية الشـامل والمشمول Compris , Comprenat. وهى تختلف عن نظرية الكل والجزء ، لأن الكل يفوق دائمـا ولكن أحيانا يكون الشامل والمشمول متساويين كمـا يحدث فى القضايا العكسية •

غيـلاليت :

٩ ــ بدأت أسلم بفكرة عن المنطق مختلفة تماما عن تلك التى كانت لدى من قبل • لقد كنت أنظر اليه باعتباره تسلية طلبة ، وأرى الآن أنه نوع من الرياضية الكلية بالمعنى الذى تقصده • شكرا لله أن أمكن دفعه لأكثر مما هو عليـه ، لكى نتمكن من الحصول على مساعداته الحقيقية للعقل التى تتحدث عنها هوكر والتى ترفع البشرية الى أعلى من حالتهم الحاضرة • والعقل ملكة فى حاجة كبيرة اليها لأن امتداده محدود ،

ولحاجتنا اليها فى عديد من المقابلات ، وذلك لأنه (١) أحيانا ينقصنا الأفـكار •

١٠ ــ أحيانا (٢) تكون غامضة وغير كاملة أما عندما نوجد الأفكار الواضحة والمتميزة ، كما فى الأعداد ، فاننا لن نجد أى صعوبات لا يمكن تخطيها ولن نقع فى أى تناقض •

١١ ــ (٣) أحيانا تأتى الصعوبة من نقص الأفكار المتوسطة ، ومن المعروف أنه قبل اكتشاف الجبر ، هـذه الأداة الكبرى والدليل على حكمة الانسـان ، كان النـاس يتعجبون من استدلالات كثيرة فى الرياضيات القديمة •

١٢ ــ (٤) يحدث أيضا أن تبنى الاستدلالات على مبادىء خاطئة ، مما يوقعنا فى صعوبات حيث تبتعد عن الوضوح وتشوش العقل أكثر •

١٣ ــ (٥) أخيرا الحدود التى دلالاتها غير يقينية تقلق العقل •

نيوفيـــــل :

لا أعرف هل ينقصنا من الأفكار بالقدر الذى تظنه ؟ ، أقصد الأفكار الواضحة ، أما الأفكار الغامضة أو الخيالات أو بالاحرى اذا أردت الانطباعات، كالألوان والأواق ••• الخ التى تكون نتيجة لعديد من الأفكار الصغيرة المتميزة فى ذاتها والتى لا ندركها بتميز ، فانه ينقصنا قدر لا حصر له وهى تناسب مخلوقات أخرى غيرنا ولكن هـذه الانطباعات تستخدم أيضا فى الحصول على الغرائز وتأسيس الملاحظات المستمدة من التجربة أكثر من استخدامها فى تزويد العقل بالمـادة ما لم يصاحبها الادراكات المتميزة الذى يعوقنا لذن هو نقص المعرفة التى لدينا عن هـذه الأفكار المتميزة المتخفية فى تلك الغامضة ، مع أن الكل قد عرض بتميز أمام حواسنا أو ذهننا • ان كثرة الأشـياء التى يجب اعتبارها تربكنا أحيانا • مثلا عندما يوجد كومة من ١٠٠٠ كرة من الواضح أنه لكى ندرك جيدا عـدد وخصائص هـذه الكثرة ، يلزمنا الكثير لتنظيمها

فى مجموعات كما تفعل المحلات ؛ لكى تحصل عنها على أفكار متميزة بل ولتضعها بحيث نستطيع أن نتحاشى جهد عدها أكثر من مرة • كثرة الاعتبارات أيضا هى التى تؤدى ؛ فى علم الأعداد نفسه . الى صعوبات كبرى ، لأننا نبحث فيه عن مختصرات ولا نعرف أحيانا هل فى ثنايا الطبيعة ما يرضى الحالة التى نحن بصددها • مثلا ماذا يوجد أبسط . فى الظاهر ، من فكرة العدد الأولى ، أى العدد الكامل غير القابل للقسمة بأى عـــدد آخر ، باستثناء قسمته بالوحدة أو بنفسه ؟ ومع ذلك مازلنا نبحث عن علامة ايجابية وسهلة لمعرفتنا بيقين بدون محاولة كل القواسم الأولية • اللهم الا الجذر المبع للعدد الأولى المعطى : يوجد العديد من العلامات التى تجعلنا نعرف بدون حساب كثير أن هـــذا العدد ليس أوليا ، ولكننا نطلب علاقة واحدة تكون ســـهلة وتجعلنا نعرف بيقين أنه أولى يكون كذلك • وهـــذا ما يجعل الجبر أيضا غير كامل مع أنه لا يوجد من الأفكار ما هو معروف أكثر من تلك التى يستخدمها ، ما دامت لا تعنى سوى أعدادا بوجه عام ، لأن الجمهور لم يملك بعد الوســيلة لاســتخراج الجذور اللاعقلية Irrationnelle لأى معادلة تتجاوز الدرجة الرابعة (ما عدا فى حالة محصورة جدا) والمناهج التى يستخدمها De Fer , Scripion, Diophente , louis de Ferrare. وخاصة بالنسبة للدرجـــات الثانيـــة والثالثة والرابعـــة ؛ لـــكى يخضـــعوها للأولى أو ليخضعوا المعـــادلة المعينة الى معادلة خالصة ، وهى كلهـــا تختلف فيما بينها ، أى أن تلك المستخدمة لدرجة ما تختلف عن تلك المستخدمة لدرجة أخرى ، لأن الدرجة الثانية أو المعادلة المربعة تخضع للأولى ، بحذف الحد الثانى فقط ، الدرجة الثالثة أو المعادلة المكعبة فتحل بأن نقطع غير المعروف الى أجزاء فيحدث لحسن الحظ معادلة من الدرجة الثانية • وفى الدرجة الرابعة أو الـــ biquadrates نضيف شـــيئا الى جانبى المعادلة ليمكن استخراجها من جهة ومن الأخرى ؛ ويحدث أيضا لحسن الحظ أنه لكى نحصل على هـــذا لا نحتاج الا لمعادلة مكعبة فقط ولكن كل هـــذا ليس الا مزيجا من الصدفة والفن والمنهج • وفى الدرجتين

الأخيرتين قد لا نعرف هل سنوفق أم لا • كذلك مازال يلزمنا براعة أكثر حتى نوفق فى الدرجة الخامسة والسادسة التى تكون , bicubes sursolides ، ومع أن ديكارت اعتقد أن المنهج الذى استخدمه في الرابعة بادراك المعادلة كأنها ناتجة عن معادلتين مربعتين أخرتين (لكنه فى الأساس لم يتمكن من اعطاء أكثر من تلك التى أعطاها لويس فيرارى • يمكن أيضا أن ننجح فى السادسة ، وهـذا ما لم نجده مطلقا • هـذه الصعوبة تظهر أنه ما زالت الأفكار الأكثر وضوحا والأكثر تميزا لا تعطينا دائمـا كل ما نطلب وكل ما يمكن أن نستخرجه منها ، وهـذا يجعلنا أيضا نحكم أنه يلزمنا الكثير لكى يكون الجبر فنا للاختراع مادام هو نفســه فى حاجة الى فن أعم ، بل ويمكن القول أن الحساب الجبرى بوجـه عام فن الخصائص يصبح سـندا عظيما لأنه يحرر الخيال • لن يشك أحد مطلقا عندما يرى حساب Diophante ،كتب Pappus , Apollonius الهندسية فى القدماء كان لديهم شىء ما • لقد أعطى أمتدادا أكثر عندما عبر ليس فقط عن المطلوب وانما أيضا عن الأعداد المعطاه بحروف عامة يكون بذلك قد فعل مستخدما الحساب ما فعله أقليدس مستخدما الاستدلال ، وقد نقل ديكارت تطبيق هـذا الحساب الى الهندســة بأن رمز للخطوط بمعادلات • ومـع ذلك فان السـيد Bouillard ، عالم الهندسة الممتاز الذى عرفته فى باريس مازال مندهشا ، رغم اكتشافى فى الجبر الحديث ، لبراهيم أرشميدس على اللولب spirale ولم يسـتطع فهم كيف أراد هـذا الرجل العظيم اسـتخدام حماس هـذا الخط لقياس محيط الدائرة يبـدو أن الأب جريجور دى فنسنت قد ضمن أنه قد توصل الى ذلك بالتوازى بين اللولبى spirale والقطع المكافىء parabole ولكن هذا الطريق ليس الا جزئيا فى حين أن الحساب الجديد للمتناهيات الذى يتقدم عن طريق المتغايرات differences التى ذكرها ، والتى حـازت نجاحا لدى الجمهور ، تعطينا طريقة عامة يصبح بها هذا الاكتشاف بواسطة اللولبى مجرد لعبة ومحاولة من أسهل المحاولات مثل كل ما سبق أن حصلنا عليـه

من قبل فى مادة أبعاد المنحنيات • ويرجع تفوق هـذا الحساب الجديد الى أنه يحرر الخيال من المشكلات التى استبعدها ديكارت من عند ستة بحجة أنها تؤدى الى الآلية فى الغالب ، والحقيقة أنها فى الأساس لا تتناسب مع حسابه • بالنسبة للأخطاء الناتجة عن الحـدود الغامضة علينا أن نتجنبها •

فيـــــلاليت :

هناك أيضا حالة لا يمكن أن نستعمل فيها العقل ، ولسنا فى حاجة اليه ، بل ونفضل فيها البصيرة على العقل • أنها حالة المعرفة الحدسية حيث يظهر ارتباط الأفكار والحقائق مباشرة • تلك هى معرفة البديهيات التى لا جدال فيها وأميل الى الاعتقاد أنها تشبه درجة الوضوح التى لدى الملائكة حاليا والتى ستحصل عليها الأذهان البشرية المضبوطة اذا ما وصلت الى الكمال وأصبحت فى حالة تسمح لهم بادراك آلاف الأشياء التى لا يدركها حاليا فهمنا •

١٥ ــ ولكن الاستدلال القائم على أفكار متوسطة يعطى معرفة معقولة • ذلك لأن الرابطة بين الفكرة المتوسطة من جهة وأول القياس وآخرة من جهة أخرى تكون ضرورية وتظهر بنوع التجاور الذى يسيئه ذلك الذى يكون بين مقياس معين نقيس به تارة هـذه القطعة من القماش وتارة تلك القطعة الأخرى لنرى أنهما متساويات •

١٦ ــ ولكن اذا كانت الرابطة احتمالية فحسب فان الحكم لا يعطى ســوى اعتقاد •

تيوفيــــــل :

الله وحـده يتميز بأنه لا يحصل الا على المعـارف الحدسية • أما النفوس السعيدة مهما انفصلت عن هذه الأجسام الغليظة ، وحتى الجن مهما كانت سامية ولديها كمعرفة حدسية أكثر منا ، ونرى أحيانا

بلمح البصر ما لا نصل اليه الا بقوة النتائج بعد جهد وزمان لابد أن يعترضها أيضا صعوبات والا فلن تجد لذلك فى الحصول على اكتشافات تكون كبيرة جـدا • ويجب دائما معرفة أن هناك حقائق لا حصر لها تخفى عليهم ، أما تماما أو لفترة من الزمن وحيث يجب أن يصلوا اليها بقوة النتائج وبالاستدلال بل وأحيانا بالتخمين •

فيـــــــلاليت :

اذن هؤلاء الجن ليسوا الا حيوانات أكمل منا ، كأنك تريد أن نقول مع أمبراطور القمر أن كل شىء يشبه ما لدينا •

تيوفيـــــــــــل :

انى أقول ذلك ولكن الأمر ليس كذلك بالنسبة لأساس الأشـــياء لأن طرق ودرجات الكمال تتغير الى ما لا نهاية • ومع ذلك يظل الأساس هو نفسه فى كل مكان ، وهـــذه بديهية أساسية عندى ، وتسود فلسفتى كلها • انى لا أتصور الأشـــياء غير المعروفة بشكل غامض الا بنفس الطريقة التى أتصور بها تلك التى تكون معروفة لنا بتميز ، وهـــذا يجعل الفلسفة أسهل ، بل واعتقد أن من الواجب أن نستخدمها هكذا : ولكن اذا كانت هـــذه الفلسفة هى الأبسط فى الأساس فانها أيضا الأغنى فى الطرق لأن الطبيعة يمكنها أن تغيرها الى ما لا نهاية وهـــذا ما تفعله بوفرة وبنظام وبأكبر قدر يمكن تصوره • لهذا أعتقد أنه لا يوجد جين ، بقدر ما يمكن تصوره ، ومهما كان ساميا ، الا ويعلوه عـــدد لا نهائى ومع ذلك مهما كنا أقل من كثير من الكائنات العاقلة فاننا نتميز بأننا لسنا محكمين بشكل واضح فى هذا الكون الذى نتمتع فيه بالمرتبة الأولى دون منازع ، ومع كل الجهل المنغمس فيه سـعداء دائمـــا لأننا لا نرى شـيئا يفوقنا ، مع اننا تافهين فاننا نستطيع أن نحكم ، كما حكم قيصر الذى فضل أن يكون الأول فى ضيعة صغيرة عن أن يكون الثانى فى روما • علاوة على انى لا أتحدث عنا الا عن المعارف الطبيعية لهذه النفوس

وليس عن الرؤية الجمالية ولا الأنوار التى تفوق الطبيعة التى يريد الله أن يمنحها لهم •

فيـــبـــلاليت :

١٩ – حيث أن كل واحد منا يستخدم العقل أما مع نفسه أو مع الآخرين فليس عبثا أن نذكر بعض الأفكار عن أربعة أنواع من الحجج اعتاد الناس استخدامها ليكسبوا غيرهم الى صفهم أو على الأقل ليحتفظوا باحترامهم ويحولوا دون اعتراضهم ، الحجة الأولى يمكن أن نسميها argumentum ad verecundiem عندما نذكر اعتقاد أولئك الذين وصلوا الى السلطة بمعرفتهم أو بمركزهم أو قوتهم أو بأى شكل آخر ، لأنه عندما لا يخضع الآخر نميل بسرعة الى لومه واعتباره مغرورا بل وقد نتهمه بالغطرسة •

٢٠ – توجد حجة ثانية argumentum adignorantium وهى أن نطلب من الخصم أن يقبل الدليل أو أن يذكر دليلا أفضل •

٢١ – الحجة الثالثة : argumentium ad hominem عندما نضغط على المرء بما يقوله هو نفسه •

٢٢ – أخيرا الحجة الرابعة argumentium ad judicium التى تقوم على استخدام الأدلة المستمدة من أجدى مصادر المعرفة أو الاحتمال وهى وحدها من بين هذه كلها التى تجعلنا نتقدم ونتثقف ، لأنه اذا لم أستطع المعارضة احتراما أو اذا لم يكن لدى الأفضل الذى أقوله أو اذا أفحمت فلا ينتج عن ذلك اطلاقا أنك محق ، قد أكون متواضعا جاهلا ، مخدوعا ويمكن أن تخدع أنت كذلك •

تيوفيــــــل :

لا شك أنه يجب أن نفرق بين ما يحسن قوله وما هو جدير بأن نعتقده، ومع ذلك حيث أن معظم الحقائق يمكن أن نقبلها بحماس ، فهناك حكم

مسبق ضد اعتقاد يجب اخفائه • الحجة ad ignorantum تكون صالحة فى حالات التخمين حيث من المعقول أن نتمسك باعتقادنا الى أن تثبت العكس • الحجة الثالثة ad hominem تتميز بأنها تظهر خطأ هـذا التقرير أو ذاك ، وأن الخصم أخطأ بشكل ما لأنه أخذ به يمكن أيضـا أن نضيف حججا أخرى كتلك التى تسمى ad vertiginem التى تكون على صـورة هـذا الاستدلال : اذا لم يقبل هـذا الدليل فلن يكون لدينا أى وسـيلة للوصول الى اليقين بخصوص هـذه النقطة • وهـذا غير معقول • هـذه الحجة تصلح فى حالات معينة ، عندما يريد شخص ما أنكار الحقائق الأولية والمباشرة ، مثلا لا شىء يمكن أن يكون ولا يكون فى نفس الوقت ، لأنه اذا كان حقا فلن توجد أى وسـيلة لمعرفة أى شىء أيا كان • ولكن اذا جعلنا منها مبادىء معينة وسلمنا بهـا فان يسقط المذهب الذى تقوم عليـه أى نظرية ولن تكون الحجة حاسمة ، لأنه يجب التمييز بين ما هـو ضرورى لدعم معارفنا وبين ما يسـتخدم كأساس لنظرياتنا المقبولة أو لممارستنا •

أحيانا يسـتخدم بعض الفقهـاء استدلالا قريبا منه لتبرير حكم الادانة أو لتعذيب مدعى بناء على شـهادة المتهمين الآخرين فى نفس الجريمة • لأنه يقال اذا سقطت هذه الحجة كيف تقنعهم ؟ وأحيانا فى الأمور الجنائية يدعى بعض المؤلفين أنه فى حالة الدقائق التى يصعب فيها الاقناع يمكن أن نكتفى بالأدلة الأخف ولكن لن يكون هـذا مبررا • هـذا يثبت فقط اننا فى حاجة الى عناية أكثر ، ولا يعنى أن نعتقد بسـهولة ، ما عدا فى الجرائم الخطيرة جـدا كما فى حالات الخيانة العليـا حيث يكون لهذا الاعتبار وزنه ، ليس لادانه المتهم وانما لنحول دون ايذائه ، وبحيث يمكن أن نجد له مكانا وسطا ، ليس بين أحـكام القوانين والعرف التى تقرر أنه مذنب أو غير مذنب وانما بين تلك الأحكام التى تحكم بالادانة أو رفض الدعوى • لقد استخدمت حجة كهذه فى ألمـانيا منذ فترة ، لتكييف الحكم على مصـانع النقود المزيفـة ، وأنه قيل ، اذا تمسكنا بالقواعد المسجلة فلن نستطيع مطلقا سك النقود

دون خســارة ، يجب اذن أن يسمح بافساد الخليط . ولكن دون أن نضطر الى انقاص الوزن فقط أو الخليط أو العنوان ، وبذلك نتحاشى الغش • من المفروض أن الممارسة ضرورية وهى غير موجودة . لأنه لا يوجد أى نظام سـماوى ولا أى قانون بشرى يرغم أولئك الذين لا يملكون المناجم ولا الفرصة للاستثمار المضمون على صك النقود وأن يصنعوا النقود من الفضة ، انها ممارسة رديئة تلك التى تحمل معها الفساد بصورة طبيعية ، وقد يقال كيف نمارس حقا فى صكها ، والاجابة سهلة أن تقنع بصك قليل من الفضة الجيدة ولو بخسارة قليلة اذا اعتقدت أنه يهمك أن تظل تحت المطرقة دون أن يكون لديك الحاجة أو الحق فى أن تغرق العالم بالنقد البرونزى الردىء •

فيـــــــلاليت :

٢٣ ــ بعد أن قلنا كلمة عن علاقة عقلنا بالآخرين ، نضيف شـيئا عن علاقته بالله ، الذى يجعلنا نميز بين ما يعارض العقل وما يفوق العقل من النوع الأول كل ما هو غير متفق مع أفكارنا الواضحة والمتميزة ، ومن النوع الثانى كل احساس لا نرى أن نصدقه أو احتماله يمكن أن يخضع للاحساس أو التفكير بمساعدة العقل ، وعلى هــذا وجود أكثر من اله يعارض العقل ، وبعث الموتى يفوق العقل •

تيوفيـــــــــل :

ألاحظ شيئا بالنسبة لتعريفك ما يفوق العقل ، على الأقل اذا ربطته بالاستخدام السـائد لهذه العبـارة ، لأنه يبدو لى أن هــذا التعريف بالصورة التى وضع بها يذهب بعيدا جـدا فى جانب وغير بعيد فى جانب آخر ، واذا اتبعناه فكل ما نجهله ولا نستطيع معرفته فى حالتنا الحاضرة سيفوق عقلنا ، مثلا أن هــذا النجم الثابت أكثر أو أقل حجما من الشمس ، وكذلك أن فيزوف سيقذف نارا فى عام معينة ، أنها وقائع معرفتها تفوقنا ، ليس لأنها تفوق الحواس لأننا نستطيع أن

نحكم عليها اذا حصلنا على أعضاء أكثر كمالا ومعلومات أكثر من الملابسات هنـــاك أيضا صعوبات تفوق ملكتنا الحالية ولكنها ليست فوق كل عقل مثلا لا يوجـنـد أى علم للفلك فى امكانه آن يحسب خسوف لداربيتر Peter دون أن يمسك القلم ، ومع ذلك ربما يوجد من الجن من يكون هـــذا بالنسبة اليه مجرد تسلية • ومع ذلك يمكن أن نصيح كل هـــذه الأشـــياء معروفة أو عملية بمساعدة العقل بافتراض معلومات أكثر عن الوقائع وأعضاء أكثر كمالا وذهنا أرفع •

فيـــــــلاليت :

اذا كان الأمر كذلك فأنت محق • ولكن ستبقى صعوبة أخرى هى أنه يوجد شىء يفوق العقل حسب تعريفك ، لأن الله يستطيع دائما أن يعطى الوسائل لمعرفة أى حقيقة بالحواس أو بالتفكير ، وحيث أنه فى الواقع ستصبح أكبر الأسرار معروفة بشـــهادة الله وبدوافع القابلية للتصديق التى يعتمد عليها ديننا ، هذه الوقائع لا تعتمد بدون شك على الاحساس والتفكير • يبدو اذن أن السؤال ليس : هل يمكن أن نستدل وجود واقع أو حقيقة قضية ما من مبادىء يستخدمها العقل ، أى من الاحساس والتفكير ، أو من الحواس الخارجية والداخلية.؟ وانما هو : هل يستطيع الذهن المخلوق معرفة كيفية هـــذا الواقع أو السبب القبلى لهذه الحقيقة ؟ بحيث يمكن القول أن ما فوق العقل يمكن أن نعلمه ولكن لا يمكن فهمه عن طريق قوى العقل المخلوق • مهما كان كبيرا وساميا أن الله وحده هو القادر على أن يفهمها ، كما يخصه.فقط أن نحققها فى الواقع •

فيـــــــلاليت :

هذا الاعتبار يبدو جيدا ، وهذا ما أحب أن يفهم به تعريفى • هـــذا الاعتبار نفسه يؤكد أيضا فى اعتقادى أن طريقة الحديث التى تقابل بين العقل والايمان مهما كانت مألوفة فانها غير صالحة ، لأنه بالعقل

يجب أن نعتقد • الايمان تصديق قوى ، والتصديق المنظم كما يجب لا يمكن أن يقوم الا بناء على أسباب جيدة وهكذا ذلك الذى يعتقد دون أن يكون لديه مبررا لاعتقاده يمكن أن يكون محبا لنزواته ؛ ولكن ليس حقا أنه يبحث عن الحقيقة ولا أنه يطيع طاعة مشروعة لربه المقدس الذى يريد منه أن يستخدم ملكاته التى زوده بها ليعصمه من الخطا والا فانه اذا حدث أن سلك الطريق الصواب فسيكون بالصدفة أما إذا سلك الطريق الخطأ فذلك بناء على خطئه الذى سيحاسبه الله عليـه •

تيوفيـــــــل :

أحييك بقوة يا سيدى مادمت تريد أن تؤسس الايمان على العقل وبدون ذلك لمـاذا نفضل الانجيل على القرآن أو الكتب القديمة للبراهمة ؟ هـذا ما عرفه جيدا لاهوتينا وعلماؤنا ، وهـذا ما جعلنا نملك مؤلفات جميلة عن حقيقة الدين المسيحى والعديد من الحجج المؤيدة له ضـد الوثنيين والكفار ، القدماء منهم والمحدثين ، كذلك وضع الحكماء دائمـا الى الشك فى أولئك الين يدعون انه لا داعى لبذل الجهد فى تقديم الحجج والمبررات فيما يتصل بالاعتقاد ؛ وهـذا شىء مستحيل فى الواقع - مع الأقل لا يعنى الاعتقاد ان نردد أو نكرر أو نترك الأمور تمر بسهولة ، كما يفعل كثير من الناس وهـذه أيضا خاصية بعض الأمم أكثر من غيرها • لهذا أراد بعض الفلاسفة الأرسطيين فى القرن ١٥ ، ١٦ والذى مازالت آثارهم باقية منذ ذلك الحين (هـذا ما يؤيده خطابات المرحوم نودى Naudé وأتباعه Neadeana) أن يتمسكو بحقيقتين متقابلتين احداهما فلسفية والأخرى لاهوتية ، بالنسبة للأخـيرة متفق مع Letrau فى عهد ليون العاشر • وعلى معارضتها ، كما سبق أن لاحظت من قبل •

وقد أثير فى المـاضى صراع مشـابة فى هلمستاد بين هرغمان Hoffmann اللاهوتى ، وكورنى مارتن الفيلسوف وان اختلف عنه فى ان الفيلسوف يوفق بين الفلسفة والوحى فى حين يريد اللاهوتى أن يستبعد استخدامها • وقد أيد الفيلسوف الدوق جول Jules مؤسس

الجامعة حقا أنه يوجد فى عصرنا شخص له مكانته العالية يقول « يلزمنا فى الايمـان أن نفقـأ أعيننـا لنرى بوضوح » ويقـول Tertullien هـذا حق ، لأنه مستحيل ، يجب أن نعتقد فيه لأنه نوع من اللامعقول » ولكن اذا كان قصد هؤلاء الذين يفسرونه بهذه الطريقة سليما ، فان هـذه التعبيرات تتجاوز الحد ويمكنها أن تؤذى • لقد تحدث القديس بول بمعرفة أكثر عندما قال ان حكمة الله قد تبدو أمام البشر حماقة ، وذلك لأن البشر لا يحكمون على الأشياء الا بناء على تجربتهم وهى محدودة تماما ، وكل ما لا يتفق معها يبدو غير معقول • ولكن هذا الحكم جزء جـدا لأنه يوجد أيضا لا نهاية من الأشـياء الطبيعية التى تبدو لنا غير معقولة كالحال بالنسبة للجليد الذى قيل للملك سيام أنه يغطى أنهارنا ولكن نظام الطبيعة نفسـه لأنه لا يخضع لأى ضرورة ما بعد طبيعية ، لا يؤسس الا بناء على رغبة الله الطيبة ، بحيث يمكن أن يستبعد منها ، لمبررات عليا تتطلبها العناية ، كل ما لا يجب أن يحدث الا بناء على أدلة جيدة لا يمكن أن تأتى الا من شهادة الله نفسه التى يجب أن تمتثل لها كلية عندما تتحقق كما ينبغى •

***

الاشـخاص

(١) Hooker لاهوتي انجليزي ولد في Heavitrée بالقرب من Exeter سـنة ١٥٥٤ وتوفي سـنة ١٦٠٠ عمله الرئيسي هو قوانين السياسة الكنسـية Laws of ecclesiastical Policy .

(٢) Diophante من الاسكندرية عاش في عصر الامبراطور جوليان حوالي سـنة ٣٦٠ مؤلف أقدم بحث في الجبر حصلنا عليـه . له عـدة طبعات اهمها طبعة تولوز سـنة ١٦٧٠ عليها ملاحظات فيرما Fermat

(٣) Scipion يهودي بوهيميا ولد في Pilsen سـنة ١٥٦٧ واشتغل بالفلسفة والرياضيات واللاهوت .

(٤) Bouillan (وليس Bouilland) رياضي ولد في لندن سـنة ١٦٠٥ وتوفي في باريس سـنة ١٦٩٤ هاجم قوانين كلبر Kelper في كتـابه Astronomica philolaica

(٥) Gregorie de st. Vincent عالم هندسة مشـهور ولد في Bruges سـنة ١٥٨٤ وتوفي في Gand سـنة ١٦٦٧ عمله الرئيسي Opus geometricum quadraturae circuli et sectionum coni .

(٦) Naudé (جابرييل) عالم مشـهور في القرن ١٧ ولد في باريس سـنة ١٦٠٠ وتوفي سـنة ١٦٥٣ في Abbeville كان أمين مكتبـة الكاردينال مازاران واهم اعماله :

appologie pour les grands hommes, sous connés de magie, 1625, Consideration politique sur les coups d'état. Rome 1639.

الفصل الثامن عشر

الايمان والعقل وحدودهما الواضحة

نيوفيــــــل :

... علينا أن نقف على طريقة فى الحديث شائعة وأن نحرص لحـد ما على التمييز بين الايمان والعقل ، ومن الأفضل أن نشرح بوضوح هـذا المعنى وأن نقرر الحدود التى بين هذين الشيئين ؛ لأن عدم تأكيد هـذه الحدود قد أدى يقينا الى صراعات كبرى فى العالم ، وربما قد أثار اضطرابات كبرى . من الواضح على الأقل الى أن ننتهى من تحديدهما ، أن من العبث التنازع حولهما مادام لابد من استخدام العقل عند مناقشة الايمـان .

٢ ـ ألاحظ أن كل طائفة يسرها أن تستخدم العقل بالقدر الذى يمكنها من الاعتماد عليه . وبمجرد أن يعجز العقل نجدهم يصيحون أن هذا من أمور الايمان الذى يفوق العقل . ولكن من الممكن أن يستخدم الخصم نفس العيب عندما نهتم بالاحتجاج عليه ما لم نوضح لمـاذا لم تسمح له بهذا فى حالة تبدو مشابهة : انى افترض اننا نقصد العقل هنا اكتشاف يقين أو احتمال القضايا المستمدة من معارف اكتسبناها باستخدام ملكاتنا الطبيعية ؛ أى بالاحساس أو التفكير ، ونقصـد بالايمان التصديق الذى نعطيه لقضية قائمة على الوحى أى على اتصال غير عادى بالله لا يمكنه اطلاقا أن ينقل للآخرين أى فكرة جديدة بسيطة لأنه لا يستخدم سوى كلمات أو علامات أخرى تثير فينا أفكار بسيطة ارتبطت العادة بها أو بتركيباتها : مثلا الأفكار الجـديدة التى تلقاها القديس بطرس عندما ارتفع الى السماء الثالثة لم يستطع التعبير عنها سوى بقوله « أنها اشياء لم تراها عين ولم تسمعها اذن ولم تدخل ابدا قلب بشر » ولنفرض مثلا وجود مخلوقات فى كوكب جوبتر مزودة

بستة حواس وأن الله قد زود : بصورة غير طبيعية ، فرد منا بأفكار هذه الحاسة السادسة ، فلن يمكنه استخدام الكلمات لنقلها الى الآخرين • يجب اذن أن نميز بين الوحى الأصيل والتقليدى الأول انطباع يضعه الله مباشرة فى الذهن ولا يمكن تثبيت حدوده • والآخر لا يأتى الا بالطرق العادية للاتصال ولا يمكنه أن يعطى افكارا جديدة بسيطة •

٤ ــ حقا أيضا أن الحقائق التى يمكن اكتشافها بالعقل يمكن أن تنقل الينا بالهام تقليدى ، وذلك عندما أراد الله أن ينقل الى البشر النظريات الهندسية ، ولكنها لن تكون ذات يقين ما لم نستدلها عن طريق الربط بين الأفكار • وكما أن لدى نوح معرفة يقينية عن الطوفان تفوق تلك التى نكتسبها من كتاب موسى وذلك لان اليقين الذى رآه موسى وهو يكتبه فعلا وبأنه فعل المعجزات التى تدعم بعثه يفوق يقيننا •

٥ ــ هذا ما يجعل الوحى لا يتعارض مع بديهية العقل الواضحة ، لانه مع أن الوحى مباشر وأصيل الا أنه من الواجب أن نعرف بوضوح اننا لا نخطىء مطلقا بنسبته الى الله ، واننا نفهم معناه ، ولا يمكن أبدا أن يكون هذا الوضوح أكبر من ذلك الخاص بمعرفتنا الحدسية ، وبالتالى لن نسلم بأى قضية باعتبارها وحيا الهيا اذا ما تناقضت مع هذه المعرفة المباشرة ، والا فلن يبقى أى اختلاف فى العالم بين الحق والباطل ، ولا أى مقياس يميز بين الاعتقاد وعدم الاعتقاد ، وليس من المناسب مطلقا أن يصدر شىء عن الله ، هذا الصانع الخير لوجودنا والذى نسلم بحقيقته ، ليقلب أسس معارفنا ويجعل كل ملكاتنا بدون فائدة •

٦ ــ أولئك الذين لا يحصلون على الوحى الا بوسيط أو النقل من فم الى فم أو بالكتابة ، فى حاجة أكثر للعقل ليتأكدوا منه •

٧ ــ ومع ذلك من الحق دائما أن نعتبر الأمور التى تفوق ما يمكن أن تكتشفه ملكاتنا الطبيعية ، من الأمور الخاصة بالايمان مثل سقوط الملائكة العاصية وبعث الموتى •

٨ ــ هنا يجب أن نستمع للوحى وحده ، وحتى بالنسبة للقضايا المحتملة فان الوحى الواضح سيدعمنا ضد الاحتمالية •

تيوفيــــــــل :

اذا لم ننظر للايمان باعتباره مؤسسا على دوافع قابلية التصديق (كما يسمونها) وفصلتها عن العناية الداخلية التى يتحدد فيها الذهن مباشرة ، فان كل ما تقوله يا سيدى سيكون اكيدا • يجب الاعتراف أنه يوجد العديد من الاحكام أوضح بكثير من تلك التى تعتمد على هذه الدوافع ، بعضها يتقدم على بعضها الآخر ، بل ويوجد قدر من الاشخاص لم يعرفوها ايضا ولم يوفوها قدرها ومن ثم ليس لديهم ما يمكن أن نعتبره دافعا للاحتمال • لكن العناية الداخلية للروح القدس تكملها مباشرة بطريقة تفوق الطبيعة ، وهذا ما يسميه اللاهوتيون ايمانا الهيا بالمعنى الخالص • حقا أن الله لا يمنحها ابدا الا عندما يؤسس الدافع للاعتقاد على العقل والا سيحطم وسائل معرفة الحقيقة وسيفتح الطريق للحماس ، ولكن ليس من الضرورى أن يعرف هذه الاسباب كل من يملك هذا الايمان الالهى ، أن يعرفها حينا تمثل امام عينيه • علاوة على أن الحمقى والبسطاء لن يحصلوا عليها ، على الاقل اليوم على الايمان الحقيقى ولن يحصل عليه الاكثر ثقافة عندما يحتاجون اليه ، لانهم لن يستطيعوا دائما تذكر مبررات الاعتقاد • لقد كانت مسألة استخدام العقل فى اللاهوت من أكثر المسائل اثارة سواء بين السوسيين (أصحاب المذهب الذى ينكر الثالوث وألوهية المسيح ، sociens وأولئك الذين يمكن أن نسميهم كاثوليك بوجه عام أو بين المصلحين والانجيليين • كما يسمونهم فى ألمانيا ، فى حين يسميهم البعض باللوثرين وهذا خطأ • اتذكر أنى قرأت يوما بحثا ما بعد طبيعيا لاحد مفكرى التثليث هو Stegmannus (وهو غير Jorue Stegmannus) الذى عارضهم ، ولم يكن قد نشر بعد على ماعرف ، من جهة أخرى كتب اللاهوتى ، Keslerus من ساكس ، منطقا وبعض العلوم الفلسفية

الأخرى المعارضة بوجه خاص لمفكرى ألوهية المسيح • يمكن القول بوجه عام أن مفكرى الثالوث وألوهية المسيح قد تسرعوا فى رفض كل ما لا يتفق مع نظام الطبيعة طالما لم يتمكنوا من اثبات استحالته مطلقا ولكن ايضا خصومهم ابتعدوا احيانا ودفعوا السر الى حدود التناقض بحيث اضروا بالحقيقة التى حاولوا الدفاع عنها ، وقد ادهشنى ذات يوم رؤية بحث السيد فابرى Fabry la somme de theologie الذى كان بطبيعة الحال أحد النابهين . والذى بالنسبة للامور الالهية ينكر (كما يفعل بعض اللاهوتين) هذا المبدأ العظيم « أن الاشياء المساوية لثالث تكون متساوية فيما بينها » وبهذا يعطى الفرصة للخصوم دون أن ينتبه لذلك ، ويلغى كل مقيم لأى استدلال • بالاحرى يجب القول أن هذا المبدأ قد أسىء تطبيقه • نفس المؤلف يرفض فى فلسفته التمييزات العرضية التى يصفها الاسكوتيت Scotistes فى الاشياء المخلوقة ، لانها فى نظره تخالف مبدأ عدم التناقض وعندما اعترض عليه بوجوب قبول هذه التمييزات بالنسبة لله ، أجاب أن الايمان يأمرنا بذلك • ولكن كيف يمكن للايمان ، أيا كان ، أن يأمر بالذى يخالف مبدأ ، بدونه يصبح كل خلق واثبات أو نفى عبثا ؟ من الضرورى اذن ألا تكون القضيتان الصادقتان متناقضتين فى نفس الوقت • واذا لم يكن أ ، جـ فى نفس الشىء فمن الواجب أن تكون ب هى التى تكون نفس الشىء مع أ ، قد أخذت بصورة أخرى مختلف عن ب لتكون هى نفس الشىء مع جـ • لقد نشر C. Nicolaus Vedelius الاســـتاذ فى جنيف ومنذ ذلك الحين فى de Deventer كتابا عنوانه « اللاهوت العقلى » عارضه Jean Musaeus (استاذ فى اينا Iéna وهى جامعة انجليكية فى Thuringe ، فى كتاب عن نفس الموضوع ، أى اســـتخدام العقل فى اللاهوت واتـــذكر أنى اطلعت عليهما فيما مضى ، ولاحظت أن الخصومة الرئيسية قد شوهتها اسئلة فرعية مثل ماذا نقصد بالنتيجة اللاهوتية ؟ واذا حكمنا عليها بنـــاء على الحدود التى تكونها أو بالوسيلة التى تثبتها • وبالتالى هل كان أو كان محقا أم لا فى قوله أن علم النتيجة هو نفسه العلم والوسيلة التى

نستخدمها لانباتها ؟ ونقف عند عدد من الدقائق الأخرى الأقل اعتبارا والتى لا تخص سوى الألفاظ • ومع ذلك يوافق Musaeus أن المبادىء الضرورية ذات الضرورة المنطقية ، أى التى عكسها يتضمن تناقضا ، يجب ويمكن استخدامها بيقين فى اللاهوت ، ولكنه ينكر أن يكفى ذلك الذى يكون ضروريا ضرورة فيزيقية (أن القائمة على الاستقراء الذى يمارس فى الطبيعة أو فى القوانين الطبيعية التى تكون بمثابة المؤسسة الالهية) ، لرفض الاعتقاد فى سر أو معجزة ، ما دام يتوقف على الله أن يغير المجرى العادى للاشياء وهكذا بناء على نظام الطبيعة يمكن أن نؤكد أن نفس الشخص لن يكون فى نفس الوقت أما وعذراء • وأن الجسد الانسانى قابل لان يخضع للحس ، وحتى وأن كان عكس هذا أو ذاك ممكنا بالنسبة لله • ويبدو كذلك أن Vedelius يوافق على هذا التمييز • ولكن قد تناقش احيانا بعض المبادىء وهل هى ضرورية منطقيا أم هى ليست سوى فيزيقية ؟ هذا هو النزاع مع مفكرى الثالوث والوهية المسيح ، هل يمكن أن يتضاعف الجوهر عندما لا نتضاعف الماهية الفردية ؟ أما النزاع مع Zwinglieusفيدور حول هل يمكن للجسد ألا يكون الا فى محل ؟ ولكن يجب الاعتراف أنه عندما لا نستطيع اثبات الضرورة المنطقية لاى قضية ، فانه لا يسعنا الا أن نثبت الضرورة الفيزيقية لكن يبدو لى أن هناك سؤال لم يفحصه المؤلفون الذين ذكرتهم وهو : لنفرض اننا أمام المعنى الحرفى لنص فى الكتاب المقدس • ومن جهة ، ويوجد ظاهر كبيرا لاستحالة منطقية أو على الاقل استحالة فيزيقية معروفة من جهة أخرى ، هل من المعقول أن نؤيد التخلى عن المعنى الحرفى أو أن نؤيد التخلى عن المبدأ الفلسفى ؟ من المؤكد أن هناك حالات لا نجد أى صعوبة فى ترك المعنى الحرفى مثل عندما يتحدث الكتاب عن أيدى الله أو أن ينسب اليه الغضب أو التوبة وغيرها من النقائص البشرية والا لزم أن نقف فى صف التجسيميين أو بعض المتعصبين فى انجلترا الذين اعتقدوا أن هيرود Hérode قد تحول فعلا الى ثعلب ما دام المسيح قد اطلق عليه هذا الاسم • اننا هنا فى

حاجة الى قواعد التأويل الذى يزودنا بما نتجاوز به المعنى الحرفى ونفضل البديهية الفلسفية . أما اذا لم يكن لدى المعنى الحرفى ما يمكن أن ينسب الى الله نقصا أو قد يؤدى الى مخاطر فى ممارسة الايمان فمن المؤكد بل ومن المعقول أن نتبعه . تنازع هذان المؤلفان ايضا حول مشروع كيكرمان Kekermann الذىأراد اثبات التثليث بالعقل ، كما حاول من قبله ريمون دى ايل ولكن Museus رأى بحق انه اذا كان استدلال هذا المؤلف المصلح جيدا ومضبوطا فليس لديه ما يقوله ؛ وقد يكون محقا فى التمسك بأنه بالنسبة لهذا الموضوع يمكن للفلسفة أن تضىء أنوار الروح القدس . لقد اثاروا كذلك السؤال المشهور : هل يمكن انقاذ أولئك الذين ماتو قبل أن يعرفوا العهد القديم أو الجديد ولديهم شعور بايمان طبيعى وهل يمكن أن يحصلوا على غفران لخطاياهم ؟ من المعروف أن كليمنت الاسكندرى وجوستان مارتير وسانت تريوستوم يميلون الى ذلك بصورة ما ، بل لقد سبق أن أوضحت لبلسون Pélisson أن عددا من العلماء الممتازين فى الكنيسة الرومانية بعيدين عن اتهام البروتستانت غير المتدلين ، أرادوا انقاذ الوثنيين وقرروا أن هؤلاء الاشخاص الذين تحدثت عنهم يمكن انقاذهم عن طريق تأنيب الضمير اى التوبة المؤسسة على حب الخير الذى بفضله نحب الله أكثر من أى شىء ، لان كمالاته تجعله محبوبا حبا لا يعلو عليه . وقد ترتب على ذلك أن يميل الانسان بكل قلبه الى الاتفاق مع ارادته وأن يحاكى كمالاته لكى يحسن الاتصال به ، ما دام يبدو من العدل الا يرفض الله مطلقا عنايته بأولئك الذين لديهم هذه المشاعر . ودون أن اعرض لكل من Erasme Vives واكتفى بذكر رأى Jacque Payva Andradus العالم البرتغالى المشهور فى عصره وأحد لاهوتى مجلس الثلاثين والذى قال أن اولئك الذين يعارضونه يجعلون الله قاسيا بأعلى درجة

neque enim, inquit, immanitas, deterior ulla ésse potest

بذل Pélisson جهدا للحصول على هذا الكتاب فى باريس ولاحظ بعد ذلك (أن كثيرا ما يهمل العديد من المؤلفين المشهورين فى عصرهم) وهذا ما جعل بايل يقول ان كثيرين لا يذكرون اندراديوس Andradius

الا فى ضوء ايمانهم بخصمه Cheminitius ، وقد يكون الامر كذلك ، ولكن بالنسبة لى فقد قرأته قبل ان يشير اليه ، وقد ادى نـزاعه مع Cheminitius الى شهرته فى المانيا لانه يؤيـد الجيزوبت فى نزاعهم مع هذا المؤلف ، وفى كتابه بعض اللمحات التى تمس أصـل هذه الجماعة المشهورة كما لاحظت ان بعض البروتستنت المعـروفين باسم Andra diens قد ايدوه فى هذا الموضوع الذى تحدثت عنه • هناك مؤلفون كتبوا عن خلاص Salut ارسطو القائم على نفس المبادىء واقروا المراقبين Ies censeurs كما كتب كولان Collins باللاتينية la Mothe Levayer بالفرنسية عن خلاص الوثنيين وكتبهم معروفة ؛ ولكن فرانسكوس بوكيس Franctssus puccis يذهب بعيدا جدا • اندفع القديس اوغسـطين المعروف بمهارته ونفاذ ذهنه ، نحو الطـرف الآخر لدرجة انه اتهم الاطفال الذين توفوا دون تعميد يبدو ان المدربين كانوا على حق فى اهمالها ؛ رغم محاولة بعض الشخصيات الممتازة وبعض ذوى الجدارة ممن يغلب عليهم نوع من الشراسة فى هـذا الصدد ، بعث نظرية هذا الاب وربما حرفوها • ومن الممكن ان يكون للعقل اثره فى النزاع بين عدد من العلماء النشطين مما اوحى للجزويت المبعوثين الى الصين بان للصينيين القدماء ومنهم الحق الذى ساد فى عصرهم وان لهم قديسون وان نظرية كونفشيوس ليس لها اى شىء من الوثنية والالحاد • يبدو انه كان اجدر بروما الا تتهم احدى الدول الكبرى قبل ان تفهمها ، من الافضل ان نعتبر الله اكثر محبة للبشر من البشر • اعرف اشخاصا قد عبروا عن حماسهم بمشاعر قاسية اذ ظنوا انه لا يمكن لاحد الاعتقاد فى الخطيئة الأصلية ما دام لا يتفق معهم فى الاعتقاد • ولكنهم مخطئون فى هذا • ولا يترتب مطلقا على ذلك ان ننسب اولئك الذين ينقدون الوثنيين أو غيرهم ممن تعوزهم المساعدات العادية ، الى قوى الطبيعة وحدها (رغم وجود بعض الأباء يرون هذا الرأى) ما دام يمكن التمسك بان الله الذى منحهم عناية استثارة الحماس لفعل التوبة قد منحهم ايضا سواء بصراحة أو ضمنيا ،

ولكن بصورة غير طبيعية ، قبل الموت فى لحظاتهم الاخيرة ، كل نور الايمان وكل قوة العناية اللازمة لخلاصهم • هكذا يفسر بعض المصلحون رأى Vedelius فى موقفه من Zwinglius الذى اهتم بموضـــوع خلاص البشر لدى الصالحين من عبدة الاصنام والذى استطاع علماء الكنيسة الرومانية أن يحصلوا عليه ، هذه النظرية تختلف عن نظرية الذين ينكرون الخطيئة الأصيلة ، ومن المعروف أن Zwinglius قد عبر عنهم ما داموا قد عرفوا على عكس ناكرى الخطيئة الأصيلة ، أن لدى كـــل المؤمنين بها عناية تفوق الطبيعة (فى هـــذا تتفق الاديـــان الثلاثة المقبولة ، باستثناء تلاميذ Pajon) بل وقد قبلوا وجود الايمان أو على الأقل حركات قريبة منه ، لدى الأطفال التى تقبلت التعميد وبالاحرى ليس عجيبا أن نقره ، على الاقل فى حالة الموت ، بالنسبة للاشخاص ذوى الارادة الطيبة الذين لم يساعدهم الحظ بأن يتعلموا وفق التعاليم العادية المسيحية ولكن الفريق الاكثر حكمة هو الذى يحسم برأى فى الامور المعروفة معرفة قليلة وان يقنع بأن يحكم بوجه عام أن الله لا يمكن أن يعمل شيئا لا يكون مليئا بالخير والعدالة •

Melius est dubitare de occultés quum idigare de incertis. Augustin, lib vIII, genes ad litt C. V.



الشخصيات

(١) Joachin Stegmannus مفكر لالوهية المسيح ولد فى براندبورج وتوفى سنة ١٦٣٢ له مؤلفات رياضية ولاهوتية ، له شقيقان هما ايضا من مفكرى الوهية المسيح اصغرهما كرستوف نشر Dyade philosophique وقد يكون هذا هو البحث الميتافيزيقى الذى قصده ليبنتز .

(٢) Vedelius (نيقولا) Palatinat توفى سنة ١٦٤٢ .

(٣) Muscieus (جان) ولد سنة ١٦١٣ فى شفاروزبورج وتوفى سنة ١٦٧٤ نشر عددا كبيرا من الاعمال الجدلية Polémique

(٤) Ockam (وليم) ولد فى أوكام ولاية لارقى .. الفرنسسكان . عارض البابا جان ٢٢ والمدافع الكبير عن الاسميين ، عاش فى النصف الاول من القرن ١٤ تلميذ دون سكوت أهم كتاباته :
Super libras Sententiarum باريس سنة ١٤٨٧ ، Quod libela Septem ليدن سنة ١٤٩٥ ، Subtilissima quattionnes Summa Logica. فينسيا سنة ١٥٩١ .

(٥) Zwingle sectatui de Zwingtius ومصلح سويسرى ولد فى سويسرا سنة ١٤٨٤ وادخل الاصلاح الى سويسرا فى نفس الوقت الذى ادخله لوثر فى المانيا توفى سنة ١٥٣١ فى معركة كابيل Cappel نشرت اعماله الكاملة فى زيورخ سنة ١٥٤٤/٤٥ .

(٦) ، يمون دى ليل Lulle ولد فى بالما فى جزيرة مازورك سنة ١٢٣٥ وتوفى فى بوجى سنة ١٣١٥ ضحية المسلمين بعد حياة رومانسية ونشطة عرف بكتابة الفن الكبير وهو مذهب يخضع كل الاستدلالات للآلية ، نشرت أعماله الكاملة فى ١٠ مجلدات سنة ١٧٢١ .

(٧) st. Clement ولد فى الاسكندرية حسب البعض وفى اثينا حسب الاخرين فى منتصف القرن الثانى تقريبا وتوفى سنة ٢٢٠ عمله الرئيسى Sirmares يعتبر مصدرا لتاريخ الفلسفة . له عدة طبعات تضم أعماله الكاملة : اهمها طبعة اكسفورد سنة ١٧١٥ واحدثها طبعة ليبزج فى ٤ مجلدات ١٨٣١/٣٤ .

(٨) st. Justin Sichen ولد فى فى فلسطين سنة ٨٩ وتوفى شهيدا فى روما سنة ١٦٧ أهم اعماله :

le traité de la monarchie, ou l'unité
de Dieu. le discours aux grecs, les deux apologies ; dialogue avec le juif Tryphon.

(٩) Chrysostone (القديس حان) من اشهر آباء الكنيسة ولد فى النمسا سنة ٣٤٤ واصبح قسيسا للقسطنطينية سنة ٣٩٨ .. توفى

سنة ٤٠٧ . نشر اعماله الكاملة باليونانية والاتينية p. Mont faucon سنة ١٧١٨ فى ١٣ مجلد . ويوجد ضمنها ثلاثة كتب عن العناية كتبها حوالى سنة ٣٨٠ وخمس مواعظ من الطليعية غير المفهومة لله وعدد من المواعظ عن الاخلاق .

(١٠) Pélisson من الاكاديمية الفرنسية ولد فى Béziers سنة ١٦٢٤ وتوفى سنة ١٦٩٢ مشهور بدفاعه عن فوكيه وتاريخه للاكاديمية الفرنسية سنة ١٦٥٣ .

(١١) Erasme انسانى مشهور فى القرن ١٦ ولد سنة ١٤٦٧ ورحل الى ايطاليا وانجلترا وغيرها حتى سنة ١٥٤١ حيث استقر فى بال Bale وتوفى سنة ١٥٧١ ومن اعماله نذكر :
les colloguis; les adages ; léloge de la folie; Encomuim moriae.
نشرت اعماله الكاملة فى بال واعيد طبعها فى ليدن سنة ١٧٠٣ .

(١٢) Vives (louis) كاتب مشهور في القرن ١٦ ولد فى Valenca سنة ١٤٩٢ وتوفى فى Bruges سنة ١٥٤٠ انحصرت اعماله فى التاليف ومن اهمها de initus sctis et laudibus philosophiae وهو من اول الابحاث فى تاريخ الفلسفة .

(١٣) Payva d' Andrada ولد فى Coimbre سنة ١٥٢٨ وتوفى سنة ١٥٧٥ من اعماله :
Orthodoarum quaestionum libri ; contra chemnitzii petulantem audaciam; defensio trid fidei libri XI, adversus hacreticrum calumias.

(١٤) Byle ناقد مشهور وفيلسوف ومعارض للقرن ١٧ ولد فى Carlat سنة ١٦٤٧ . استاذ لفلسفة فى سيدان Sedan سنة ١٦٧٥ وفى روتردام سنة ١٦٨١ وتوفى سنة ١٧٠٦ اهم اعماله :
Pensées diverses sur le Cométe; Critique generale de l,histoire du calvinisme de naimbourg; Nouvelle de republique des lettres.

(١٥) Chemiz (مارتن) لاهوتى بروتستنتى ولد سنة ١٥٢٢ وتوفى سنة ١٥٨٦ مشهور بكتابه Examen concili Tridimintii سنة ١٥٨٥ وتوفى سنة ١٧٢٩ من اعماله « بحث عن استخدام العقل » سنة ١٧٠٧

(١٦) Collons (انطوان) فيلسوف انجليزى ولد فى هوتسون وتوفى سنة ١٧٢٩ ومن اعماله بحث عن استخدام العقل ١٧٠٧ وبحث فلسفى عن حرية الانسان سنة ١٧١٧ .

(١٧) La Mothe de Vayer عالم وفيلسوف فى القرن ١٧ ولد فى باريس سنة ١٥٨٨ وتوفى سنة ١٦٧٢ درس الفلسفة الشكية . عمله الرئيسى : خمس محاورات فى محاكاة المحاورات القديمة لهورنيوس توبيدون . نشرت اعماله الكاملة سنة ١٧١٦ .

(١٨) pucci (فرانسوا) لاهوتي في القــرن ١٦ يميل الى انكــار الوهية المسيح ولد في فلورنسا وتوفى سنة ١٦٠٠ . من ابحاثه :

de immortalitate naturali primi hominis ante peccatum et de chisti salcatonis efficacitete .

(١٩) Pajan (كلود) لاهوتي بروتستنتي ولد سنة ١٦٢٦ وتوفى سنة ١٦٨٤ آراءه تقترب من آراء Arminius وعمله الرئيسي هو

examen des préjugés légitimes contre les calvinistes . لاهاي في مجلدين .

الفصـــل التاســع عشر

الحمـــاس

de l'enthousiasme

فيــــــلاليت :

١ ــ شكرا لله أن مارس جميع اللاهوتين ، بما فيهم القــديس آوغسطين نفسه الحكمة المعبر عنها فى هذه الفترة ! ولكن يعتقد الناس أن الذهن التأكيدى يعتبر علامة على حماسهم للحقيقة ، مع أن الأمر على العكس من ذلك تماما • اننا لا نحبه حقا الا بالنسبة لحبنا فحص الادلة التى تجعلنا نعرف ما تكون • وكلما تقدم حكمنا اندفعنا دائما بدوافع أقل جــدية •

٢ ــ روح السيطرة ليس أقلها عادة ، والى جانب الكياسة التى لدى المرء بالنسبة لاحلامه الخاصة ، هناك دوافع تولد الحماسة •

٣ ــ أنه اسم نطلقه على العيب الذى لدى الذين يتخيلون وحيا مباشرا عندما لا يكون مؤسسا على العقل اطلاقا •

٤ ــ وكما يمكن القول أن العقل يكون وحيا طبيعيا يصبح الله صانعه كما أنه صانع الطبيعة ، يمكن كذلك القول أن الوحى يكون عقلا يفوق الطبيعة أنه عقل قد زود باعتماد جديد للاكتشافات صادر مباشرة من الله • ولكن هذه الاكتشافات تفترض أن لدينا الوسيلة لنميزها ، وهى العقل نفسه • وبأرادة الغائه لنفسح المجال للوحى نكون بمثابة اقتلاع العين لنرى الكواكب التابعة لجوبتر بصورة أفضل من خلال المجهر •

٥ ــ مصدر الحماسة هو أن الوحى المباشر يكون أكثر ملاءمة وأقصر من الاستدلال الطويل والمرهق والذى لا ينتهى دائما بنجاح • لقــد رأينا فى كل القرون رجالا أمتزج حنينهم باخلاصهم المرتبط بالعقيدة

الطيبة التى لديهم عن أنفسهم مما جعلهم ينمون اعتقادهم بأنهم يملكون ألفة بالله تختلف عما لدى الآخرين • أنهم يفترضون أن الله وعدهم بها ويعتقدون أنهم شعبه المفضل عن غيره •

٦ ـ تصبح نزوتهم نورا وسلطة الهية وتصبح اغراضهم اتجاها للسماء لا يخدع ومضطرون لاتباعه •

٧ ـ كان لهذا الرأى آثاره الكبرى وسبب آلاما كثيرة لان الانسان يتصرف بحماس أكثر عندما يتبع دوافعه الخاصة ، أو يعتقد أن سلطة الله تسند ميولنا •

٨ ـ من الصعب أن نبعده لان هذا اليقين المزعوم والذى ليس له أى دليل يرضى غرورنا وحبنا لما هو غير عادى • القارن المتعصبون اعتقادهم بالرؤية والاحساس • انهم يرون النور الالهى كما يرون نور الشمس فى وسط النهار دون حاجة الى أن يظهره غسق العقل •

٩ ـ أنهم تأكدون لانهم متأكدون واعتقادهم صحيح لانه قوى ولانه يخضع للغتهم المجازية •

١٠ ـ ولكن نظرا لوجود تصوران ، قصور القضية وتصور الوحى ، فمن الممكن أن نسألهم أين يوجد الوضوح ، اذا كان فى رؤية القضية فما فائدة الوحى ؟ يجب اذن أن يكون فى الاحساس بالوحى • ولكن كيف يمكن رؤية ان الله هو الذى يوحى وليست نارا متوهجة هى التى تدور حول هذه الدوائر ، أنه وحى لانى اعتقده بقوة واعتقده لانه وحى ؟

١١ هل هناك ما يوقعنا فى الخطأ أكثر من اتخاذ الخيال مرشدا ؟

١٢ ـ لقد كان القديس بطرس ماهرا عندما أرهق المسيحيين ولم يتركهم يخدعون ـ أننا نعرف أن للشيطان شهداء ، اذا اكتفينا بأن نقتنع جيدا فلن نستطيع التمييز بين أوهام الشيطان والهامات الروح القدسى •

١٤ ـ العقل اذن هو الذى يجعلنا نعرف حقيقة الوحى •

١٥ — سيدور حديثنا حول اثبات تصديقنا القديسين الذين يتقبلون الوحى من الله واديهم علامات خارجية تقنعهم بحقيقة النور الداخلى • رأى موسى شجرة مشتعلة دون أن تغنى وسمع صوتا فى وسط الشجرة • ولكى يدعم الله رسالته عندما أرسله الى مصر ليخلص أخوته منحه معجزة العصا التى تحولت الى حية ، وقد أرسل Gédon جديون ليخلص شعب اسرائيل من رق الميديين médienites ومع ذلك طالبوه بعلامة تثبت أن الله هو الذى منحه هذه الرسالة •

١٦ — مع ذلك لا أنكر أن الله قد لا يضىء روح البشر ليدفعهم الى فهم حقائق معينة هامة أو ليحملهم على القيام بأعمال طيبة بمساعدة مباشرة من روح القدس دون أن يمنحهم أى علامة غير عادية تصاحب هذا التأثير ولكن أيضا فى هذه الحالة سيكون لدينا العقل والانجيل وهما قاعدتان لا يخدعان للحكم على هذه الانوار ، لانها اذا اتفقت مع هاتين القاعدتين فلن نتعرض لاى مخاطرة ، على الاقل اذا اعتبرناه من الهام الله وربما قد لا يكون وحيا مباشرا •

تيوفيــــــل :

لقد كان الحماس فى البداية اسماجيدا • وكما أظهر السوفسطائيون خبرتهم فى ممارسة الحكمة ، فان الحماسة تعنى أن فينا شىء قدسى ، est Dieus in nobis لقد أدعى سقراط أن الها أو شيطانا كان يمنحه انذارات داخلية بحيث اصبح الحماس غريزة الهية ولكن عندما قدس البشر انفعالاتهم ونزواتهم واحلامهم وحتى خوفهم ، كأنه شىء الهى ، بدأ الحماس يعنى عدم انتظام للروح منسوبا الى قوة قدسية ما كالتى كانت لدى الكهنة والعرافات الذين أظهروا استلابا للروح ، عندما يستحوذ عليهم الههم (ربهم) مثل Sybille de Cunnes عند فرجيل • منذ ذلك الحين أصبح ينسب الى أولئك الذين يعتقدون بدون احساس أن حركتهم تأتى من الله أحسن Nisus عند نفس الشاعر أنه مدفوع

بدافع ما الى عمل خطير يهلك مع صديقه ويقترح ذلك عليه بهذه الكلمات المملوءة بالشك المعقول :

di ne hunc ardorem mentibus addunt euryale , an sua cuique deus sit dira cupido ?

لم يتردد اتباع هذه الغريزة التى لا يعرف أن كانت قد جاءته من الله أو من رغبة خبيثة ولكنة لو كان قد نجح فلن يعوزه أن يستخدمها فى حالة أخرى وأن يعتقد أنه مدفوع بقوة الهية • يعتقد المتحمسون اليوم انهم يتقبلون من الله آراء قضى لهم • حتى الجبناء لديهم هذا الاقتناع •

وقد زعم باركلاى أول مؤلف منهجى لهم ، أن لديهم نورا معينا يعرف بنفسه ولكن لمــاذا نسمى نورا ذلك الذى لا يجعلنا نرى أى شىء ؟ أعرف أن هناك أشخاص لهم هــذا الاستدلال الروحى ، الذى يجعلهم يرون أنوارا ، بل وبعض الأشياء المضيئة • ولكن هــذه الصورة من النور الجسدى المضطرب الذى يثيره توهج أرواحهم لا يعطى أبدا النور للروح ، بعض الحمقى لديهم الخيال الخصب الذى يجعلهم يتخيلون تصورات لم تكن لديهم من قبل ، ويصبحون فى حالة يقولون فيها أشياء جميلة أو على الأقل ذات حيوية قوية ، ويعجبون ويجعلون الغير يعجب بهذه الخصوبة التى تصل الى الالهام • هــذه الميزة تأتيهم فى أحسن الأحوال نتيجة خيال قوى يحركه الانفعال ، وذاكرة سعيدة تحفظ طرق الحديث التى فى كتب الأنبياء والتى قراءتها لهم أو حديث الآخرين عنها جعلهــا مألوفة لديهم استخدمت أنطوانيت دى بوحونى Antoinette Bourignon ما لديها من ســهولة فى الحديث وفى الكتابة دليلا على رســالة الهية • وأعرف أصحاب رؤيا يقيمون رؤياهم على قدرتهم على الحديث والصــلاة بصوت مرتفع يوما كاملا دون تعب ودون أن يجف لسانهم • يوجد أشخاص ، بعد ممارسة الزهد أو بعد حالة حزن ، يتذوقون سلاما وسلوى فى الروح القدس حقا كذلك أن الرضا الذى نجده فى اعتبار عظمة وطيبة الله ، واتمام ارادته وممارسة الفضائل أنها عناية من الله ومن العظماء : ولكنها ليست دائمــا عناية تحتاج

لسند يفوق الطبيعة جديد كما يدعى كثير من هؤلاء الناس الطيبين .
لقد رأينا منذ فترة غير بعيدة آنسة عاقلة تماما فى كل شىء ، كانت تعتقد منذ شبابها أنها تتحدث الى المسيح وأنها زوجته بطريقة خاصة ، ويحكى أنها قد تحمست قليلا ولكن الفتاة وقد بدأت مبكرة قد ذهبت أبعد بحيث لا يمكن وصف رضاها وفرحها وحكمتها التى تبدو فى سلوكها وروحها التى ظهر فى حديثها . ولكنها تمادت أكثر الى درجة أنها كانت تتسلم خطابات يعنونها المسيح وكانت ترسلها مختومة ، كما كانت تتسلمها مع الرد الذى يبدو أحيانا مناسبا ودائما معقولا ولكنها أخيرا امتنعت عن استلام الرسائل خوفا من أن تثير ضجة كبرى . وفى أسبانيا وجدت قديسة أخرى (القديسة تريزا) ، ولكن كل الأشخاص ذوى الرؤيا المشابهة ، ليس لهم نفس السلوك . هناك من يحاول تكوين جماعة ، ومنهم من يريد خلق اضطرابات وانجلترا لديها على ذلك عندما يتصرف هؤلاء الأشخاص بايمان طيب يصعب أن نرجعهم وقد يؤدى قلب أغراضهم الى تصحيحهم ولكن أحيانا أخرى يكون الأمر متأخرا . وجد شخص صاحب رؤيا توفى منذ قليل ، وكان يعتقد أنه خالد ، لأنه كان مسنا جدا وصحته جيدة ولم يقرأ كتاب رجل انجليزى نشر منذ قريب (أراد أن يقنع الناس بأن المسيح جاء ليخلص المؤمنين الحقيقيين من الموت الجسدى) وكان لديه نفس الاحساسات تقريبا منذ عدة سنوات ولكن عندما أحس بالموت شك فى الدين كله لأنه لم يستجب لخرافته وكذلك Silisien Quirin Kulman وهو رجل علم وروح تعرض لنوعين من الرؤيا خطيرين ، احدهما من المتحمسين والأخرى من المشتغلين بالكيمياء القديمة وأثار ضجة فى انجلترا وهولندا بل واسطنبول وأراد أخيرا التوجه الى موسكو وأن يشارك هناك فى مؤامرة معينة ضد وزير فى عهد الأميرة صوفيا وقد حكم عليه بالحرق ولم يمت كرجل مقتنع بما اقترف . أن اختلاف هؤلاء الناس فيما بينهم قد يقنعهم ان شهادتهم الداخلية المزعومة ليست الهية ، ولابد من علامات أخرى لتدعيمها . ان أتباع Labade (مصلح مسيحى) مثلا

لا يتفقون مع الآنسة انطوانيت • ومع أن ولين بن pen قصد برحلته الى ألمانيا والتى نشر تعليقا عنها أن يقرر نوعا من الذكاء لدى أولئك الذين يعتمدون على هذه الشهادات ، ويبدو أنه لم ينجح • كنا فى الحقيقة نتمنى أن يكون هؤلاء الطيبين معقولين وأن يتصرفوا تصرفا واقعيا : لا شيء يمكن أن يجعل الجنس البشرى أفضل وأسعد ، ولكن يجب أن يشكلوا هم أنفسهم عددا من الاخيار والمطيعين والمعقولين ، وبدلا من أن نتهم اليوم كثيرا ممن نسميهم نساكا بأنهم قساة ومتصلفين وعنيدون • أن اختلافهم يظهر على الأقل أن شهادتهم الداخلية فى حاجة الى تحقيق خارجى لنؤمن بهم ، يلزمهم معجزات ليحق لهم أن يصبحوا أنبياء أو ملهمين • قد توجد حالة تحمل فيها هذه الالهامات أو أداتها معها • وستكون كأنها تضيء حقا الذهن باكتشافات هامة ومعرفة غير عادية تفوق قوى الشخص الذى اكتسبها بدون أى مساعدة خارجية اذا كان Jacob Boehme الاسكافى المشهور الذى ترجمت كتاباته من الألمانية الى اللغات الأخرى تحت اسم فيلسوف جرمانيا وكانت فى الواقع ذات عظمة وجمال بالنسبة لرجل فى هذه الحالة ، عرف أن يعمل ذهبا ، كما يعتقد البعض أو كما فعل القديس جان الانجيلى اذا اعتقدنا ما يقوله هذا النشيد الذى ألف تمجيدا له :

in exhaustum fert thesaurum qui de vigis fecit aurum gemmes de lapidibus.

قد نجد مجالا لاعتقاد أكثر فى هذا الاسكافى غير العادى • واذا كانت الآنسة أنطوانيت بوريجون قد زودت برتراند لاكوست La Coste المهندس الفرنسى فى هامبورج بنور العلوم الذى أعتقد أنه تقبلها منها ، كما يذكر فى كتابه عن مربع الدائرة (حيث يشير الى أنطوانيت وبرتراند ويسميه أ فى اللاهوت و ب فى الرياضيات) فاننا لن نعرف ماذا يقول • ولكننا لا نرى لدى هؤلاء الناس المثلة ذات نجاح معتبر لها هـ ذه الطبيعة ولا تنبؤات مناسبة تماما ، تكون قد نجحت • ان مدعى النبوة فى de drabitius , poniatovia وغيرهم أراد الرجل الطيب Comenius الذى نشر فى lux in tenebris والذى ساهم فى

زعزعة الأراضى الموروثة للامبراطور قد ظهر حطؤها وأصبح من صدقها من التعساء وآمير ترنسلفانيا ، Rogozky الذى اندفع بناء على نبوة drabitius. الى مهاجمة بولونيا فخسر جيشه وفقد دولته وحياته وأعدم drabitius وهـو فى سن الثمانين بأمر الامبراطور • ومع ذلك لا أشك فى وجود آشخاص يعيشون اليوم هـذه التنبؤات غير المناسبة التى تخمن آسـباب عـدم النظام السـائد فى هنغاريا Hongrie ولا يعتبرون مطلقا هذه التنبؤات المزعومة التى تتحدث عن احداث عصرهم ، كما حدث عندما ضربت بروكسل اذ نشرت ورقة بها فترة من كتاب الأنسـه أنطوانيت التى لم ترغب فى الحضور الى هـذه المدينة لأنها حلمت أنها نزاها تحترق • ولكن هـذا الضرب حدث بعد فترة طويلة من موتها لقد عرفت رجلا ذهب الى فرنسـا أثناء الحرب التى انتهت بسلم Nimégne والح على pomponne , montausier بناء على تنبؤات نشرها Comenius وأعتقد أنه ملهم لأنه نطق بقضايا فى زمن مشابه لزماننا • ان هـذا يظهر ليس فقط قلة الأساس وانما أيضا خطر هـذه المكابرات • التاريخ ملىء بنتائج سيئة لتنبؤات خاطئة أو آسىء فهمها كمـا يظهر البحث العلمى والفقهى للمرحـوم يعقوب فوماسيوس (الأستاذ المشـهور فى ليبنزج) •

officio viri boni circa futura contingentia

ومع ذلك فمن الحق أن هذه المعتقدات قد تعطى أثرا طيبا وتقدم خدمات كبرى : لأن الله يستطيع استخدام الخطأ ليقرر أو يدعم الحقيقة ولكن لا أعتقد مطلقا أن نسمح بسـهولة لأنفسنا بان نستخدم الخداع من أجل غاية طيبة • أما عقائد الدين فلا تحتاج مطلقا لتجليات جـديدة ويكفى أن نقترح قواعد ملائمة نضطر الى اتباعها دون أن يقـدم الذى يقترحها أى معجزة ، ومع أن المسيح قد زود بها فهو لم يتردد أحيانا فى رفض استخدامها ليرضى هـذا الجنس المنحرف الذى يطالب بالأدلة ، مادام لا يبشر الا بالفضيلة وما يدعو اليه فعلا العقل الطبيعى والأنبيـاء •

الشـــخصيات

(١) Baclay كويكر مشـــهور ولد فى ادنبرج ســـنة ١٦٨٤ وتوفى ســـنة ١٦٩٠ من أصحاب مذهب بروتستنتى يدعو الى الحب والســـلام quaker وله مقدمة اللاهوت المسيحى الحقيقى ســـنة ١٦٧٦ وله بحث عن الحب العالمى .

(٢) Antoinette Bourignon صاحبة رؤية مشهورة فى القرن ١٧ ولدت فى ليل Lille سنة ١٦١٦ وتوفيت ســـنة ١٦٨٠ لها بحث عن عماء البشر ، السماء الجديدة .

(٣) W.penn أحد مؤسسى مذهب الكويكر الانجليزى لعب دورا كبيرا فى اصلاح انجلترا .

(٤) Comenius ولد ســـنة ١٥٩٢ فى مورافيا وينتمى لطائفة اخوان مورافيا توفى ســـنة ١٦٧١ من أعماله synopsis physics سنة ١٦٣٣ ، theatrum divinum ســـنة ١٦١٦ ، labyrinthe du mode

(٥) Thomasius (Jacues) استاذ فلسفة فى ليبنزج (لا يجب الخلط بينه وبين القانونى المسيحى توماسيوس المشهور) ولد ســـنة ١٦٥٥ وتوفى سنة ١٧٢٨ واهتم كثيرا بتاريخ الفلسفة .

الفصـــل العشرون

الخطـــأ

فيـــــلاليت :

١ ــ بعد أن تحدثنا عن كل الوسائل التى تجعلنا نعرف أن نخمن الحقيقة بقى أن نذكر شـيئا عن أخطائنا ، وأحكامنا السيئة • من الواجب ان يخطىء البشر أحيانا مادام يوجد الكثير من الاختلاف بينهم • ويمكن أن نرجع ذلك الى أربعة أسباب :

١ ــ نقص الأدلة •
٢ ــ قلة الخبرة فى استخدامها •
٣ ــ نقص فى ارادة استخدامها •
٤ ــ قواعد الإحتمالات الخاطئة •

٢ ــ عندما أتحدث عن نقص الأدلة أقصد كذلك الأدلة التى يمكن أن نحصل عليها اذا ما توفرت لنا الوسائل والسـهولة اللازمة • وهذا ما ينقصـنا فى أغاب الأحيان • هـذه حالة البشر الذين يقضـون حياتهم في البحث عما يضمن لهم استمرارها : أن معرفتهم بما يحدث في العالم محدودة كحصان الركوب الذى يسير دائمـا فى نفس الطريق فيصبح خبيرا بخريطة البلد • أنهم فى حاجة الى اللغات ، القراءة ، المحادثة ، ملاحظة الطبيعة وخبرات الفن •

٣ ــ لا يتفق كل هـذا مع حالتهم ، هل يدعو هـذا الى القول أن أضخم البشر لن يصل الى السعادة أو الشقاء الا بالصدفة العمياء ؟ هل يلزمهم التخلى على المعتقدات السـائدة والمرشدين المسئولين فى بلدهم ؟ وخاصة بالنسبة للسعادة والشقاء الأزلى ، وهل سيظل شقيا الى الأبد ذلك الذى يولد فى هـذه البلدة وليس فى أخرى ؟ يجب أن

نعترف أننا جميعا تشغلنا حياتنا وما يضمن لنا رزقنا وليس لدى أحد منا الوقت ليفكر فى روحه ليزودها بما يلزمها من ثقافة دينية وان كان قد حاول فى أمور أقل أهمية •

تيوفيـــــــل :

لنفرض أن البشر ليســوا باستمرار فى حالة تسمح لهم بتثقيف أنفســهم ، ولا يمكنهم التخاى بحكمة عن العناية بمعاش أسرهم ليبحثوا فى الحقائق الصعبة ، فانهم مضطرون الى اتباع المشــاعر المسموح بها لديهم ، ومن الواجب دائمـا أن نحكم بان أولئك الذين لديهم الدين الحق دون أن يكون لديهم أدلة على ذلك قد عوضتهم عنايتهم الداخلية عما لديهم من النقص فى الدوافع بنوع من القابلية للتصديق ، ومن الرحمة أيضا ، كما سبق أن لاحظت أن نحكم بان الله قد منح هؤلاء الأشخاص ، ذوى الارادة الطيبة والذين تســاموا عن الأخطاء الكثيفة والخطيرة ، كل ما تتطلبه خيريته وعدله ، حتى وأن كان ذلك بطريقة لا نعرفها • لدينا فى القصص المقبولة فى الكنيسة الرومانية أن أشخاصا شفوا قصدا حتى لا تفوتهم النجدات الملائمة ولكن الله قادر على أن ينجد النفوس بعملية داخلية لروح القدس دون حاجة الى معجزة كبرى • كهذه ومن الخير والعزاء للجنس البشرى ألا يلزمنا لندخل رحاب عناية الله سوى الارادة الطيبة والمخلصة والجادة • أعرف اننا لن نحصل على هــذه الارادة الطيبة بدون عناية الله ، بحيث يصــدر عنه كل ما هو طبيعى وما يفوق الطبيعة ولكن يكفى باستمرار ألا نحصل الا على الارادة ، وأن من المستحيل أن يطلب الله شرطا ايسر وأكثر معقولية من ذلك •

فيـــــلاليت :

٤ — يوجد الكثير ممن لديهم الامكانية الكفيلة بازالة شكوكهم ولكنهم انحرفوا بأثارة عقبات كلها براءة ومن السهل ادراكها وليس من الضرورى أن نعرضها هنا بالتفصيل •

٥ ــ أفضل الحديث عن أولئك الذين ينقصهم المهارة لتقيين ما فى متناولهم من أدلة ، والذين لم يستطيعوا الاحتفاظ بتسلسل طويل من النتائج ولا أن يقدروا كل الظروف • هنـــاك أشخادن يكتفون بقياس وحيد وآخرون باثنين فقط • ليس هــذا مجال تحديد هل صدر هـــذا الانطباع عن اختلاف طبيعى للأرواح أم للأعضاء ؟ أو هل نعتمـــد على نقص فى الممارسة التى تهذب الملكات الطبيعية ؟ يكفى هنا أن تكون واضحة وما علينا الا أن ننتقل من القصر أو البورصة الى المستشفيات والمنازل الصغيرة لندركها •

نيوفيـــــــل :

ليس الفقراء وحدهم المحتاجون وانما كثير من الأغنياء أيضا محتاج لأن هؤلاء الأغنياء يطلبون المزيد ويضعون أنفســـهم مختارين فى نوع من الفاقة التى تمنع تفرغهم للاعتبارات الهامة ، والأمثلة على ذلك كثيرة • يحرص المرء على اتباع رفاقه الذين يرى أن معاشرتهم لن تثير روح المعارضة • وهـــذا يجعل من السهل أن يتشابهوا • من الصعب طبعا أن يرضى العقل والتقاليد فى نفس الوقت • أما أولئك الذين ينقصهم القدرة وهم أقل مما نظن ، فأعتقد أن الحس العام والتطبيق كافيان لتحقيق كل ما لا يتطلب الحيوية انى افترض الحس العام لأنى أعتقد أنك لا تطالب بالبحث عن حقيقة ســكان المنازل الصغيرة حقا أن كثيرا منهم قد لايستطيع العودة اذا علمناه الوسائل •

أن ما بين أرواحنا من اختلاف أصيل (وهـــذا فى اعتقادى موجود فعلا) يجعلنا نؤكد باستمرار قدرة أحد هـــذه الأرواح على الذهاب أبعد من غيرها (ولكن ليس أسرع) وذلك اذا ما أحسن توجيهها كما يجب •

فيـــــلاليت :

٦ ــ يوجد نوع آخر من الناس لا ينقصهم الارادة وانما ارتباطهم القوى باللذة والممارسة المتصلة للثروة وكسل أو اهمال عام ونفور خاص

من الدراسة والتأمل ، يعوقهم عن التفكير الجاد فى الحقيقة • هناك أيضا من يخضون الا ينفق البحث الخالى من التحيز مع المعتقدات التى تتناسب أكثر مع أحكامهم المسبقة ومقاصدهم • نعرف أشخاصا لا يريدون قراءة خطاب معترضين أنه يحمل أخبارا سيئة وكثير من الناس يتجنب مراجعة أعمالهم أو التحقق من حالة ثرونهم خشية أن يعلموا ما أرادوا أن يجهلوه • هنـــاك أشخاص يملكون ثروات طائلة ويستخدمونها كلها فى أمور تتصل بالجسد دون أن يفكروا فى وســـائل تحسين عقولهم • أنهم يحرصون دائمـــا على أن يظهروا بمظهر نظيف ولامع ولا يتألمون اذا ظلت أرواحهم مغطاة باسمال من الحرمان والخطأ وأن يظهر جهلهم من خلال عريهم • لن نتحدق عن الاهتمامات التى يجب أن يحرصوا عليهـــا للمستقبل ، مادامو يهملون ما يهمهم معرفته فى حياتهم التى يعيشونها وأنه لأمر عجيب أن يحرص هؤلاء الذين يمتلكون السلطة والقوة منـــذ ولادتهم أو حسب ثروتهم على تركها بلا مبالاة لأشخاص أقل منهم لكنهم يفوقونهم فى المعرفة ، لأنه لابد المبصر من أن يقود الأعمى والا وقع فى الحفرة وليس هناك عبودية أسوأ من عبودية الذهن •

تيوفيـــــــــــل :

ليس هناك دليل أوضح على اهمال البشر لمصالحهم الحقيقة من قلة اعتنائهم بالمعرفة وممارسة ما يلائم ضحكهم التى هى من أكبر الثروات • ورغم شـــعور الكبار أكثر من غيرهم بالأثر السيء لهذا الاهمال فانهم لا يرجعون عنه • أما ما يتصل بالايمان فكثيرون ينظرون الى الفكر الذى يستطيع دفعهم الى المناقشة كأنه محاولة من شيطان لا يمكن التغلب عليـــه الا بتوجيه الذهن وجهة أخرى • الأشخاص الذين لا يحبون سوى اللذات أو الذين يرتبطون بأمر اعتادوا أن يهملوا باقى الأمور ، اللاعب ، الصياد ، الســـكير ، الفاسق ، محب اللذة الجسدية ، سيفقد ثروته وممتلكاته ولا يحاول أن يبذل أى جهد أو أن يقدم التماسا أو أن يتحدث الى صاحب منصب هناك أمثال الامبراطور هونوريوس Honorius

الذى عندما أخبروه بضياع روما ، اعتقد أنهم يتحدثون عن حصان السباق الخاص به والذى يحمل نفس الاسم • وهـذا أغضبه أكثر من الحقيقة • كنا نتمنى أن يكون لدى لاجال السلطة من المعرفة ما يتناسب مع ما لديهم من سلطة • ولكن عندما لا يتوفر الاهتمام التفصيلى بالعلوم والفنون وتاريخ اللغات ، يكفينا حكما قويا ومدربا ومعرفة للأشياء الكبرى والعامة وباختصار الأشياء العظمى summa rerum اننا فى حاجة الى موجز يضم اهتمامات الانسان ويستحق أن نسميه enchiridion sapientiae يشبه ذلك الموجز الذى قدمه القديس أوغسطين، ويضم قوى وحاجات الدولة والذى سماه breviorium imperii وذلك اذا أراد البشر أن يعتنوا بما يهمهم أكثر •

فيلاليت :

٧ ــ أخيرا ، تصدر معظم أخطاؤنا المقاييس الخاطئة للاحتمال سواء عندما توقف الحكم رغم المبررات الواضحة أو أن نصدر الحكم رغم الإحتمالات المعارضة • هـذه المقاييس تتكون من :

(١) القضايا المشكوك فيها والتى نعتبرها مبادىء •

(٢) الافتراضات المقبولة • (٣) السلطة •

٨ ــ عادة تحكم على الشىء بالصدق عندما يتفق مع ما نعتبره مبادىء ثابتة ، وهـذا يجعلنا نحتقر شهادة الآخرين بل شهادة حواسنا عندما تكون أو تبدو معارضة ، ولكن قبل أن نثق فى حقيقة ما يجب فحصها بدقة تامة •

٩ ــ يتقبل الأطفال قضايا رسخت فى أذهانهم عن طريق آبائهم أو أمهاتهم أو مربياتهم وأساتذتهم وأولئك المحيطين بهم وتثبت هـذه القضايا فى ذهنهم وتصبح مقدسة كأنها urim et thumim وضعها الله فى أرواحهم •

١٠ ــ نتألم من معاناة ما يصدم هــذه الالهامات الداخلية عندما يحاول فهم المتناقضات الكبرى المتصلة معها • هذا يبدو فى الاصرار التام الذى نلاحظه لدى أشــخاص مختلفة تؤمن بقوة فى معتقدات متعارضة مباشرة ، على أنها من أمر الايمان رغم أنها قد تكون غير معقولة أحيانا • خذ مثلا شخص على فطرته ولكنه مقتنع بالحكمة التى تجعله يشارك فى معتقدات قوية بالطريقة المعروفة فى السويد أو فى وتسمبرج ، أى استعداد يجعله يتقبل بدون مشقة النظرية التواجدية (عقيدة لوثر تؤكد أن وجود الجوهر الالهى فى القربان لا يمنع وجود الخبز والخمر فيه) وأن يعتقد أن الشىء الواحد يكون لحما وخبزا فى نفس الوقت ؟ •

تيوفيــــــــل :

يبدو يا ســيدى أنك لست على علم كافى بمشاعر الانجيليكيين الذين يقبلون الحضور الحقيقى لجسد الرب فى سر القربان • لقد أوضحوا ألف مرة أنهم لا يريدون مطلقا تواجدية الخبز والخمر فى لحم ودم المسيح ، وبالاحرى أن يكون نفس الشىء لحما وخبزا معا أنهم يريدون فقط أنه يتقبل الرموز المرئية لجســد الرب بطريقة غير مرئية وتفوق الطبيعة ، دون أن يحتجز فى الخبز أن الحضور الذى يقصدونه ليس محليا مطلقا ، أو مكانيا ، أى محددا بأبعاد الجسد الحاضر : بحيث كل ما يمكن أن تعارضــــه الحواس لن تراه • كذلك لكى يظهــروا أن العقبات التى يمكن استدلالها بالعقل لن تمسه ، يعلنون أن ما يقصدونه بجوهر الجسد لا يتكون مطلقا فى الامتداد أو البعد ، ولا يجدوا أى صعوبة فى قبول أن الجسد المبجل للمسيح يحتفظ بحضور معين عادى محلى ولكنه يتلائم مع حالته فى المحل الأسمى الذى يوجد فيه ، وهو مختلف تماما عن الحضور فى طقس الأسرار الذى نحن بصدده هنــا ، أو الحضور المعجز الذى بواسطته يحكم الكنيسة والذى يجعله ليس فى كل مكان كالله ، وانما هناك حيث يريد أن يكون : هــذا هو شعور المتواضعين بحيث لكى نثبت استحالة نظريتهم علينا اثبات أن كل ماهية

الجسد لا تتكون الا فى الامتداد وما يقاس بهذا فقط • لم يفكر أحد فى هذا حتى الآن حسب معرفتى • هــذه الصعوبة لا تخص المعلمين التابعين للعقيدة الجاليكانية (التى تدعو الى استقلال الكنيسة الادارى والبلجيكية ، ان اعلان مجمع sendomir المشكل من galicam) أتباع العقيدتين الأوغسطينية والهلفتيك Helvetique التى تؤيد عقيدة الساكسون المقــررة فى مؤتمر البلاثين ايمــان المصلحين القادمين من thorn والمدعوين للاجتماع تحت رئاسة ملك بولونيا uladilas والنظرية الثابتة لكالفن وبيز Béze التى تعلن بوضوح أكثر وبقوة أن الرموز تزودنا بفاعلية ما تمثله ، وأننا نصبح مشاركين لجوهر جسد ودم المســيح • ويضيف كالفن ، بعــد أن دحض أولئك الذين يقنعون بمشاركة مجازية للفكر • أو للختم sceau أو لوحدة الايمان ، اننــا لا نستطيع ذكر ما هو أقوى من ذلك لتقرير الحقيقة ، وأنه غير مستعد للتوقيع بشرط أن يتجنبوا كل ما يتصل بدائرة الأماكن أو انتشــار الأبعاد ، بحيث تبدو نظريته فى أعماقها ، شبيهة بنظرية Milanchton ولوثر (وقد افترض كالفن نفسه تفسير هــذا فى احدى رسائله) باستثناء أنه علاوة على شرط تصور الرموز التى يكتفى بهــا لوثر ، يطالب أيضا بشرط الايمان ، ليستبعد مشاركة غير المؤمنين • وفى نظرى أن « كالفن » كان موضوعيا بالنسبة لموضوع تناول القربان الذى ذكره فى مائة موضع من مؤلفاته ، بل وفى خطاباته العائلية التى قد لا نحتاج اليها ولا مجال للشك فيها •

فيــــــلاليت :

اعتذر اذ تحدثت عن هؤلاء الســادة بناء على الاعتقاد الشعبى ، وأتذكر الآن أن عددا من اللاهوتيين المهرة فى الكنيسة الانجيليكية أيدوا هذه المشاركة الحقيقية ولكن لننتقل من المبادىء المقررة الى الفروض المقبولة • أولئك الذين يعرفون أنها ليست سوى افتراضات لا يكفوا أحيانا عن التمسك بها بحرارة كأنها مبادىء مؤكدة ويحتقرون الاحتمالات

المعارضة • من غير المحتمل لأستاذ عالم أن يرى نفوذه قد ضاع فى لحظة على يد قادم جديد يرفض افتراضاته ، أيملى نفوذه الذي انتشر منذ ثلاثين أو أربعين عاما واكتسبه بعديد من الليالى وسانده بقدر من الأغريق واللاتين يؤيدهم تقليد عام ولحية محترمة • كل ما يمكن أن نستخدمه من أدلة لاقناعه بخطأ افتراضه لن يؤثر على ذهنه ، وكل جهد يبذل معه يشبه الجهود التى بذلها Eorée ليرغم مسافر على خلع معطفه الذى يمسك به فى مهب الريح التى تعصف بعنف •

تيوفيـــــل :

الواقع أن الكوبر نيفيين قد أثبتوا فى نزاعهم أن الافتراضات • كما هى ، لازالت تساندهم بحماس قوى • والديكارتيين لا يقلون ايجابية بالنسبة لفروض particules canelés والكرات الصغيرة ذات[1] العنصر الثانى كما لو أنها نظريات اقليدية ، ويبدو أن التحمس لافتراضاتنا لا يعدو أن يكون أثرا للانفعالات التى تكون لدينا عندما نحرص على احترام أنفسنا • حقا لقد أعتقد الذين حكموا على جاليليو ، أن ثبات الأرض كان أكثر من افتراض لأنهم رأوا أنه يتفق مع الانجيل ومع العقل • ولكن • منذ أدركوا أن العقل لم يعد يسانده وأن الانجيل فى ضوء ما نشره فى روما الأب فابرى Fabry ، كان القديس بطرس واللاهوتى والفيلسوف الممتاز ، فى بحثه déustachio apologie des observations divin وما أعلنه عالم بصريات مشهور من أن فهمنا لحركة الشمس من خلال النصوص مجرد فهم احتياطى وأنه اذا تحقق افتراض كوبرنيق فلن نجد صعوبة فى تفسير كالشأن مع فقرة فرجيل terraeque urbesque recedunt ومع هذا لم يكفوا فى ايطاليا وأسبانيا بل والبلاد الموروثة للامبراطور من الاستمرار فى حذف نظرية كوبرنيق مع ما فى هذه البلاد من عقول قادرة على الارتفاع الى الاكتشافات الجميلة اذا تمتعوا بحرية معقولة وفلسفية •

---

(١) انظر ديكارت : مبادىء الفلسفة جـ ١ ، ١١١ ، ٩٠

فيـــــلاليت :

تبدو الانفعالات السائدة ، كما تقول ، مصدر حبنا للافتراضات ولكنها تمتد أيضا أبعد من ذلك بكثير . لن يفيد أكبر احتمال في العالم في اظهار ظلم بخيل أو طموح ، وسيجد المحب أن من السهل أن تخدع عشيقته تخدعه ، طالمـا من الحق أننا نعتقد بسهولة فيما نريد وبناء على ملاحظة فرجيل . qui amant ipsi sibi somnia fingunt

مما سيسمح باستخدام وسيلتين للتخلص من الاحتمالات الأكثر ظهورا . عندما تهاجم انفعالاتنا وأحكامنا المسبقة .

١٣ ـ الوسيلة الأولى هي أن نظن أن هناك بعض السفسطة المختفية في الدليل الذي نعترض عليـه .

١٤ ـ الثانية أن نفترض أننا نستطيع تقديم أدلة جيدة أو أفضل لنهزم الخصم اذا توفرت لنا الراحة والمهارة والمساعدة اللازمة .

١٥ ـ هـذه الوسائل للاقناع تكون جيدة أحيـانا ولكنها تكون سفسطة أحيـانا أخرى ، عندما تكون المـادة واضحة بما يكفي وعندما يخضع كل شيء لاعتبارنا ، ومن ثم سنجد وسيلة للتعرف في أي جانب يوجد الاحتمال . وهكذا لن يوجد مجال للشك في أن الحيوانات قد خلقت بناء على تجمع عفوي للذرات ، تماما كما أنه لا يوجد شـخص يشك في أن حروف المطبعة التي تشـكل بحثا معقولا ، قد رتبها شـخص واعي وليست مجرد مزيج مختلط . أعتقد اذن أن توقف تصديقنا لهذه اللقاءات لا يعتمد علينا وانما نستطيع عمله عندما يكون الاحتمال أقل وضوحا ونستطيع الاكتفاء بالأدلة الأضعف التي تتفق أكثر مع ميولنا .

١٦ ـ يبدو لي أنه من غير العملي بالنسبة للحقيقة أن يميل الشخص الى الجانب الذي يرى أنه أقل احتمالا ، فالادراك ، المعرفة ، والتصديق ليسوا تعسفا مطلقا ، أن رؤية أو عدم رؤية اتفاق فكرتين نتيجة اليهما

ذهننا لا تعتمد علينا • باستطاعتنا أن نوقف تقدم أبحاثنا باختيارنا ، والا فلن يكون الجهل أو الخطأ خطيئة فى أى حالة ، وبهذا نمارس حريتنا حقا أنه فى اللقاءات التى لا يكون لنا فيها مصلحة ، فى امكاننا أن ننضم الى الاعتقاد العام أو لأول احساس يصادفنا ؟ ولكن فى الأمور التى تخص سعادتنا أو شقاءنا فان الذهن يسعى بجدية أكثر الى أن يقيم الاحتمالات ، وأظن أنه فى هذه الحالة ، أى عندما نكون واعين ، لن يكون لدينا اختيار لتحديد الجانب الذى نريده ، اذا وجد بين الجانبين اختلافات مرئية سيحدد الاحتمال الأكبر تصديقنا •

تيوفيـــــل :

انى متفق معك فى الأساس ، وقد أوضحنا هذا الأمر من مناقشتنا السـابقة عندما تحدثنا عن الحرية • لقد أظهرت عندئذ اننا لا نعتقد أبدا ما نريده ، ولكن ما نرى أنه الأكثر وضوحا : ومع ذلك نستطيع أن نقنع أنفسـنا بما نريده بطريقة غير مباشرة ، بان نحول الانتباه من موضوع غير مقبول الى آخر يسرنا • مما يجعلنا عند مواجهة مبررات الجانب الذى نفضله نعتقد فيه بصورة تبدو حقيقية • أما الاعتقادات التى لا نجد فيها مصلحة والتى نصل اليها بمبررات خفيفة ولا نلاحظ فيهـا ما يعترضها فاننا نجد اعتقادنا فيها يفوق كثيرا الاحساس المقابل والذى لا يوجد ما يؤيده فى ادراكنا ، أى لا يوجد المبرر الذى يؤيد هذا الجانب أو ذاك لأن الفارق بين الصفر والواحد مثلا أو بين الاثنين والثلاثة هو نفس الفارق بين تسعة وعشرة ، أننا ندرك هــذه الميزة دون أن نفكر فى فحص ما هو ضرورى للحكم ولكن حيث لا يوجد ما يحثنا •

فيـــــلاليت :

المقياس الخاطىء الأخير للاحتمال ، الذى أريد ذكره هو السـلطة التى أسىء فهمها والتى تجعل غالبية الناس فى جهل وفى خطأ أكثر من كل ما عداها • كم من النـاس ليس لديهـم أى أسـاس لمشاعرهم

الا الاعتقادات السائدة بين الأصدقاء ، أو بين أعضاء المهنة أو الحزب أو البلدة ؟ مثل هـذه النظرية كانت مقبولة لدى القدماء وانتقلت الينا عبر القرون السابقة ، وخضع لها اناس آخرون ، ولهذا أكون فى مأمن من الخطأ عندما أقبلها وقد يكون من الأصوب قبول هـذه المعتقدات عن طريق الرهان بدلا من اختيارها بناء على مثل هـذه القواعد . علاوة على أن الجميع عرضة للخطأ . فانى أعتقد أنه اذا أمكننا رؤية الدوافع الخفيه التى تدفع العلماء ورؤساء الأحزاب فاننا سنجد كل شيء الا الحب الخالص للحقيقة . من المؤكد على الأقل أنه لا يوجد اعتقاد غير معقول بحيث لا يمكن قبوله بناء على هـذا الأساس ، مادام لا يوجد خطأ الا وهنـاك من يشايعه .

تيوفيـــــل :

يجب أن نعترف أنه ليس فى الامكان تجنب الخضوع للسلطة فى عـديد من المقـابلات . لقـد ألف القـديس أوغسـطين كتابا رائعا فى هـذا الموضـوع جدير بأن يقرأ . أما عن الاعتقادات السائدة فهى قريبة لمـا نسميه فى القانون بالقرائن ، ومع أن المرء غير مضطر لاتباعها دائما بدون أدلة ، الا أننا لا نملك تحطيمها لدى الآخرين ما دمنا لا نملك الأدلة المعارضة . غير مسموح تغيير أى شيء بدون مبرر . لقد تنازعوا كثيرا حول الدليل المستمد من عدد كبير من الموافقين لرأى ما . وذلك منذ أن نشر المرحوم نيقولا Nicole كتابه عن الكنيسة . ولكن كل ما يمكن أن نستمده من هـذا الدليل عندما يتصل الأمر بتأييد مبرر ما وليس بتقرير واقع ، لا يمكن أن يخضع الا لمـا سبق أن ذكرته وما دام مائة حصان لن يجروا أسرع من حصان ، كذلك الامر بالنسبة لمـائة رجل عندما نقارنهم برجل واحد . أن يستطيعوا أن يسيروا أقوم وانمـا سيعملون بفاعلية أكثر ، لن يحكموا أحسن وانما فى امكانهم أن يمدونا بمادة أكثر يمكن أن نمارس فى ضوئها الحكم . وهذا ما يقصده المثل plus vident oculi quam oculus وهـذا ما نلاحظه فى الاجتمـاعات

يطرح عديد من الاعتبارات وقد لا يتنبه بتجاهلها فرد أو اثنين ولكن قد نتعرض أحيانا لعدم الانتباه للجانب الافضل عند الحكم على كل هذه الاعتبارات اذا لم يوجد اشخاص بارعون يتناولون توجيهها وتقييمها • ولهذا اخضع بعض اللاهوتيين المتفقهين من حزب روما موضوع الاستدلال الذهنى لتقرير الوقائع تحت أسم العرف عندما رأوا أن سلطة الكنيسة ، أي سلطة أصحاب المقام العالى المؤيدة بالاغلبية لم تستطع التأكد منه • هكذا كان رأى هنرى جولدن الانجليزى والدكتور فى السوربون ومؤلف كتاب « تحليل الايمان » وبناء على مبادىء commonitorium de vincent de Lerins يقرر أننا لا نستطيع أصدار قرارات جديدة للكنيسة وأن كل ما يمكن أن يفعله القساوسة مجتمعين هو تقرير لواقع لنظرية سائدة فى اسقفيتهم • يكون المبدأ خادعا طالما نظل فى الموميات ولكن عندما نصل الى الواقع ، سنجد أن الدول المختلفة تقبل اعتقادات مختلفة منذ زمن طويل ، وفى نفس البلد ننتقل من الابيض الى الاسود ، رغم ادلة أرنولد ضد التغييرات غير المحسوسة ، علاوة على أنه احيانا قد لا نكتفى بالتقرير دائما نندفع الى الحكم وهذا هو ايضا اعتقاد Grester العالم الجيزويتى فى Baviére ومؤلف لتحليل آخر للايمان يؤيده اللاهوتيون الذين فى نفس منصبه ، يمكن للكنيسة أن تحكم فى الخصومات بأن تزيد اقساما جديدة من عقيدة تساعدها الروح المقدس مهما حاول البعض اخفاء هذا الشعور ، وخاصة فى فرنسا ، كأنما الكنيسة لا تعمل سوى توضيح نظريات مقررة فعلا • ولكن التوضيح اعلان مقبول فعلا ، أو هو نبأ نعتقد استدلاله من نظرية مقبولة • تتعارض الممارسة احيانا مع المعنى الاول ، وبالمعنى الثانى ، الاعلان الجديد الذى نقرره هل يمكن أن يكون مجرد قسم جديد من العقيدة ؟ مع ذلك لست من الرأى الذى يحتقر القدماء فى مجال الدين ، واعتقد أنه يمكن القول أن الله قد حفظ المجالس المسكونية الحقيقية (التى تدعو الى توحيد الكنيسة) حتى الان من كل خطأ يعارض النظرية السليمة • وما عدا ذلك فمن الغريب أن يحرم من الحزب : لقد رأيت اشخاصا

يتمسكون بحماس باعتقاد ما بحجة أنه سائد فى نظامهم ؛ أو حتى لانه يعارض اعتقاد رجل من دين أو من أمة لا يحبها ، حتى ولو كان الامر لا يتصل اطلاقا بهذا الدين أو بمصالح الشعوب • ربما أنهم لا يعرفون مطلقا أن هذا هو مصدر حماسهم ، ولكنى اعرف أنه بالنسبة للخبر الأول ، أى ما يكتبه أى شخص ، فانهم يقلبون فى المكتبات ويعقدون الامور ليجدوا ما يمكن دحضه • هذا ما كان يحدث احيانا من أولئك الذين تمسكون بآرائهم فى الجامعات ويسعون الى تأييدها ضد خصومهم • ولكن ماذا نقول عن النظريات التي سجلها البروتيستنت فى الكتب الرمزية للحزب التى نضطر احيانا الى حلف اليمين لقبولها ؟ أن البعض يعتقد أنها لا تعنى عندنا سوى الاضطرار الى الاعتراف بما في هذه الكتب والصيغ من الكتاب المقدس • مع ما فيها من تعارض مع غيرها ، أما فى النظم الدينية لحزب روما فقد فرضوا ، دون أن يقتنعوا بالنظريات المقررة فى كنيستهم ، حدودا ضيقة لاولئك الذين يتولون التدريس والدليل على ذلك القضايا التى منع جنرال الجيزويت ، كلود أوافينا Claude Aquaviva (اذا لم أكن مخطئا) تدريسها فى مدارسهم • من الأفضل عمل سجل منظم للقضايا التى تقررها أو تحرمها المجالس ، البابوات ، القساوسة ، رؤساء الكليات ، والتي تخدم تاريخ الكنيسة يمكن أن نميز بين تدريس واعتناق رأى ما ، لا يوجد أى قسم في العالم ولا أى منع يمكن أن يرغم الشخص على أن يظل متمسكا بنفس الاعتقاد ، لأن المشاعر غير ارادية فى ذاتها ، ولكننا نستطيع بل ويجب أن نمتنع عن تدريس نظرية خطرة وأن كان ضميرنا لا يرغمنا على ذلك وفي هذه الحالة يجب أن نعلن ذلك باخلاص وأن نتخلى عن المنصب عندما نكلف بالتدريس ، على فرض أن هذا ممكن ، دون أن نتعرض لخطر كبير يرغمنا على تركه بدون ضجة • لا نجد أي وسيلة أخرى لنوفق بين الحقوق العامة والخاصة : احدهما يحتم علينا منع ما نرى أنه سيء والآخر لا يجعلنا نعفى انفسنا من الواجبات التي يقررها الضمير •

فيـــــلاليت :

١٨ ــ هــذا التعارض بين العام والخاص ، بل بين الاعتقادات العامة للاحزاب المختلفة شر لا يمكن تجنبه • ولكن احيانا لا يكون التقابل بينها الا ظاهريا ، ولا يكون الا فى الصياغة • أنى مضطر ايضا الى القول لاكون عادلا بالنسبة للجنس البشرى ، أنه لا يوجد كثير من الناس ينغمسون فى الخطأ الذى نفترضه عادة ، ولكنى لا اعتقد انهم يتمسكن بالحقيقة • ونظرا لانه فى الواقع لا تملك النظريات التى تثير ضجة كبرى أى اعتقاد ايجابى على الاطلاق فانها تقرر التمسك بالحزب دون فحص ودون أن يكون لديها أفكارا واو سطحية عن الموضــوعات التى يناقشوها • أنهم كالجنود الذين لا يناقشون أبدا السبب الذى من أجله يدافعون ، واذا كانت حياة المرء تظهر أنه لا يهتم بالدين فيكفيه أن يكون لديه اليد واللسان المستعدين لقبول الاعتقاد العام ،يكون جديرا فى نظر أولائك الذين يمكن أن يكونوا سندا له •

تيوفيـــــل :

هذه العدالة التى تقررها للجنس البشرى ،ليست مديحا له ،وسيكون البشر معذورين أكثر فى اتباعهم باخلاص اعتقاداتهم من أن يزيفوها من أجل مصالحهم • ربما يوجد أخلاص أكثر فى واقعهم والذى يبدو لى انك لم تفهمه لانه بدون معرفة السبب يمكن أن يصلوا الى أيمان ضمنى بألا يستسلموا استسلاما أعمى وعام ، وغالبا ما يكون بحسن نية ، لاحكام الآخرين ، الذى عرفوا السلطة ذات مرة ، حقا أن المصلحة التى يريــد منها تتفق مع هذا الخضوع ؛ ولكن هذا لا يمنع اطــلاقا الا يتشــكل الاعتقاد • تكتفى الكنيسة بالرومانية بهذا الايمان الضمنى تقريبا • وعلى من لا يملك قاعدة جديدة للايمان أن يرجع الى الوحى الذى يعتبر أساسيا تماما وضروريا ضرورة necessitate medii تجعل الثقة شرطــا ضروريا للخلاص • أنهم يدرسون جميعا فى الكنيسة هذه الضرورة الــ

necessitate praecepti والتى تلفت النظر الى ما يقترحون • الكل واقع تحت وطأة الخطيئة المميتة ولكن هذه الضرورة لا تتطلب سوى طاعة معقولة ولا ترغم مطلقا على التصديق ، فى نظر علماء هذه الكنيسة • لقد اعتقد الكاردينال بل ارمان Bel Armin انه لا يوجد افضل من إيمان الطفل الذى يخضع لسلطة مقررة يحكى مؤيدا لذلك قدرة شخص يحتضر على التخلص من الشيطان بناء على هذه الترنيمة التى نسمعه يكررها : انى اعتقد كل ما تعتقده الكنيسة والكنيسة تعتقد ما أعتقد •

* * *

شخصيات الفصل

(١) Jean) Calvin) مصلح مشهور ولد سنة ١٥٠٩ وتوفى سنة ١٥٦٤ فى جنيف حيث ادخل الاصلاح وحيث مارس طوال حياته سيطرة دكتاتورية حقيقية أكبر أعماله Institition Chretienne وهو لاهوتى أكثر منه فلسفى .

(٢) (theod . de Béze) صديق وتلميذ كالفن ولد سنة ١٥١٩ وتوفى سنة ١٦٠١ .

(٣) Philippe Melanchon صديق وتلميذ لوثر ولد سنة ١٤٩٧ وتوفى سنة ١٥٦٧ وفق بين الاصلاح وفلسفة ارسطو ، من اهم أعماله dialecia سنة ١٥٣٦
و commentarium de anima سنة ١٥١٠
و initiae doctrine physicae; epitome philosophia moralis. سنة ١٥٥٠

(٤) لوثر (مارتن) مصلح مشهور ، لا جدوى من ذكر تاريخه ، ولد سنة ١٤٨٤ وتوفى سنة ١٥٤٦ له أعمال لاتينية وأخرى بالالمانية فى ١٢ مجلد نشرت فى المانيا سنة ١٥٦٥ ترجمت الى اللاتينية فى فرانكفورت سنة ١٥٧١ وترجمها ميشيليه الى الفرنسية تحت عنوان مذكرات لوثر فى باريس سنة ١٨٣٧ .

(٥) Henri Holden دكتور فى كلية اللاهوت فى باريس ؛ ولد سنة ١٥٧٦ فى انجلترا وتوفى فى باريس سنة ١٦٦٥ له divinae fidei analysis سنة ١٦٣٢ ،
tractatus de schismate ; tractatus de usura ; divers tratié de controverse.

(٦) st. Vincent de Lerius عاش فى القرن الخامس المسيحى ونشر بالارد أعماله الكاملة سنة ١٦٦٣ .

(٧) Jacque Grester جيزويتى ولد سنة ١٥٦١ وتوفى سنة ١٦٥٠ نشرت أعماله الكاملة فى ١٧ مجلد فى الاعوام ١٧٣١ وما تلاها .

(٨) Aquavias (كلود) جنرال جيزويتى ولد فى نابولى سنة ١٥٤٣ وتوفى سنة ١٦١٥ يعرف بوجه خاص بنصائحه التى عنوانها Ratio studiorum روما سنة ١٥٦٦) وهو عمل حذفه الجزويت بناء على قرار محكمة التفتيش الدينية ثم أعيد طبعه بعد تعديله سنة ١٥٩١ .

الفصل الحادى والعشرين

تصنيف العلـــوم

فيـــــلاليت :

١ – ها نحن في نهاية بحثنا وقد أوضحنا كل عمليات الفهم • لم يكن هدفنا الدخول فى التفاصيل حتى بالنسبة لمعارفنا ، ومع ذلك فمن المناسب هنا قبل أن ننتهى ، أن نلقى نظرة عامة على تقسيم العلوم • كل ما يمكن أن يدخل فى مجال الفهم الانسانى يكون اما طبيعة الأشياء فى ذاتها ، أو فى المرتبة الثانية الانسان بصفته عضوا ، يسعى الى غاية وبصفة خاصة الى سعادته • وفى المرتبة الثالثة وسائل اكتساب وتوصيل المعرفة وهكذا ينقسم العلم الى ثلاثة أنواع •

٢ – النوع الاول علم الطبيعة والفلسفة الطبيعية التى تضم ليس فقط الاجسام ومتعلقاتها كالعدد والشكل وانما ايضا الأرواح ، والله والملائكة •

٣ – النوع الثانى الفلسفة العملية أو الأخلاق الذى يعلم وسيلة الحصول على الاشياء الخيرة المفيدة ويقترح ليس فقط معرفة الحقيقة وانما أيضا ممارسة ما هو صواب •

٤ – أخيرا النوع الثالث هو المنطق أو معرفة العلامات لانه yos yo تعنى الكلمة ونحن فى حاجة الى علامات لأفكارنا حتى نستطيع تبادلها مع الغير ، أو تسجيلها لاستخدامنا الخاص ، وربما اذا اعتبرنا بكل العناية الممكنة هذا النوع الاخير من العلم وجدنا انه يتناول الافكار والكلمات • وحصلنا على منطق ونقد مختلف عن ذلك الذى نراه حتى الآن هذه الانواع الثلاثة : علم الطبيعة ، الاخلاق ، والمنطق تعتبر بمثابة ثلاثة ولايات فى عالم الــذهن منفصـــلة عن بعضـــها البعض ومتميز عن بعضـــها تماما •

تيوفيـــــــل :

هذا التقسيم كان معروفا مثلا لدى القدماء ، لأنهم يضعون ضمن المنطق ، كما فعلت،كل ما يتصل بالأحاديث وتفسير أفكارنا artes discendi ومع ذلك تعترضنا صعوبة هنا ، لأن علم التفكير ، الحكم ، الاختراع ، يبدو مختلفا تماما عن علم اشتقاق الكلمات، ɛtymologie واســــتخدام اللغات وهو شيء غير محدد وتعسفى • علاوة على ذلك ، تفســـير الكلمات يضطرنا الى العمل فى العلوم بنفس الطريقة التى نتبعها فى المعاجم ، ومن جهة أخرى لن نستطيع تناول العلم دون أن نعرض فى نفس الوقت لتعريفات الحدود • ولكن الصعوبة الرئيسية التى نجدهـا فى هذا التقسيم للعلوم ، هى أن كل جزء منها يبدو أنه يبتلع الكل ، أولا الاخلاق والمنطق سيدخلان ضمن علم الطبيعة ، اذا أخذ بالمعنى العام • لان الحديث عن الاذهان ، أى عن الجواهر التى لديها فهم وارادة ، وتفسير هذا الفهم يتطلب التعرض للمنطق • كما سيتعرض ، فى نظرية الأذهان لكل ما يتصل بالارادة ، ويلزمك الحـديث عن الخـير والشر السعادة والشقاء ، ولن نتوقف عن دفع هذه النظرية لتدخل فى علـم الفلسفة العملية • كذلك الأمر بالنسبة للفلسفة العملية ، يمكن أن يدخـل فيها الكل باعتباره يساعد على تحقيق سعادتنا • أنك تعرف أن اللاهوت يعتبر بحق علما عمليا كذلك علم القانون والطب بحيث تستوعب نظريـة السعادة البشرية ، سواء لخيرنا أو لشرنا ، كل هذه المعارف ، ما دمنا نريد تفسير كل الوسائل التى تستخدم الغاية التى يقترحها العقل تفســـيرا كافيا • وهذا ما فعله Zwingerus فى المسرح المنهجى للحياة البشرية وما أفسده Beyerling عندما رتبه ترتيبا أبجديا • أن تتناول كل المواد بطريقة المعجم وحسب الترتيب الابجدى يجعل نظرية اللغات (التى تضعها ضمن المنطق كالقدماء) تحتل بدورها أرض النوعين الآخرين • وهكذا ستصبح ولاياتك الثلاثة الكبرى فى حرب مستمرة ما دام احدهمـا يعتدى باستمرار على حقوق الآخرين • لقد أعتقد الاسميون وجود

علوم جزئية بقدر ما يوجد من حقائق ، وتشكل مجموعات حسب ترتيبها ويفارق آخرون الجسم الكلى لمعارفنا بمحيط من قطعة واحدة لا يقسم الى المحيط الكاليدونى والأطلنطى والاثيوبى والهندى الا بخطوط تعسفية • أحيانا يحدث أن توضع نفس الحقيقة فى مكان مختلف ، حسب الحدود التى تحتويها أو حسب الحدود المتوسطة أو الأسباب التى تعتمد عليها، أو حسب النتائج والآثار التى يمكن أن نحصل عليها • القضية المقولية البسيطة ليس لها سوى حدين ولكن القضية الشرطية يمكن أن يكون لها أربعة حدود ، دون أن نعرض للتعريفات المركبة • أن حدثا خالدا يمكن أن يوضع فى حوليات التاريخى الكلى ، وفى تاريخ البلد الذى حدث فيه ، وتاريخ حياة الرجل الذى يهمه وعلى فرض أن الأمر يتصل ببعض الحكم الاخلاقية الرائعة أو ببعض المناورات الحربية أو اختراع يفيد فى الفنون ويفيد فى رفاهية الحياة أو صحة البشر • سيسجل نفس الحدث التاريخى فى العلم أو الفن الذى يخصه ويمكن أيضا ذكره فى مجالين من هذا العلم ، أى فى تاريخ العلم لنحكى تقدمه المتزايد وكذلك فى أصوله لنؤيده أو نوضحه بالأمثلة • مثلا ما يحكى عن حياة الكاردينال Ximénes الذى شفى من حمى طويلة الأمد وميئوس منها تقريبا ، على يد امرأة بواسطة الدلك • هذا الامر يستحق أن يذكر فى مجال الطب ضمن الفصل الخاص بالحمى ما دام الأمر يتصل بحمية طبية جديرة بالممارسة وتساعد هذه الملاحظة على اكتشاف أسباب هذا المرض • ويمكن أيضا أن نتحدث عنها فى المنطق الطبى حيث يتصل الأمر بفن اكتشاف الادوية وكذلك فى تاريخ الطب لتظهر كيف توصل الانسان الى معرفة الادوية أحيانا عن طريق العمليات التجريبية البسيطة بل وعن طريق الشعوذة أحيانا • وكان الاجدر أن يتوسع Beverovicus فى كتابه الرائع عن الطب القديم والمستمد كله من مؤلفين غير أطباء ، ليصل حديثه الى المؤلفين المحدثين • نرى من هذا أن نفس الحقيقة يمكن ذكرها فى أكثر من مكان حسب العلاقات المختلفة التى يمكن أن نحصل عليها : وأولئك الذين ينظمون مكتبة ما أحيانا لا يعرفون أين توضع

بعض الحتب ، لأنها تتعلق بمجالين أو أكثر مناسبين • والآن ان نتحدث الا عن النظريات العامه ، ونستبعد جانبا الوقائع الفرديه ، التاريخ ، واللغات • أجد نظامين رئيسيين لحل الحقائق النظريه ولحل منها جدارته ومن الأفضل ان نربط بينهما ، أحدهما تركيبيا نظريا يرتب الحقائق وفق نظام الأدله ، كما يفعل الرياضيون بحيث تأتى كل قضية بعد تلك التى تعتمد عليها والنظام الاخر تحليليا عمليا يبتدىء بهدف البشر ، أى المخبرات التى تكون السعادة فى قمتها ، ويبحث بنظام الوسائل التى تستخدم لاكتساب هذه الخبرات أو تجذب الشرور المعارضة • نجد هذين المنهجين فى دائرة المعارف بوجه عام ، كما يمارسها البعض فى العلوم الجزئية ، فى الهندسة مثلا عندما تناولها أقليدس تركيبيا كعلم فى حين تناولها البعض على أنها فن ، كما يمكن تناولها استدلاليا تحت هذه الصورة التى تظهر الاختراع وقد اقترح أحد الأشخاص قياس كل أنواع الأشكال المسطحة مبتدئا بالمستطيلات قصد تقسيمها الى مثلثات ، ويصبح كل مثلث نصف متوازى أضلاع ، ويخضع متوازى الاضلاع للمستطيل الذى يسهل قياسه • ولكن كتابة دائرة المعارف وفق هذين النظامين معا يجعلنا نحصل على مقاييس للرد لنتفادى التكرار • ويجب أن نضيف الى هذين النظامين نظام ثالث خاص بالحدود ولن يكون فى الواقع سوى نوعا من الفهرس • أما مذهبى يرتب الحدود وفق محمولات معينة تكون عامة لكل الأمم ، أو ابجديا وفق اللغة المعترف بها لدى العلماء • الا أن هذا الفهرس سيكون ضروريا للحصول على كل القضايا التى يدخل فيها الحد بطريقة ملحوظة ، لأنه حسب الطريقتين السابقتين ترتب الحقائق وفق أصلها أو وفق استعمالها ولن توجد معا كل الحقائق التى تخص نفس الحد • مثلا لم يكن مسموح لدى اقليدس ، عندما كان يعلم ، أن يجد نصف الزاوية بأن يضيف للوسيلة الحصول على الثلث، لأنه كان يلزمه الحديث عن المقاطع المخروطية التى لا يمكن معرفتها فى هذا المجال • ولكن بالفهرس يمكن ويجب أن يذكر الأماكن التى يوجد فيها القضايا الهامة التى تهم نفس الموضوع وما زال ينقصنا مثل هذا

الفهرس فى الهندسة حيث سيكون ذا فائدة كبرى ويسهل الاكتشافات ويدفع العلم لأنه سيخفف عن الذاكرة ويوفر الجهد الذى يبذل فى البحث من جديد عما حصلنا عليه فعلا • تستخدم هـذه الفهارس فى العلوم الأخرى أيضا حيث ما زال سلطان فن الاستدلال ضعيفا • وسيكون ضروريا أكثر فى الطب بصفة خاصة • لكن فى عمل مثل هـذه الفهارس لن يكون من الأمور التافهة • ومن العجيب أن يبدو اعتبار هذه النظم الثلاثة متمشيا مع القسمة القديمة التى حددتها والذى يقسم العلم أو الفلسفة الى نظرى وعملى واستدلالى أو الى علم طبيعة وأخلاق ومنطق ، لأن التنظيم التركيبى يتمشى مع النظرى والتحليلى يتمشى مع العملى ، وذلك الخاص بالفهارس حسب الحدود مع المنطق بحيث نقبل التقسيم القديم ونفهمه بالصورة التى شرحتها فى هذه الانظمة • أى ليس باعتبارها علوما متميزة وانما باعتبارها ترتيبات مختلفة لنفس الحقائق بقدر ما نجد من المناسب أن نكررها • هناك أيضا تقسيم مدنى للعلوم وفق الملكات والمهن • ويستخدم فى الجامعات وفى تنظيم المكتبات ، وقد ترك لنا كل من Lipenius , Draudis كتالوجا للكتب لم يتبع فيه منهج كل من Gesner , Pandectes المذهبى ، وانما أكتفيا باستخدام التقسيم الكبير للمواد (تقريبا كما يفعل أصحاب المكتبات) وفق الملكات الاربعة كما يسمونها : اللاهوت والتشريع والطب والفلسفة• ورتبوا فى داخل كل ملكة الحدود الرئيسية التى تدخل فى تحرير الكتب ترتيبا أبجديا • ومما يخفف عنهم أنهم لم يحتاجوا الى رؤية الكتاب أو فهم المادة التى يتناولها ، ولكنه لن يخدم كثيرا الآخرين ، مالم تذكر اشارات للعناوين ذات دلالة ، لانه بغض النظر عن كمية الأخطاء التى وقعوا فيها ترى أنهم أحيانا يسمون نفس الشىء بأسماء مختلفة مثلا :

observationes juris, mis cellnea , conjectanea , clecta, semestria, probabilia , benedicta.

وقدر آخر من الاوصاف المشابهة • بحيث تصبح كتب التشريع مجرد خليط من القانون الرومانى لهذا يصبح التنظيم المذهبى للمواد هو الافضل

بلا شك ، ويمكن أن نضيف اليها ملاحق أبجدية كاملة حسب الحدود والمؤلفين • لا يجب احتقار التقسيم المدنى السائد حسب الملكات الأربعة • اللاهوت يبحث السعادة الابدية وكل ما يتصل بها بقدر ما يعتمد ذلك على الروح والضمير أنه يشبه التشريع الذى يهتم بما نقول عنه ue fora interno ويستخدم جواهر وعقول غير مرئية • موضوع التشريع هو الحكومة والقوانين التى هدفها سعادة البشر بقدر ما يمكن ممارستها خارجيا وبالحس ولكنها لا تهتم أساسا الا بما يعتمد على طبيعة الذهن ولا تتدخل فى تفصيل الأشياء الجسدية ، التى تفترض طبيعتها لتستخدمها كوسائل • وهكذا تتحلى أولا عن نقطة كبرى تتصل بالصحة والعافية وكامل الجسم البشرى التى انتقل الاهتمام بها الى ملكة الطب • اعتقد البعض بحق أنه يمكن اضافة الى هذه الملكات ، الملكة الاقتصادية التى تشمل فنون الحساب والميكانيكا وكل ما يتصل بتفاصيل جوهر البشر ورفاهية الحياة ، ويدخل فيها الزراعة وفن المعمار • وتركوا لملكة الفلسفة كل عالم يدخل فى الملكات الثلاثة الاخرى التى يسمونها العليا • لقد أساءوا اليها لأنهم لم يقيموا أولئك الداخلين فى هذه الملكة فرصة الاتقان عن طريق الممارسة كما يفعل أولئك الذين يعلمون الملكات الاخرى وهكذا ، باستثناء علماء الرياضة، لا تعتبر ملكة الفلسفة الا مجرد مدخل للملكات الأخرى • لهذا نريد للشباب أن يتعلم التاريخ وفن الحديث ، وبعض اصول اللاهوت والشريعة الطبيعية ، المستقلة عن القوانين الالهية ، والبشرية ، تحت اسم ما بعد الطبيعة ، أو علم الظواهر الروحية ، الأخلاق ، الساسة ، مع قليل من علم الطبيعة للاطباء الشبان ، هذا هو التقسيم المدنى للعلوم وفق الجسم ومن العلماء الذين يعلموها ، دون الحديث عن مهن أولئك الذين يعملون للجمهور علاوة على حديثهم الذى يجب أن يخضع لتوجيه العلماء الحقيقيين واذا ما أخذنا مقاييس المعرفة بدقة ، حتى فى الفنون اليدوية السامية ، وجدنا ارتباط المعرفة بالعمل قويا ويمكن أن يتزايد الترابط ، كما حدث فى الواقع فى الطب ، ليس قديما فقط (حيث كان

الاطباء جراحين وصيادلة فى نفس الوقت) وانما اليوم كذلك وخاصة لدى الكيمائيين • هذا الارتباط بين العمل والنظرية نراه فى الحرب ولدى أولئك الذين يدرسون ما نسميه بالتمرينات ولدى الرسامين والنحاتين والموسيقيين ولدى بعض الأنواع الأخرى من Virtuosi واذا تعلم عمليا الفلسفة مبادىء كل هذه المهن بل والحرف واذا اطلع العلماء على هذه الملكات فسكنوا حقا معلمى الجنس البشرى • لكن يجب تغيير الحالة الحاضرة فى كثير من المجالات الخاصة بالأدب وتربية النشء والسياسة وعندما اعتبر كم تقدم البشر فى المعرفة منذ قرن أو قرنين ، وكم سيكون من السهل أن نذهب أبعد بكثير جدا لنصبح سعداء لا يأس مطلقا من أننا سنصل الى اصلاح معتبر فى زمن أهذا تحت رعاية أمير عظيم يرسله الله لخير الجنس البشرى •



الشخصيات

(١) H. Zwinger يوجد ثلاثة اشخاص بهذا الاسم أولهم او اقدمهم او رئيس الأسرة طبيب ولد في بال سنة ١٥٣٣ وتوفى سنة ١٥٨٨ ومؤلف theatrum vitae humanae وهو الكتاب الذى ذكره ليبنتز . الثالث ابن الثانى طبيب ولاهوتى ولد سنة ١٥٩٧ وتوفى سنه ١٦٥٤ . ومؤلف theatrum sapientiae caelestis سنة ١٦٥٢ .

(٢) laurent Beyerling ولد سنة ١٥٧٨ وتوفى سنة ١٦٢٧ نشر مع اضافات وتعديلات كتاب le theatrum الذى الفه Zwinger ويقال انه خليط من اللاهوت والتاريخ والسياسة والفلسفة .

(٣) Beverwck, Boverovicious . طبيب ولد سنة ١٥٩٤ دحض اعتراضات مونتنى على الطب تحت عنوان Montanus eleuchomenos وكتاب آخر de excellentia feminei sexus.

(٤) George Draud. صاحب تصنيفات ولد سنة ١٥٧٢ وتوفى سنة ١٦٣٥ له bibliotheaca classica, bibliotheca exotica.

(٥) Lipenius عالم لغوى ولد سنة ١٦٣٠ وتوفى سنة ١٦٨٢ له medica, pnilosophica, juridica, bibliotheca realis theologica. وعدد من الابحاث عن المعرفة .

(٦) Gesner مؤلف مشهور فى القرن ١٨ ولد سنة ١٦٩١ وتوفى سنة ١٧٦١ الف تصنيفا عقلانيا catalogue raisonbée لمكتبة دوق ويمبر وهو المؤلف الذى يشير اليه ليبنتز . له أيضا بحث فى الفلسفة هو socrates sanctus pederasta. سنة ١٦٩٨ .



المراجـــع

(أ) ابحاث باللغــة العربية :

١ ـــ ابو العلا عفيفى :
المدخل الى الفلســـفة

٢ ـــ جورج طعمه :
ليبنتـــــز

٣ ـــ د . زكى نجيب محمود :
برتراند رســـل
نحـــو فلسفة علمية
المنطق الوضـــعي
خرافة الميتافيزيقا

٤ ـــ د . عبد الغفار مكاوى :
المونادولوجيا والمبادىء العقلية للطبيعة والفضل الالهى

٥ ـــ د . عبد الرحمن بدوى :
فلســـفة العصور الوسطى

٦ ـــ د . عثمان امين :
ديـــكارت
محاولات فلسفية

٧ ـــ د . عزمى اســـلام :
جون لوك (نوابغ الفكر الغربى)

٨ ـــ د . محمد فتحى الشنيطى :
جون لوك (مجلة تراث الانســـانية)

٩ ـــ د . نجيب بلدى :
بســـــكال (نوابغ الفكر الغربى)

١٠ ـــ يوسف كرم :
تاريخ الفلسفة الأوربية فى العصر الوسيط .
تاريخ الفلســـفة الحديثة

(ب) ابحاث باللغـــات الأجنبية :
١ ـــ مؤلفات ليبنتز
٢ ـــ مؤلفات عن ليبنتز
٣ ـــ مقالات فى الدوريات الاجنبية

المراجع باللغة الاجنبية

١ ـ أبحاث باللغات الاجنبيـــة :

١ ـ مؤلفات ليبنتز :

1 — (Louis) Couturat, Opuscues et Fragement inédits de Leibniz.

2 — Langley, (alfred giden) ; New Essays Concerning human understanding by G. W. Leibniz.

3 — Latta (Robert) ; Monadology and Other Philosophical Writings of Leibniz.

4 — Morris (Mary); The Philosophical Writings of Leibniz.

5 — Piajet ; Nouveaux Essais de l'entendement.

6 — Stark (9 W.) ; Theodicy of Leibniz.

7 — Thouvry (Emile) ; Discours de Mrtaphysique.

8 — Wiener (Philip P.) ; Leibniz - selections.

٢ ـ مؤلفات عن ليبنتز :

1 — Archambault (Paul) ; Leibniz.

2 — Biéme (Emile van); léspace et le temps chet Leibniz et Kant .

3 — Brunschvig (Leon) ; les étapes de la philosophie mathematique.

4 — Chatelet (Francois) ; Histoire de la philosophie , idées et doctrines; T. 3.

5 — Cresson (André) ; Leibniz.

6 — Freedmann (Georges) ; Leibniz et Spinoza .

7 — Hampsh're (Stuart) ; Spinoza; pelican book no . 253.

8 — Joseph (H.W.) ; lectures on the philosophy of Leibniz.

9 — Morris (Cohen) , Ernest Nrnest Nagel ; Introduction to logic and scientific method.

10— Martin (Gottfried) ; Leibniz and metphysics.

11— Mauy (Paul) ; Logic.

12— Piat (Clodius) ; Leibniz.

13— Russell (Bertrand) ; Critical exposition of the philosophy of Leibniz.

14— Saw (Ruth Lydia) ; Leibniz.

مقـــالات في الدوريـــات الأجنبيـــة

1 — The Philosophical Review. : July 1954.

1 — Leibniz : Theodicy ; translated by E. M. Huggard; p. 110 - discourse on metaphysics ; p. 441 - 444.

2 — Belaval., Y; pour connaitre la pensée de Leibniz;P. 451 - 453.

2 — Revue philosophique ; 1946.

1 — Jalabert ; la psychologie de Leibniz , P. 453 - 472.

2 — G. Lewis; la critique leibnizienne du dualism cartesien P. 473 - 485.

3 — L. Prenant; le raisonable chez Leibniz , P. 486 - 512.

4 — A. Hannequin ; theorie de la connaissance chez Leibniz, 1925, T. xcix, P. 321.

5 — Servien; le progrés de la metaphysique de Leibniz, 1937. T. CXXIV.

3 — Revue de Métaphisique et Morale;

1 — A.Hannequin :la preuve ontologique cartesienne defondue contre Leibniz . 1896, p. 433.

2 — P. Boutroux; étuded critiques sur la philosophie de Leibniz.

3 — L. Courat: sur la métaphysique de Leibniz 1902.

4 — sur une des germes de la philosophile de Leibniz, 1902. P. 552.

5 — M. Cassirer; systéme de Leibniz; 1903 p. 83.

6 — le germe de lantinomie Kantienne chez Leibniz 1908. P. 905.

7 — M. Ivan Jagodnsky ; textes inédite de Leibniz; 1913 . P. 177.

8 — Henri Lestienne; discours de métaphysique de Leibniz 1930 p. 8.

9 — Joseph Iwanicki; Leibniz et les demonstrations mathematiques de Iéxistence de Dieu 1936 p. 10.

10— Martiel Gueroult: Dynamique et métaphysique Leibniziennes 1937 . p. 8.

11— Brunner, études sur la signification historique de la philosophie de Leibniz, 1952 . p. 94.

12— Guiton, J.; Pascal et Leibniz, étude de deux types de penseurs



الفهـرست

مقـــــدمة :

أولا : فلسـفة ليبنتـــز

التيارات الفكريـــة :

ثانيا : نظرية المعرفة

عرض تحليلى للباب الرابع من كتاب ابحاث جديدة

فى الفهم الانسانى (٩٥ ـ ١٢٨)

ثالثا : ترجمة الباب الرابع

(١٣٠ ـ ٣٥٢)



رقم الايداع بدار الكتب ٤٠٦٩ / ٨٣

دار التوفيق النموذجية
للطباعة والجمع الآلى
الأزهر : ٣ حبيشان الموصلى
بجوار جامع الدعاء



سلسلة النصوص الفلسفية

- (المونادولوجيا) و (المبادىء العقلية للطبيعة والفضل الالهي)
  ليبنتز — ترجمة ودراسة — عبد الغفار مكاوى
- نداء الحقيقة — هيدجر
  ترجمة ودراسة — عبد الغفار مكاوى
- ما الفلسفة ؟ ما الميتافيزيقا ؟ هيلدرن وماهية الشعر — هيدجر
  ترجمة ودراسة — محمود رجب — فؤاد كامل
  مراجعة عبد الرحمن بدوى
- محاضرات فى فلسفة التاريخ — هيجل
  ترجمة ودراسة — امام عبد الفتاح امام
- جامع الحكمتين — ناصر خسرو
  ترجمة ودراسة — ابراهيم الدسوقى شتا
- الفلسفة بما هى علم دقيق — هوسرل
  ترجمة ودراسة — محمود رجب
- مبادىء الفلسفة — ديكارت
  ترجمة ودراسة عثمان امين
- المحاورات الثلاث بين هيلاس وفيلونوس — باركلى
  ترجمة ودراسة — يحيى هويدى
- جدل الحب والحرب — هرقليطس
  ترجمة ودراسة — مجاهد عبد المنعم
- الحب والقوة والعدالة — بول تليش
  ترجمة ودراسة — كامل يوسف
- خوف ورعدة — كيركجور
  ترجمة ودراسة — فؤاد كامل
- الف باء النسبية — برتراندرسل
  ترجمة ودراسة — فؤاد كامل
- اصول فلسفة الحق — هيجل
  ترجمة ودراسة — امام عبد الفتاح امام
- رحلة الانسان من الجنين الى الجنان — صادق عنقا
  ترجمة ودراسة — ابراهيم الدسوقى شتا
- ابحاث جديدة فى الفهم الانسانى — ليبنتز
  ترجمة ودراسة — احمد فؤاد كامل
- فايدروس — افلاطون
  ترجمة ودراسة — اميرة حلمى مطر